حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلي (ت: ٨٦٤هـ)

جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف

العالم العلامة العارف بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حققت على نسخ خطية نفيسة

ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل

شرف بخدمتها

مرعي حسن الرشيد

راجعها وقدم لها

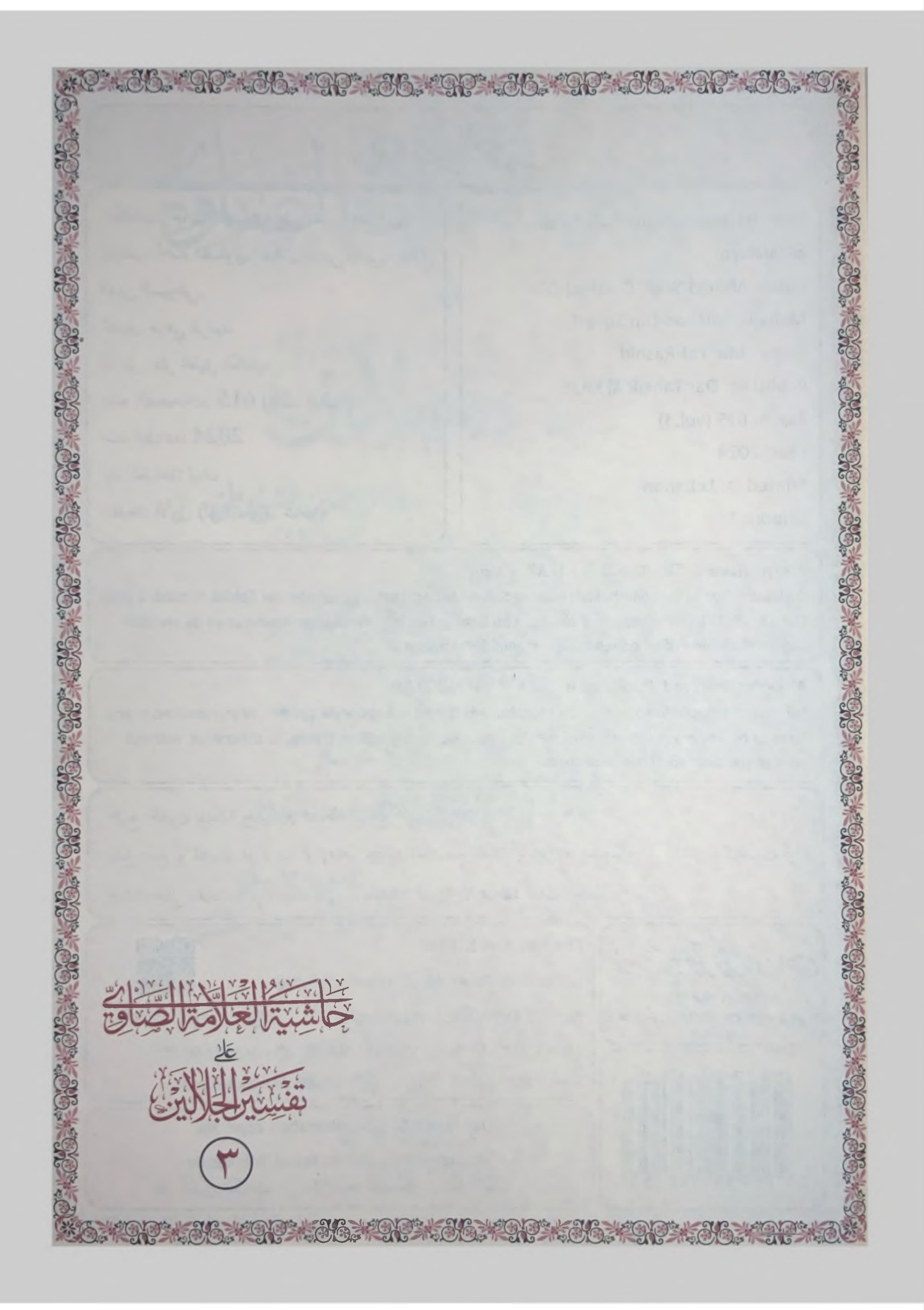
الدكتور عبد القادر الحسين

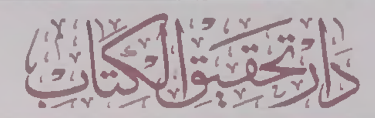
الجزء الثالث

سورة الأنفال - سورة النحل

دار تحقيق الكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
٣



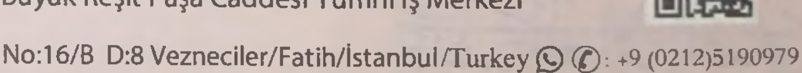
Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻalá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ğalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ğalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Marʻī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 615 (vol.3)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1

الكتاب: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 615 (المجلد الثالث)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)





ISBN 978-9933-638-15-3

DAR TAHKIK AL KITAB
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com  : info@tahkikalkitab.com

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم



مَدنيَّة، أو إلَّا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ . . .﴾ الآياتِ السبع فمَكية، خمسٌ أو ست أو سبع وسبعونَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمَّا اختلَفَ المُسلِمُونَ في غَنائِم بَدر فقالَ الشُّبَّان: هيَ لَنا لِأَنَّنا باشَرْنا القِتالَ، وقال الشُّيُوخُ: كُنَّا رِدءاً لَكُم تَحتَ الرَّايات، ولَو انكَشَفتُم لَفِئتُم إلَينا فلا تَستَأثِرُوا بِها، نَزل:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَنفَالِ

مبتدأ، ومضاف إليه، و(مدنيَّة) خبر أول، و(خمس. . . إلخ) خبرٌ ثانٍ.

قوله: (أو إلَّا) (أو): لحكاية الخلاف؛ فإنه اختُلف هل هي مدنية كلُّها وهو الصحيح، أو إلَّا سبع آيات أوَّلها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وآخرها قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فمكيات وهو ضعيف؟ ولا يَلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها، بل نزلت بالمدينة حكايةً عمَّا وقع في مكة.

قوله: (في غنائم بدر) أي: لأنها أول غنيمة في الإسلام.

قوله: (وقال الشيوخ) أي: وكانوا مُحْدِقينَ برسول الله؛ خوفاً عليه من العدوِّ.

قوله: (كنَّا رِدْءاً) أي: عوناً لكم.

قوله: (ولو انكشفتم) أي: انهزَمتم.

قوله: (لفئتم) أي: رجعتُم.

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ....

(١) ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: الغَنائِم لِمَنْ هي؟ ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يَجعَلانِها حيثُ شاءَا، فقَسَمَها ﷺ بَينَهم على السَّواء، رَواهُ الحاكِم في «المُستَدرَك»، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حَقِيقةَ ما بَينكُم بِالمَودَّةِ وتَركِ النِّزاع، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَسْئَلُونَكَ﴾) السؤال إن كان عن تعيين الشيء وتَبيينه.. تعدَّى للمفعول الثاني بـ(عن) كما هنا، وإن كان بمعنى طلب الإعطاء.. تعدَّى للمفعولين بنفسه كـ(سألت زيداً مالاً)، خلافاً لمن فهم أن ما هنا من الثاني وادَّعى زيادةَ (عن).

قوله: (﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾) جمع نَفَل، مثل: سبَب وأسباب، ويقال: نَفْل بسكون الفاء أيضاً، وهي: الزيادة؛ لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة؛ فإنها لم تكن حلالاً لهم، بل كانوا إذا غَنموا غنيمة.. وضعوها في مكان؛ فإن قبلها الله منهم.. أنزل عليها ناراً أحرَقتها، وإلَّا.. بَقيت.

قوله: (﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾) قيل: إن معنى ذلك: أنها مملوكة لله وأعطاها مِلْكاً لرسوله يتصرَّف فيها كيف شاء، وعلى هذا فقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ...﴾ الآية ناسخةٌ لها، وقيل: إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له، والآية محكمة، فيكون المعنى: لله والرسول من حيث قِسمتها على المجاهدين.

قوله: (**يجعلانها حيث شاءا**) أي: فامتثلوا ما يأمركم به.

قوله: (﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: امتثلُوا أمره وأمر نبيِّه.

قوله: (﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾) أي: الحالة التي بينكم، وهي الوُصْلَةُ الإسلامية؛ فالمعنى: اتركوا النزاع والشَّحناء، والتزموا المودَّة والمحبة بينكم؛ لِيحصل النصر والخير لكم.

قوله: (﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾) أي: فيما يأمركم به.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه.

قوله: (**حقًّا**) أي: كاملين في الإيمان، فعلامة كمال الإيمان: طاعة الله والرسول، وعدم وجود الحرج في النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ....

﴿٢﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكامِلُونَ الإيمانَ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي: وَعِيدُه ﴿وَجِلَتْ﴾: خافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تَصدِيقاً، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: بِه يَثِقُونَ لا بِغَيرِه.

﴿٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَأتُونَ بِها بِحُقُوقِها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطَيناهُم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعةِ الله.

﴿٤﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) استئنافٌ مَسوقٌ لبيان صفات المؤمنين، فهو كالدليل لما قبله.

قوله: (الكاملون الإيمان) بالنصب على نزع الخافض؛ أي: فيه، وفي بعض النسخ بحذف النون، فيكون مضافاً لـ(الإيمان).

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾) وصل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بثلاث صلات كلُّها متعلِّقة بالقلب.

قوله: (﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾) أي: فَزعت لاستيلاء هَيبته على قلوبهم.

قوله: (تصديقاً) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة؛ إذ لا يَصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفسَّاق، وما قَبِلَ الزيادة قَبِلَ النقص[1]، وبذلك أَخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة.

قوله: (به يثقون) أشار بذلك إلى أن (على) بمعنى الباء، و﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ بمعنى (يَثقون)، وقوله: (لا بغيره) حصرٌ أُخِذَ من تقديم المعمول، والمعنى: أن ثِقَتهم بالله لا بغيره؛ فلا يَعتمدون على عمل ولا على مال، ولا يخافون من غيره.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: يُلازمونها في أوقاتها مستوفيةً الشروط والأركان والآداب.

قوله: (﴿يُنفِقُونَ﴾) أي: النفقة الواجبة كالزكاة، أو المندوبة كالصدقة.

قوله: (﴿حَقًّا﴾) صفة لمصدر محذوف؛ أي: إيماناً حقًّا.

---

(١) والتحقيق: أن إيمان الأنبياء يَقبل الزيادة ولا يقبل النقصان، بخلاف عامة المؤمنين.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ ....

صِدقاً بِلا شَكٍّ، ﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: مَنازِلُ في الجَنَّة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجَنَّة.

٥ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ - مُتعلِّق بِـ(أخرجَ) - ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الخُرُوجَ، - والجُملةُ حال مِن كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾، و﴿كَمَآ﴾: خَبَرُ مُبتدأ مَحذُوف -

حاشية الصاوي

قوله: (بلا شكٍّ) أي: لظهور علامة الإيمان الكامل فيهم.

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) العنديَّةُ عنديَّة مكانةٍ لا مكان.

قوله: (﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾) أي: غفران لذنوبهم.

قوله: (﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾) أي: دائمٌ مستمرٌّ، لا نكد فيه ولا تعب، مقرونٌ بالتعظيم والتكريم.

قوله: (﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾) الكاف بمعنى: مثل، و(ما) مصدرية، خبر لمحذوف، والتقدير: قَسْمُ الغنائم عموماً والحال أن بعض الصحابة كارِهون لذلك.. مثلُ إخراجك من بيتك والحال أنهم كارهون لذلك، فهو تشبيهُ حكمٍ بحكمٍ، أو قصة بقصة، وهذا أحسَنُ الأعاريب؛ ولذا درج عليه المفسِّر؛ فالمشبَّه: قسم الغنائم، والمشبه به: الخروج لقتال ذي الشوكة؛ بجامع أنَّ كلًّا كان فيه كراهةٌ لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية، وفي الواقع ونفس الأمر خيرٌ ومَصلحة للعموم في كلٍّ؛ لأن الأول ترتَّب عليه إصلاح ذات البين، والثاني ترتَّب عليه عزُّ الإسلام ونصرُهُ.

قوله: (﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾) أي: الكائن بالمدينة، أو المرادُ بالبيت: نفس المدينة.

قوله: (متعلق بـ«أخرج») أي: والباء سببية، والمعنى: أخرجك من بيتك بسبب الحق؛ أي: إظهار الدين ورفع شأنه، ويَصحُّ أن الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلِّق بمحذوف حال من الكاف في (إخراجك) أي: أخرجك مُلتبساً بالحق؛ أي: الوحي، لا عن هوى نفسك.

قوله: (والجملة حال) أي: مقدَّرة؛ لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهِين، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذي الشوكة.

أي: هَذه الحالُ في كَراهَتِهم لَها مِثلُ إخراجِك في حال كَراهَتِهِم، وقد كانَ خَيراً لَهُم، فكذلك أيضاً، وذلك أنَّ أبا سُفيانَ قَدِمَ بِعِيرٍ مِن الشَّام، فخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وأصحابُه لِيَغنَمُوها، فعَلِمَت قُرَيشٌ فخَرَجَ أبُو جَهل ومُقاتِلُو مَكَّةَ لِيَذُبُّوا عنها وهُم النَّفِير، وأخَذَ أبُو سُفيان بِالعِيرِ طَرِيق السَّاحِل فنَجَت، فقِيلَ لِأبِي جَهل: ارجِع فأبَى وسارَ إلى بَدر، فشاوَرَ ﷺ أصحابَه وقال: «إنَّ الله وعَدَني إحدَى الطَّائِفَتَينِ»، فوافَقُوهُ على قِتال النَّفِيرِ، وكَرِهَ بَعضُهم ذلك وقالُوا: لَم نَستَعِدَّ لَه كما قال تعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: هذه الحال) أي: وهي قَسم الغنائم على العموم.

قوله: (في كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما.

قوله: (فكذلك أيضاً) أي: قسم الغنائم كان خيراً انتهاءً؛ لما فيه من إصلاح ذات البَين.

قوله: (قدم بِعِيرٍ) أي: إبلٍ حاملةٍ تجارةً، وكان فيها أموالٌ كثيرةٌ ورجال قليلة نحو الأربعين.

قوله: (فعلمت قريش) أي: بإخبار ضَمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان؛ ليُعْلِمَ قريشاً بذلك.

قوله: (ومقاتلو مكة) أي: وكانوا ألفاً إلا خمسين.

قوله: (وأخذ أبو سفيان) أي: عدَل عن الطريق المعتاد للمدينة، وسار بساحل البحر.

قوله: (فشاور ﷺ أصحابه) أي: في المضيِّ إلى بدر؛ لقتال النَّفير.

قوله: (فوافقوه) أي: آخراً بعد أن توقَّف بعضهم محتجًّا بعدم النهي، وكان إذ ذاك ﷺ بوادي دَفْرَان ـ بدال وقاف وراء؛ بوزن سلمان: واد قريب من الصفراء ـ وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول، ثم قام سَعد بن عبادة فقال: انظُر أمرك فامض فيه؛ لو سرتَ إلى عدن ما تخلَّف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امضِ كما أمرك الله؛ فإنا معك حيثما أحبَبتَ، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتِلا، إنا معكم مقاتلون، فتَبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال: «أيها الناس؛ أشيرُوا عليَّ» وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنَّك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: إنا قد آمنَّا بك وصدَّقناك وشهدنا أنَّ ما جئتَ به هو الحق؛ فامضِ يا رسول الله لما أردتَ؛ فإنا لا نكره أن تلقى بنا عدوَّنا، وإنا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، ولعلَّ الله يريك

يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ....

﴿٦﴾ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾: القِتالِ ﴿بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾: ظهَر لَهم، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ إليه عِياناً في كَراهَتِهم لَه.

﴿٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾: العِيرَ أو النَّفِيرِ ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ﴾: تُريدُونَ ﴿أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ أي: البَأسِ والسِّلاح وهي العِيرُ ﴿تَكُونُ لَكُمۡ﴾ لِقِلَّةِ عَدَدِها وعُدَدِها، بِخِلافِ النَّفِير، ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾: يُظهِرَه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابِقةِ بِظُهور الإسلامِ، ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: آخِرَهم بِالاستِئصالِ، فأَمرَكُم بِقِتالِ النَّفِير.

حاشية الصاوي

منَّا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ بنا على بركة الله، ثم قال رسول الله: «سيروا على بركة الله وأبشرُوا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مَصارع القوم»[١].

قوله: (﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾) أي: يُقيمون حجة قُبالةَ حجة، فليس المراد بالجدال الجدالَ في الباطل.

قوله: (ظهر لهم) أي: تحتُّم القتال.

قوله: (﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ﴾) أي: كأنهم مِثل من يُساقُ إلى القتل وهو يَنظر بعينه أسبابه.

قوله: (في كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة، وبسبب تلك الكراهة قلَّة عَدَدهم وعُدَدهم؛ فقد ورد: أنهم كانوا ثلاثَ مئة وثلاثة عشر، والكل رجال وليس فيهم إلا فرسان[٢].

قوله: (بخلاف النفير) أي: فإنه كثير العدد والمدَد.

قوله: (يظهره) جواب عمَّا يقال: إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣١)، وانظر الخبر بتمامه في «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٢٦).

(٢) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٧٤).

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ ....

٨ ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾: يَمحَقَ ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: الكُفرَ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المُشرِكُونَ ذَلك.

٩ اذكُر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تَطلُبُونَ مِنهُ الغَوث بِالنَّصرِ علَيهِم، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى﴾ أي: بِأنِّي ﴿مُمِدُّكُم﴾: مُعِينُكُم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتَتابِعِينَ يُردِفُ بَعضُهم بَعضاً، وَعَدَهُم بِها أوَّلاً ثُمَّ صارَت ثَلاثَةَ آلافٍ، ثُمَّ خَمسةً كما في (آل عِمرانَ). ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾) ليس مكرَّراً مع ما قبله؛ لأنَّ المراد بالأول: تثبيتُ ما وَعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني: تقويةُ الدين وإظهارُ الشريعة مدَى الأيام.

قوله: (﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾) إما خطاب للنبي ﷺ فقط، فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبي وأصحابه، روي عن ابن عباس قال: (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر.. نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله القبلة ثم مدَّ يدَيه، فجعل يَهتف بربه ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وَعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام.. لا تُعبد في الأرض»، فما يزال يَهتف بربه مادًّا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رِداءه، فألقاه على منكبَيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله؛ كفاكَ مُناشدتك ربَّك؛ فإنه سيُنجز لك ما وعَدك، فنزلت هذه الآية)[١].

قوله: (تطلبون منه الغوث) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب.

قوله: (﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾) وَرد: أن جبريل نزل بخمس مئة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه أبو بكر، ونزل ميكائيل بخمس مئة وقاتل بها في يَسار الجيش وفيه عليٌّ[٢]، ولم يثبت أن الملائكة قاتَلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها.. فكانت تَنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل.

قوله: (يردف بعضهم بعضاً) أي: يَعقبه في المجيء.

قوله: (وَعَدَهُم بها أوَّلاً) أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وما في (آل عمران).

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) رواه المحاملي في «أماليه» (١٤٦)، وانظر «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٤٠).

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ....

ـ وقُرِئ: (بِآلُف) كـ(أفلُس) جَمع ـ.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمـداد ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ اذكُر ﴿إِذۡ يَغۡشَىٰكُمُ ٱلنُّعَاسُ أَمَنَةً﴾: أمناً مِمَّا حَصَلَ لَكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقُرِئ) أي: شذوذاً، قوله: (كأَفْلُسٍ) أي: فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً.

قوله: (﴿إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾) أي: فلا يَتوقف على تهيُّؤ بعَدَدٍ ولا عُدَدٍ.

قوله: (﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾) أي: دُفعة واحدة، فناموا كلُّهم، وهذا على خلاف العادة، فهي معجزة لرسول الله؛ حيث غشي الجميعَ النَّومُ في وقت الخوف، وفيه ثلاث قراءات سبعيَّة: (يَغْشَاكم) كـ(يلقاكم)، و(النعاسُ) مرفوع على الفاعلية، و(يُغَشِّيكم) بتشديد الشين وضمِّ ياء المضارعة، و(يُغْشِيكم) بتخفيف الشين وضمِّ ياء المضارعة، و(النعاسَ) منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين[١].

قوله: (﴿أَمَنَةً﴾) منصوب على الحال على القراءة الأولى، والمفعولِ لأجله على القراءتين الأخيرتين، قال عبد الله بن مسعود: (والنعاسُ في القتال أمنةٌ من الله، وفي الصلاة من الشيطان)[٢]، قيل: إنهم لما خافُوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعُدَدهم، وقلَّة المسلمين، وعَطشوا عطشاً شديداً.. ألقى الله عليهم النوم حتى حصَلت لهم الراحة، وزال عنهم العطش، وتمكَّنوا من قتال عدوِّهم، فكان ذلك النومُ نعمةً في حقِّهم؛ لأنه كان خفيفاً؛ بحيث لو قصَدهم العدو.. لتنبَّهوا له، وقَدَروا على دَفعه.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يَغْشاكم النعاسُ»، ونافع: «يُغْشِيكم» بضم الياء وكسر الشينِ خفيفةً، و«النعاسَ» نصباً، والباقون: «يُغَشِّيكم» كالذي قبله، إلا أنه بتشديد الشين، فالقراءة الأولى مِنْ غَشِي يَغْشَى، و«النعاس» فاعل، والثانية مِنْ «أغشى»، وفاعلُه ضميرُ الباري تعالى، وكذا في الثالثة مِنْ «غَشَّى» بالتشديد. و«النُّعاس» فيهما مفعول به. انظر «الدر المصون» (٥/ ٥٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٨٨)، وعبدُ الرزاق في «مُصنفه» (٤٢١٩).

مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ....

مِن الخَوفِ، ﴿مِنْهُ﴾ تعالى، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ مِن الأحداثِ والجَناباتِ، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وَسوَسَته إلَيكُم بِأنَّكُم لَو كُنتُم على الحَقِّ ما كُنتُم ظَمأَى مُحْدِثِينَ والمُشرِكُون على الماءِ، ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: يَحبِسَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بِاليَقِينِ والصَّبر، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تَسُوخَ في الرَّمل.

﴿١٢﴾ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِم المُسلِمِينَ ﴿أَنِّي﴾ أي: بِأنِّي ﴿مَعَكُمْ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ، ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِالإعانةِ والتَّبشِير، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: الخَوفَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الخوف) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾ ... إلخ) أي: وذلك أنهم وَقفوا في كثيب رمل، فشقَّ المشي عليهم فيه من لِينه ونعومته، واشتدَّ عليهم الخوف من أن يَأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس، فاحتَلم معظمهم، فاشتدَّ احتياجهم إلى الماء، فوَسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسِّر، فردَّ الله كيدَه بإنزال المطر الكثير عليهم، فشربوا وتطهروا ومَلؤوا القِرَب، وتلبَّد الرمل حتى سهل المشي عليه.

قوله: (﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾) معمول لمحذوف؛ أي: (اذكر)، ولم يُقدِّره المفسِّر اتكالاً على تقديره فيما سَبق في قوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ كما أشار إليه المفسِّر.

قوله: (﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾) الجملة في محل نصب مفعول لـ﴿يُوحِي﴾.

قوله: (﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾) أي: قوُّوا قلوبهم، واختُلف في كيفية هذه التقوية؛ فقيل: إن الشيطان كما أنَّ له قوَّةً في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم في السوء؛ كذلك الملك له قوةٌ في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويُسمَّى ما يلقيه الملك: إلهاماً، وقيل: إنَّ ذلك التثبيتَ حضورُهم القتالَ معهم، ومَعونتهم لهم بالقتال بالفعل، وقيل: معناه: بشِّروهم بالنصر والظفَر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف ويقول: أبشِروا؛ فإنَّ الله ناصركم عليهم.

قوله: (﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) كالتفسير لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وقوله:

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ ....

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرُّؤُوس، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطرافَ اليَدَينِ والرِّجلَينِ، فكان الرَّجُل يَقصِدُ ضَربَ رَقَبة الكافِر فتَسقُط قَبل أن يَصِلَ إلَيه سَيفُه، ورَماهُم ﷺ بِقَبضَةٍ مِن الحَصَى فلَم يَبقَ مُشرِك إلَّا دَخَلَ في عَينَيْه مِنها شَيءٌ، فهُزِمُوا.

﴿١٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العَذابُ الواقِع بِهِم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خالَفُوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لَهُ.

حاشية الصاوي

(﴿فَاضْرِبُوا﴾ . . . إلخ) كالتفسير لقوله: ﴿فَثَبِّتُوا﴾، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (الرؤوس) تفسير للفظ ﴿فَوْقَ﴾، وقد تُوُسِّع فيه؛ حيث استَعملوه مفعولاً به وإن كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية[1]، وقيل: إن لفظه ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، وقد أشار له المفسِّر بقوله: (يقصد ضرب رقبة الكافر. . .إلخ)؛ فقد أشار المفسِّر إلى قولَين، وقيل: إن (فوق) باقيةٌ على ظرفيَّتها والمفعول محذوف؛ أي: فاضربوهم فوق الأعناق، وقيل: إن (فوق) بمعنى (على) والمفعول محذوف أيضاً؛ أي: فاضرِبوهم على الأعناق.

قوله: (أي: أطراف اليدين والرجلين) في «المصباح»: (البَنان: الأصابع، وقيل: أطرافها، والواحدة: بنانة)[2].

قوله: (إلا دخل في عينيه) أي: وفي فمه وأنفه.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب) أي: مِن إلقاء الرعب والقتل والأسر، وقوله: (بأنهم) الباء سببيَّة.

قوله: (خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾) أصل معناها: المجانبة؛ لأنهم صارُوا في شقٍّ وجانب عن النبي والمؤمنين.

قوله: (﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾) أي: وما نزل بهم في هذا اليوم قليلٌ بالنسبة لما ادُّخر لهم عند الله.

---

(١) كذا في الأصول، ولو قال: (ملازماً للظرفية). . لكان أوضحَ.

(٢) «المصباح المنير»، مادة: (ب ن ن).

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ....

﴿١٤﴾ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العَذابُ ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيُّها الكُفَّارُ في الدُّنيا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخِرةِ ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي: مُجتَمِعِينَ كأنَّهُم لِكَثرَتِهِم يَزحَفُونَ، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ مُنهَزِمِين.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَومَ لِقائِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب) اسم الإشارة مبتدأ، خَبره محذوف قدَّره المفسِّر، وقوله: (فذوقوه) لا تعلُّق له بما قبله من جهة الإعراب.

قوله: (﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾) عطفٌ على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، أو نصب على المفعول معه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ﴾) خطابٌ لكلِّ مَنْ يَحضر القتال.

قوله: (﴿زَحْفًا﴾) حال من المفعول به وهو ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فهو مؤول بالمشتق؛ أي: حال كونهم زاحفين.

قوله: (أي: مجتمعين... إلخ) أي: فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بُطء السير؛ وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضه ببعض.. يتراءى أنَّ سيره بطيءٌ وإن كان في نفس الأمر سريعاً، وفي «المصباح»: (زحف القوم زحفاً من باب: «نفع»)[1].

قوله: (﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾) يُطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر وهو المراد هنا، والمقصود: ملزوم تَولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه؛ كما أشار له المفسِّر بقوله: (مُنهزمين)، و﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾: مفعول ثان لـ﴿تُوَلُّوهُمُ﴾، وكذا ﴿دُبُرَهُۥ﴾ مفعول ثان لـ﴿يُوَلِّهِمْ﴾. وفي الآية تعريضٌ؛ حيث ذكر لهم حالة تُستهجن من فاعلها في تعبيره بلفظ الدُّبر دون الظهر.

قوله: (أي: يوم لقائهم) حلُّ معنى، وإلَّا.. فمقتضى التنوين في (إذٍ) أن يقول: يوم لَقِيتموهم؛ لأنه عوضٌ عن جملة.

(١) «المصباح المنير»، مادة: (ز ح ف).

دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ....

﴿دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: مُنعَطِفاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بِأن يُرِيَهُم الفَرَّة مَكِيدَةً وهو يُرِيد الكَرَّة، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: مُنضَمًّا ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: جَماعةٍ مِن المُسلِمِينَ يَستَنجِدُ بِها، ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هيَ، وهذا مَخصُوصٌ بِما إذا لَم يَزِد الكُفَّار على الضِّعفِ.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بِبَدرٍ بِقُوَّتِكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾) في نَصبه مع ما عطف عليه وجهان: أحدهما: أنه حال، والثاني: أنه مستثنى من ضمير المؤمنين.

قوله: (الفرَّة) بفتح الفاء، وهي المرة من الفرِّ بمعنى: الفرار؛ أي: الهرب، وقوله: (مكيدةً) أي: خديعة ومكراً، وقوله: (وهو يريد الكرَّة) أي: الرجعة؛ لأنَّ الكرَّة: المرة من الرجوع، والكرُّ: الرجوع، وهذا أحدُ أبواب الحرب ومكايدها.

قوله: (﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾) والتحوُّز: الانضمام، وأصل تحيُّز: (تَحَيْوُز)؛ اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء.

قوله: (يستنجد) أي: يَستنصر ويستعين.

قوله: (﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ﴾) جواب الشرط، وهو (من)، والباء للملابسة؛ أي: مُلتبساً ومصحوباً بغضب.

قوله: (﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾) أي: مَسكنه، وفي الآية وعيدٌ عظيمٌ؛ ولذلك قيل: إن الفِرار أكبر الكبائر بعد الكفر.

قوله: (مخصوص) أي: مقصورٌ؛ أي: فإن زادَت عن الضعف؛ كما إذا كان المسلمون ربع الكفار.. فلا يَحرم الفرار.

قوله: (﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾) نَزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر؛ فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلتُ كذا، أسرت كذا، فعلَّمهم الله الأدب بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ...﴾ إلخ، والفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر؛ أي: إن افتخرتُم بقتلهم.. فلم تقتلوهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ بِنَصرِهِ إِيَّاكُم، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا مُحمَّدُ أعيُنَ القَوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بِالحَصَى؛ لِأَنَّ كَفًّا مِن الحَصَى لا يَملأُ عُيُونَ الجَيش الكَثِير بِرَمْيَةِ بَشَر، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ بِإيصالِ ذلك إِلَيهِم، فَعَلَ ذلك لِيَقهَرَ الكافِرِين، ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾: عَطاءً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾) قرئ بتشديد (لكن) وتخفيفها؛ فعلى التخفيف: تكون مهملة، ولفظ الجلالة مرفوعٌ على الابتداء، وعلى التشديد: تكون عاملة عمل (إنَّ)، ولفظ الجلالة منصوبٌ على أنه اسمها، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾) ظاهره التناقض؛ حيث جمَع بين النفي والإثبات، والجواب: أن المنفيَّ الرميُ بمعنى: إيصال الحصى لأعيُنِهم، والمثبت فعلُ الرمي؛ كما أشار لهذا الجواب المفسِّر بقوله: (بإيصال ذلك إليهم).

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾) فيه القراءتان المتقدِّمتان، وقد علمتَ أن حكمة قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ التأديبُ لبعض المؤمنين، وأما حِكمة قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: إثباتُ أنها معجزةٌ من الله لنبيِّه؛ لتذكر من جملة مُعجزاته التي أُمِرَ بالتحدث بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وقال البوصيري[2]: [الخفيف]

ورمى بالحَصى فأقْصَدَ جَيْشاً ... ما الحصَى عندَهُ وما الإلقاءُ

قوله: (فعل) أي: الله (ذلك) أي: القتلَ والرميَ، وقوله: (ليقهر. . . إلخ) قدَّره لِيَعطف عليه: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾.

قوله: (عطاء) أي: فالمراد من الإبلاء: الإعطاء، فهو إبلاء بخير لا بشرٍّ؛ فإنَّ البلاء يقع على النعمة وعلى المِحنة؛ لأن أصله: الاختبار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر، يكون بالنعمة؛ لإظهار الشكر.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (ولكِنِ اللهُ قَتَلَهم)، بكسر النون مخففةً، ورفع الهاء من اسم (الله)، والباقون بفتح النون مشدَّدةً ونصب الهاء. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٦٢).

(٢) من قصيدته المشهورة بالهمزية. انظر «المنح المكية» (ص٣٣١)، وفيه: (ما العصا) بدل (ما الحصى) يعني: عصا سيدنا موسى، قال الإمام ابنُ حجر رحمه الله: (أي: لا تقاس معجزة نبينا ﷺ في إلقاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام في إلقاء عَصاه على ما ذكر؛ لأن معجزة نبيِّنا أظهر وأبهر؛ إذ إلقاء موسى لعصاه حاكى إلقاء السحرة لِعِصيهم وحبالهم، ومعجزة نَبينا لم تحاكَ قط).

حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ ....

﴿حَسَنًا﴾ هو الغَنيمةُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِهِم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالِهِم.

﴿١٨﴾ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاءُ حَقٌّ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: مُضعِفٌ ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أيُّها الكُفَّار، أي: تَطلُبُوا الفَتح أي: القَضاءَ، حَيثُ قال أبُو جَهل مِنكُم: اللَّهُمَّ أيُّنا كان أقطَعَ لِلرَّحِم وأتانا بِما لا نَعرِف فأَحِنهُ الغَداةَ أي: أَهلِكْهُ، ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: القَضاءُ بِهَلاكِ مَن هو كَذلك وهو أبُو جَهلٍ ومَن قُتِلَ مَعَهُ دُونَ النَّبيِّ ﷺ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) مبتدأ، خبره محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (حقٌّ)، وقوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾) يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ فيكون في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضاً، والمعنى: ذلكم الإبلاء لِلمؤمنين حقٌّ، وتوهين كيد الكافرين حقٌّ. و(مُوَهِّن) بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، فـ(كيدَ) منصوب على المفعولية به، ويُقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من (أوهَن) كـ(أكرَم) منوَّناً، أو مضافاً إلى (كيدِ)، فالقراءات ثلاث، وكُلها سبعيَّة[1].

قوله: (أيها الكفار) أي: فهو خطاب لأهل مكةَ على سبيل التهكم؛ لأنهم الذين وقع بهم الهلاك، والفتح وقع لِغيرهم.

قوله: (أي: القضاءَ) أي: الحكمَ بينكم وبين محمد بنصر المحقِّ وخذلان المبطِل.

قوله: (حيث قال أبو جهل) أي: وغيره من قريش حين أرادُوا الخروج إلى بدر؛ تعلَّقوا بأستار الكعبة، ودعوا بما ذكره المفسِّر.

قوله: (أيُّنا) أي: الفريقين، يعني: نفسَه ومن معه، ومحمد ومن معه، وهو يَزعم أن محمداً هو القاطع للرحم حيث خرج من بَلَده وترَك أقاربه.

قوله: (فأَحِنْهُ الغداة) الحَيْنُ بالفتح: الهلاك، يقال: حانَ الرجل: هلَك، وأحانه الله: أهلَكه، و(الغداة): ظرف للحَيْنِ؛ أي: أهلكه فيما يُستقبل.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو، وتَشديد الهاء، وتنوين النون، ونصب الدال، وقرأ حَفص بسكون الواو، وتخفيف الهاء، وعدم تنوين النون، وخفض الدال، والباقون بسكون الواو، وتخفيف الهاء مع تنوين النون، ونصب الدال. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٦٣).

وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ....

والمُؤمِنين، ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكُفرِ والحَرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لِقِتالِ النَّبيِّ ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لِنَصرِه عَلَيكُم، ﴿وَلَن تُغْنِىَ﴾: تَدفَعَ ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جَماعاتُكُم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ـ بِكَسرِ (إنَّ) استِئنافاً، وفَتحِها على تَقديرِ اللّام ـ.

﴿٢٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾: تُعرِضُوا ﴿عَنْهُ﴾ بِمُخالَفةِ أمرِه ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القُرآنَ والمَواعِظَ.

﴿٢١﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّرٍ واتِّعاظٍ، وهُم المُنافِقُون أو المُشرِكُون.

﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سَماعِ الحَقِّ، ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عنِ النُّطقِ بِه، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾هُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفتحها على تقدير اللام) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ أي: واللام المقدَّرة للتعليل[1].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: داوِمُوا على طاعته، وعلى عدم التولي.. يَدُمْ لكم العزُّ الذي حَصل ببدر.

قوله: (﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾... إلخ) نزلت في جماعة من بني عبد الدار بن قُصي[2]، كانوا يقولون: نحن صمٌّ بكم عميٌ عمَّا جاء به محمد، وتَوجهوا مع أبي جهل حاملِين اللواء لقتال النبي وأصحابه ببدر، فقُتِلوا جميعاً ولم يَسْلم منهم إلا اثنان: مُصعب بن عمير، وسبيط بن حرملة.

و(الدواب) في اللغة: ما دبَّ على وجه الأرض، عاقلاً أو غيره، وفي العُرف: مخصوص بالخيل والبغال والحمير، وفي الآية غايةُ الذمِّ لهم بأنهم أضرُّ من الكلب والخنزير والحمير.

---

(١) قرأ نافعٌ وابن عامر وحفص بفتح الهمزة على (ولأنَّ الله تعالى)، والباقون بالكسر على الاستئناف. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٦٣).

(٢) كما في «البخاري» (٤٦٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ....

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: صَلاحاً بِسَماعِ الحَقِّ ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سَماعَ تَفَهُّم، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فَرضاً وقد عَلِمَ أنْ لا خَيرَ فِيهِم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عَنهُ ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قَبُولِه عِناداً وجُحُوداً.

﴿٢٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بِالطَّاعةِ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾) هذا تسليةٌ للنبي ﷺ على عدم إيمانِهم. و(لو): حرف امتناع لامتناع، والمعنى: امتنَع سماعهم الخير سماعَ تفهُّم؛ لامتناع عِلم الخير فيهم.

قوله: (﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾) هذا ترقٍّ في التسلية، والمعنى: لو فُرِضَ أنَّ الله أسمَعهم سماعَ تفهُّم.. لتولَّوا وهم مُعرضون عنه عناداً، فلا تحزن على كفرهم؛ فإنَّ كفرهم ثابتٌ مطلقاً، فهمُوا الحق أو لا، هذا حاصل معنى الآية.

واستشكل ظاهرها: بأن الآية دلَّت على قياس حاصِله: لو علم الله فيهم خيراً.. لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولَّوا، يَنتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولَّوا، وهو فاسد؛ إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا.

وأجيب بجوابَين: **الأول**: أن الحدَّ المكرَّر لم يتَّحد معنًى، وشرط الإنتاج اتِّحادُه معنًى؛ لأنَّ المراد بالإسماع الأول: الموجبُ للفهم والإذعان، والإسماعُ الثاني للمفَهم من غير إذعان.

الثاني: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ ترقٍّ في التشنيع عليهم، فالمعنى: هم لم يُؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حُصوله، فإيمانهم عند عدمه أولويٌّ؛ نظير: لو لم يَخف الله لم يعصه، ولكن تولِّيهم عند ظهور الحق عِنادٌ وجحودٌ، وعند عدمه جهلٌ.

قوله: (﴿ٱسْتَجِيبُوا﴾) السين والتاء زائدتان للتوكيد.

قوله: (﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾) أفرد؛ لأنَّ دعوة الرسول في الحقيقة هي لله، وذكر الرسول أوَّلاً؛ لأنه المبلِّغ عن الله، فعدمُ طاعتِه مخالفةٌ لله.

قوله: (﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾) (ما): إما نكرة، وجملة ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ صفة، أو اسم موصول وما بعدها صِلة، والمعنى: لما فيه حَياتكم الأبديَّة.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ....

مِن أمرِ الدِّين؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الحَياة الأبَدِيَّة، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ فلا يَستَطِيع أن يُؤمِنَ أو يَكفُرَ إلَّا بِإرادَتِه، ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيُجازِيكم بِأعمالِكُم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾ إن أصابَتكُم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ بل تَعُمُّهُم وغيرَهم، واتِّقاؤها بِإنكارِ مُوجِبها مِن المُنكَر، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لِمَن خالَفَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (من أمر الدين) أي: وهو الإيمان والإسلام، وقيل: هو القرآن؛ لأنه حياة القلوب، وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة، وقيل: هو الحق مُطلقاً، وقيل: الجهاد في سبيل الله، وأتمُّها ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾) أي: يَفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وذلك كناية عن كونه أقربَ للشخص من قلبه، ومِن قلبه لذاته، بل هو أقرب من السمع للأذن، ومن البَصر للعين، ومن اللمس للجسد، ومن الشمِّ للأنف، ومن الذَّوق للسان؛ فشبَّه القربَ بالحيلولة، واستعير اسم المشبَّه به ـ وهو الحيلولة ـ لِلمشبَّه ـ وهو القرب ـ واشتق من الحيلولة (يَحول) بمعنى: يقرب على سَبيل الاستعارة التصريحيَّة التبعيَّة.

قوله: (فلا يستطيع أن يُؤمن أو يكفر إلا بإرادته) تقدَّم أنه لا مفهوم للكفر والإيمان، بل السمع والبَصر والشمُّ والذوق واللمس في قَبضة الله سبحانه؛ إن شاء أبقاه، وإن شاء أذهبه، وإنما خصَّ الإيمان والكفر؛ لأنه مَناطُ السعادة والشَّقاوة.

قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾) أي: سببَ فتنة، وهي المعاصي؛ فإنها سببٌ لنزول المصائب الدنيويَّة.

قوله: (﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾) الجملة صفة لـ﴿فِتۡنَةٗ﴾، و﴿لَّا﴾ نافية، و﴿تُصِيبَنَّ﴾ فعلٌ مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو واقع في جواب شرط مقدَّم، قدَّره المفسِّر بقوله: (إن أصابتكم)، وليس جواباً للأمر؛ لأنَّ المترتِّبَ على تقواها عدمُ إصابتها أحداً، لا خُصوصاً ولا عموماً، وإنما أكَّد الفعل المضارع المنفيَّ بالنون؛ إجراءً له مجرى النهي.

قوله: (بل تعمُّهم وغيرَهُم) أي: فالظالم لِظلمه، وغير الظالم لإقراره وسُكوته، وعدم نَهيه

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ....

﴿٢٦﴾ ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مَكَّة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: يَأخُذَكُم الكُفَّار بِسُرعَةٍ، ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلى المَدِينةِ ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: قَوَّاكُم ﴿بِنَصۡرِهِۦ﴾ يَومَ بَدر بِالمَلائكةِ، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الغَنائِمِ ....

حاشية الصاوي

عن المنكر، وفي الحديث ما معناه: «مَثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب، ومَثل غير الظالم الراضي كمثل جماعة في أعلى المركب، فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقاً يَستقون منه؛ فإن سلَّم لهم أهل الأعلى.. هلكوا جميعاً، وإن قاموا عليهم.. نجَوا جميعاً»[1].

قال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين ألَّا يُقِرُّوا المنكر بين أظهُرِهم؛ فيعمُّهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم)[2]، وفي الحديث: «إن الله لا يُعذِّب العامَّة بعمل الخاصَّة حتى يرَوا المنكر بين ظَهرانيهم وهم قادرون على أن يُنكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك.. عذَّب الله العامة والخاصَّة»[3]، ووَرد: «إذا عمَّت الخطيئة في الأرض.. كان مَنْ شَهدها فأنكرها كمَنْ غاب عنها، ومن غاب عنها فرَضِيَها.. كان كمَن شَهدها»[4] إلى غير ذلك من الأحاديث الوارِدة في ذلك.

فإذا علمتَ ذلك.. فلا تشكل هذه بقَوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؛ لما عَلمت أن الساكت على المنكر مؤاخذٌ بِوزر نفسه، لا بوزر المباشر.

قوله: (﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾) خطاب للنبي وأصحابه، نزلت بعد غزوة بدر[5].

قوله: (﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾) أي: مُظهرون الضَّعف؛ لعدم أمركم بالقتال.

قوله: (الغنائم) أي: فلمَّا هاجروا وأُمِرُوا بالقتال.. تركوا التجارة، وصار رِزقهم من الغنائم، وفي الحديث: «جُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي»[6].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٩٣) عن سيدنا النعمان بن بَشير رضي الله عنهما.

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٠٤).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٩/ ٢٥٨) عن سيدنا عميرة بن فروة رضي الله عنه، وقوله: (فلا ينكروه) بحذف النون لغة معروفة.

(٤) رواه أبو داوود (٤٣٤٥) عن سيدنا العرس بن عميرة رضي الله عنهما.

(٥) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢٠٢).

(٦) رواه أحمد في «المسند» (٩/ ١٢٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأورده البخاري تعليقاً، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في الرماح.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ....

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَه.

﴿٢٧﴾ ونَزَلَ في أَبِي لُبابة مَروانَ بنِ عَبد المُنذِر وقَد بَعَثَهُ ﷺ إلى بَنِي قُرَيظةَ لِيَنزِلُوا على حُكمِه، فاستَشارُوهُ فأشارَ إلَيهِم أنَّهُ الذَّبح لِأنَّ عِيالَه ومالَه فِيهِم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾) أي: فتَزدادوا من النعم؛ لأنَّ بالشكر تزداد النِّعم، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: (ونزل في أبي لبابة) اسمه: مروان كما في بعض النسخ، وقيل: رفاعة.

قوله: (وقد بعثه... إلخ) حاصل قصَّته: أنَّ رسول الله حاصر قُريظة خمساً وعشرين ليلة ـ وقيل: خمسة عشر، وقيل: بضعة عشر يوماً ـ فلمَّا اشتدَّ عليهم الأمرُ.. قام عليهم رئيسُهم كعب بن أسد وعرض عليهم الإيمان، فقال: يا معشرَ اليهود؛ قد نزل بكم من الأمر ما تَرَون، وإني أعرض عليكم خصالاً ثلاثاً؛ فخذوا بما شِئتُم، قالوا: وما هي؟ قال: نُبايع هذا الرجل ونصدِّقه؛ فوالله لقد تبيَّن أنه نبيٌّ مرسلٌ، وأنه الذي تَجِدونه في كتابكم؛ فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونِسائكم، فأبَوا، فقال: هلمَّ نَقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مجرِّدين السيوفَ من أغمادِها، لم نترك وَراءنا ثقلاً حتى يَحكُم الله بيننا وبين محمد، فقالوا: أيُّ عيش لنا بعد أبنائنا ونِسائنا؟ فقال: إن هذه الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنُوا فيها، فانزلوا لعلَّنا نُصيبهم، فقالوا: نُفسد سبتنا وقد علمتَ مسخَ مَنْ خالف السبت، فأرسلُوا إلى رسول الله ﷺ؛ أن ابعث لنا أبا لبابة نَستشيره في أمرنا، فأرسل إليهم، فلمَّا رأوه.. قام إليه الرجال، وفزع النساء والصبيان يَبكون في وجهه، فرقَّ لهم، قالوا: يا أبا لبابة؛ أترى أن نَنزلَ على حكم محمد، قال: نعم، وأشار بِيَده إلى حَلقِه أنه الذبح، فقال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدَماي من مكانهما حتى عرفتُ أني خُنتُ الله ورسوله، ثم انطَلق وسلك طريقاً أخرى ولم يأتِ رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عَمُود من عُمُدِهِ، وقال: لا أبرح من مَكاني هذا حتى يَتُوبَ الله عليَّ مما صنعتُ، فلمَّا بلغ خبرُهُ رسولَ الله وقد استبطأه.. قال: «أما لو جاءَني.. لاستغفرتُ له، وأما إذ فَعل ما فعل.. فما أنا بالذي أُطلقه من مكانه حتى يتوبَ الله عليه»، فأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستَّ ليال ـ وقيل: بضعة عشر ليلة ـ حتى ذهب سَمعه، وكاد يذهب بَصره، وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة، فتَحُلُّه للصلاة ثم تربطه، ثم نزلت تَوبتُه في بيت أمِّ سلمة على رسول الله ﷺ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ ....

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: ما ائتُمِنتُم علَيه مِن الدِّين وغَيرِه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لَكُم صادَّةٌ عن أُمُورِ الآخِرةِ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

سَحراً، فقام يَضحك، فقالت أم سَلمة: ممَّ تضحَك؟ أضحك الله سنَّك، قال: «**تِيب على أبي لبابة**»، قالَت: أفلا أُبشِّره يا رسول الله؟ قال: «**بلى إن شئتِ**»، فقامت على باب حُجرتها ـ وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب ـ فقالت: يا أبا لُبابة؛ أبشِر فقد تاب الله عليك، فتَسارع إليه الناس لِيُطلقوه، فقال: لا والله حتى يكونَ رسول الله هو الذي يُطلقني بيده، فلمَّا أصبح الصبح.. أطلَقَه.

فلما اشتد الحصار على بني قُريظة.. أطاعوا وانقادوا أن يَنزلوا على حكم رسول الله، فحكَّم فيهم سعد بن معاذ وكان في خَيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلَم يقال لها: رُفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبةً، فأُتي به، فلما حَضر.. قال رسول الله ﷺ: «**قوموا لسيِّدكم**»، فقامُوا إليه فقالوا: إن رسول الله ولَّاك أمر مَواليك لتحكُمَ فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقِعة**»، والرقيع: السماء، ففَعل بهم كما قال سعد[1].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) إنما عمَّم الخطاب؛ إشارةً إلى الستر عليه، وأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾) معطوف على الفعل قبله، فهو في حيِّز النهي؛ ولذا قدَّر المفسِّر (لا)، فهو نهيٌ عن الخِيانتَين.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿تَخُونُوٓاْ﴾.

قوله: (صادَّةٌ) أي: مانعةٌ.

---

(١) انظر خبر أبي لبابة وحكم سعد رضي الله عنهما في «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٠)، و«زاد المسير» (٢/ ٢٠٣).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ....

فلا تُفَوِّتُوه بِمُراعاةِ الأموال والأولاد والخِيانة لِأجْلِهِم. ونَزَلَ في تَوبَتِه:

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بالإنابةِ وغيرِها ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ بينكُم وبَين ما تَخافُونَ فتَنْجُونَ، ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ ذُنُوبَكُم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر يا مُحمَّدُ ﴿إِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقد اجتَمَعُوا لِلمُشاوَرةِ في شَأنِك

حاشية الصاوي

قوله: (فلا تفوِّتوه بمراعاة الأموال... إلخ) أي: لأنها أمور زائلة فانية، وسعادة الآخرة لا نهاية لها، فهي أولى بتقديمها على ما يَفنى.

قوله: (﴿فُرۡقَانٗا﴾) أي: نجاةً مما تخافون، وقد أشار لهذا المفسِّر بقوله: (فتَنجون)، وقيل: المراد بالفرقان: النورُ الكائنُ في القلب الذي يُفرِّق بين الحق والباطل، وهو أولى.

قوله: (﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾) أي: يَمحوها، فقوله: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ عطف مُرادف عليه.

قوله: (﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ﴾) (إذ): ظرف معمول لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، وهذا تذكيرٌ لِنعمة الله على نبيِّه إثرَ تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، والمكر: الاحتيالُ على إيصال الضَّرر للغير.

وحاصل ذلك: أنَّ قريشاً عرفوا لما أسلم الأنصار أنَّ أمرَ رسول الله يَتفاخم ويظهر، فاجتمع نفرٌ من كبار قريش في دار الندوة؛ لِيتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤساءَهُمْ عتبةُ وشيبةُ ابنا رَبيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعمةُ بن عدي، والنضرُ بن الحارث وأبو البحتري[1] بن هشام، وزَمعة بن الأسود، فجاءهم إبليس في صورة شيخ نَجدي، فلما رأوه.. قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردتُ أن أحضركم، ولن تَعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا: ادخُل، فدخل، فقال أبو البحتري: أمَّا أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتَحبسوه في بيت مقيَّداً، وتسدُّوا باب البيت غير كُوَّة تُلقون منها طعامه وشرابه حتى يَهلك، فصرخ ذلك الشيخ النجدي وقال: بِئس الرأي، إنَّ أصحابه يُقاتلونكم ويخرجونه قهراً عليكم، فقالوا: صَدق الشيخ النجدي.

(١) كذا في الأصول، وفي كتب السيرة النبوية: (أبو البختري).

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ ....

بدارِ النَّدْوةِ ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: يُوثِقُوك ويَحبِسُوكَ، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهم قِتْلةَ رَجُل واحِدٍ، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَۚ﴾ مِن مَكَّةَ، ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بِك، ....

حاشية الصاوي

فقال هشام بن عمرو: إني أرى أن تحملوه على بعير فتُخرِجوه من بين أظهركم فلا يَضرُّكم ما صنع، فقال ذلك الشيخ النجدي: ما هذا برأيٍ؛ تَعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم، فتُخرجوه إلى غيركم فيُفسدهم، ألم تروا إلى حَلاوة منطقه وطَلاقة لسانه؟ لئن فعلتُم ذلك يذهب ويَستميل قلوب قوم آخرين، فيسير بهم إليكم، فيُخرجكم من بلادكم.

فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كلِّ بطنٍ من قريش شابًّا نسيباً، ويعطى كلُّ شابٍّ سيفاً صارماً، ثم يَضربونه ضربة واحدة، فإذا قتل.. تفرَّق دَمه في القبائل، ولا أظن أن هذا الحيَّ من بني هاشم يَقْوَوْن على حرب قريش كلِّها، غايتُه يطلبون ديته، وهو أمرٌ سهلٌ، فقال إبليس: إنه أجوَدكم رأياً، فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل عليه السلام وأخبر رَسول الله بذلك، وبأنَّ الله أذن له في الخروج إلى المدينة، فلمَّا كان الليل.. اجتَمعوا على بابه يَرصدونه حتى ينام، فأمر رسول الله عليًّا أن يَبيت بمضجعِه وقال له: «تسجَّ بِبُردتي فإنه لن يخلُصَ إليك منهم أمرٌ تكرهه»، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم وقد أخَذ الله أبصارهم، فلم يَرَه منهم أحدٌ، ونثَر على رؤوسهم التراب وهو يتلُو قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ ... إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثم أتاهم آت فقال لهم: إن محمداً خرج عليكم ووضَع التراب على رؤوسكم، فما من رجل مِنهم أصابه ذلك التراب إلا قُتل يوم بدر كافراً[1].

قوله: (بدار النَّدوة) أي: بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع، وهي أوَّل دار بُنِيت بمكة، فلمَّا حجَّ معاوية.. اشتراها من الزبير العبدري بمئة ألف درهم، ثم صارت كلُّها بالمسجد الحرام، وهي في جانِبه الشمالي.

قوله: (﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾) هذا إشارةٌ لرأي أبي البحتري.

قوله: (﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾) أي: شُبان القبائل (كلُّهم قِتْلةَ رجلٍ واحدٍ)، وهو إشارةٌ لرأي أبي جهل.

قوله: (﴿أَوْ يُخْرِجُوكَۚ﴾) هو إشارةٌ لرأي هِشام بن عمرو.

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ ....

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بِهِم بِتَدبِيرِ أمرِك؛ بِأن أوحَى إلَيك ما دَبَّرُوهُ وأَمَرَك بِالخُرُوجِ، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلَمُهُم بِهِ.

٣١ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قالَهُ النَّضر بنُ الحارِث؛ لِأَنَّهُ كانَ يَأتِي الحِيرةَ يَتَّجِر، فَيَشتَرِي كُتُبَ أخبار الأعاجِم ويُحَدِّثُ بِها أهلَ مَكَّة، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾ القُرآنُ ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بتدبير أمرك) جوابٌ عمَّا يقال: إن حَقيقة المكر محالةٌ على الله تعالى؛ لأنَّه الاحتيالُ على الشيء من أجل حُصول العجز عنه، وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد بمكر الله: مُعاملتُهُ لهم معاملة الماكر؛ حيث خيَّب سَعيهم، وضيَّع أملهم، أو المراد: جازاهم على مَكرهم، فسمَّى الجزاء مكراً؛ لأنه في مُقابلتِه.

قوله: (أعلمُهم به) دفع بذلك ما يقال: إنَّ المكر لا خير فيه، وأُجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه.

قوله: (﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾) هذا من جملة قبائح أهل مكة.

قوله: (﴿مِثْلَ هَذَا﴾) تنازعه كلٌّ من ﴿سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْنَا﴾.

قوله: (الحِيْرَة) بلدة بقرب الكوفة، قوله: (أخبار الأعاجم) أي: كالفرس والروم.

قوله: (﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾) جمع أُسطورة كـ(أكاذيب) جمع أُكذوبة وزناً ومعنًى، وقد ردَّ الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ [هود: ١٣]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] فعَجزوا عن ذلك، وقال البوصيري[1]: [الخفيف]

سُوَرٌ منه أشبَهَتْ صُوَراً مِنَّـ ـا ومِثلُ النَّظائرِ النُّظَراءُ

---

(١) في همزيته، انظر «المنح المكية» (ص٣٩٥).

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا﴾ الَّذي يَقرَؤُهُ مُحمَّد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ المُنَزَّل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم على إنكارِه، قالَهُ النَّضر وغَيرُه استِهزاءً وإيهاماً أنَّهُ على بَصِيرَة وجَزم بِبُطلانِه.

﴿٣٣﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بِما سَأَلُوهُ ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لِأَنَّ العَذاب إذا نَزَلَ عَمَّ، ولَم تُعَذَّب أُمَّة إلَّا بَعد خُرُوج نَبِيِّها والمُؤمِنِين مِنها، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾) القُراء السبعة على نصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبراً لـ﴿كَانَ﴾، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ فصل لا محلَّ له من الإعراب، وقُرئ شذوذاً برفعه على أنه خبر للضمير، والجملةُ خبرٌ لـ﴿كَانَ﴾[1].

قوله: (﴿مِنْ عِندِكَ﴾) حال من ﴿ٱلْحَقَّ﴾.

قوله: (﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: من سِجيل مُسوَّمة كما أرسلتَها على أصحاب الفيل.

قوله: (﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾) أي: كالصيحة والخَسف.

قوله: (قاله النضر) أي: ابن الحارث، وقوله: (أو غيره) أي: وهو أبو جهل، ولا مانعَ من أن كلًّا قال ذلك.

قوله: (استهزاءً) أي: سُخرية به ﷺ.

قوله: (وإيهاماً أنه على بصيرة) أي: لأن أَصعب الأيمان الدعاءُ على النَّفس.

قوله: (بما سألوه) أي: وهو الحجارة، أو العذاب الأليم، ولا بِالعذاب العام؛ لِرَفعه ببركته ﷺ.

قوله: (﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾) أي: في بَلدهم؛ فإن خرجت منها أنتَ والمؤمنون.. عذَّبهم الله على أيدِيكم عذاباً خاصًّا بهم.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾) أي: عذاباً عامًّا ولا خاصًّا.

---

(١) قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ الأعمش وزيدُ بن علي بالرفع، وهي جائزة في العربية، وهي لغة تميم يرفعون بعد (هو) التي هي فصل في لغة غيرهم. انظر «البحر المحيط» (٥/ ٣١٠).

وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ....

﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيثُ يَقُولُونَ في طَوافِهِم: غُفرانَك غُفرانَك، وقِيل: هُم المُؤمِنُونَ المُستَضعَفُونَ فِيهِم، كما قال تَعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ أَ﴾نْ ﴿لَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بِالسَّيفِ بَعد خُرُوجِك والمُستَضعَفِينَ، وعلى القَول الأوَّل هيَ ناسِخةٌ لِما قَبلَها، وقد عَذَّبَهُم الله بِبَدرٍ وغَيرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾) الجملة حالية من الضمير في ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾، والمعنى: أن الله لا يُعذبهم والحال أنهم يَستغفرون، فاستغفارهم نافعٌ لهم بعدم نُزول العذاب عليهم.

إن قلتَ: يُشكل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠].

أُجيب: بأن استغفارهم نافعٌ في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان.. فالمراد منهم ما يَحصل في الآخرة، فأعمال الكُفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نيَّة كالصدقات وفِعل المعروف والاستغفار.. تَنفعهم في الدنيا، وتَمنع عنهم العذاب فيها، ولا تَنفعهم في الآخرة.

قوله: (وقيل: هم المؤمنون) أي: فضمير ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾ يَعود إلى أهل مكة، وقوله: (﴿وَهُمْ﴾) الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مَجموعهم، وهم المؤمنون.

قوله: (﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾) أي: تميَّز المؤمنون عن الكفار.

قوله: (﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾) أي: أيُّ شيء ثبَت لهم في عدم تعذيب الله لهم؟ أي: لا مانعَ لهم منه.

قوله: (والمستضعفين) أي: وخُروج المستضعفين أيضاً.

قوله: (وعلى القول الأول) أي: وهو كون الضمير عائداً على الكفار.

قوله: (هي ناسخة لما قبلها) أي: وهي قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ لأنه أخبر أوَّلاً أنه لا يُعذبهم مع استغفارهم، وأخبر ثانياً أنه يعذبهم ولا يُبالي باستغفارهم، والوجه: أنها ليست منسوخة؛ لأنها خبرٌ، والأخبار لا تُنسخ، وأيضاً: استغفارهم قد انقَطع بخروجهم للمُقاتلة لارتباط استِغفارهم بالبيت.

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ....

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يَمنَعُونَ النَّبيَّ ﷺ والمُسلِمِينَ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن يَطُوفُوا بِه، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ كما زَعَمُوا، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنْ لا وِلايةَ لَهُم علَيهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: صَفِيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تَصفِيقاً، أي: جَعَلُوا ذلك مَوضِعَ صَلاتهم الَّتِي أُمِرُوا بِها، ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ بِبَدرٍ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾) الجملة حالية من ضمير ﴿يُعَذِّبَهُمُ﴾.

قوله: (أن يطوفوا به) أي: النبي والمؤمنون.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾) ردٌّ لقولهم: نحن وُلاة البيت، فنصدُّ من نشاء، ونُدخل من نشاء.

قوله: (﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾) أي: المجتنِبُون الشرك.

قوله: (أن لا ولاية لهم عليه) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿إِلَّا مُكَآءً﴾) استثناء من الصلاة على حسَب زعمهم؛ حيث ادَّعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة، فالاستثناءُ زيادةٌ في التشنيع عليهم.

قوله: (صفيراً) أي: فكان الواحد منهم يُشبِّك أصابع إحدى كفَّيه بأصابع الأخرى ويضمُّهما، ويَنفخ فيهما، فيظهر من ذلك صوت.

قوله: (تصفيقاً) أي: ضرباً لإحدى اليدَين على الأخرى.

قوله: (أي جعلوا ذلك... إلخ) جواب عما يقالُ: إن المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يَصح استثناؤهما منها؟ فأجاب: بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جِنسها، فجرى الاستثناء على مُعتقدهم، وكانوا يفعلون ذلك حين يَشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقِراءة القرآن كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ....

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حَرب النَّبيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقِبة الأمرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: نَدامةً لِفَواتِها وفَواتِ ما قَصَدُوه، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مِنهُم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخِرةِ ﴿يُحْشَرُونَ﴾: يُساقُون.

﴿٣٧﴾ ﴿لِيَمِيزَ﴾ ـ مُتعلِّق بِـ﴿تَكُونُ﴾ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ أي: يَفصِلَ ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾: الكافِرَ ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: المُؤمِنِ، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: يَجمَعهُ مُتَراكماً بعضُه على بعضٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) نزلت في كُفار مكة، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخُصوص السبب؛ فإنَّ المشاهَد في الكفار ذلك إلى يوم القيامة[1].

قوله: (﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾) أي: يَعلمون عاقبة إنفاقها.

قوله: (﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر) أي: وهي عدم وُصولهم لمقصودهم.

قوله: (﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾) التعبير بـ(ثم) إشارةٌ إلى أنهم يُمهَلون؛ استدراجاً لهم، وزيادة حَسرة لهم في العاقبة.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) إما حال من الهاء في ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾، أو توكيد لها.

قوله: (يجمعه متراكباً بعضه على بعض) ظاهر الآية: أنَّ هذا الجمع قبل دخولهم النار، وحينئذ: فيكون بياناً لحالهم في الموقف؛ لما تقدَّم أنه يكون سَبعون ألف قدم على قدم.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢١٠).

(٢) وقرأ: (لِيُمَيِّز) حمزة والكسائيّ بضم الياء الأولى، وفتح الميم، وتشديد الياء الثانية مع الكسر، والباقون بفتح الياء الأولى، وكسر الميم، وسكون الياء الثانية. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٧٠).

﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣٨﴾ ....

﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

٣٨ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كأبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكُفر وقِتالِ النَّبيِّ ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ مِن أعمالِهم، ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قِتالِه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سُنَّتُنا فِيهِم بِالإهلاكِ، فكذَا نَفعَلُ بِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾) أي: الخائبون في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) أمرٌ للنبي ﷺ أن يُبلِّغ الكفار ما ذكر.

قوله: (كأبي سفيان وغيره) إنما خصَّهم؛ لأنهم هم الباقُون من كفار مكة؛ لأن الآية نزَلت بعد بدر، وفيها قُتِلَ مَنْ قتل من صَناديدهم، وبقي من بقي، فالخطابُ لمن بقي.

قوله: (﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر) أي: بأن يَنطقوا بالشهادتين صادقِين مصدِّقين، فكلمة التوحيد سبب لِلانتقال من دِيوان الأشقياء لديوان السعداء.

إذا علمتَ أن هذا الفضل لِمَن سبق له الكفر.. فما بالك بمن لم يَسبِق له الكفر وعاش مؤمناً ومات كذلك؟! قال السنوسي: (فعلى العاقل أن يُكثر من ذكرها، مُستحضراً لما احتَوت عليه من المعاني حتى تمتزجَ مع معناها بلَحمه ودمه؛ فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يَدخل تحت حَصر)[1].

قوله: (من أعمالهم) أي: السيئة، وأعظمُها الكفر.

قوله: (﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾) أصل العَود: الرجوع عن الشيء بعد التلبُّس به، وحينئذ فيكون المعنى: وإن يَرتدُّوا عن الإسلام بعد تلبُّسهم به، ويصحُّ أن يفسَّر العودُ بالاستِمرار على الكفر.

قوله: (﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) أي: كعاد وثمود وقوم لُوط وغيرهم ممَّن هلك.

إن قلتَ: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاكُ العام، وأمَّا أمة محمد ﷺ فمَحفوظةٌ منه.

وأُجيب: بأن التشبيه في مُطلق هلاك وإن كان عامًّا، وهذا خاص، والأقرب: أن يراد

---

(١) خاتمة «أم البراهين».

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ ....

﴿٣٩﴾ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِركٌ، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وحدَه ولا يُعبَدَ غيرُه، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الكُفرِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيهم بِه.

﴿٤٠﴾ ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمانِ ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصِرُكُم ومُتَوَلِّي أُمُورِكُم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

بالأولين: مَنْ سبق قَبلهم من أولاد عمِّهم وأقاربهم ممن قُتِلَ في بدر، وجملة ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تَعليلٌ لمحذوف، ولا يَصلح للجواب، وتقدير الجواب: وإن يَعودوا.. نُهلِكهم كما أهلَكنا الأولين.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾) أي: الكفار مطلقاً، مُشركين أو غيرَهم.

قوله: (﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾) أي: شوكةٌ لأهل الشرك؛ أي: بأن ينقرضوا رأساً، أو بدخولهم في الإسلام، أو بأن يؤدُّوا الجزية؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى أن قال: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] فالمكلَّف به مأخوذٌ من مَجموع الآيتين.

قوله: (توجد) أشار بذلك إلى أن (كان) تامة، و﴿فِتْنَةٌ﴾ بالرفع فاعلها.

قوله: (﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾) (يكون): ناقصة، و﴿ٱلدِّينُ﴾ اسمها، و﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف، خبرها.

قوله: (﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾) القراء السبعة على الياء التحتية، وقرأ يَعقوب من العشرة بالتاء الفوقية[1].

قوله: (فيُجازيكم به) أي: بالذي تعملونه من خير وشرٍّ.

قوله: (﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾) أي: أعرضُوا ولم يَمتثلوا.

قوله: (﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾) هذا ثناءٌ من الله على نفسه، فهو حمدٌ قديم لقديم، والمعنى: أن الله ينصر العبد ويَشكره ولا يُضيعه، بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمنُّ بذلك النصر.

(١) انظر «البحر المحيط» (٥/ ٣١٩).

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ....

هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: النَّاصِرُ لَكُم.

﴿٤١﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾: أخَذتُم مِن الكُفَّار قهراً ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يَأمُرُ فِيهِ بِما يَشاء، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قَرابةِ النَّبيِّ ﷺ مِن بَنِي هاشِم وبَنِي المُطَّلِب، ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: أطفالِ المُسلِمِينَ الَّذِينَ هَلَكَ آباؤُهم وهُم فُقَراءُ، ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾: ذَوِي الحاجة مِن المُسلِمِين، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقَطِع في سَفَرِه مِن المُسلِمِينَ، أي: يَستَحِقُّهُ النَّبيُّ ﷺ

حاشية الصاوي

قوله: (هو) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾) تقدَّم أنَّ الحق: أن هذه الآية مفصِّلة لآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

قوله: (﴿مِّن شَىْءٍ﴾) بيانٌ لـ(ما)، ونكَّره؛ لِيَشمل الجليل والحقير، والشريف والوضيع.

قوله: (﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾) بفتح الهمزة، خبر لمحذوف، والتقدير: فحُكمه أنَّ خمسه لله.

قوله: (يأمر فيه بما يشاء) أي: فالخمس يُقسم ستة أقسام: قِسم لله يصرف في الكعبة، والخمسة أقسام للنبي ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل، وبذلك قال بعضُ الأئمة غير الأربعة، وقال الأئمة الأربعة: إنه يُقسَم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين، وذكر الله للتعظيم، وهذا ما كان في زَمنه، وأما بعد وفاته.. فالخمس الذي كان يَأخذه النبي يوضع في بيت المال، يُصرَف في مصالح المسلمين، وهو كواحد منهم، وبهذا قال الشافعي، وقال مالك: النظر فيه للإمام، وقال أبو حنيفة: سَقط سهمه وسهم القُربى بوفاته، وصار الكل للثلاثة فقط.

قوله: (من بني هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الآل: بنُو هاشم فقط، وعند أبي حنيفة: فرق خمسة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، وآل الحارث.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾) المراد بهم: ما يَشمل الفقراء.

قوله: (المُنقطع في سفره) أي: المحتاج ولو غنيًّا بِبلده.

قوله: (أي: يستحقه النبي) إنما لم يقل: (الله والنبي)؛ إشارةً إلى أن ذِكر اسم (الله) للتعظيم والتبرك كما هو التَّحقيق.

إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ....

والأصنافُ الأربَعة على ما كانَ يَقسِمُهُ مِن أنَّ لِكُلٍّ خُمُسَ الخُمُس، والأخماسَ الأربَعة الباقِيةَ لِلغانِمِينَ، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلَمُوا ذلكَ، ﴿وَمَآ﴾ - عَطف على ﴿بِٱللَّهِ﴾ - ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحمَّد ﷺ مِن المَلائِكة والآياتِ ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: يَومَ بَدر الفارِق بَين الحَقِّ والباطِل، ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المُسلِمُونَ والكُفَّار، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ نَصْرُكُم مع قِلَّتِكُم وكَثرَتِهِم.

﴿٤٢﴾ ﴿إِذْ﴾ - بَدَل مِن ﴿يَوْمَ﴾ - ﴿أَنتُم﴾ كائِنُونَ ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾: القُربَى مِن المَدِينة، وهي بِضَمِّ العَين وكَسرِها: جانِبُ الوادِي، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: البُعدَى مِنها،

حاشية الصاوي

قوله: (من أنَّ لكلٍّ) أي: من الأصناف الخَمسة.

قوله: (والأخماس الأربعة) بيان لمفهوم قوله: (خمسة).

قوله: (فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف؛ لِدلالة ما قبله عليه، وذلك مع العمل بمقتضاه؛ لأنَّ العِلم المجرَّد لا ثمرة له.

قوله: (عطف على ﴿بِٱللَّهِ﴾) أي: على مَدخول الباء، وهو لفظ الجلالة.

قوله: (من الملائكة... إلخ) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (الفارق بين الحق) أي: بظهوره واتِّضاحه، وقوله: (والباطل) أي: بخُموده وذهابه.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾) بدلٌ من ﴿يَوْمَ﴾ الأول.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾) كالتذييل والدليل لما قبله.

قوله: (بدل من ﴿يَوْمَ﴾) أي: الثاني بدلَ اشتمال.

قوله: (بضم العين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والعُدوةُ: الشاطئُ، والشفيرُ، والجانبُ، سمِّيت بذلك لأن السيل يَعدوها ويتجاوزها؛ لِعُلوها عن الوادي، والمعنى: أنتم بالجانب القريب من المدينة، وهم بالجانب الآخر، وبينهما مِقدار الرمي.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٧٢).

﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ ....

﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾: العيرُ كائِنُونَ بِمَكانٍ ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ مِمَّا يَلِي البَحرَ، ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾ أنتم والنَّفِيرُ لِلقِتال ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جَمَعَكُم بِغَيرِ مِيعاد؛ ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ في عِلمِه، وهو نَصرُ الإسلام ومَحْقُ الكُفر، فَعَل ذلك ﴿لِّيَهۡلِكَ﴾: يكفُرَ ﴿مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ أي: بَعد حُجَّة ظاهِرة قامَت علَيه، وهيَ نَصرُ المؤمنِين مع قِلَّتِهم على الجيش الكثيرِ، ﴿وَيَحۡيَىٰ﴾: يُؤمِنَ ﴿مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كائنون بمكان ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾) أشار المفسِّر إلى أن (الركب) مبتدأ، خبره محذوف، وقوله: (﴿أَسۡفَلَ﴾) ظرف، صفة لمحذوف، والمعنى: أن الركب في مكان أسفَل منكم[1]؛ بحيث لو استغاثوا بقَومهم.. لأغاثوهم.

قوله: (﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾) أي: أعلم كلٌّ منكم الآخر بالخروج للقتال.

قوله: (﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾) أي: لأمكن اختِلافكم في التواعد؛ بمعنى: أنكم لم تُوفوا بذلك، بل قد تتخلَّفون عن الخروج.

قوله: (﴿لِّيَهۡلِكَ﴾) عِلة لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (فعل ذلك)، وهو جمعُهم بغير ميعاد، وإخراجهم بغير تأهُّل.

قوله: (يكفرَ) أي: يستمرَّ على كفره.

قوله: (أي: بعد حُجَّة) أشار بذلك إلى أن (عن) بمعنى (بعد) على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩]، والمعنى: أنه لم يبقَ لهم عذر في عدم إيمانهم، بل صار كفرهم عناداً.

قوله: (﴿وَيَحۡيَىٰ﴾) أي: يَستمر على الحياة، وهي الإيمان.

قوله: (﴿مَنۡ حَيَّ﴾) بالفكِّ والإدغام، قراءتان سبعيتان[2].

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٥/ ٦١٢): (و«أسفل» منصوبٌ على الظرف النائب عن الخبر، وهو في الحقيقة صفةٌ لظرف مكانٍ محذوف؛ أي: والركب في مكان أسفلَ من مَكانكم).

(٢) قرأ نافع والبزِّي وشعبة بياءَين: الأُولى مكسورة، والثانية مفتوحة، والباقون بياء واحدة مشدَّدة. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٧٢).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٤٢ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ ....

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٤٣﴾ اذكُر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي: نومِك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرتَ بِه أصحابَك فسُرُّوا، ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: جَبُنتُم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: اختلفتُم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ القِتال، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾كُم مِن الفَشَل والتَّنازُع؛ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوب.

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيُّها المُؤمِنُون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نَحوَ سَبعِينَ أو مِائَة

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾) أي: بأقوالكم (﴿عَلِيمٌ﴾) بأحوالكم، فيُجازيكم عليها.

قوله: (﴿قَلِيلًا﴾) مفعول ثالث؛ لأن (رأى) الحلمية تَنصب مفعولين بلا همز، فإذا دخلت عليها الهمزة.. نصبت ثلاثة، والمعنى: اذكر يا محمدُ هذه النعمة العظيمة، وهي رؤيتك إياهم في المنام قليلاً؛ تشجيعاً لأصحابك، وتثبيتاً لهم، وإشارةً إلى ضعف الكفار، وأنهم يُهزمون، وبهذا اندفع ما يقال: إن رؤيا الأنبياء حقٌّ، فكيف يراهم قليلاً مع كَثرتهم؟!

قوله: (﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾) أي: وأخبرتَ أصحابك بذلك.

قوله: (﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾) عطف على ﴿فَشِلْتُمْ﴾ عطفَ سبب على مسبَّب.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾) مفعوله محذوف، قدَّره المفسِّر، وقوله: (من الفشل... إلخ) مُتعلق بـ﴿سَلَّمَ﴾.

قوله: (بما في القلوب) أي: بالخطَرات والسرائر التي احتَوت عليها القلوب، فالمراد: بصاحبات الصدور السرائر، والصدور: القُلوب، من باب: تسمية الحالِّ باسم محلِّه.

قوله: (﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾) هذه الرؤية بصريَّة، فتنصب مفعولاً واحداً إن لم تَدخل عليها الهمزة، وإلَّا.. نصبت مفعولين، فالكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، و﴿قَلِيلًا﴾ حال.

قوله: (أيها المؤمنون) تفسير للكاف.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ....

وهُم ألفٌ لِتُقدِمُوا عليهِم، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لِيُقدِمُوا ولا يَرجِعُوا عن قِتالِكُم، وهذا قَبل التِحام الحَرب، فلَمَّا التَحَمَ أراهُم إيَّاهُم مِثلَيهِم كما في (آل عِمران)؛ ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تَصِيرُ ﴿ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: جماعةً كافِرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لِقِتالِهِم ولا تَنهَزِمُوا، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: ادعُوهُ بِالنَّصرِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهم ألف) أي: في الواقع ونفسِ الأمر.

قوله: (لتقدموا عليهم) عِلة لقوله: ﴿يُرِيكُمُوهُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (ليقدموا) عِلة لقوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ﴾.

قوله: (وهذا) أي: تقليلُكم في أعينهم.

قوله: (أراهم) أي: الكفار (إياهم) أي: المسلمين (مثليهم) أي: مثلَي الكفار وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين؛ لِتضعف قلوبهم، ويتمكَّن المسلمون منهم، فلا تَنافيَ بين ما هنا وبين ما تقدَّم.

قوله: (﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾) عِلة لمحذوف، تقديره: فعل ذلك ليقضي... إلخ.

قوله: (﴿تُرْجَعُ﴾) بالبناء للفاعل أو للمفعول، قراءتان سبعيَّتان، و﴿ٱلْأُمُورُ﴾ فاعل على الأول، ونائب فاعل على الثاني[1].

قوله: (تصير) هذا على قراءة البناء للفاعل، وأما على قراءة البناء للمفعول.. فمَعناه: تُرَدُّ.

قوله: (﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾) أي: حاربتُم جماعة، والفئة: اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه.

قوله: (﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾) أمرٌ للمؤمنين في أيِّ زمان.

قوله: (ادعوه بالنصر) أي: فالمراد بالذكر: ما يَشمل الدعاء، ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه؛ فيشمل ملاحظتَه تعالى بالقلوب، وأنه معهم بالعَون والنصر.

(١) قرأ حمزةُ والكسائي ونافع ببنائِه للفاعل، والباقون ببنائِه للمفعول. انظر «الدر المصون» (٢/ ٣٦٥).

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم ....

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُون.

﴿٤٦﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾: تَختَلِفُوا فِيما بَينكُم، ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: تَجبُنُوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: قُوَّتكُم ودَولَتُكُم، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصرِ والعَونِ.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ لِيَمنَعُوا عِيرَهم ولَم يَرجِعُوا بَعد نَجاتها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) الترجي بمنزلة التحقيق؛ لأنه وعدٌ، ووعدُ الله لا يُخلف.

قوله: (﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾) أي: فيما يَأمركم به.

قوله: (﴿فَتَفْشَلُوا﴾) عطف مسبَّب على سبب.

قوله: (تجبنوا) أي: عن الحرب.

قوله: (﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾) عطف مسبَّب على سبب أيضاً، وهذا على الترتيب؛ فالاختلاف يَنشأ عنه الجبن، والجبن ينشأ عنه ذهابُ الريح.

قوله: (قوتكم) أي: ويُطلق على الغلَبة والرحمة والنصرة.

قوله: (ودولتكم) الدَّولة في الحرب بفتح الدال، وجمعها (دِوَل) بكسر الدال، وأما دُولة المال.. فبضم الدال، وجمعها (دُوَل) بضم الدال.

قوله: (﴿وَاصْبِرُوا﴾) أي: على قِتالهم.

قوله: (﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾) أي: وهم أبو جهل ومَنْ معه، وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة.. وافاهم رسولُ أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سَلِمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نَقدم بدراً، ونشرب الخمور، ونَنحرَ الجزور، وتَضرب علينا القِيان، فيتسامع بذلك الناس ويَهابُوننا[1].

قوله: (ليمنعوا عيرهم) أي: لِيَمنعوا المسلمين عن قافلتهم التي كانت مع أبي سفيان.

قوله: (ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن (بطراً) وما عطف عليه علةٌ

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٢٩).

بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ....

﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيثُ قالُوا: لا نَرجِع حتَّى نَشرَبَ الخَمر ونَنحرَ الجَزُور وتَضرِب علَينا القِيانُ بِبَدرٍ، فيَتسامَع بِذلك للناس، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿مُحِيطٌ﴾ عِلماً، فيُجازِيهِم بِهِ.

﴿٤٨﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إبلِيسُ ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بِأن شَجَّعَهُم على لِقاء

حاشية الصاوي

لمحذوف، لا لقوله: ﴿خَرَجُوا﴾؛ لأن خُروجهم ليس للبَطر، بل لمنع الناس عن العير، والبَطَر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها.

قوله: (﴿بَطَرًا﴾) هو وما بعده مفعول لأجله، والبطر: كُفران النعمة، وعدم شُكرها.

قوله: (القِيان) جمع قَينة، وهي: الجارية المغنية، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

فَــعْــلٌ وفَــعْــلــةٌ فِــعَــالٌ لــهــمــا

قوله: (فيسمع الناس) أي: القبائل فيَهابوننا، وقد بدَّلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت، وضَرب القيان بنوح النائحات، ونحر الجزور بنَحر رِقابهم.

قوله: (﴿وَيَصُدُّونَ﴾) عطف على ﴿بَطَرًا﴾، فهو في قوة المصدر؛ أي: وصدًّا، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

واعْـطِـف عـلـى اسمٍ شِـبـهِ فِـعـل فِـعْـلَا

قوله: (بالياء والتاء) ظاهره: أنهما سبعيَّتان، وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يَقرأ بها السبعة[3].

قوله: (﴿وَإِذۡ زَيَّنَ﴾) عطف على ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ عطفَ قِصة على قصة، و(إذ) ظرف معمول لمحذوف، قدَّره بقَوله: (اذكر).

---

(١) «الخلاصة»، باب (جمع التكسير).

(٢) «الخلاصة»، باب (عطف النسق).

(٣) قرأ العامة بالغَيْبة، وهي واضحة، وقرأ الحسن بالخطاب: إمَّا على الالتفاتِ، وإمَّا على إضمارٍ: «قل لهم يا محمد». انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٧٨).

وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ . . . .

المُسلِمِين لمَّا خافُوا الخُرُوجِ مِن أعدائِهِم بَنِي بَكر، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مِن كِنانَة، وكان أتاهُم في صُورة سُراقَةَ بنِ مالِك سَيِّد تِلكَ النَّاحِيَة، ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾: التقَت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المُسلِمةُ والكافِرة ورَأى المَلائِكة وكانَ يَدُه في يَد الحارِث بن هِشام ﴿نَكَصَ﴾: رَجَعَ ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هارِباً، ﴿وَقَالَ﴾ لما قالُوا له: أتخذُلُنا على هذِه الحال؟: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾: مِن جِوارِكُم؛ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ مِن الملائكةِ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يُهلِكَني، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (لما خافوا الخروج) أي: خافُوا من أعدائهم حين الخروج من مَكة لقتالهم.

قوله: (بني بكر) أي: وهم قبيلة كِنانة، وكانت قريبة من قريش، وبينهم الحروب الكثيرة.

قوله: (﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾) أي: مُجيرٌ ومعينٌ.

قوله: (وكان أتاهم. . . إلخ) قال ابن عباس: (جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه راية، في صورةِ رجل من رجال بني مدلج؛ سُراقة بن مالك، فقال للمشركين: لا غالبَ لكم اليوم من الناس)(١).

قوله: (ورأى الملائكة) أي: نازلين من السماء.

قوله: (أتخذلنا) أي: تترك نُصرتنا في هذه الحالة، فـ(على) بمعنى (في).

قوله: (أن يهلكني) أي: بتَسليط الملائكة عليَّ.

إن قلتَ: إنه من المُنْظَرين، فكيف يخاف الهلاك حينئذ؟!

أجيب: بأنه لِشدة ما رأى من الهول نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسِّر جوابٌ عما يقالُ: إن الشيطان لا خوف عنده، وإلَّا . . لما كفر وأضلَّ غيره، وأجيب أيضاً: بأن قولَه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ كَذب، ولا مانعَ من ذلك.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣١٨).

وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ....

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضَعفُ اعتِقاد: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المُسلِمينَ ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خَرَجُوا مع قِلَّتِهم يُقاتِلُونَ الجَمعَ الكَثِير، تَوَهُّماً أَنَّهُم يُنصَرُون بِسَبَبِه، قال تَعالى في جَوابِهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يَثِقْ بِه يَغلِب، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالِبٌ على أمرِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

﴿٥٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا مُحمَّد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾) يصح أن يكون من جُملة قول الشيطان واعتذاره، أو مُستأنَف[1] تهديد له من كلام الله تعالى.

قوله: (﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾) أي: الكائنون بالمدينة، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: الكائنون بمكة؛ إذ لم يَحضر وقعةَ بدر منافق إلا عبد الله بن أبيٍّ فقط، ولم يكن فيها ضَعيف إيمان.

قوله: (توهماً) مفعول لـ﴿خَرَجُوا﴾، والضمير في (بسببه) عائد على (الدِّين).

قوله: (يَغلِبْ) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ دليلٌ عليه.

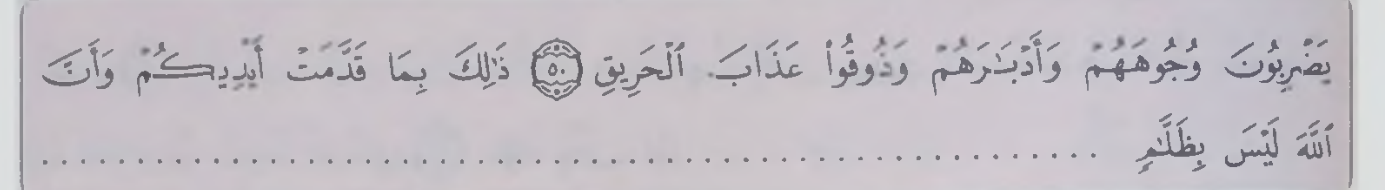
قوله: (﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾) الرؤية بصرية، ومَفعولها محذوف، تقديره: حالَ الكفار وقت الموت، و(لو) حرف شرط تقلب المضارع ماضياً، عكس (إنْ).

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]؛ فعلى الياء الأمرُ ظاهر، وعلى التاء: فلأن الجمع يَجوز تذكيره وتأنيثه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) قيل: المراد جميع الكفار؛ من وُجِدَ، ومن سيُوجد، وقيل: المراد:

(١) كذا في الأصول، ولعل التقدير: أو هو مُستأنَف.

(٢) قرأ ابن عامر والأعرج بتاء التأنيث، والباقون بياء الغَيبة. انظر «الدر المصون» (٥/٦١٨).


يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ ....

﴿يَضْرِبُونَ﴾ ـ حال ـ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ بِمَقامِعَ مِن حَدِيد، ﴿وَ﴾ يَقُولُون لَهُم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: النَّار، وجَواب (لَو): لَرَأَيت أمراً عَظِيماً.

﴿٥١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّعذِيبُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عُبِّرَ بِها دُون غَيرها لِأَنَّ أكثَرَ الأفعال تُزاوَلُ بِها، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

الكفار الذين قُتلوا ببدر، واختلف أيضاً في وقت الضرب؛ فقيل: عند الموت؛ تعجيلاً للمَساءة، وقيل: ذلك يوم القيامة، ولا مانعَ من الجميع.

قوله: (حال) أي: من ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

قوله: (﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾) المراد: أمامهم وخلفهم؛ فيعمُّون جميع أجسادهم بالضرب.

قوله: (بمقامع من حديد) جمع مِقمعة بكسر الميم، وهي: العصا من الحديد المحمَّاة بالنار، لو وضعت على جبال الدنيا.. لَدُكَّت.

قوله: (﴿وَذُوقُواْ﴾) قدَّر المفسِّر (يقولون)؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾، فهو حال أيضاً.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) اسم الإشارة مبتدأ، وقوله: (﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾) مُتعلق بمحذوف حال، والباء سببية.

قوله: (عبَّر بها... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إن إذاقة العذاب حاصِلة بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم، فلم خُصَّت الأيدي؟ فأجاب بما ذكر، وبعضهم فسَّر الأيدي بالقُدَرِ ـ جمع قدرة ـ فيكون المعنى: ذلك بسبب ما قدَّمته قُدرتكم وكسبكم؛ فإن اليد تُطلق ويراد بها القدرة، قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾) معطوف على ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، والمعنى: ذلك بِسبب ما قدَّمت أيديكم، وبسبب أن الله ليس بظلام لِلعبيد، ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل، فكأنه قال: ذلك سبب الذي قدَّمته أيديكم، وبسبب عدل الله فيكم.

لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ ....

أي: بِذِي ظُلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيُعَذِّبَهُم بِغَير ذَنبٍ.

﴿٥٢﴾ دأبُ هَـؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾: كـعـادَةِ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعِقابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ ـ جُملة ﴿كَفَرُوا﴾ وما بَعدها مُفَسِّرة لِما قَبلها ـ، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يُريدُه، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تَعذِيبُ الكَفرةِ ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّ ﴿اللَّهَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بذي ظلم) دفع بذلك ما يُتوهم من ظاهر الآية: أن أصل الظلم ثابِت لله، والمنفي كثرته، فأجاب المفسِّر: بأن هذه الصيغة ليسَت للمبالغة، بل للنسبة كما قال ابن مالك[1]: [الرجز]

ومـعَ فـاعـلٍ وفـعَّـالٍ فَـعِـلْ ... فـي نَـسَـبٍ أغـنـى عـن الـيَـا فـقُـبِـلْ

وحينئذ: فقد انتفى أصلُ الظلم، بل لا يُريده أصلاً، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]؛ لأن الإرادة لا تتعلَّق إلا بالجائز، والظلم من الله مُستحيل عقلاً؛ لأن حقيقته: التصرف في مِلك الغير من غير إذنه، ولا يَتصوَّر العقل ملكاً لغير الله.

قوله: (﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾) الكاف متعلِّقة بمحذوف، خبر لمبتدأ محذوف، قَدَّره المفسِّر بقوله: (دأب هؤلاء)، وهذا تَسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾) تفصيلٌ للدَّأب وتفسيرٌ له كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾) أي: أهلَكهم، لكن هَلاك غير هذه الأُمة بالرَّجفة والزلزلة والخسف والمسخ من كلِّ عذاب عام، وهلاك كُفار هذه الأمة بالسيف، فالمماثلة في مُطلق الهلاك.

قوله: (﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾) الباء سببيَّة.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾) كالدليل لما قبله.

قوله: (أي: تعذيب الكفَرة) أي: بسبب ما قدَّمت أيدِيهم.

قوله: (﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف، خبر عن اسم الإشارة، والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلَّته السابقين.

---

(١) «الخلاصة»، باب (النسب).

لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ ....

﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: مُبَدِّلاً لَها بِالنِّقمَةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يُبَدِّلُوا نِعمَتَهم كُفراً، كتَبدِيلِ كُفَّار مَكَّة إطعامَهم مِن جُوع وأمنَهُم مِن خَوف وبَعث النَّبيِّ ﷺ إليهِم بِالكُفرِ والصَّدِّ عن سَبِيل الله وقِتالِ المُؤمِنين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قومَه معَه، ﴿وَكُلٌّ﴾ مِن الأُمَم المُكَذِّبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَمْ يَكُ﴾) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

ومِن مُضارِعٍ لِكانَ مُنْجَزِمْ ... تُحْذَفُ نونٌ، وهو حَذْفٌ ما الْتُزِمْ

وأصله: (يكون)، دخل الجازم فسُكنت النون، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ثم حذفت النون تخفيفاً.

قوله: (يبدِّلوا نعمتهم كفراً) أي: يَتركوا ما يجب للنعم من شُكرها والقيام بحقِّها، ويرتكبوا عدم الشكر وعدم القيام بحقِّها، والمعنى: يُبدِّلوا ما بهم من الحال إلى حالٍ أسوءَ منه، فتغيَّرت نِعمةُ إمهالهم بمعاجَلة العذاب لهم.

قوله: (﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾) أي: لأقوالكم (﴿عَلِيمٌ﴾) بِأحوالكم.

قوله: (﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾... إلخ) كرَّره تفصيلاً لما قبله؛ لأنه مقامُ ذمٍّ، وهو كالمدح، البلاغةُ فيه الإطنابُ.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي: كقَوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح وغيرهم.

قوله: (﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾) أي: بِسَببها.

قوله: (قومه معه) أشار بذلك إلى أن المراد بـ(آل فرعون): هو وآلُه.

قوله: (﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾) فيه مُراعاة معنى (كلٌّ)، ولو رُوعي لفظها.. لقيل: (وكلٌّ كان ظالماً)، وكلٌّ صحيح، وإنما رُوعي معناها مُراعاةً للفواصل.

---

(١) «الخلاصة»: باب (كان وأخواتها).

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ....

﴿٥٥﴾ ونَزَلَ في قُرَيظَةَ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ أن لا يُعِينُوا المُشرِكِين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ عاهَدُوا فِيها، ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ في غَدرِهِم.

﴿٥٧﴾ ﴿فَإِمَّا﴾ - فِيه إدغامُ نُونِ (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) المَزِيدةِ - ﴿تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾: تَجِدَنَّهُم ﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ﴾: فَرِّق ﴿بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ مِن المُحارِبِين بِالتَّنكِيلِ بِهِم والعُقُوبةِ، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: الَّذِينَ خَلفَهُم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون بِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في قُريظة) أي: حين قَدم رسول الله المدينة وعاهدهم ألا يُحاربوا ولا يعاونوا عليه، فنَقضُوا عهده، وأعانوا عليه مُشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نَسِينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا أيضاً وتمالؤُوا مع الكفار على قتال رسول الله يوم الخَندَق[1].

قوله: (﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾) في ذلك إشارة إلى أنهم بمعزِل من جنسهم، وإنما هُم من جنس التراب، ومع ذلك هم شرٌّ من جميع أفرادِها، قال تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾) بدلٌ من الموصول قبله، أو نعت، أو عطف بيان.

قوله: (ألّا يعينوا المشركين) أي: كفارَ مكة، فنقضوا أولاً وثانياً.

قوله: (﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾) أي: تظفرنَّ بهم.

قوله: (﴿فَشَرِّدۡ بِهِم﴾) الباء سببيَّة، والكلام على حذف مضاف؛ أي: بسبب عُقوبتهم وتَنكيلهم.

قوله: (﴿مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾) مفعول لـ(شرِّد)، والمراد بمَن خلفَهم كُفار مكة، والمعنى: إذا ظفرتَ بقريظة.. فعاقِبهم؛ ليتفرقَ كفار مكة وغيرهم ممَّن نقض عهدك، ويتَّعظوا بهم، فصيِّرهم عبرةً لِغيرهم حتى لا يكون لهم قوَّةٌ على مُحارَبتك.

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٨١).

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهَدُوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عَهد بِأمارَةٍ تَلُوحُ لَك ﴿فَانۢبِذْ﴾: اطرَحْ عَهْدَهُم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ ـ حال ـ، أي: مُستَوِياً أنتَ وهُم في العِلم بِنَقضِ العَهد، بِأن تُعلِمَهُم به لِئَلَّا يَتَّهِمُوك بِالغَدر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ ونزَل فِيمَن أفلَتَ يومَ بَدرٍ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ الله أي: فاتُوهُ، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يَفُوتُونَهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾) خطابٌ عامٌّ لِلمسلمين ووُلاة الأمور وإن كان أصلُ نزولها في قُرِيظة.

قوله: (﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾) أي: أَعلِمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم، فشبَّه العهد بالشيء الذي يرمى، وطَوى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو النَّبذ، فإثباته تخييلٌ.

قوله: (بأن تُعْلِمَهُمْ به) أي: إن لم يكن غَدرهم ظاهراً ظهوراً بيِّناً، وإلَّا.. فلا يحتاج للإعلام، والحاصل: أنه إذا ظهَرت أماراتُ نقضِ العهدِ.. وجب على الإمام أن ينبذ عَهدهم، ويعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم؛ بحيث لا يعدُّ الإمامُ غادراً لهم، وإن ظهَرت الخيانة ظهوراً مقطوعاً به.. فلا حاجة إلى نَبذ العهد، ولا الإعلام، بل يُبادِرهم بالقتال.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾) تعليل للأمر بنَبذ العهد.

قوله: (ونزل فيمَن أفلت) أي: في الكفار الذين خَلصوا وهربوا، وهذا تسليةٌ لرسول الله وأصحابه؛ حيث حَزنُوا على نجاة مَنْ نجا من الكفار، وكان غرضُهُم استئصالَهُم بالقَتل والأسرِ[1].

قوله: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾) الخطابُ لرسول الله، والمعنى: لا تظنَّ يا محمد الذين كفروا فائتِين الله وفارِّين من عقابه؛ إنهم لا يُعجزونه، وهذا وإن كان في أهل بدر إلا أنَّ العبرة بعُموم اللفظ لا بخصوص السَّبب. و(حَسِب) تتعدى للمفعولين: الأول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، والثاني جملة ﴿سَبَقُوٓا۟﴾، وهذا على قراءة التاء الفوقية، وأما على قراءة الياء التحتية: فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فاعل، والمفعول الأول محذوف، تقديره: أنفُسَهم كما قال المفسِّر، والمفعول الثاني جملة ﴿سَبَقُوٓا۟﴾[2].

---

(١) انظر «التفسير الوسيط» للواحِدي (٢/ ٤٦٨).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (يحسبن) بالياء على الغَيبة، على أن الفعل للذين كفرُوا، والباقون بالتاء على الخطاب للنبيّ ﷺ. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٧٨).

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ....

ـ وفي قِراءة بِالتَّحتانِيَّةِ، فالمَفعُول الأوَّل مَحذُوف، أي: أنفُسَهم، وفي أُخرَى بِفَتحِ (أنَّ) على تَقدِير اللَّام ـ.

﴿٦٠﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾: لِقِتالِهِم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، قال ﷺ: «هي الرَّميُ»، رَواهُ مُسلِم، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ ـ مَصدَر ـ بِمَعنَى حَبسِها في سَبِيل الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بفتح «أنَّ») أي: مع الياء التحتيَّة لا غير، فالقراءات ثلاثٌ، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر من أنها أربع، وحاصِلها: أن الياء فيها وجهان: فتحُ (أنَّ)، وكسرُهَا، والتاء فيها وجهٌ واحدٌ وهو فتح (أنَّ) لا غير[1].

قوله: (على تقدير اللام) أي: التي لِلتعليل.

قوله: (﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾) أي: للكفار مطلقاً، أو لِناقضي العهد.

قوله: (﴿مِّن قُوَّةٍ﴾) بيانٌ لـ﴿مَا﴾.

قوله: (هي الرمي) هذا الحديث رواه عُقبة بن عامر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ألا إن القوةَ الرمي» ثلاثاً، أخرجه مسلم[2]، وقيل: المراد بالقوة: جميع ما يُتقوَّى به في الحرب على العدوِّ؛ من سلاح، ورَمي، وخيل، ورجال، ودُروع وغير ذلك، ولا مُنافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا إنَّ القوة الرمي»؛ لأنَّ المراد: معظمُ القوة الرمي، على حدِّ: «الحج عرفة»[3]، و«الندم توبة»[4]، وهذا هو الأحسَن.

قوله: (مصدر) أي: سماعيٌّ، وإلَّا.. فالقياسيُّ لما يقتضي الاشتراك؛ كـ(قاتَل) و(خاصم) و(ضارب)[5].

---

(١) في هامش (أ): (صوابه: وهو الكسر، حاصله: أن «لا تحسبن» فيها قراءتان: الغيبة والخطاب؛ فابنُ عامر من جملة من يقرأ بالغيبة ويفتح «أنَّ» ولا أحد يفتحها غيره. اهـ)، وانظر «زاد المسير» (٢/ ٢٢٠).

(٢) «صحيح مُسلم» (١٩١٧).

(٣) رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٢٥٦)، وابن ماجه (٣٠١٥) عن سيدنا عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أي: وزن (فِعَال) قياسيٌّ إذا كان الفعل يَقتضي الاشتراك، وهنا ليس كذلك.

﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ ....﴾

﴿تُرۡهِبُونَ﴾: تُخَوِّفُون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي: كُفَّار مَكَّة، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ أي: غَيرِهم وهُم المُنافِقُونَ أو اليَهودُ ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ جَزاؤُهُ، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾: تُنقَصُونَ مِنهُ شَيئاً.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالُوا ﴿لِلسَّلۡمِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ﴾) أي: بالرباط الذي هو بمعنى: الربط.

قوله: (أي: كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية، وإلَّا.. فالعبرة بعُموم اللفظ، فالمراد: جميع الكفار في أيِّ زمانٍ.

قوله: (وهم المنافقون) أُورد عليه: أن المنافقين لا يُقاتَلون، أجيب: بأنَّ المرادَ بإرهابهم: إدخالُ الرعب والحزن في قلوبهم؛ لأنهم إذا شاهدوا قوَّة المسلمين وشَهامتهم.. كان ذلك مُرهباً ومُخوفاً لهم.

قوله: (أو اليهود) (أو): مانعةُ خلوٍّ، فتجوِّزُ الجمعَ.

قوله: (﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾) أي: لا تعلمون بَواطنهم وما انطوَوْا عليه.

قوله: (﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: جهادِ الكفارِ.

قوله: (﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ جزاؤه) أي: فالحَسنة بسبع مئة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ...﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية.

قوله: (تنقصون منه شيئاً) أي: وسمَّاه ظلماً؛ لأنَّ وعده بالخير لا يتخلَّف، فكأنه واجبٌ، وضِدُّه مستحيلٌ، وليس المرادُ: الظلمَ الحقيقيَّ؛ لأنه التصرف في مِلك الغير، ولا ملكَ لأحدٍ معه.

قوله: (﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾) أي: الكفارُ مطلقاً، أو بنو قُريظة، وعلى هذين القولين يتخرَّج القول بالنسخ، والقول بالتخصيص الذي أشار له المفسِّر ....

﴿فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ....﴾

ـ بِكَسرِ السِّين وفتحها ـ: الصُّلحِ ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهِدْهُم، وقال ابن عبَّاس: هذا مَنسُوخ بِآيَةِ السَّيف، ومُجاهِد: مَخصُوص بِأهلِ الكِتاب إذ نَزَلَت في بَنِي قُرَيظَةَ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ثِق بِه؛ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالفِعلِ.

﴿٦٢﴾ ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بِالصُّلحِ لِيَستَعِدُّوا لَك؛ ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾: كافِيكَ ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿وَأَلَّفَ﴾: جمَع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحَنِ، ....

حاشية الصاوي

بقوله: (قال ابن عباس... إلخ)[1]، وهذا مبنيٌّ على أن المراد بالصلح: عَقد الجزية، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهُدنة والأمان.. فلا نسخ؛ إذ يصح عقدُ ذلك لكلِّ كافر، وهذا التقديرُ مرورٌ على مذهب الشافعي من أن الجزية لا تضرب إلا على أهل الكتاب فقط، وقال مالك: إن الجزية تُضرب على كلِّ كافرٍ صحَّ سِبَاؤُهُ، كان من أهل الكتاب أو لا؛ فعلى مَذهبه: ليس في الآية نسخٌ أصلاً.

قوله: (بكسر السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾) أي: فَوِّض أمورَكَ إليه.

قوله: (﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ﴾) شرطٌ حُذف جوابه، تقديره: فصالحهم، ولا تخف من غَدرهم.

قوله: (﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: قوَّاك بأسباب باطنيَّة، وهي نَصره لك من غير واسطة، وبأسباب ظاهرية، وهم المؤمنون.

قوله: (بعد الإحَنِ) جمع (إِحْنَة)، وهي: العداوة والشَّحناء التي كانَت بين الأوس والخزرج.

قوله: (﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾) أي: بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعَداوة والحروب العظيمة مئةً وعشرين سنةً؛ حتى لو أنَّ رجلاً من قَبيلة لُطِمَ لطمةً واحدةً.. لقاتل عنه أهلُ قبيلته حتى يدركوا ثأرهم، فلمَّا آمنُوا برسول الله.. زالت تلك الحالة، وانقلَبت العداوةُ محبَّةً في الله ورسوله، فكان معجزةً عظيمةً لرسول الله ﷺ.

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٩٩).

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٣٥٨).

لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ ....

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بِقُدرَتِه، ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غالِبٌ على أمرِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَخرُجُ شيءٌ عن حِكمَتِه.

﴿٦٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حَسْبُك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾: حُثَّ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ لِلكُفَّارِ؛ ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾... إلخ) هذا امتِنانٌ من الله على نبيِّه بتلك النِّعمةِ العظيمةِ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾) قيل: نزلت ببَدر، فالمراد بـ(المؤمنين): الذين كانوا حاضرِين وقتها، فيكون في ذلك مدحٌ عظيمٌ لهم، ودليلٌ على شرفهم، ويُؤخذ من ذلك: أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص.. لا يُخذلون أبداً، وليس في ذلك اعتمادٌ على غير الله؛ لأنَّ المؤمنين ما التُفِتَ لهم إلا لإيمانهم، وكونهم حزبَ اللهِ، فرَجع الأمرُ لله.

وقيل: نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلاً وستِّ نسوةٍ، فيكون هو متمِّماً للأربعين؛ فعلى الأول: الآية مَدنيَّة كبقيَّتها، وعلى الثاني: تكون الآية مكيَّة أثناء سورة مدنيَّة، ولا مانع أنها نزلت مرَّتين: مرة بمكة يوم إسلام عمر، ومرة بالمدينة في أهل بدر[(١)].

قوله: (﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾) معطوف على لفظِ الجلالة[(٢)].

قوله: (﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾) أي: اؤْمُرهم أمراً أكيداً، ورغِّبهم فيه.

قوله: (﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ﴾) إمَّا تامة وفاعلها ﴿عِشْرُونَ﴾، و﴿مِّنكُمْ﴾ حال، وإما ناقصة فـ﴿عِشْرُونَ﴾ اسمها، و﴿مِّنكُمْ﴾ خَبرها، وهكذا يقال فيما بعدها، و﴿يَكُن﴾ وقع هنا خمس مرَّات:

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٢٥).

(٢) أي: يكفيك الله والمؤمنون، وبهذا فسَّر الحسن البصري وجماعة، وهو الظاهر، ولا محذورَ في ذلك من حيث المعنى وإن كان بعضُ الناس استصعب كونَ المؤمنين يكونون كافين النبي ﷺ، وقيل: (مَنْ) مجرورةُ المحلِّ عطفاً على الكاف في (حَسْبُك)، وهو رأيُ الكوفيين، وبهذا فسَّر الشعبي وابن زيد، قالا: معناه: وحسبُ مَن اتَّبعك، وقيل: إن محلَّه نصبٌ على المعيَّة. «الدر المصون» (٥/ ٦٣١).

عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ ....

﴿عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ مِنهُم، ﴿وَإِن يَكُن﴾ - بالياءِ والتَّاء - ﴿مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ﴾ صابرةٌ ﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهُم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، وهذا خَبَر بِمَعنَى الأمر، أي: لِيُقاتِل العِشرُونَ مِنكُم المِائَتَينِ، والمِائةُ الألفَ، ويَثبُتُوا لَهُم، ثُمَّ نُسِخَ لَمَّا كَثُروا بِقَوله:

﴿٦٦﴾ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا﴾ - بِضَمِّ الضَّاد وفَتحها - عن قِتال عَشَرةِ أمثالِكُم، ﴿فَإِن يَكُن﴾ - بالياءِ والتَّاء - ﴿مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ مِنهُم،

حاشية الصاوي

الأول والرابع بالياء لا غير، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتي للمفسّر، فما سكتَ عنه . . فبالياء لا غير، وما نبَّه عليه . . ففيه الوجهان.

قوله: (﴿صَٰبِرُونَ﴾) أي: مُحتسبون أجرَهُم عند الله، وهذا خبرٌ بمعنى الأمر؛ لِقلَّة المسلمين، وكثرة الكافرين، وحكمةُ ذلك التكليف: أنَّ المسلمين وَلِيُّهم الله، فهم مُعتمدون عليه، ومتوكِّلون عليه؛ فبذلك الوصف كان الواحد مكلَّفاً بقتال عَشرة، وأما الكفارُ . . فلا ناصر لهم، وهم مُعتمِدون على قوَّتهم، وذلك داعٍ لِلضعف والهزيمة.

وفي الآية من المحسنات البديعية: الاحتباك، وهو: الحذفُ من كلِّ نظيرٍ ما أثبت في الآخر؛ فقد أثبت (صابرون) في الأول، وحذف (الذين كفرُوا) منه، وأثبت (الذين كفروا) في الثاني، وحَذف لفظ (الصبر) منه.

قوله: (وهذا خبرٌ بمعنى الأمر) أي: وقد كان هذا في صَدر الإسلام، وكان فِرار المئة من الألف حراماً، ثم نُسِخَ.

قوله: (بضمِّ الضاد وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمرادُ بالضعفِ[2]: في الأبدان؛

---

(١) قرأ عاصم وحمزةُ بفتح الضاد، والباقون بضمِّها. انظر «الدر المصون» (٥/ ٦٣٦).

(٢) في (ط٢): (والمرادُ: الضعفُ . . .)، والمثبت هو المصحح بخط المصنف في هامش (أ).

وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادتِه، - وهو خَبَر بِمَعنَى الأمر - أي: لِتُقاتِلُوا مِثلَيكُم وتَثبُتوا لَهُم، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بِعَونِه.

﴿٦٧﴾ ونَزَلَ لَمَّا أخذُوا الفِداء مِن أسرَى بَدرٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن تَكُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

لِكثرة العبادة والتَّعب، فرحمهم الله وأكرمهم، وأيضاً: عَلِم الله ضعف مَنْ يأتي بعد الصدر الأول عن القتال، فخفَّف الله عن الجميع.

قوله: (وهو خبرٌ بمعنى الأمر) أي: وقد استمرَّ ذلك الأمرُ إلى يوم القيامة.

قوله: (ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أي: وكانوا سَبعين من صَناديدهم، روي: أنه لما جيء بالأسرى. . قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في هؤلاء؟**» فقال أبو بكر: يا رَسول الله؛ أهلُك وقومك، اسْتَبْقِهِمْ؛ لعلَّ الله أن يتوب عليهم، وخُذ منهم فداءً؛ يكون لنا قُوةً على الكفار، وقال عمر: يا رسول الله؛ كذَّبوك وأخرَجوك، قدِّمهم نضرِبْ أعناقهم، ومكِّن عليًّا من عَقيل فيَضرب عنقه، ومكِّن حمزة من العباس يَضرب عنقه؛ فإنَّ هؤلاء أئمة الكفر، وقال ابن رواحة: انظر وادياً كثير الحطَب، فأدخِلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً، فسَكت رسول الله ﷺ ولم يُجِبهم، ثم دخل، فقال ناسٌ: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناسٌ: يأخذ بقَول عمر، وقال ناسٌ: يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خَرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: «**إنَّ الله لَيلينُ قلوبَ رجالٍ حتى تكون ألينَ من اللَّبن، ويشدُّ قلوبَ رجالٍ حتى تكون أشدَّ من الحِجارة، وإن مَثَلَكَ يا أبا بكر مَثَلُ إبراهيم؛ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦]**، ومثلُ عيسى؛ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨]**، ومَثَلُكَ يا عمر مثلُ نوح؛ قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح: ٢٦]**، ومثلُ موسى؛ قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾** [يونس: ٨٨] **الآية**»، ثم قال رسول الله: «**اليوم أنتُم عالة، فلا يفلتنَّ أحدٌ منهم إلا بفِداء، أو بضَرب عُنقه**»، قال عمر بن الخطاب: فهَوِيَ رسولُ الله ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ، وأخذ منهم الفداء، وهو عن كل واحدٍ عشرون أوقيَّةً من الذهب، وقيل: أربعون أوقية إلا العباس فأُخِذَ منه ثمانون أُوقية عن نفسه، وعن ابني أخيه عَقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ثمانون، وأخذ منه وقت الحرب عشرون، فجملة ما أخذ منه: مئة وثمانون أُوقية.

لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ....

ـ بالتَّاءِ والياء ـ ﴿لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يُبالِغَ في قَتل الكُفَّار، ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيُّها المُؤمِنُونَ ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حُطامَها بِأخذِ الفِداء، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لَكُم ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: ثَوابَها بِقَتلِهِم، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وهذا مَنسُوخ بِقَولِه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

حاشية الصاوي

قال عمر: فلما كان من الغد.. جئتُ؛ فإذا رسول الله وأبو بكر يَبكيان، قلتُ: يا رسول الله؛ أخبرني مِنْ أيِّ شيءٍ تبكي أنت وصاحبُك؛ فإن وجدتُ بكاءً.. بكيت، وإن لم أجد.. تباكيتُ لبكائكما؟ فقال رسول الله: «**أبكي للذي عرَض لأصحابي من أخذهم الفداء؛ فقد عُرِضَ عليَّ عذابُهُم أدنى من هذه الشجرة**» لِشجرة قريبة منه ﷺ فنزلت الآية[1]، وهذا من باب: حسنَاتُ الأبرار سيِّئاتُ المقرَّبين، فرسول الله لم يَفعل إلا ما أُبيح له، وإنما عتابه تعليماً[2] لمن يَتولى الأمورَ مِنْ أُمته حُسْنَ السياسةِ من أنه لا يقبل الفداءَ من الكفار حتى يكونَ قادراً عليهم وظافراً بهم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، لكن على الفوقية تتعيَّن الإمالة في (أسرى)، وعلى التحتية تَجوز الإمالة وعدمها[3].

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) أي: حتى تَظهر شوكةُ الإسلام وقوَّتُهُ، وذلُّ الكافرين.

قوله: (﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: مَتاعها، سمِّي عرضاً لِزَواله وعدم ثَباته.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾) أي: يَرضاها لكم.

قوله: (وهو منسوخ) أي: قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾، هكذا مشى المفسِّر على هذا القول، وهو ضعيفٌ، بل ما هنا مقيَّدٌ بالإثخان؛ أي: كثرةِ القتال المترتِّبِ عليها عزُّ الإسلام وقُوَّته،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٣٦)، وأصله في «صحيح مسلم» (١٧٦٣)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٢٦)، وللعلامة الشيخ عبد الله سِراج الدين رحمه الله كلامٌ نفيس حول قضية أسرى بدر بسَطه في كتابه «سيدنا محمد رسول الله» بيَّن فيه تَسديده عليه الصلاة والسلام بالحق والصواب في جميع أحواله.

(٢) كذا في الأصول، ولعل الصواب: وإنما عاتبه تعليماً، أو أن الخبر محذوف جوازاً، والتقدير: حاصل تعليماً.

(٣) قرأ أبو عمرو: «تكون» بالتأنيث؛ مُراعاةً لمعنى الجماعة، والباقون بالتذكير مراعاةً للفظ الجمع. انظر «الدر المصون» (٥/ ٦٣٧).

لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم ....

﴿٦٨﴾ ﴿لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلالِ الغَنائِم والأسرَى لَكُم، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ مِن الفِداءِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٦٩﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٧٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم ....

حاشية الصاوي

وما يأتي في (سورة القتال) من التخييرِ مَحلُّه: بعد ظهور شَوكة الإسلام؛ حيث قال: ﴿إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]، فإذا علمتَ ذلك.. فالآيتان متوافقتان في أنَّ كلًّا يدلُّ على أنه لا بدَّ من تقديم الإثخانِ، ثم بعده الفداء.

قوله: (﴿لَوْلَا كِتَٰبٌ﴾) ﴿لَوْلَآ﴾: حرفُ امتناع لوجود، و﴿كِتَٰبٌ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ له، وكذا قوله: ﴿سَبَقَ﴾، والخبر محذوف، تقديره: موجودٌ، والمعنى: لولا وجودُ حكمٍ من الله مَكتوب بإحلال الغنائم لمسَّكم... إلخ، فهو عتابٌ على ترك الأَولى، لا على فعل منهيٍّ عنه؛ تنزيهاً لرسول الله عن مِثل ذلك.

قوله: (﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾) أي: بِسبب ما أخذتم، فـ(في) للسببيَّة.

قوله: (﴿حَلَٰلًا﴾) أي: أكلاً حلالاً[1].

قوله: (﴿طَيِّبًا﴾) أي: خالصاً لا شُبهة فيه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾) نزَلت في العباس عمِّ رسول الله، وكان أحدَ العشرةِ الذين ضمنوا أن يُطعموا الناسَ الذين خرجوا من مكة لبدر، وكان معه عشرون أوقيَّةً من ذهب، فلما أُخِذَ أسيراً.. أُخذت منه، فكلَّم ﷺ أن يَحسبَها من فدائه، فأبى وقال له: «**شيءٌ خرجتَ به لتَستعِين به علينا، فلا نتركه لك**»، فقال العباس: يا محمد؛ أتتركني أتكفَّف قريشاً ما بَقيتُ؟ فقال رسول الله: «**فأين الذهب الذي وضعتَه عند أمِّ الفضل وقتَ خروجك من مكة وقلتَ لها: إني لا أدري ما يُصِيبني في وجهي هذا؛ فإن حدَث لي حادث.. فهذا المال لَك ولعبد الله**

(١) أو نصبٌ على الحال من المغنوم عند مَنْ لا يرى نيابةَ الصفة عن المصدر.

مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ....

﴿مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ - وفي قراءة: ﴿ٱلْأَسَٰرَىٰٓ﴾ -، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ مِن الفِداء، بِأن يُضَعِّفَهُ لَكُم في الدُّنيا ويُثِيبَكُم في الآخِرة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذُنوبَكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بِما أَظْهَرُوا مِن القَول؛ ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: قَبلَ بَدر بِالكُفرِ، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ بِبَدرٍ قَتلاً وأَسراً، ....

حاشية الصاوي

ولعبيد الله وللفضل؟!»، فقال العباس: وما يُدريك يا ابن أخي؟ فإني أعطيتُها إيَّاه في سواد الليل، ولم يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله، فقال: «أخبَرني به رَبي»، فقال: أشهَد أن لا إله إلا الله، وأشهَد أنك عبده ورسوله، وأنك صادقٌ، وأمَر ابنَي أخيه عَقيلاً ونَوفل بن الحارث، فأسلَما، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ...﴾ الآية، فكان العباس يقول: أبدَلني الله خيراً مما أُخِذَ مني عشرين عبداً تجاراً يَضربون بمال كثير، أدناهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العِشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحبُّ أنَّ لي بها جميعَ أموال أهل مَكة، وأنا أنتَظر المغفرةَ من ربي[1].

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾) بالإمالة لا غير.

قوله: (وفي قراءة: ﴿ٱلْأَسَٰرَىٰٓ﴾) أي: بالإمالة وتركها، فالقراءاتُ ثلاث، وكلُّها سبعيَّة[2].

قوله: (من الفداء) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿خِيَانَتَكَ﴾) أي: بنَقضِ العهد الذي عاهدُوك عليه، وهو ألَّا يحاربوك ولا يُعاوِنوا عليك المشركين.

قوله: (بما أظهروا من القول) أي: قولهم: رضينا بالإسلام.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٢٤). وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٢٩).

(٢) قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألفٌ، والباقون بفتح الهمزة وسكون السين ولا ألفَ بعدها، وأمال الألفَ بعد الراء أبو عمرو وحمزة والكسائي مَحضة، وورش بينَ بين. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٨٣).

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم

فليَتَوَقَّعُوا مِثلَ ذلك إن عادُوا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهُم المُهاجِرُونَ، ﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾ النَّبِيَّ ﷺ ﴿وَّنَصَرُوا﴾ وهُم الأنصارُ، ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النُّصْرة والإرثِ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم﴾ - بِكَسرِ الواو وفَتحها - ....

حاشية الصاوي

قوله: (فليَتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾) أي: سَبق لهم الإيمانُ والانتقالُ مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وهم السابقون الأولُون الذين حضرُوا الغزوات قبل الفتح، الذين قال الله فِيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

قوله: (﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾) متعلّق بـ﴿جَاهَدُوا﴾ أي: بذَلوا أموالهم وأنفُسَهم في سبيل الله.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾ النبيَّ) أي: والمهاجرين، ولم يَذكرهم المفسِّر؛ لأنهم تبعٌ لرسول الله.

قوله: (وهم الأنصار) أي: الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قوله: (في النصرة والإرث) أي: فكان الأنصار يَنصرُون المهاجرين وبالعكس، وكان المهاجريُّ يَرث الأنصاريَّ الذي آخاه معه رسولُ الله وبالعكس.

قوله: (﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾) أي: بأنْ أقاموا بمكة.

قوله: (بكسر الواو وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها؛ فقيل: هما لُغتان. وقيل: بالفتح من المَوْلَى، يقال: مولى بيِّن الوَلاية، وبالكسر من وِلاية السلطان، وقيل: بالفتح من النُّصْرَة والنسب، وبالكسر من الإمارة؛ لأنَّ في تَوَلِّي بعضِ القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكلُّ ما كان من جِنس الصناعة مكسورٌ مثل الخِياطة والقِصارة. انظر «الدر المصون» (٥/ ٦٤٠).

مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ....

﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فلا إرثَ بَينَكُم وبَينَهم، ولا نَصِيبَ لَهُم في الغَنِيمة، ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا مَنسُوخ بِآخِرِ السُّورة، ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لَهُم على الكُفَّار، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عَهدٌ؛ فلا تَنصُروهم علَيهم وتَنقُضُوا عَهْدَهُم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النُّصْرة والإرث، فلا إرثَ بَينكُم وبَينَهم، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تَوَلِّيَ المُسلِمِينَ وقَطْعَ الكُفَّار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بِقُوَّةِ الكُفر وضَعفِ الإسلامِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن شَيْءٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة، و﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ، خبرُه الجار والمجرور قبله.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) أي: لا إرثَ بين المهاجرين والأنصار وبين الذين لم يُهاجروا.

قوله: (ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترُض: بأنَّ الغنيمة لا يأخذها إلا مَنْ قاتل، وهؤلاء لم يقاتلوا، فالأولى: حذفُ هذه العبارة.

قوله: (وهذا منسوخ) اسم الإشارة عائد على ما تقدَّم من أنَّ الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابتٌ بالإيمان والهجرة، ومَنفيٌّ بين مَنْ لم يُهاجر وبين الأنصار والمهاجرين.

قوله: (بآخر السورة) أي: وهو قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله: (﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾) أي: طلبُوا منكم النُّصرة لأجل إعزاز الدين، والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يُهاجروا.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾) أي: مِن الكُفار، وهم أهل مكة.

قول: (وتنقضوا عهدهم) أي: الصلحَ الكائن بالحديبية سنة ستٍّ على ترك القتال عشرَ سنين.

قوله: (في النصرة والإرث) أي: فهما ثابتان بين الكفار بَعضِهم لبعضٍ.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) أي: ولا نُصرةَ.

قوله: (﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾) (إنْ): شرطية مُدغمة في (لا) النافية، و﴿تَفْعَلُوهُ﴾ فعل الشرط،

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ

﴿٧٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنَّة.

﴿٧٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: بَعد السَّابِقِينَ إلى الإيمان والهِجرةِ ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ أيُّها المُهاجِرُونَ والأنصارُ، ....

حاشية الصاوي

و﴿تَكُن﴾ جواب الشرط، والمعنى: إن لم تفعلوا ما ذكر من تولِّي المؤمنين وقطعِ الكفار، بل تولَّيتم الكفار وقطعتم المؤمنين.. تكُن فتنةٌ في الأرض، وفسادٌ كبيرٌ؛ لأنه يترتب على ذلك قوَّةُ الكفار، وضعفُ المسلمين، وهذا ما حلَّ به المفسِّر، ويحتمل أن (لا) زائدة، والمعنى: إن تَفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾.. إلخ) ليس مكرَّراً مع ما تقدَّم؛ لأنَّ ما هنا بيانٌ لِفضلهم، وما تقدَّم بيانٌ لكونهم أولياءَ بعضٍ، وأيضاً: ما تقدَّم في الهجرة قبل عام الحُديبية، وما هنا في الهجرة قبل الفتح، كان قبل الحديبية أو بعدها.

قوله: (﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾) أي: الكاملون في الإيمان بلا شكٍّ.

قوله: (﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾) أي: لِذنوبهم.

قوله: (﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾) أي: لا تعَب فيه ولا مشقَّة، ويُؤخذ من هذه الآية: أنَّ جميع المهاجرين والأنصار مُبشَّرون بالجنة من غير سابقة عذاب، وأمَّا ما وَرد من أن المبشرين عشرةٌ.. فلأنهم جُمِعُوا في حديث واحد[1].

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدُ﴾) أي: بعد الحُدَيبية وقبل الفتح؛ لأنه بعد الفتح لا هجرة.

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾) أي: مَحسُوبون منكم، وفي الآية: دليلٌ على أن المهاجرين الأوَّلين أعلى وأجلُّ من المتأخرين بالهجرة؛ لأنَّ الله ألحقَهم به، ومن المعلوم: أنَّ المفضولَ يُلْحَقُ بالفاضل.

(١) رواه أبو داوود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٢)، وابن ماجه (١٣٣) عن سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذَوُو القَرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرثِ مِن التَّوارُث بالإيمان والهِجرةِ المَذكُورةِ في الآية السَّابِقة، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ ومِنهُ حِكمةُ المِيراث.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾) هذه الآية نزَلت بعد الفتح، وهي ناسخةٌ للآية المتقدمة، وهي ميراث المهاجرين للأنصار[1].

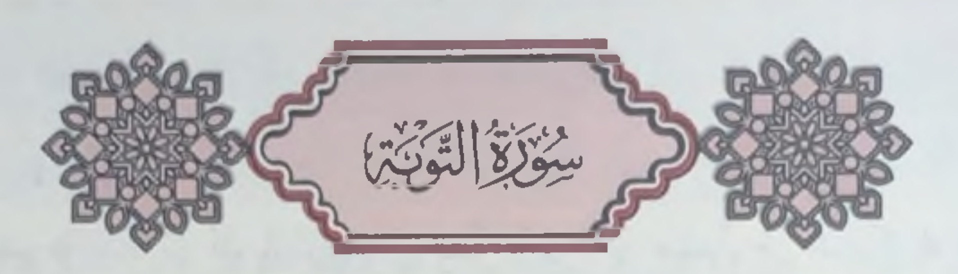
قوله: (من التوارث) متعلِّق بـ﴿أَوْلَىٰ﴾.

قوله: (أي: اللوح المحفوظ) وقيل: المرادُ به القرآنُ؛ لأنَّ قِسمة المواريث مذكورةٌ في (سورة النساء) من كتاب الله، وهو القرآن.

قوله: (ومنه: حِكمة الميراث) أي: التَّوارثِ بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قَرابة ونسخه، والتَّوارث بالقرابة.

✿ ✿ ✿

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ١١٥).



مَدنيَّة أو إلَّا الآيَتَينِ آخِرَها، مائةٌ وثَلاثُونَ أو إلَّا آيَةً. ولَم تُكتَب فِيها البَسمَلة لِأنَّهُ ﷺ لَم يَأمُر بِذلك كَما يُؤخَذ مِن حَدِيثٍ رَواهُ الحاكِم، وأخرَجَ في مَعناهُ عن عَلِيٍّ أنَّ البَسمَلَةَ أمانٌ وهي نَزَلَت لِرَفعِ الأمن بِالسَّيفِ، وعن حُذَيفَةَ: إنَّكُم تُسَمُّونَها سُورةَ التَّوبة وهي سُورةُ العَذاب، ورَوى البُخارِيُّ عن البَراء ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّوبَةِ

مبتدأ، و(مدنية) خبرٌ أول، و(مئة... إلخ) خبرٌ ثانٍ.

قوله: (أو إلا الآيتين) إشارة إلى قول آخر.

قوله: (آخرَها) حال من (آيتين)، وأولهما: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ فعلى أنهما مكِّيَّتان: يكون معنى قوله: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: اكتفِ بالله، واترُك قتالهم، ويكون منسوخاً بآية السيف، وعلى أنهما مدنيَّتان: يكون المعنى: كن مُستعيناً بالله، واثقاً به في قتالهم، ولا نسخ. وهذه السورة من آخر القرآن نزولاً؛ لأنها نزلت بعد عزَّة الإسلام وانتِشاره.

قوله: (ولم تكتب فيها البسملة... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إن كلَّ سورةٍ مبتدأةٌ بالبسملة إلا هذه السورة فما الحِكمة في ذلك؟ فأجاب: بأن رسول الله لم يأمُر بذلك؛ أي: لكونه لم يُنزل عليه وحيٌ بها، وهذا أصح الأقوال؛ ولذا صَدَّر به المفسِّر، وحاصل الخلاف في حكمة عدم الإتيان بالبَسملة خمسةُ أقوال: أولها: ما قاله المفسِّر، الثاني: أنه سُئل عثمان عن ذلك، فأجاب: (بأنه ظنَّ أنها مع «الأنفال» سورة؛ لأن قِصَّتها تُشبه قصتها)[1]، وعلى هذا القول: تكون مع (الأنفال) تمام السَّبع الطوال.

الثالث: أنها نزلت لِنَقض عهد الكفار، وفضيحة المنافقين، فهي سورةُ عذابٍ، والبسملةُ رحمةٌ، ولا تَجتمع رحمةٌ مع عذابٍ، وتسمَّى أيضاً: (الفاضحة)؛ لفضيحة المنافقين بها، و(سورة العذاب)، و(سورة التوبة)؛ لاشتِمالها على ذكرها وغير ذلك من أسمائها.

(١) رواه أبو داوود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ ....

أنَّها آخِرُ سُورة نَزَلَت.

(١) هَذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصِلةٌ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عَهداً مُطلَقاً، أو دُونَ أربَعةِ أشهُر أو فَوقها، ونَقضُ العَهدِ بِما يُذكَر في قَوله:

حاشية الصاوي

الرابع: تركت البسملة؛ لاختلاف الصحابة في أنَّ (الأنفال) و(براءة) سورةٌ واحدةٌ أو سُورتان، فتركت البسملة لِقول مَنْ قال: هما سورة واحدة، وتُركت بينها فرجة لقول مَنْ قال: هما سُورتان.

الخامس: أن ذلك على عادة العرب في الجاهلية؛ إذا كان بينَهم وبين قوم عهد فأرادوا نَقضه.. كتبوا إليهم كتاباً ولم يَكتبوا فيه البسملة، وهذه السورة نزلت لِنَقض عهد المشركين فلم تُكتب فيها.

ثم اختَلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها؛ فقال ابن حجر من الشافعية بالحُرمة، وقال الرملي بالكراهة، وفي الأثناء يُكره عند الأول، ويجوز عند الثاني، ومذهب مالك كذلك[1]، وقد أشار لذلك صاحب «الشاطبية» بقوله[2]: [الطويل]

وَمَهْمَا تَصِلْهَا أَوْ بَدَأْتَ بَرَاءَةً ... لِتَنْزِيلِهَا بِالسَّيْفِ لَسْتَ مُبَسْمِلَا

وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِكَ سُورَةً ... سِوَاهَا وفِي الأَجْزَاءِ خَيَّرَ مَنْ تَلَا

قوله: (أنها آخر سورة نزلت) أي: من الآخر، وإلَّا.. فـ(المائدة) متأخرةٌ عنها، وهذه السورة نَزَلت كاملة؛ لما وَرد: أن رسول الله ﷺ قال: «ما أُنزل عليَّ القرآن إلا آية آية، وحرفاً حرفاً إلا سورة براءة، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صفٍّ من الملائكة»[3].

قوله: (﴿بَرَآءَةٌ﴾) أشار المفسِّر إلى أن ﴿بَرَآءَةٌ﴾ خبر لمحذوف، قدَّره بقوله: (هذه).

قوله: (﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾) متعلق بمحذوف صفة لـ﴿بَرَآءَةٌ﴾، قدَّره المفسِّر بقوله: (واصلة)، والمعنى: هذه قطعُ وُصْلةٍ صادرةٌ من الله ورَسوله، واصلةٌ إلى الذين عاهَدتم من المشركين.

قوله: (ونقض العهد) أي: في الصُّوَر الثلاثة.

---

(١) «تحفة المحتاج» (٢/ ٣٣)، و«نهاية المحتاج» (١/ ٤٧٦)، وانظر: «بُلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٣).

(٢) «حرز الأماني» (ص٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥) عن عائشة رضي الله عنها.

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ....

(٢) ﴿فَسِيحُواْ﴾: سِيرُوا آمِنِينَ أيُّها المُشرِكُونَ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٖ﴾ أوَّلُها شَوَّال بِدَلِيلِ ما سيأتِي، ولا أمانَ لَكُم بَعدَها، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: فائِتِي عَذابِه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مُذِلُّهم في الدُّنيا بِالقَتلِ والأُخرَى بِالنار.

(٣) ﴿وَأَذَٰنٞ﴾: إعلامٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يَومَ النَّحرِ ﴿أَنَّ﴾ أي: بِأنَّ ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعُهُودِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسِيحُواْ﴾) أمرُ إباحةٍ للمشركين، وهو مقولٌ لقولٍ محذوفٍ، والتقدير: فقُولوا لهم: سِيحوا، وهذا بيانٌ لعقد الأمان لهم أربعةَ أشهرٍ، وإنما اقتصر عليها؛ لِقوة الإسلام وكثرة المسلمين، بخلاف صُلح الحديبية، فكان عشرَ سنين؛ لضعفِ المسلمين إذ ذاك.

قوله: (أوَّلها شوال) أي: وآخرُها المحرم، وقيل: أولها عشر ذي العقدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول؛ لأنَّ الحجَّ في تلك السنة كان في العاشر من ذي القَعدة بسبب النسيء، ثم صار في السنة القابلة في العاشر من ذي الحجة، وفيها حجَّ رسول الله ﷺ، وقال: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله...**» الحديث[1]، وقيل: أولها عاشرُ ذي الحجة، وآخرها عاشر ربيع الثاني.

قوله: (بدليل ما سيأتي) أي: في قوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾.

قوله: (﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ﴾... إلخ) أي: فلا تغترُّوا بعقد الأمان لَكم.

قوله: (﴿وَأَذَٰنٞ﴾) معطوف على قوله: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ عطفَ مفصَّل على مجمل.

قوله: (إعلام) أي: فالمراد: الأذان اللغوي، لا الشَّرعي الذي هو: الإعلام بألفاظ مخصوصة.

قوله: (يوم النحر) إنما سمِّي يوم الحج الأكبر؛ لأنَّ مُعظم أفعال الحج يكون فيه؛ كالطواف والرمي والنحر والحَلق، واحترز بالحج الأكبر عن العُمرة، فهي الحج الأصغر؛ لأنَّ أعمالها أقلُّ من أعمال الحج؛ لأنه يَزيد عليها بأمور كالرمي والمَبيت والوقوف.

قوله: (﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ﴾... إلخ) هذه الجملة خبرٌ عن قَوله: ﴿وَأَذَٰنٞ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦٢)، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ ....

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بَرِيءٌ أيضاً، وقَد بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا مِن السَّنة وهيَ سَنة تِسعٍ، فأَذَّنَ يومَ النَّحر

حاشية الصاوي

﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾ ظرف لـ(الأذان)، والمعنى: وإعلامٌ من الله ورسوله إلى الناس كائنٌ في يوم الحج بأن الله بريء... إلخ.

قوله: (﴿وَرَسُولُهُۥ﴾) القُراء السبعة بل العشرة على الرفع، عطف على الضمير المستتر في ﴿بَرِيٓءٌ﴾، ووُجد الفاصل وهو قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ويصح أن يكون مبتدأً خبرُهُ محذوفٌ تقديره: بريءٌ منهم أيضاً، وقرئ شاذًّا بالنصب، ووُجِّهت بوجهين: الأول: أن الواو بمعنى (مع)، و(رسولَه) مفعول معه، الثاني: أنه معطوف على اسم (أنَّ) وهو لَفظ الجلالة، وقرئ شاذًّا أيضاً بالجرِّ، ووُجِّهت: بأن الواو للقسَم، واستبعدت تلك القراءة؛ لإيهام عَطفه على (المشركين)[1]؛ حتى إن بعض الأعراب سمع رجلاً يقول بها، فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رَسوله.. فأنا بريءٌ منه، فلبَّبه القارئ إلى عمر، فحكى الأعرابي الواقعة، فأمر عمر بتَعليم العربيَّة، وتحكى هذه أيضاً عن عليٍّ وأبي الأسوَد الدؤلي[2].

قوله: (وقد بعث... إلخ) حاصل ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ عاهد قريشاً يوم الحُدَيبية على أن يضعوا الحرب عشرَ سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عَدَت بنو بكر على خزاعة، وأعانَتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضُوا عهدهم.. خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ووَقف على رسول الله، وأخبره الخبر، فقال رسول الله: «لا نُصِرْتُ إن لم أنصُرْكم»، وتجهَّز إلى مكة، ففتحها سنة ثمانٍ من الهجرة، فلما كان سنة تسع.. أراد رسول الله أن يحجَّ؛ فقيل: إن المشركين يحضرُون ويطوفون بالبيت عُراة، فقال: لا أحب أن أحجَّ حتى لا يكون ذلك، فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم؛ لِيُقيم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صَدر (براءة) آخرها: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، ثم بَعث بعده عليًّا على ناقته العضباء؛ ليَقرأ على الناس صدر (براءة)، فلَحق أبا بكر

---

(١) قرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي: (ورسولَه) بالنصب، وقُرئ بالجر شاذًّا، ورُوِيت عن الحسن. انظر «البحر المحيط» (٥/٣٧٦).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/١٢٩).

بِمِنًى بِهذه الآيات، وأنْ لا يَحُجَّ بعدَ العام مُشرِكٌ ولا يَطُوفَ بِالبَيتِ عُريانٌ، رَواهُ البُخاريُّ، . . . .

حاشية الصاوي

بالعرج ـ بفتح العين، وسكون الراء: قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلاً ـ فلمَّا تلاقيَا.. ظنَّ أبو بكر أنه معزولٌ، فرَجع إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله؛ أنزل في شأني شيءٌ؟ فقال: «**لا، ولكن لا يَنبغي لأحدٍ أن يبلِّغ هذا إلا رجل من أهلِي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنتَ معي في الغار، وأنَّك معي على الحَوض؟**»، فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعليُّ بن أبي طالب يُؤذن بـ(براءة)، فلمَّا كان قبل يوم التروية بيَوم.. قام أبو بكر، فخَطب الناس وحدَّثهم عن مَناسكهم، وأقام للناس الحج، حتى إذا كان يوم النَّحر.. قام علي فأذَّن بما أُمر به وهو: (لا يَطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد.. فهو مَنقوض، ومن لم يكن له عهد.. فأجلُه أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يجتمع المشركون والمسلِمون بعد عامهم هذا في الحَج)، ثمَّ حجَّ رسول الله سنةَ عشر حجةَ الوداع[١].

إذا علمتَ ذلك.. تَعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عُهود ما عدَا قريش[٢]؛ فإن قريشاً تمَّ أمرُهم بفتح مكة، وفي ذلك قال المفسِّرون: (لما خرج رسول الله إلى تَبوك، فكان المنافقون يرجفُون الأراجيف، وجعل المشركون يَنقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنَقضِ عُهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ...﴾ [الأنفال: ٥٨] الآية، ففعل رسول الله ما أُمِرَ به، ونبَذ لهم عهدهم)[٣].

قوله: (بهذه الآيات) أي: وهي ثلاثون أو أربعون آية، آخرها: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (وألا يحج) أي: وبألَّا يحجَّ، فهو وما بعده من جملة ما أَذَّنَ به.

---

(١) انظر الخبر بتمامه في «تفسير الخازن» (٣/ ٣٣٤)، وأصله عند «البخاري» (٢٥٤٨)، ومسلم (١٣٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصول، وهو وجهٌ أجازه الكسائي على جعل (ما) زائدة، وجعل (عدَا) حرف جر، وحكاه الجرمي عن بعض العرب. انظر «شرح ابن عقيل» (١/ ٥٦٤).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٤).

فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ....

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ مِن الكُفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمانِ ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ﴾: أخبِرِ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم، وهو القَتل والأسرُ في الدُّنيا، والنَّارُ في الآخِرة.

﴿٤﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ مِن شُرُوطِ العَهد، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا﴾: يُعاوِنُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِن الكُفَّار، ﴿فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَهُوَ﴾) أي: التوبة المفهومة من قوله: ﴿تُبْتُمْ﴾.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: من بَقائكم على الكفر الذي هو خيرٌ في زعمكم، أو اسم التفضيل ليس على بابِه.

قوله: (أَخبِر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة: مُطلق الإخبار، وعبَّر عنه بالبشارة تهكُّماً بهم.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾) استثناء من ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وهو مُنقطع، والتقدير: لكن الذين عاهَدتم فأتموا إليهم عهدهم، وهذا أولى من جعله متصلاً؛ لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه.

قوله: (﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾) قرأ الجمهور بالصاد المهملة، من: النُّقصان، وهو يتعدى لواحد واثنين، فالكاف مفعول أول، و﴿شَيْـًٔا﴾ إما مفعول ثان، أو مصدر؛ أي: لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان، وقُرئ شذوذاً بالضاد، والمعنى: يَنقضوا عهدكم، وهي مناسبة لذكر العهد، والقراءة الأُولى مناسبة لذكر التمام في مقابلتها[1].

قوله: (﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا﴾) أي: هؤلاء المشركون، وهم بنو ضَمرة، حيٌّ من كنانة.

---

(١) قرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وابن السَّمَيْفَع وأبو زيد: «يَنْقُضوكم» بالضاد المعجمة. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٠).

إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

﴿إِلَىٰ﴾ انقضاءِ ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ الَّتي عاهَدتُموهُم علَيها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإتمامِ العُهُود.

﴿٥﴾ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: خَرَجَ ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهيَ آخِرُ مُدَّة التَّأجِيل، ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أو حَرَم، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسرِ ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القِلاع والحُصُونِ حتَّى يُضطَرُّوا إلى القَتل أو الإسلامِ، ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: طَريق يَسلُكُونَهُ، ونَصبُ ﴿كُلَّ﴾ على نَزعِ الخافضِ، ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ مِن الكُفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تَتَعَرَّضُوا لَهُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَن تابَ.

﴿٦﴾ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ـ مَرفُوع بِفِعلٍ يُفَسِّرُهُ ـ ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: استَأمَنَك مِن القَتل، ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أَمِّنْهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾) أي: وكان قد بقي من مُدتهم تسعة أشهر.

قوله: (﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾) أي: انقضت وفرغت، وتقدَّم للمفسِّر: أنَّ هذا يدل على أن أول المدة شوال، وهو أحد أقوال ثلاثة تقدَّمت.

قوله: (﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾) أي: في أيِّ مكان.

قوله: (﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾) أي: لئلا يَنتشروا في البلاد.

قوله: (﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ... إلخ) المراد: أتَوا بأركان الإسلام، وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة؛ لأنهما رأس الأعمال البدنيَّة والماليَّة.

قوله: (ولا تتعرضوا لهم) أي: لا لأنفسهم ولا لأموالِهم؛ فلا تأخذوا منهم جزية ولا أعشاراً ولا غير ذلك.

قوله: (﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) (إنْ): حرف شرط جازم، و﴿أَحَدٌ﴾: فاعل بفعل محذوف يفسِّره قوله: ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾، وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾: جوابُ الشرط، وإنما أعرب ﴿أَحَدٌ﴾ فاعلاً بفعل محذوف؛ لأنَّ أدوات الشرط لا يَليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً سيَّما (إن).

حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ....

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي: مَوضعَ أَمنِه، وهو دارُ قَومه إن لَم يُؤمِن لِيَنظُر في أمرِه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دِينَ الله، فلا بُدَّ لَهُم مِن سَماع القُرآن لِيَعلَموا.

﴿٧﴾ ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهُم كافِرُونَ بِهما غادِرُونَ؟ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يَومَ الحُدَيبِيَة وهُم قُرَيش المُستَثنَونَ مِن قَبلُ، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾: أقامُوا على العَهد ولَم يَنقُضُوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾) أي: فيَتدبَّره، ويعلمَ كيفيَّة الدين وما انطوى عليه من المحاسِن.

قوله: (﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾) أي: إن أراد الانصراف ولم يُسلِم.. وصِّله إلى قومه؛ ليتدبَّر في أمره، ثم بعد ذلك يَجوز لك قتالهم؛ لِقيام الحجة عليهم.

قوله: (المذكور) أي: من الإجارة والإبلاغ.

قوله: (ليعلموا) أي: ما لهم من الثواب إن آمنُوا، وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا.

قوله: (أي: لا يكون) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام للتعجب بمعنى النفي، وهذا تأكيدٌ لإبطال عهدهم ونقضه.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾) يصحُّ أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً؛ فعلى الانقطاع: يكون الموصول مبتدأً، خبره: جملة الشرط، وهي قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ...﴾ إلخ، وعلى الاتصال: يكون الموصول مَنصوباً على الاستثناء.

قوله: (يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستةُ فراسخ.

قوله: (وهم قريش المستثنون من قبل) أي: في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾، وقد تبع المفسِّر في ذلك ابن عباس[1]، وهو مُشكلٌ؛ لأنَّ هذه الآيات نزلت

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/٣١٩).

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ....

على الوَفاءِ بِه، ـ و(ما) شَرطيَّة ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وقد استَقامَ ﷺ على عَهدِهم حتَّى نَقَضُوا بِإعانَةِ بَني بَكر على خُزاعةَ.

﴿٨﴾ ﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لَهُم عَهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: يَظفرُوا بِكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾: يُراعُوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾: قَرابةً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عَهداً؟ بل يُؤْذُوكم ما استَطاعوا، ـ وجملةُ الشَّرط حالٌ ـ ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بِكَلامِهِم الحَسَن ....

حاشية الصاوي

في شوال في السنة التاسعة، وقُريش إذ ذاك مسلمون؛ لأنها كانت نقَضت في السنة السابعة، وحصل الفتح في الثامنة؛ فلِذا قال الخازن: (إن ذلك محمولٌ على بني ضمرة الذين دخلُوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل، فكلهم نَقضوا إلا بني ضمرة فلم يَنقضوا؛ فلِذا أمر رسول الله بإتمام عهدهم إلى مدتهم)[1].

قوله: (و«ما»: شرطية) أي: بمعنى (إن)، ويصحُّ كونها مصدريَّة ظرفيَّة؛ أي: فاستَقيموا لهم مدة استقامتِهم لكم.

قوله: (حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة) هذا مبنيٌّ على ما فهمه أوَّلاً، ولو مشى على الصواب لَقال: حتى فرغت مدَّتهم.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد) كرَّر الاستفهام؛ زيادةً في التأكيد.

قوله: (﴿إِلًّا﴾) مفعول لـ﴿يَرْقُبُوا۟﴾، وجمعه: (إلال) كـ(قداح).

قوله: (قرابة) وقيل: المراد به: العهد، وقيل: المراد به: الله تعالى، وقيل: الجؤار، وهو: رفع الصوت عند المحالَفة؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة، والأقرَب: ما قاله المفسِّر.

قوله: (عهداً) أي: فالعطف لِلتفسير على تفسير (الإلّ) بالعهد.

قوله: (﴿يُرْضُونَكُم﴾) هذا بيانٌ لحالهم عند عدم الظَّفر بالمسلمين إثر بيان حالهم عند الظَّفر بهم.

---

(١) «تفسير الخازن» (٢/ ٣٣٨).

وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ....

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوَفاءَ بِه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: ناقِضُون لِلعَهدِ.

﴿٩﴾ ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا، أي: تَركُوا اتِّباعَها لِلشَّهَواتِ والهَوَى، ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دِينِه، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ه عَمَلُهم هذا.

﴿١٠﴾ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهُم إخوانُكم ﴿فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ﴾: نُبيِّن ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبَّرُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾) أي: تَمتنع من الإذعان والوفاء بما أظهَروه.

قوله: (﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية، والشهوات الزائلة.

قوله: (﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾) أي: مَنعوا الناس من اتباع دين الإسلام والإيمان.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) أي: لِضلالهم وكفرهم، وإضلالهم غيرهم.

قوله: (﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ﴾) كرَّر ذلك لِمَزيد التشنيع والتقبيح عليهم؛ لأن مقام الذمِّ كمقام المدح؛ البلاغةُ فيه الإطنابُ.

قوله: (﴿فَإِن تَابُوا۟﴾... إلخ) ليس فيه تكرارٌ مع ما تقدَّم؛ لاختلاف جواب الشرط؛ لأنَّ الأول أفاد تَخلية سبيلهم، وهنا أفاد أنهم إخواننا في الدين.

قوله: (أي: فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أن (إخوانكم) خبر لمحذوف، والجملة في محل جزم جواب الشرط.

قوله: (يتدبرون) أي: يَتعظون فيؤمنون، وإنما فسَّر العلم بالتدبر؛ لأنَّ المراد به: علم يَحصل معه الإذعان، لا مُطلق علم.

وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ....

(١٢) ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ﴾: نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾: مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾: عابوه، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: رُؤَساءَهُ، ـ فِيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ ـ ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾: عُهُودَ ﴿لَهُمْ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ﴾) النَّكث في الأصل: الرجوع إلى خَلف، ثم استعمل في النقض مجازاً؛ بجامع أنَّ كلًّا متأخِّرٌ عن مَطلوبه، وهو مقابل قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ...﴾ إلخ، والمعنى: فإن أظهَروا ما في ضمائرهم من الشرِّ فقاتلوا... إلخ.

قوله: (﴿وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾) عطفُ تفسيرٍ، أو سببٍ على مسبَّب، والأقرب: الأول.

قوله: (﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾) أمرٌ لسيدنا محمد ﷺ وأمَّتِهِ.

قوله: (﴿أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾) بتحقيق الهمزتين، وإدخال ألف بينهما، وتركِه، وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما، وتركه، فهذه خمس قراءات شاذة هنا، وفي (الأنبياء)، وموضِعي (القصص)، و(السجدة)، وقرئ بإبدال الهمزة الثانية ياء مع ألف بين الهمزة والياء وبدونها[1]، وأصله: (أَأْمِمَة) بوزن (أَفْعِلَة) أريد إدغام أحد الميمين في الأخرى، فنُقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية.

قوله: (فيه وضعُ الظاهر) أي: زيادةً في التقبيح عليهم؛ حيث وصفهم بكونهم رؤساءَ في الكفر، وكان مقتضى الظاهر: (فقاتِلوهم).

قوله: (﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾) بفتح الهمزة، جمع (يَمين) بمعنى: الحلف، والمعنى: لا عهود لهم متمَّمة.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: «أئمة» بهمزتين ثانيتهما مُسَهَّلة بينَ بينَ ولا ألفَ بينهما، والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتخفيفهما من غير إدخال ألفٍ بينهما، وهشام كذلك إلا أنه أَدْخَلَ بينهما ألفاً، وحققهما الباقون، ونقل عن نافع ومَنْ معه: أنهم يُبْدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نُقِلَ عن نافع المدُّ بينهما. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٣)، و«السراج المنير» (١/ ٥٩٢).

لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ....

ـ وفي قِراءة بِالكَسرِ ـ ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عن الكُفر.

﴿١٣﴾ ﴿أَلَا﴾ ـ لِلتَّحضِيضِ ـ ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ﴾: نَقَضُوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾: عُهُودَهُم ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ مِن مَكَّةَ لَمَّا تشاوَرُوا فيه بِدارِ النَّدْوة، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بِالقِتالِ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيثُ قاتَلُوا خُزاعةَ حُلَفاءَكُم مع بَنِي بَكر، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالكسر) أي: فيكون مَصدر (آمن) بمعنى: أعطاه الأمان، أو من: الإيمان، وهو التصدِيق[١].

قوله: (﴿أَلَا﴾ للتحضيض) أي: وهو الطلب بحثٍّ وإزعاج؛ لاتِّصافهم بصفات ثلاثة؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي القتال.

قوله: (﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾) إنما اقتصر على الإخراج مع أنه وقع منهم الهمُّ بالقتل والهمُّ بالإيثاق أيضاً؛ لأنَّ أثر الإخراج ظهر عَقبه، وهو خروجه منها بإذن ربِّه، لا خوفاً منهم؛ ولِذا ورد: «اللهمَّ كما أخرجتني من أحبِّ البلاد إليَّ.. فأسكِنِّي في أحبِّ البلاد إليك»[٢].

قوله: (بدار الندوة) تقدَّم أنها مكان اجتماع القوم لِلمُشاورة والحديث، والباني لها قُصي، وقد أُدخلت الآن في المسجد، فهي في مَقام الحنفي[٣].

قوله: (حيث قاتلوا خزاعة) أي: أعانوهم بالسلاح.

ثم اعلَم: أن صريح المفسِّر حمل ذلك على قريش، وهو منافٍ لما تقدَّم من أنَّ السورة نزلت سنة تسع، وقريش إذ ذاك مُسلمون[٤].

---

(١) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٩٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بين الركن الشامي والغربي مما يلي الحطيم، ولكل من المذاهب الأربعة مقام؛ فإن مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، والمالكي بين الركن الغربي واليماني، والحَنبلي تجاه الحجر الأسود. انظر «تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» لابن الضياء (ص١٦٢).

(٤) انظر (٣/ ٦٤).

أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ....

فما يَمنَعكُم أن تُقاتِلُوهُم؟ ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾: أتَخافُونَهُم؟ ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ في تَركِ قِتالِهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾: يَقتُلْهُم ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ﴾: يُذِلَّهُم بالأسرِ والقَهرِ، ﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ بما فَعَلَ بِهِم، هُم بَنُو خُزاعة.

﴿١٥﴾ ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾: كَرْبَها، ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ بِالرُّجُوعِ إلى الإسلام كأبِي سُفيانَ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿أَمۡ﴾ - بِمَعنَى همزةِ الإنكارِ - ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا﴾: لَم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ ظُهُور ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فما يمنعكم أن تقاتلوهم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من التحضيض: الأمرُ مع التوبيخ.

قوله: (في ترك قتالهم) متعلق بقوله: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه.

قوله: (﴿قَٰتِلُوهُمۡ﴾) هذا أمرٌ، ذُكِرَ في جوابه خمسةُ أمور.

قوله: (بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك: أنهم مُؤمنون إذ ذاك.

قوله: (﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾) بالرفع استِئناف، ولم يجزم؛ لأن التوبة على مَنْ يشاء ليست جزاءً على قتال الكفار.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) الحق: أنها بمعنى (بل) والهمزة معاً كما تقدَّم له.

قوله: (﴿أَن تُتۡرَكُواْ﴾) أي: يَترككم الله من غير قتال.

قوله: (﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (علم ظُهور) دفع بذلك ما يقال: كيف يُنْفَى عِلم الله مع أنه متعلِّق بكل شيء؛ وجد أو لم يوجَد؟

وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ....

بإخلاصٍ ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بِطانةً وأولياءَ، المَعنَى: ولَم يَظهَر المُخلِصُونَ وهُم المَوصُوفُونَ بما ذُكر مِن غَيرِهم، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ ـ بِالإفرادِ والجَمع ـ بِدُخُولِه والقُعُود فِيه، ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإخلاص) أي: مع إخلاص.

قوله: (﴿وَلِيجَةً﴾) من: الوُلوج، وهو: الدخول، والمعنى: بل أظنَنتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم: آمنَّا، بل حتى يظهر المجاهد مِنكم مع الإخلاص من غيره، ولم تَتخذوا في الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئاً تدخلونه في قلوبكم غير محبة الله ورَسوله والمؤمنين؟

قوله: (﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾... إلخ) سبب نُزول هذه الآية وما بعدها: أن جماعة من رُؤساء قريش أُسروا يوم بدر؛ منهم: العباس عمُّ رسول الله، فأقبل عليهم نفرٌ من أصحاب رسول الله يُعيِّرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يُوبِّخ العباس بسبب قتالِ رسول الله، وقطيعةِ الرحم، فقال العباس: ما لكم تَذكرون مَساوئنا وتكتمون محاسننا؟! فقيل له: وهل لكم محاسِنُ؟ قال: نعم، نحن أفضَل منكم؛ نعمر المسجد الحرام، ونَحجب الكعبة ـ أي: نخدمها ـ ونَسقي الحجيج، ونفكُّ العاني[١].

قوله: (بالإفراد والجمع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فالإفراد على أنَّ المراد: المسجدُ الحرام، أو على أنَّ المسجد اسمُ جنس، فيَدخل فيه جميع المساجد، والجَمع إما على أن كلَّ بقعة من المسجد الحرام يقال لها: مسجدٌ، أو الجمع باعتِبار أنه قِبلة لسائر المساجد[٢].

قوله: (﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾) قيل: المراد به: السجودُ للأصنام؛ لأنَّ كفار قريش كانوا قد نَصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يَطوفون بالبيت عراة؛ كلما طافوا طوفة.. سَجدوا للأصنام، فلم يَزدادوا بذلك إلا بعداً من الله.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢٤٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «مسجد الله» بالإفراد، وقرأ الباقون: «مَساجد» بالجمع. انظر «الدر المصون»(٦/ ٢٩).

أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لِعَدَمِ شَرطِها، ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: أهلَ ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾) أي: الحسَنة التي افتخروا بها؛ من خِدمة المساجد، وفكِّ الأسير، وسِقاية الحاج، وغير ذلك.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾) بالجمع باتِّفاق السبعة[1]، وعمارتها تكون بِبنائها من المال الحلال، والصلاة فيها، وغير ذلك.

قوله: (﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾) أي: أن يَحشروا في زمرتهم يوم القيامة.

قوله: (﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾) ردٌّ على العباس وغيره كما يأتي للمُفسِّر؛ حيث افتخروا بذلك وقالوا: إن هذا شرفٌ لا يُضاهى.

والسقاية في الأصل هي: المحلُّ الذي يجعل فيه الشراب في الموسم، كانوا يَنبذون الزبيب في ماء زمزم، ويسقونه الناس أيام الحج، وكان الفاعل لِذلك العباس في الجاهلية، واستمرَّت معه السقاية في الإسلام، فهي لآل العَباس أبداً.

قوله: (أي: أهل ذلك) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام حذفَ مضافٍ، والتقدير: أجعلتُم أهل سقاية الحاج... إلخ، وقد دفع بذلك ما يقال: كيف يُشبه المعنى ـ وهو السقاية ـ بالذات، وهو مَنْ آمن؟

---

(١) جمهورُ القراء من السبعة وغيرهم على الجمع، وقرأ الجحدري وحماد بن أبي سلمة عن ابن كثير بالإفراد. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣١).

﴿ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ....

﴿ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضلِ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافِرينَ. نَزَلَت رَدًّا على مَن قال ذلك وهو العَبَّاس أو غَيرُه.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: رُتبةً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِن غَيرِهم، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظَّافِرُونَ بِالخَيرِ.

﴿٢١﴾ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضل) أي: الأُخرَوي؛ لأنَّ فضل السقاية والعمارة دنيويٌّ.

قوله: (أو غيره) أو: بمعنى الواو؛ لأنَّ أهل مكة كانوا يَفتخرون بذلك، ويزعمون أنَّ هذا فخرٌ لا يضاهى.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: اتَّصفوا بالإيمان وما عطف عليه، وهو الهجرة والجهاد.

قوله: (من غيرهم) يَدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار؛ فمُقتضاه: أنَّ لهم درجةً، لكنها ليست أعظَم، والجواب: أن ذلك إما باعتبار ما يَعتقدونه من أنَّ لهم درجةً ورتبةً، أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يَستكملوا الأوصاف الثلاثة.

قوله: (﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾) أي: الكامِلون في الفوز بالنسبة لِلمؤمن الذي لم يستكمل الأوصاف الثلاثة، أو المراد: الذين لهم أصل الفَوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة.

قوله: (﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ﴾... إلخ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاءً على الصفات الثلاثة: فالرحمة في مُقابلة الإيمان؛ لتوقف الرحمة عليه، والرضوان في مقابلة الجهاد؛ لأنه بذلُ الأموال والأنفُس في مرضاة الله، والرضوان نهاية الإحسان؛ فكان في مُقابلته، والجنة في مقابلة الهجرة؛ لأنَّ في الهجرة تركَ الأوطان فبُدِّلوا وطناً في الآخرة أعلى وأجلَّ مما تركُوه، وإنما قدِّمت الرحمةُ والرضوانُ؛ إشارةً إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة، وأخِّرَت الجنةُ؛ إشارةً إلى أنها مختصَّة بالآخرة، ولأنها آخِر العطايا.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ....

﴿٢٢﴾ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ - حالٌ مُقدَّرة - ﴿فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿٢٣﴾ ونَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الهِجرة لِأجلِ أهلِه وتِجارَتِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾: اختاروا ﴿ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾: أقرِباؤُكم، - وفي قِراءة: ﴿عَشِيرَاتُكُم﴾ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال مقدَّرة) أي: لأنهم حين الدخول ليسوا خالدِين، وإنما هم مُنتظرون.

قوله: (ونزل فيمَن ترك الهجرة) قال ابن عباس: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة.. فمِنهم من تعلَّق به أهله وأولاده يقُولون: نَنشدك بالله ألا تضيِّعنا، فيرقُّ لهم، فيُقيم عليهم ويَدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قوله: (﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ﴾) نزلت لما قال الذين أسلَموا ولم يهاجروا: (نحن إن هاجَرنا.. ضاعت أموالنا، وذهَبت تجارتنا، وتخرَّبت ديارنا، وتَقطعت أرحامنا)[2]، ويُؤخذ من ذلك: أنه إذا تعارض أمرٌ من أمور الدين مع مَصالح الدنيا.. يقدَّم أمرُ الدين ولو لَزم عليه تعطيل أمر الدنيا.

قوله: (﴿وَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾) أي: حَواشيكم، والمراد بهم هنا: إخوان النسب وإن شاع جمعُ (أخ) النَّسب على (إخوة)، وأخ الدين على (إخوان).

قوله: (أقرباؤكم) وقيل: هم مَنْ بينك وبينهم معاشرةٌ مطلقاً ولو غير قَريب، فهو عطفُ عامٍّ على ما قبله على كلِّ حال.

قوله: (وفي قراءة: «عشيراتكم») أي: وهي سبعيَّة، وقرأ الحسن: (عَشائركم)[3].

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٤٤).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢٤٥).

(٣) قرأ الجمهور: (عشيرتكم) بالإفراد، وأبو بكر عن عاصم: (عَشيراتكم). انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٤).

وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ ....

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتُموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدمَ نفاقِها، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فقعَدتُم لِأجلِه عن الهجرة والجِهاد، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: انتظِروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تهديدٌ لهم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ لِلحَربِ ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبَدرٍ وقُرَيظةَ والنضيرِ، ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَرْضَوْنَهَآ﴾) أي: تَرضَون الإقامة فيها.

قوله: (﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾) خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ وما عُطف عليه.

قوله: (فقعدتم لأجله) قدَّره لِيرتِّب عليه قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾، وجملة ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: جواب الشرط.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾) قال ابن عباس: (هو فتح مكة)(1)، إذا علمتَ ذلك.. تعلم أنَّ هذا مشكلٌ مع ما تقدَّم ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح؛ إلا أن يقالَ: إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسَب الوقائع، والسورة بتَمامها نزلت بعد الفتح، ولا غرابة في ذلك، فتدبَّر.

قوله: (تهديدٌ له) أي: تخويفٌ.

قوله: (﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾) عبَّر عنهم أولاً بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ إشارةً إلى أن الكفار مَوصوفون بكلِّ وصفٍ قبيحٍ.

قوله: (﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾) الخِطاب للنبي وأصحابه بتعداد النِّعم عليهم.

قوله: (﴿فِى مَوَاطِنَ﴾) جمع مَوطن كـ(مواعد) و(موعد)، ويُرادفه: الوطن، وهو: محلُّ السكنى.

قوله: (وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف؛ أي: ومَوطن قريظة، وموطن النضير.

قوله: (﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾) ظرفٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، وقيل: معطوف

---

(1) انظر «البحر المحيط» (٥/٣٩٢).

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ....

وادٍ بَين مَكَّة والطَّائِفِ، أي: يَومَ قِتالِكُم فِيه هَوازِنَ، وذلك في شَوَّال سَنة ثَمانٍ، ﴿إِذْ﴾ ـ بَدَل مِن (يَوم) ـ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقُلتُم: لَن نُغلَب اليَومَ مِن قِلَّة، وكانُوا اثنَي عَشَرَ ألفاً والكُفَّارُ أربَعةُ آلاف، ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ـ (ما) مَصدَرِيَّة ـ أي: مع رُحْبِها أي: سَعَتِها، فلَم تَجِدُوا مَكاناً تَطمَئِنُّونَ إلَيه لِشِدَّةِ ما لَحِقَكُم مِن الخَوف، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: مُنهَزِمِينَ وثَبَتَ النَّبيُّ ﷺ على بَغلَتِه البَيضاء

حاشية الصاوي

على ﴿مَوَاطِنَ﴾ من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان، وردَّ: بأنه يقتضي أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ يرجع لقوله: (مَواطن) أيضاً؛ لأنه بدل من (يوم حُنين)، ولا يَصح ذلك؛ لأن كثرتهم لم تُعجبهم في جميع تلك المواطن، بل في خُصوص حنين، فتعيَّن ما قدَّره المفسِّر.

قوله: (وادٍ بين مكة والطائف) أي: وبينهما ثمانية عشر ميلاً، وفي بعض العبارات: (ثلاث ليال).

قوله: (هَوازن) أي: وهُم قبيلة حليمة السعدية.

قوله: (سنة ثمان) أي: من الهجرة، وهي سنة فتح مكة؛ لأنَّ مكة فتحت في رمضان، وغَزوة هوازن في شوال عَقبه.

قوله: (مِن قلة) أي: من عدد قليل.

قوله: (وكانوا اثني عشر ألفاً) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الذين أسلَموا في مكة بعد فتحها.

قوله: (والكفار أربعة آلاف) الذي في «شرح المواهب»: (أنهم أكثرُ من عشرين ألفاً)[1].

قوله: (﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾) أي: لم تَنفعكم، ولم تدفع عنكم شيئاً.

قوله: (أي: مع رُحْبِهَا) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى (مع)، والجُملة حال؛ أي: ملتبسة برحبها. والرُّحب بالضم: السَّعة، وبالفتح: الواسع.

(١) «شرح المواهب» (٣/ ٥٠٥).

ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ....

وليسَ مَعَهُ غيرُ العبَّاس وأبُو سُفيانَ آخِذٌ بِرِكابِه.

(٢٦) ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طُمَأنينتَه ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرُدُّوا إلى النَّبيِّ ﷺ لَمَّا ناداهُم العَبَّاس بِإذنِه وقاتَلُوا، ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: مَلائكةً ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِالقَتل ....

حاشية الصاوي

قوله: (وليس معه غير العباس) أي: وقد كان آخذاً بلِجام بَغلته[1].

قوله: (وأبو سفيان) أي: ابن الحارث بن عبد المطلب، وقد أسلَم هو والعباس يوم الفتح، في بعض السِّير: (أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في حُنين مئة: ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وستة وستون مِن الأنصار)[2]، ويَجمع بين ما قاله المفسِّر وغيره: أنه لم يبقَ متصلاً بالبَغلة إلا اثنان، والباقون مُنشغلون بالحرب لم يَفروا.

قوله: (فردوا) أي: رجعوا جميعاً كالفَصيل الضالِّ عن أمِّه إذا وجدها.

قوله: (لما ناداهم العباس) أي: وكان صيِّتاً، يُسْمَعُ صوته من نحو ثلاثة أميال.

قوله: (﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾) قيل: كانوا خمسةَ آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، ولم يقاتلوا بل تركوا لِتَقوية قلوب المسلمين، وروي عن رجل كان في المشركين يوم حُنين قال: (التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حُنين، لم يقوموا لنا حَلب شاة، فلمَّا لَقيناهم.. جعلنا نَسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البَغلة البيضاء؛ فإذا هو رسول الله ﷺ، فتلقَّانا عنده رجالٌ بِيض الوجوه، حِسَانٌ، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا، قال: فانهزمنا، وركبوا أكتافَنا)[3]، وروي: (أن الملائكة الذين نزلوا يوم حُنين عليهم عمائم حُمر، راكبين خيلاً بلقاء)[4].

قوله: (بالقتل) أي: لبعضهم، وهم أكثرُ من سبعين.

---

(١) رواه مُسلم (١٧٧٥).

(٢) انظر «المغازي» للواقدي (٣/ ٩٠١)، و«سُبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٣٠).

(٣) انظر «الدر المنثور» (٤/ ١٦٣).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٧).

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ....

والأسر، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ منهم بالإسلام، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: قَذَر لِخُبثِ باطِنِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والأسر) أي: للنساء والذراري، وكانوا ستة آلاف، ولم تقع غنيمة أعظم منها؛ فقد كان فيها من الإبل اثني عشر ألفاً، وقيل: أربعة وعشرون ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى، وكان فيها غير ذلك، ولمَّا هزَمهم.. قصد إلى الطائف وأمر بجعل الغنائم في الجعرانة حتى يأتي إليهم، فلما رجع ﷺ من الطائف.. انتظر هوازن بضعة عشر يوماً؛ لِيَقْدَموا عليه مسلمين، ثم أخذ في قسمة الغنائم، وكان في السبي أختُ رسول الله من الرَّضاع، وهي بنت حَليمة السعدية، فأطلقها رسول الله وأكرَمها وردَّها لِقومها، فأعلمتهُم بما وقع لها من رسول الله من الإكرام، فكان ذلك باعثاً على إسلامهم، فأتى منهم جماعة وقالوا: يا رسولَ الله؛ أنت خير الناس وأبرُّهم؛ فارددْ علينا أموالنا وأهلِينا، فقال لهم: «**إن خير القول أصدَقه، اختاروا؛ إما أموالَكم، وإما ذَراريكم ونساءكم**»، قالوا: ما كُنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقال لهم: «**أمَّا ما كان لي ولِبَني عبد المطلب.. فهو لكم، وأما ما كان لِغيرهم.. فسأطلب فيه مَعروفهم**»، ثم قال لهم: «**إذا أنا صليتُ.. فتقدَّموا إلي وأخبروني بذلك**»، ففعلوا كما أُمِرُوا، فقال ﷺ: «**مَن طابت نفسه بشيء أن يَرُدَّه.. فليَفعل**»، فقالوا: رَضينا بذلك، وسلَّموه الأموال والأُسارى[1].

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾) القراءة السبعيَّة بفتحتين[2]، وفيه لغات أخرى؛ كـ(كَتِف)، و(عَضُد)، والمعنى: أنهم نجسٌ نجاسةً معنويةً، لا حسيَّة، وقال ابن عباس: أعيانهم نَجسة كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: مَن صافح مشركاً.. توضأ، وأهل المذاهب على خِلاف ذلك[3]؛ فإنهم طاهِرون؛ لأنهم داخلون في آية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٤/ ١٣٨)، وأصل الخبر في «صحيح البخاري» (٢٣٠٧).

(٢) انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٧).

(٣) انظر «الكشاف» (٢/ ٢٦١).

فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ....

﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: لا يَدخُلُوا الحَرَم ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ عامَ تِسع مِن الهِجرةِ، ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فَقراً بِانقِطاعِ تِجارَتِهم عَنكُم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾، وقد أَغناهُم بِالفُتُوح والجِزْيَة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾... إلخ) قال العلماء: جُملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام:

أحدها: الحرَم؛ فلا يجوز للكافر أن يَدخله بحال، وجوَّز أبو حنيفة دخوله للمُعاهد.

الثاني: الحجاز؛ فلا يجوز للكافر دُخوله إلا بإذن، ولا يُقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام؛ لما في الحديث: «لا يبقينَّ دينان بجزيرة العرب»[1]، وحدُّها طولاً: من أقصى عَدن إلى ريف العراق، وعرضاً: من جُدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

الثالث: سائر بلاد الإسلام؛ يَجوز للكافر أن يقيم فيها بذمَّة أو أمان، لكن لا يَدخل المساجد إلا لغرضٍ شرعيٍّ.

قوله: (عام تسع) أي: وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح، وما يُوهم خلاف ذلك يجب تأويلُه.

قوله: (﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ لما أمر عليًّا أن يقرأ على المشرِكين أول (براءة).. خاف أهل مكة الفَقر وضيق العيش؛ لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه، فذكرُوا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزَلت[2].

قوله: (فقراً) في «المصباح»: (العَيْلة بالفتح: الفقر، وهي مَصدر: عال يَعيل، من باب: سار، فهو عائل، والجمع: عالَة)، وفي «المختار»: (وعِيال الرجل: من يَعولهم، وواحد العيال: عَيِّل كجيِّد، والجمع: عيائل كجيائد، وأعال الرجل: كثُرت عياله)[3].

قوله: (وقد أغناهم بالفتوح) أي: فأسلَم أهل صنعاء وجدة وتَبالة؛ بفتح التاء، وجُرَش؛ بضم

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٢)، وأحمدُ في «المسند» (٤٣/ ٣٧١).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢٤٩).

(٣) «المصباح المنير»، و«مختار الصحاح»، مادة: (ع ي ل).

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ ....

(٢٩) ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وإلَّا لَآمَنُوا بِالنَّبيِّ ﷺ، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمرِ، ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾: ....

حاشية الصاوي

الجيم، وفتح الراء بعدها شين معجمة: قريتان من قرى اليمن، وجَلبوا إليهم الميرة، وصاروا في أرغَد عيشٍ.

قوله: (﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾) شروعٌ في ذكر قِتال أهل الكتابين إثر بيان قتال مشركي العرب، وهذه الآية نزَلت حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فلمَّا نزلت توجَّه رسول الله لغزوة تبوك[1].

قوله: (وإلَّا.. لآمنوا بالنبي) جواب عمَّا يقال: إن ظاهر الآية يَقتضي نفيَ إيمانهم بالله واليوم الآخر مع أنهم يَزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي كلام المفسِّر إشارةٌ لقياس استثنائي، وتقريرُه أن يقال: لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر.. لآمنُوا بالنبي ﷺ، لكنهم لم يُؤمنوا بالنبي، فلم يؤمنُوا بالله ولا باليوم الآخر.

وأيضاً: دعواهم الإيمان بالله باطلةٌ؛ لأنهم يَعتقدون التجسيم والتشبيه، ولا شكَّ في كونه كفراً، وكذلك دعواهم الإيمان باليوم الآخر باطلةٌ؛ لأنهم يَعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، وأنَّ أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون، فتحصَّل: أن كفرَهم بهذه الأمور وبتكذيبهم النبي، ومن كذَّب نبيًّا.. فقد كفر بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

قوله: (كالخمر) أي: والخنزير والربا وكلِّ محرَّم في شرعنا؛ فإنهم مُخاطبون بفروع الشريعة، ويُعذَّبون عليها زيادةً على عذاب الكفر.

قوله: (﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾) من إضافة الموصوف لِصفته.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣١٢)، وانظر «تفسير البغوي» (٢/ ٣٣٥).

مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ....

الثَّابِت النَّاسِخ لِغَيرِه مِن الأديانِ وهو دِينُ الإسلام، ﴿مِنَ﴾ - بَيان لِـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ - ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: اليَهُود والنَّصارَى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾: الخَراجَ المَضرُوبَ عليهِم كُلَّ عام ﴿عَن يَدٍ﴾ حالٌ، أي: مُنقادِينَ، أو بِأيدِيهِم لا يُوَكِّلُون بِها، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: أذِلَّاءُ مُنقادُونَ لِحُكمِ الإسلام.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (الناسخ لغيره) أي: الماحي له؛ فمَن اتبع غير الإسلام.. فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويصح أن يرادَ بـ(الحق): الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ من أسمائه الحقَّ، والمراد بدين الله: الإسلام.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾) غاية لقتالهم، وسمِّيت جزيةً؛ لأنها جزاء لكفِّ القتال عنهم وتأمينِهم.

قوله: (الخراج المضروب عليهم) أي: الذي يجعله الإمام على ذُكورهم الأحرار البالغين الموسِرين.

قوله: (أي: مُنقادين) تَفسير باللازم؛ أي: فاليد كنايةٌ عن الانقياد.

قوله: (لا يوكِّلون بها) أي: فاليد على حَقيقتها، وهذا التفسير يُناسب مذهب مالك؛ لأنَّ عنده لا يجوز التوكيل في دَفعها، بل كل واحد يَدفع جزيته بيَده، وحين دَفعِهَا يبسط الكافر يده بها، ويأخذها المسلم من يَده؛ لتكون يدُ المسلم هي العليا، ثم بعد أخذها يَصفعه المسلم على قَفاه، وعند الشافعي: يجوز التوكيل في دَفعها[1].

قوله: (﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾... إلخ) هذا من تَفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر. وعُزير بالصرف وعدمه: قراءتان سبعيَّتان؛ فالصرف على أنه عَربي؛ فلم تُوجد فيه إلا علة واحدة، وعدمُه على أنه أعجمي؛ ففيه العِلتان[2].

و﴿ٱبْنُ﴾: خبر، فيرسم بالألف؛ لأنه ليس صِفة للعلم.

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/ ٣١٢)، و«منهاج الطالبين» (ص٣١٣).

(٢) قرأ عاصم والكسائي بتنوين «عُزَيْرٌ»، والباقون من غير تنوين. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٨).

وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم ....

وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم ....

حاشية الصاوي

وسبب تلك المقالة على ما قال ابن عباس: أن عُزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عِندهم، والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة، وعَملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ومسَحها من صدورهم، فدعا الله عزيرٌ وابتَهل إليه أن يَرُدَّ إليه التوراة، فبينما هو يُصلي مبتهلاً إلى الله.. نزل نور من السماء، فدخل جَوفه، فعادت إليه، فأذَّن في قومه وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردَّها عليَّ، فعَلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت.. عرَضوا ما كان يعلمهم عزيرٌ على ما في التابوت فوجدوه مثلَه، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله[١].

قوله: (﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾) المسيح: لقبٌ له؛ إما لأنه ما مَسح على ذي عاهة إلا برئ، أو لأنه ممسوح بالبركة، وسبب مَقالتهم: أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة؛ يُصَلُّون إلى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حربٌ، وكان في اليهود رجلٌ شجاع يقال له: بولص قتلَ جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال بولص لِليهود: إن كان الحق مع عيسى.. فقد كفَرنا، والنار مصيرنا، فنحن مَغبُونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة؛ فإني سأحتال وأُضلُّهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم إنه عمد إلى فرس كان يُقاتل عليه، فعرقبه[٢]، وأظهر الندامة والتوبة، ووَضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عَدوكم بُولص، قد نُوديت من السماء: إنه ليس لك توبة حتى تتنصَّر، وقد تُبتُ وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصَّروه، ودخل بيتاً فيها فلم يَخرج منه سنة حتى تعلَّم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نُوديت: إن الله قد قَبِلَ توبتك، فصَدَّقوه وأحبُّوه، وعَلا شأنه فيهم.

ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال؛ اسم واحِد نسطورا، والآخر يَعقوب، والآخر ملكان، فعلم نسطورًا أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلَّم يَعقوب أن عيسى ليس بإنسان، وأنه ابن الله، وعلم مَلكان أن عيسى هو الله لم يَزل ولا يزال، فلمَّا تمكن ذلك فيهم.. دعا كلَّ واحد منهم في الخَلوة

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ١٧١).

(٢) عرقب الدابة: قطع عُرقوبها، وهو: الوتر الذي خلفَ الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع.

بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ....

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مُستَنَدَ لَهُم علَيه، بَل ﴿يُضَاهِئُونَ﴾: يُشابِهُونَ بِه ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ مِن آبائِهِم تَقلِيداً لَهُم، ﴿قَاتَلَهُمُ﴾: لَعَنَهُم ﴿اللَّهُ أَنَّى﴾: كيفَ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُونَ عن الحَقِّ مع قِيام الدَّلِيل؟

﴿٣١﴾ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾: عُلَماءَ اليَهُود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾: عُبَّادَ النَّصارَى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقال له: أنت خالِصتي وادع الناس لما علَّمتك، وأمرَه أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام، وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبَح، فذبح نفسه، وتفرَّق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل منهم مَقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا[1].

قوله: (﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾) من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه، فذِكرها مبالغة في الرَّد عليهم.

قوله: (﴿يُضَاهِئُونَ﴾) بضم الهاء بعدها واو، وبكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾) أي: أبعدهم عن رحمته، فهو دعاء عليهم.

قوله: (﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾) استفهام تعجب، والاستفهام راجع إلى الخَلق؛ لأنَّ الله يستحيل عليه التعجب.

قوله: (﴿اتَّخَذُوا﴾) أي: اليهودُ والنصارى.

قوله: (﴿أَحْبَارَهُمْ﴾) جمع (حبر) بالفتح والكسر، والثاني أفصَح: العالم الماهر.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٥٢).

(٢) قرأ عاصم بكسر الهاء وبعدها همزة مضمومة، والباقون بضمِّ الهاء ولا همز بعدها. انظر «السراج المنير» (١/ ٦٠٤).

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

حَيثُ اتَّبَعُوهُم في تَحليل ما حَرَّمَ وتَحريم ما أحَلَّ، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التَّوراةِ والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ أي: بِأن يَعبُدُوا ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾: شَرْعَه وبَراهِينَه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بِأقوالِهِم فِيه، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ﴾: يُظهِرَ ﴿نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلكَ.

﴿٣٣﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ مُحمَّداً ﷺ ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حيث اتَّبعوهم) أشار بذلك إلى أنهم لم يَتخذوهم أرباباً حقيقة، بل المعنى: كالأرباب في شِدة امتثالهم أمرهم.

قوله: (﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾) بالنصب عطف على (أحبارهم)، والمفعول الثاني محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه، تقديره: ربًّا.

قوله: (﴿وَمَا أُمِرُوا﴾... إلخ) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) صفة ثانية لـ﴿إِلَٰهًا﴾.

قوله: (شَرعه وبراهينه) أي: الدالَّة على صِدقه ﷺ، وهي ثلاثة أمور: أحدها: المعجزات الظاهرات، ثانيها: القرآن العظيم، ثالثها: كون دِينه الذي أمر باتباعه وهو دين الإسلام.. ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والانقياد لأمرِه ونهيه، والتبرؤ من كل معبود سِواه، فهذه أمور نَيرة واضحة في صحة نبوَّته ﷺ؛ فمن أراد إبطال ذلك.. فقد خاب شأنه.

قوله: (﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾) أي: يُعليه ويرفع شأنه.

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه، والتقدير: ولو كَره الكافرون إتمامه.. لأتمَّه ولم يُبال بهم.

قوله: (﴿بِالْهُدَىٰ﴾) أي: القرآنِ، قوله: (﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾) أي: دين الإسلام.

لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ....

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يُعْلِيَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جَمِيعِ الأديانِ المُخالِفةِ له، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

﴿٣٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يَأخُذُونَ ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرِّشا في الحُكم، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾: دِينِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (جميع الأديان المخالفة له) أي: بنَسخه لها.

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾) كُرِّر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم، ووَصفهم أولاً بالكفر، وثانياً بالإشراك؛ إشارةً إلى أنهم اتصفوا بكلٍّ منهما.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾... إلخ) لما بيَّن عقائد الأتباع وصِفاتهم.. شرع في بيان صفات الرؤساء. والأحبار: عُلماء اليهود، والرهبان: عبَّاد النصارى، وفي قوله: ﴿كَثِيرًا﴾ إشارةٌ إلى أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يكونُوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأحبار، والنَّجاشي وأضرابه من الرهبان.

قوله: (يأخذون) أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل: الأخذُ، فأُطلق الخاص وأريد العام؛ من باب: تسمية الشيء باسم جُزئه الأعظم؛ لأنَّ معظم المقصود من أخذ الأموال: أكلُها.

قوله: (﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾) قيل: هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لِسَفلتهم، وقيل: هو تغيير صفات المصطفى ﷺ الكائنة في التوراة والإنجيل، وقيل: ما هو أعَمُّ، وهو الأحسَن، والباعث لهم على ذلك حبُّ الرياسة، وأخذُ الأموال.

قوله: (كالرُّشا) بضم الراء وكسرها جمع (رشوة) بالضم على الأول، والكسر على الثاني، وفي «القاموس»: (الرشوة: مُثلثة)[1]، وهي: الجُعل على الحكم، وهي حرامٌ ولو على الحكم بالحق، فما بالُك بأخذها على الحكم بالباطل؟! وأما حبلُ الاستقاء.. فيقال فيه: (رِشاء) بالكسر والمد.

قوله: (﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾) أي: يمنعون الناس عن الدخول في دينِ الإسلام.

(١) «القاموس المحيط» (١/ ١٢٨٨)، مادة: (الرشوة).

وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ ....

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ - مُبتَدأٌ - ﴿يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكُنُوز ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يُؤَدُّون منها حَقَّه مِن الزَّكاة، والخَبَرُ: ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾: أخبِرْهُم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾: مُؤلِم.

﴿٣٥﴾ ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ﴾: تُحرَقُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾) الكَنز في الأصل: جمع المال ودفنه، وعدمُ الإنفاق منه، واختُلف في المراد بـ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾؛ فقيل: المراد بهم: أهل الكتاب؛ لأن شأنهم الحرصُ وكنزُ المال، وقال ابن عباس: نزَلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة، وقال أبو ذرٍّ: نزَلت في أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون الزكاة والحُقوق الواجبة[1].

روي: أن أبا ذرٍّ اختلف مع معاوية في هذه الآية، فقال مُعاوية: نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذرٍّ: نزلت فِينا وفيهم، فكتب معاوية وكان أميراً على الشام إلى عثمان يَشكوه، فكتب عثمان إلى أبي ذرٍّ أن اقدم المدينة، فقَدم، فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يرَوه قبل ذلك، فأخبر عثمان بذلك، فقال: إن شئت تنحَّيت فكنت قريباً منَّا، فنزل بالربذة، وقال: ولو أمَّروا عليَّ عبداً حبشيًّا.. لَسمعت وأطعتُ[2].

قوله: (أي: الكنوز) أي: المدلول عليها بقوله: ﴿يَكۡنِزُونَ﴾، ودفع بذلك ما يقال: إن المتقدم شيئان: الذهب والفضة، فكان مُقتضاه تثنية الضمير، فلِم أفرد؟ فأجاب: بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق.

قوله: (﴿فَبَشِّرۡهُم﴾) إنما سمِّي بشارةً؛ تهكماً بهم، وإشارةً إلى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلُّفه.

قوله: (﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾) ظرف لقوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾، و(يحمى) يجوز أن يكون من: حمَيته وأحميته ثلاثيًّا ورباعيًّا، يقال: حمَيت الحديدة، وأحميتها: أوقدت عليها لتحمى، والفاعل

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٦).

بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ....

﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتُوَسَّعُ جُلُودُهم حتَّى تُوضَعَ علَيها كُلُّها ويُقال لَهُم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: جَزاءَه.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المُعتَدِّ بِها لِلسَّنةِ ﴿عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ....

حاشية الصاوي

محذوف تقديره: يوم نحمي النار عليها؛ أي: تَتقد على تلك الكنوز، فتُكوى بها جباههم... إلخ، فلما حذف الفاعل.. ذهبت علامة التأنيث؛ ولِذلك قرئ بالتاء من فوق[1]، وأُنيب الجار والمجرور منابه، ولتضمنه معنى الإيقاد عدِّي بـ(على).

قوله: (﴿جِبَاهُهُمْ﴾) المراد بها: جِهة الأمام بدليل المقابلة.

قوله: (وتوسَّع جلودهم) أي: حتى لا يُوضع دينار على دينار، ولا دِرهم على درهم، وذلك بعد جعلها صفائح من نار.

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ لأن المكنوز لا يُذاق، وهذا عذابه في الآخرة، ووَرد: (أنه يُصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زَبيبتان يأخذ بلِهْزِمتيه ـ أي: شِدقيه ـ ويقول له: أنا كنزُك، أنا مالك)[2]، فلا مانع من حصول الجميع له، أجارنا الله من أسباب ذلك.

قوله: (﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾... إلخ) المقصود من ذلك: الردُّ على الجاهلية حيث يَزيدون في الأشهر بحسَب أهوائهم الفاسدة؛ فراراً من القتال في الأشهر الحرم؛ فإنهم كانوا يُعظمون الأشهر الحرم فلا يقاتلُون فيها، فكانوا إذا اضطُروا للقتال فيها.. ادَّعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها، فربما جَعلوا السنة أربعة عشر شهراً أو أزيدَ بحسب ما تُسوِّله عقولهم الفاسدة.

قوله: (﴿عِندَ اللَّهِ﴾) ظرف متعلق بمحذوف صفة لـ﴿الشُّهُورِ﴾.

قوله: (﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾) وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يَعتدُّ بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم، وأيام هذه الشهور ثلاث مئة وخمسة وخمسون يوماً، والسنة الشمسية ـ وتسمى القبطية ـ هي: عِبارة عن دَور الشمس في الفلك دورة تامة، وهي ثلاث مئة

---

(١) قرأ الحسن: «تُحمَى» بالتاء من فوق. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ....

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي: الشُّهُور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: مُحَرَّمةٌ: ذُو القَعدةِ وذُو الحِجَّة والمُحَرَّمُ ورَجَب، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تَحرِيمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المُستَقِيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهُرِ الحُرُم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بِالمَعاصِي؛ فإنَّها فِيها أعظَمُ وِزراً، وقيلَ: في الأشهُرِ كُلِّها، ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: جَمِيعاً في كُلِّ الشُّهُور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصر.

حاشية الصاوي

خمسة وستون يوماً وربع؛ فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية إما عشرة أيام أو أحد عشر يوماً: خمسة أيام نقص الشهور العربية، وخمسة أيام النسيء إن كانت السنة بَسيطة، وستة أيام إن كانت كبيسة؛ فكل أربع سنين تأتي فيها سنة كبيسة، فبِسبب هذا النقصان تَدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارةً في الشتاء، وتارةً في الصيف.

قوله: (﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾) صفة لـ﴿ٱثْنَا عَشَرَ﴾.

قوله: (محرمة) أي: مُعظمة محترمة، تتضاعف فيها الطاعات.

قوله: (ذو القعدة) بفتح القاف وكسرها، والفتح أفصح، عكس (الحجة).

قوله: (بالمعاصي) أي: فظلم النفس يكون بمخالفة الله؛ لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لِدخول النار.

قوله: (فإنها فيها أعظم وزراً) أي: أشد إثماً منه في غيرها.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾) هذه الآية ناسخة لآية (البقرة) المفيدة حُرمة القتال في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية، وقوله: ﴿كَآفَّةً﴾ مصدر في موضع الحال من فاعل (قاتلوا)، أو من ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ولا يُثنَّى ولا يجمع، ولا تدخل عليه (أل)، ولا يتصرف فيه بغير الحال.

قوله: (بالعون والنصر) أي: فمَعيَّته مع المتقين زائدة على معيَّته مع الخَلق أجمعين المشارِ لها

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ....

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ أي: التَّأخِيرُ لِحُرمَةِ شَهر إلى آخَرَ، كما كانَت الجاهِلِيَّة تَفعَلهُ مِن تَأخِير حُرْمة المُحَرَّم ....

حاشية الصاوي

بقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأنها معيَّةُ تصريفٍ وتدبيرٍ، وذلك لا يَختصُّ بالإنسان، بل مع كل مخلوق؛ حيواناً وجماداً.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾) فعيل: بمعنى (مفعول)، والمراد به: تأخيرهم حُرمة المحرم إلى صفر كما في «المختار»[1]، وهذا قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء، وفي قراءة سبعيَّة بإبدال الهمزة ياء، وإدغام الياء فيها، وقُرئ شذوذاً بسكون السين وفتح النون، وبضم السين بوزن (فَعُول)[2].

قوله: (كما كانت الجاهلية تَفعله) أي: لأن الجاهلية كانت تعتقد حُرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت مَعايشهم من الغزو، وكان يشقُّ عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر مُتوالية، فأخَّروا تحريم شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخِّرون تحريم المحرم إلى صفر، فإذا احتاجوا إلى القتال.. أخَّروا التحريم إلى ربيع الأول، وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلِّها، وكانوا يَحجُّون في كلِّ شهر عامين، فحجوا في ذي الحجة عامين، والمحرم كذلك، وهكذا باقي الشهور، فوافقت حجةُ أبي بكر في السنة التاسعة ذا القعدة، ثم حج رسول الله ﷺ حجةَ الوداع، فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة في اليوم التاسع، وخَطب الناس في اليوم العاشر بمنى حيث قال: «**إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خَلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً؛ منها أربعة حُرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورَجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان، أيُّ شهر هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلَم، فسكت حتى ظننَّا أنه سيُسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**»، قلنا: بلى، قال: «**أيُّ بلد هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلَم، فسكت حتى ظننَّا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس البلدة؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فأيُّ يوم هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننَّا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فإن دماءكم**

(١) «مختار الصحاح»، مادة: (نسأ).

(٢) قرأ ورش عن نافع: (النَّسِيّ) بإبدال الهمزة ياءً، وإدغام الياء فيها، ورُويت هذه عن أبي جعفر والزهري وحميد، وقرأ السلمي وطلحة والأشهب وشبل: (النَّسْء) بإسكان السين، وقرأ مجاهد والسلمي وطلحة أيضاً: (النَّسُوء) بزنة (فَعُول) بفتح الفاء. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٧).

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ....

إذا هَلَّ وهُم في القِتال إلى صَفَر، ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لِكُفرِهِم بِحُكمِ الله فِيه، ﴿يُضَلُّ﴾ - بِضَمِّ الياء وفَتحِها - ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النَّسِيءَ ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: يُوافِقُوا بِتَحلِيلِ شَهر وتَحرِيم آخَرَ بَدَلَه ﴿عِدَّةَ﴾: عَدَدَ ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ مِن الأشهُر، فلا يَزِيدُون على تَحرِيم أربَعة ولا يَنقُصُون ولا يَنظُرُون إلى أعيانِها، ......

حاشية الصاوي

وأموالكم - قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم - عليكم حرام كحُرمة يومكم هذا، في بَلدكم هذا، في شَهركم هذا، وستَلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم؛ فلا ترجعوا بعدي ضُلَّالاً يَضرب بعضكم بعضاً، ألا ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب، فلعلَّ بعض مَنْ يبلَّغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟» مرَّتين[1].

قوله: (إذا هلَّ) بالبناء للفاعل وللمفعول، ويقال: استهل، وهلَّ: إذا رَفع الصوت عند ذكره، وبذلك سمي: الهلال.

قوله: (بضم الياء) أي: مع فتح الضاد مبنيًّا للمفعول في السبعة، ومع كسر الضاد مبنيًّا للفاعل في العشرة.

قوله: (وفتحها) أي: مع كسر الضاد لا غير، وهي سبعيَّة أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً: واحدة عشرية، واثنتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: النسيء) المراد به هنا: اسم المفعول؛ أي: المنسوء؛ أي: المؤخَّر، وهو تحريم بعض الشهور.

قوله: (﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾) فيه وجهان: أحدهما: أن الجملة تفسيريَّة للضلال، الثاني: أنها حاليَّة.

قوله: (﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾) تنازعه كلٌّ من (يُحلونه) و(يُحرمونه)؛ فيجوز الثاني أو الأول.

قوله: (إلى أعيانها) أي: الأربعة التي اشتهر تحريمها؛ لأنهم لو التزمُوا أعيانها.. لم يَضلوا.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وفتح الضاد، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد، وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب وعمرو بن ميمون: (يُضِلُّ) مبنيًّا للفاعل مِنْ (أضل). انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٧).

﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٣٨﴾ ونَزَلَ لَمَّا دَعا ﷺ النَّاس إلى غَزوةِ تَبُوك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾) بالبناء للمفعول، والمزيِّنُ لهم الشيطانُ.

قوله: (﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾) أي: لا يُوصِلهم السعادة.

قوله: (ونزل لما دعا. . . إلخ) أي: من هنا إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾، فهذه الآيات متعلقة بغزوة تَبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم.

قوله: (إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البُقعة، ومنعِه لِلعلمية والتأنيث، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد رُجوعه من الطائف، وسبب توجهه لها: أنه بلغ رسول الله ﷺ أنَّ هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدَّموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورَّى عنها بغيرها إلا ما كان من غزوة تَبوك؛ وذلك لِبُعد المسافة؛ لأنها على طرف الشام، بينها وبين المدينة أربع عشرة مَرحلة، فأمرهم بالجهاد، وبعث إلى مكة وقبائل العرب، وهي آخر غزَواته ﷺ، وأنفق عثمان نفقةً عظيمةً، فجهَّز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسع مئة بعير ومئة فرس وما يَتعلق بذلك، وجاء أبو بكر بجميع مالِه؛ أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنِصف ماله، وجاء ابن عوف بمئة أوقية، وجاء العباس بمال كثير، وكذا طَلحة، وبعثت النساء بكل ما يَقدرن عليه من حليِّهن، فلمَّا تجهَّز رسول الله ﷺ بالناس وهم ثلاثون ألفاً ـ وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ـ خلَّف على المدينة محمد بن مَسلمة الأنصاري ـ وقيل: علي بن أبي طالب ـ وتخلَّف عبد الله بن أُبيٍّ ومَن كان معه من المنافقين، فبعد أن خرجوا إلى ثنيَّة الوداع متوجهاً إلى تَبوك عقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظَم إلى أبي بكر، ورايتَه العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحُباب بن المنذر، ودفع لكلِّ بطنٍ من الأنصار ومن قبائل العرب لواءً وراية، ولما نزَلوا تبوك. . وَجدوا عينها قليلة الماء، فاغتَرف رسول الله ﷺ غُرفة من مائها، فمَضمض بها فاه، ثم بصَقه فيها، ففارت عينها حتى امتلأت، وارتوَوا هم وخيلهم وركابهم، وأقام بتَبوك بضع عشرة ليلة ـ وقيل: عشرين ليلة ـ فأتاه يُحَنَّة ـ بضم التحتية، وفتح الحاء المهملة، والنون المشددة، ثم تاء التأنيث ـ ابن رؤبة ـ بضم الراء، فهمزة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم ....

وكانُوا في عُسْرة وشِدَّةِ حَرٍّ فشَقَّ علَيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ ـ بِإدغامِ التَّاء في الأصل في المُثلَّثة واجتِلابِ هَمزة الوَصل ـ أي: تَباطَأتُم ومِلْتُم عن الجِهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ والقُعُودِ فيها؟ والاستِفهامُ لِلتَّوبيخ، ﴿أَرَضِيتُم

حاشية الصاوي

ساكنة، فمُوحدة ـ صاحبُ أيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي رداءً، وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرَض عليه الإسلام، فلم يُسلِم، وكتب له ولأهل أيلة كتاباً تركه عِندهم؛ لِيَعملوا به، وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تَبوك، فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف هو والمسلمون راجعِين إلى المدينة، ولما دَنا من المدينة.. تلقَّاه المتخلِّفون، فقال لأصحابه: لا تكلِّموا رجلاً منهم ولا تُجالسوهم حتى آذن لكم، فصار الرجل يُعرِض عن أبيه وأخيه[1].

قوله: (وكانوا في عسرة) أي: قحط وضيقِ عيشٍ؛ حتى إن الرجلَين ليجتمعان على التمرة الواحدة.

قوله: (وشدة حرٍّ) أي: كانوا يَشربون الفرث.

قوله: (فشقَّ عليهم) أي: فتخلَّف عنه عشر قبائل، ويقال لها: غَزوة العسرة، والفاضحة؛ لأنها أظهرت حال المنافِقين.

قوله: (﴿مَا لَكُمْ﴾) ﴿مَا﴾: مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾ خبره، ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ حال، و(إذا) ظرف لتلك الحال مقدَّم عليها، والتقدير: أيُّ شيء ثبَت لكم من الضرر حالَ كونكم متثاقلين وقتَ قول الرسول لكم: انفرُوا؟... إلخ.

قوله: (بإدغام التاء... إلخ) أي: فالأصل: (تَثاقلتم) أبدلت التاء ثاء، وأدغمت فيها، وأتي بهمزة الوصل؛ توصلاً للنطق بالساكن.

قوله: (ومِلتم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنه ضمَّن ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ معنى: مِلتُم، فعدَّاه بـ(إلى).

قوله: (﴿أَرَضِيتُم﴾) الاستفهام لِلتوبيخ والتعجب.

---

(١) انظر «المغازي» للواقدي (٣/ ٩٩٦).

بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ....

﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولَذَّاتِها ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: بَدَلَ نَعيمِها؟ ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جَنْبِ مَتاعِ ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: حَقير.

﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا﴾ ـ بِإدغامِ (لا) في نُونِ (إنْ) الشَّرطِيَّة في المَوضِعَينِ ـ ﴿تَنفِرُوا۟﴾: تَخرُجُوا مع النَّبيِّ ﷺ لِلجِهادِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يَأتِ بِهِم بَدَلَكُم، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: اللهَ أو النَّبيَّ ﷺ ﴿شَيْـًٔا﴾ بِتَركِ نَصرِه؛ فإنَّ الله ناصِرُ دِينَه، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ نَصرُ دِينِه ونَبِيِّه.

﴿٤٠﴾ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾: حِينَ ﴿أَخْرَجَهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حقير) أي: لأنَّ لَذات الدنيا خسيسةٌ، مَشوبةٌ بالكدرات والآفات، سريعةُ الزوال، بخلاف لذات الآخرة؛ فهي شريفةٌ، منزَّهةٌ عن الأقذار والأكدار، باقيةٌ لا مُنتهى لها.

قوله: (بإدغام «لا» في «إن») العبارة فيها قلب، والأصل: بإدغام «إن» في لام «لا».

قوله: (في الموضعين) أي: هذا وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾.

قوله: (﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾) قيل: المراد: في الآخرة، وقيل: المراد: في الدنيا باحتباس المطر؛ لما روي: أنه سُئِل ابن عباس عن هذه الآية، فقال: (استَنفر رسول الله ﷺ حيًّا من أحياء العرب، فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم)[1].

قوله: (﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾) قيل: المراد بهم: أبناء فارس، وقيل: أهلُ اليمن.

قوله: (ومنه نصر دينه) أي: ولو مِن غير واسطة.

قوله: (﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾) شرطٌ حذف جوابه، تقديره: فسيَنصره الله، وأما قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.. فتعليلٌ للجواب، ولا يصلح أن يكون جواباً؛ لأنه ماضٍ، وقوله: (﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، وهذا خطابٌ لمن تثاقل عن تلك الغَزوة.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٨٢)، وبنحوه في «سُنن أبي داوود» (٢٥٠٦).

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ ....

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِن مَكَّة أي: أَلجَؤوه إلى الخُرُوج لَمَّا أرادُوا قَتله أو حَبسَه أو نَفيَه بِدارِ النَّدْوة، ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ ـ حال ـ أي: أحَدَ اثنَينِ والآخرُ أبُو بَكر، المَعنَى: نَصَرَهُ الله في مِثل تِلكَ الحالةِ فلا يَخذُلُهُ في غَيرها، ﴿إِذْ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿إِذْ﴾ قَبله ـ، ﴿هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾: نَقْبٌ في جَبَلِ ثَور، ﴿إِذْ﴾ ـ بَدَل ثانٍ ـ ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بَكر وقَد قال لَه لمَّا رَأى أقدامَ المُشرِكِينَ: لَو نَظَرَ أحَدُهم تَحت قَدَمَيهِ لَأبصَرَنا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بِنَصرِه، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طُمَأنِينَتَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النَّبِيِّ ﷺ، وقِيل: على أبي بَكرٍ، ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدار الندوة) تقدَّم أيضاً ذلك في (سورة الأنفال) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ [الأنفال: ٣٠] إلخ[١].

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿أَخْرَجَهُ﴾، والتقدير: إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر.

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: بدلَ بعض من كلٍّ؛ لأنَّ الإخراج زمنه ممتدٌّ، فيَصدق على زمن استقرارهما في الغار، وإلَّا.. فزمنُ الإخراج مُبايِنٌ لزمن حصولهما في الغار؛ لأنَّ بين الغار ومكة مسيرةَ ساعةٍ.

قوله: (﴿لَا تَحْزَنْ﴾) أي: لا تهتمَّ، وكان حزن الصدِّيق على رسول الله، لا على نفسه، ورَد: أنه قال له: (إذا متُّ أنا.. فأنا رجل واحد، وإذا متَّ أنت أهلكت الأمة والدين)[٢].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾) أي: معيَّةً معنويةً خاصةً.

قوله: (قيل: على النبي) أي: فيكون المراد: زاده سكينة وطُمأنينة حتى عمَّت أبا بكر، وإلَّا.. فرسولُ الله لم يسبق له انزعاجٌ؛ لمزيد ثِقَته بربِّه.

قوله: (وقيل: على أبي بكر) أي: لأنه هو المنزعِج.

(١) انظر (٣/ ٢٥-٢٦).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٩).

بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي

﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: مَلائِكةٍ في الغار ومَواطِنِ قِتالِه، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دَعوةَ الشِّرك ﴿السُّفْلَىٰ﴾: المَغلُوبةَ، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ أي: كَلِمةُ الشَّهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾: الظَّاهِرةُ الغالِبة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

﴿٤١﴾ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: نِشاطاً وغَيرَ نِشاط، وقِيل: أقوِياءَ وضُعَفاءَ أو أغنِياءَ وفُقَراءَ، وهيَ مَنسُوخة بِآيَةِ ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]. ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي

حاشية الصاوي

قوله: (ملائكة في الغار) أي: يَحرسونه من أعدائه.

قوله: (ومواطن قتاله) الواو بمعنى (أو)؛ لأنه تفسير ثان.

قوله: (أي: دعوة الشرك) أي: دَعوة أهل الشرك الناسَ إليه، أو المراد: عقيدة أهل الشرك.

قوله: (﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾) القُراء السبعة على الرفع مبتدأ، و﴿هِيَ﴾ إما ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، و﴿الْعُلْيَا﴾ إما خبر عن (كلمة)، أو عن الضمير، والجملة خبر (كلمة)، وقُرئ شذوذاً بالنصب معطوف على مفعول (جعل)[1].

قوله: (﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾) ذكر المفسِّر في معنى ذلك ثلاثة أقوال، وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرُون؛ فقيل: الخفيف: الذي لا ضَيعة له، والثقيل: الذي له الضيعة، وقيل: الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ، وقيل غير ذلك، فالمقصود: تعميمُ الأحوال؛ أي: انفرُوا على أيِّ حال كنتم عليه، وهذا الحكمُ باقٍ إذا تعيَّن الجهاد؛ بأن فَجأ العدو، وأما في حال كونه فرضَ كفاية.. فليس حكم العموم باقياً، بل مَنسوخ إما بآية: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، أو بآية: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ...﴾ [التوبة: ٩١] إلخ.

قوله: (نشاطاً) بكسر النون جمع (نَشيط) ك: كِرام، وكريم.

قوله: (وهي منسوخة) أي: على القولين الأخيرين، لا على الأول؛ فهي مُحكمة.

---

(١) انظر «الدر المصون» (٦/ ٥٢).

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ....

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّهُ خيرٌ لكُم فلا تثَّاقَلُوا.

﴿٤٢﴾ ونزَل في المُنافِقِين الَّذين تَخلَّفُوا: ﴿لَوۡ كَانَ﴾ ما دَعوتَهُم إليه ﴿عَرَضٗا﴾: مَتاعاً مِن الدُّنيا ﴿قَرِيبٗا﴾: سَهْلَ المَأخذ، ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾: وَسَطاً، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ طَلَباً لِلغَنِيمةِ، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾: المَسافةُ فتَخَلَّفُوا، ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذا رَجعتُم إليهِم: ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ الخُرُوجَ ﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ بِالحَلِفِ الكاذِبِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قَولِهِم ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (أنه خير) مفعول ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

قوله: (فلا تثاقلوا) جواب الشرط.

قوله: (في المنافقين) أي: كعبد الله بن أبيٍّ وأضرابه.

قوله: ([﴿عَرَضٗا﴾] متاعاً من الدنيا) سمِّي عرضاً لِسُرعة زواله كالعرض.

قوله: (المسافة) أي: التي تقطع بالمشقة، فهي مُشتقة من المشقة.

قوله: (﴿وَسَيَحۡلِفُونَ﴾) هذا إخبارٌ من الله بالغيب؛ فإنَّ هذه الآية نزلت قبل رُجوعه من تبوك[1].

قوله: (﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾) هذه الجملة سدَّت مسدَّ جواب القسم والشرط.

قوله: (﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾) هذا مرتَّبٌ على قوله: ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ﴾، أو المعنى: يَزدادون بها هلاكاً؛ لأنهم هالكون بالكفر، ويزيدون هلاكاً باليمين الكاذبة؛ لما في الحديث: «اليمين الفاجرة تدع الديار بَلاقع»[2].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٢٦٣).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٠٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٦٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، والبلقعة: الأرض القَفر التي لا شيء بها.

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ....

﴿٤٣﴾ وكان ﷺ أَذِنَ لِجَماعةٍ في التَّخَلُّفِ بِاجتِهادٍ مِنهُ، فنزَلَ عِتاباً له وقُدِّمَ العَفوُ تطمِيناً لِقلبِهِ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التَّخَلُّف؟ وهَلَّا تَركتَهُم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في العُذرِ ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فِيهِ.

﴿٤٤﴾ ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في التَّخَلُّف عنْ ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (لجماعة) أي: من المنافقين.

قوله: (باجتهاد منه) هذا أحدُ قولين، والآخر: أنه لا يجتهد، والحاصل: أنه اختُلف؛ هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الأحكام التكليفية الصادرةِ من الله تعالى أو لا يجوز؟ والصحيح: الأول، ولكنه في اجتهاده دائماً مُصيب، وعِتاب الله له إنما هو على فعل أمر مُباح، فهو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين، لا على وِزرٍ فعَله؛ فاعتقاد ذلك كفرٌ.

قوله: (﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾) أي: عن هذا الأمر الذي فعَلتَه.

قوله: (﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾) اللام الأولى للتعليل، والثانية لِلتبليغ، وكلاهما متعلق بـ﴿أَذِنتَ﴾، فلم يَلزم عليه تعلُّق حرفي جرٍّ مُتحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، والمعنى: لأيِّ شيء أذِنتَ لهم في التخلف عن الجهاد؟

قوله: (وهلَّا تركتَهم) قَدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: (حتى يَتبين... إلخ) غاية في ذلك المحذوف.

قوله: (﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾) أي: لا يَليق منهم، وليس من عادتهم الاستئذان في الواجب عليهم، بل الخالِص في الإيمان يُبادر إليه من غير توقف؛ فحيث وَقع من هؤلاء الاستئذان.. كان دليلاً على نِفاقهم.

قوله: (في التخلف) أي: مِن غير عذر.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم ....﴾

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾: شَكَّت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدِّين، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيَّرُون.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ مَعَك ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾: أُهْبةً مِن الآلة والزَّادِ، ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: لَم يُرِد خُرُوجَهُم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: كَسَّلَهُم، ﴿وَقِيلَ﴾ لَهُم: ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ المَرضَى والنِّساء والصِّبْيانِ، أي: قَدَّر الله تعالَى ذلك.

﴿٤٧﴾ ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾) إنما أسند الريب للقلب؛ لأنه محلُّه؛ كما أنه محل الإيمان والمعرفة.

قوله: (﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾... إلخ) هذا تَسليةٌ له ﷺ على عَدم خروج المنافقين معه؛ إذ لا فائدة فيه ولا مَصلحة، وعتاب الله له على الإذن لهم في التخلف.. إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتِهم، كأن الله يقول لنبيِّه: كان الأَولى لك عدم الإذن لهم في التخلف؛ ليظهر حالهم؛ فإنَّ القرائن دالَّةٌ على أنهم لا يُريدون الخروج؛ لعدم التأهُّب له.

قوله: (﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾) استدراك على قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾؛ لأنه في معنى النفي، فهو استدراكٌ على ما يتوهم ثبوته، وهو محبة الله منهم الخروج، والمعنى: ولو أرادوا الخروج.. لأعدُّوا، ولكن لم يُريدوه؛ لكراهة الله انبِعاثهم؛ لما فيه من المفاسد، فلم يُعِدُّوا له عُدة، وهذا أحسَن ما يقال.

قوله: (أي: قدَّر الله تعالى ذلك) جوابٌ عمَّا يقال: حيث أمرهم الله بالقعود.. كان قُعودهم محموداً لا مذموماً، فأجاب: بأنه ليس المراد بالقول: حَقيقته، بل المراد به: الإرادة والتقدير، وأُجيب أيضاً: بأن القائل الشيطان، وهو يأمر بالفحشاء والمنكر، وأجيب أيضاً: بأن القائل الله حقيقة، والقول على حقيقته، وهو أمرُ تهديدٍ؛ على حدِّ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: (﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم﴾ ....

﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ....

﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فَساداً بِتَخذِيلِ المُؤمِنِين، ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أسرَعُوا بَينَكُم بِالمَشيِ بِالنَّمِيمةِ، ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يَطلُبُونَ لَكُم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاءِ العَداوةِ، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يَقُولُونَ سَماعَ قَبُولٍ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾) هذا بيانٌ للمفاسد التي تترتب على خروجهم.

إن قلتَ: مقتضى العتاب المتقدِّم: أنَّ خرجوهم فيه مصلحة، ومقتضى ما هنا: أنَّ خروجهم مَفسدة؛ فكيف الجمع بينهما؟

أُجيب: بأن خروجهم مَفسدة عظيمة، وعتاب الله لنبيِّه إنما هو على عدم التأنِّي حتى يظهر نِفاقهم وفضيحتهم، وليس في خروجهم مصلحة أصلاً كما علمتَ.

قوله: (﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾) أي: ما أحدَثوا فيكم إلا خبالاً، وليس المراد: أن الخبال كان حاصلاً من قبل وإنما حصَل منهم زيادته.

قوله: (﴿إِلَّا خَبَالًا﴾) يصح أن يكون استثناءً منقطعاً، والمعنى: ما زادُوكم قوة ولكن خبالاً، أو متصلاً من عموم الأحوال، والمعنى: ما زادوكم شيئاً أصلاً إلا خَبالاً.

قوله: (﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾) الإيضاع في الأصل: سرعة سير البعير، ثم استُعير الإيضاع لسرعة الإفساد؛ ففي الكلام استعارة تبعيَّة؛ حيث شبَّه سرعة الإفساد بسُرعة سير الركائب، ثم اشتق منه (أوضعوا) بمعنى: (أسرَعوا)، وفي (الخلال) استعارة مكنية؛ حيث شبَّه الخلال بركائب تُسرع في السير، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لَوازمه وهو (أوضعوا) بمعنى: (أسرعوا)؛ فإثباتُه تخييل.

قوله: (﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾) حال من فاعل (أوضَعوا)، والتقدير: طالبِين لكم الفتنة.

قوله: (﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾) يحتمل أن يكون جواسيس منهم يَسمعون لهم الأخبار منكم، ويحتمل أن يكون الضمير في (فيكم) عائداً على المؤمنين، والمعنى: أن في المؤمنين ضعفاء قُلوب يصغون إلى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد؛ لظنِّهم صحة إيمانهم.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ

﴿٤٨﴾ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟﴾ لَك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أوَّلَ ما قَدِمتَ المَدِينةَ، ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: أجالُوا الفِكرَ في كَيدِك وإبطالِ دِينِك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: النَّصرُ، ﴿وَظَهَرَ﴾: عَزَّ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: دِينُه، ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لَه، فدَخَلُوا فِيه ظاهِراً.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ في التَّخلُّف ﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ وهو الجَدُّ بن قَيس، قال لَه النَّبيُّ ﷺ: «هل لَك في جِلَادِ بَنِي الأصفَرِ؟»، فقال: إنِّي مُغرَمٌ بِالنِّساءِ وأخشَى إن رَأيتُ نِساء بَنِي الأصفَرِ أنْ لا أصبِرَ عَنهُنَّ فأَفتَتِنَ، قال تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ بِالتَّخلُّفِ، وقُرِئ: (سَقَطَ)، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا مَحِيصَ لَهُم عنها.

﴿٥٠﴾ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنَصرٍ وغَنِيمةٍ ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: شِدَّةٌ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) أي: قبل هذه الغزوة؛ كالواقع من المنافقين في أُحُدٍ والأحزاب.

قوله: (﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾) أي: استمرُّوا على تقليب الأمور حتى... إلخ.

قوله: (وهو الجَدُّ بن قيس) هو منافق عَنيد؛ حتى إنه من قَباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة في بَيعة الرضوان، واختفى تحت بَطن ناقته.

قوله: (في جِلاد بني الأصفر) أي: ضربهم بالسيوف، وفي نسخة: (جهاد)، وهي ظاهرة، وبنو الأصفر هم: مُلوك الروم، أولاد الأصفر بن رُوم بن عيص بن إسحاق.

قوله: (وقرئ: «سقط») أي: بالإفراد؛ مراعاة للفظ (مَن)، والضمير عائد على الجد بن قيس، وهي شاذة كما هي قاعِدته.

قوله: (﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾) أي: في بعض الغزوات.

قوله: (﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾) أي: في بَعضها، وقابَل الحسنة بالمصيبة؛ إشارةً إلى أن الثواب مترتِّبٌ على كلٍّ منهما، وإنما قابلها بالسيئة في (آل عمران)؛ لأنها خِطاب للمؤمنين، وفيهم من يَراها سيئة.

يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ

﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بِالحَزمِ حِينَ تَخَلَّفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قَبلَ هذه المُصِيبة، ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بِما أصابَك.

﴿٥١﴾ ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابَته، ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: ناصِرُنا ومُتَوَلِّي أُمُورِنا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ ـ فِيه حَذفُ إحدَى التَّاءَينِ مِن الأصل ـ أي: تَنتَظِرُونَ أن يَقعَ ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقِبَتَينِ ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: تَثنِية (حُسنَى) تَأنِيث (أحسَنَ): النَّصرِ أو الشَّهادةِ، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾: نَنتَظِرُ ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بِقارِعةٍ مِن السَّماء، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بِأن يُؤذَنَ لَنا في قِتالِكُم؟ ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بِنا ذلكَ ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقِبَتَكم.

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ في طاعةِ اللهِ ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفَقتُمُوه؛ ﴿إِنَّكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾) أي: أدركنا ما أهمَّنا من الأمور، وهو موالاة الكفار، واعتزال المسلمين، وغيرُ ذلك من أنواع النفاق.

قوله: (﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾) الجملة حالية من فاعل (يتولَّوا).

قوله: (﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾) أي: ردًا لقولهم: (قد أخذنا أمرنا من قبل).

قوله: (﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾) صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (العاقبتَين).

قوله: (﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾) أي: إحدى العاقبتين السيئتَين.

قوله: (بقارعة) أي: صاعقةٍ.

قوله: (﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾... إلخ) أي: فإنا منتظرون ما يسرُّنا، وأنتم مُنتظرون ما يسوؤكم.

قوله: (﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾... إلخ) نزلت في الجد بن قيس حيث قال النبي ﷺ: (ائذن

كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ....

﴿كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، والأمرُ هُنا بِمَعنَى الخَبَر.

﴿٥٤﴾ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ ـ بالياءِ والتاء ـ ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ ـ فاعِلٌ، و﴿أَن تُقْبَلَ﴾ مَفعُول ـ ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: مُتَثاقِلُون، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ النَّفقةَ؛ لِأَنَّهُم يَعُدُّونَها مَغْرَماً.

﴿٥٥﴾ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي: لا تَستَحسِنْ نِعَمَنا علَيهِم فهيَ استِدراجٌ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يُعذِّبَهُم ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ....

حاشية الصاوي

لي في القُعود وأنا أُعطيك مالي)[1]، والمعنى: قل لهم: اتصافُكم بصفات المؤمنين في الإنفاق والصلاة.. لا يُفيدكم شيئاً.

قوله: (﴿طَوْعًا﴾) أي: من غير إلزام، وقوله: (﴿أَوْ كَرْهًا﴾) أي: بإلزام.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾) أي: ولم تزالُوا كذلك، فالمراد: فاسِقون فيما مضى وفي المستقبل.

قوله: (والأمر هنا بمعنى الخبر) أي: فالمعنى: نَفقتكم طوعاً أو كرهاً غيرُ مقبولة.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾) استثناء من عموم الأشياء، كأنه قيل: ما منعهم قبول نفقاتهم لشيء من الأشياء إلا لثلاثة أُمور: كُفرهم بالله ورسوله، وإتيانهم الصلاة في حال كسَلهم، وإنفاقهم مع الكراهة.

قوله: (لأنهم يعدُّونها مَغرماً) أي: لأنهم لا يَرجون عليها ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً.

قوله: (فهي استدراج) أي: ظاهرُها نعمةٌ، وباطِنُها نقمةٌ.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٢٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: بالياء على التذكير، والباقون بالتاء على التأنيث. انظر «السراج المنير» (١/ ٦٢١).

وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

بما يَلْقَونَ في جَمعِها مِن المَشَقَّة، وفيها مِن المَصائِب، ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تَخرُجَ ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فيُعَذِّبهم في الآخِرة أشَدَّ العَذاب.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مُـؤمِـنُـون، ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يَخافُونَ أن تَفعَلُوا بِهِم كالمُشرِكِين، فيَحلِفُونَ تَقِيَّةً.

﴿٥٧﴾ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يَلجَؤُون إلَيه، ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾: سَرادِيبَ، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: مَوضِعاً يَدخُلُونَه ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسرِعُونَ في دُخُولِه والانصِرافِ عَنكُم إسراعاً لا يَرُدُّهُ شَيءٌ كالفَرَس الجَمُوحِ.

حاشية الصاوي

قوله: (بما يلقون في جمعها من المشقة) جوابٌ عمَّا يقال: إن المال والولد سُرورٌ في الدنيا، فأجاب: بأن المراد بكونهما عذاباً: باعتبار ما يَترتب عليهما من المشقة.

إن قلتَ: إن هذا ليس خاصًّا بالمنافق، بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار.

أجيب: بأن المؤمن يَرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقَّات، فكأنها ليست مشقَّة، والمنافق ليس كذلك، فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿أَنفُسُهُمْ﴾) أي: أرواحهم.

قوله: (﴿يَفْرَقُونَ﴾) الفَرَقُ بالتحريك: الخوف.

قوله: (﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾... إلخ) أي: لو قَدروا على الهروب منكم ولو في شرِّ الأمكنة وأخسِّها.. لفعلوا؛ لِشدة بغضهم لكم، والمعنى: أنهم وإن كانوا يَحلفون لكم أنهم منكم، فهم كاذبون في ذلك؛ لأنهم لو وَجدوا مكاناً يلجؤون إليه من رأس جبل أو قَلعة أو جزيرة أو مغارات - وهي الأمكنة المنخَفضة في الأرض أو في الجبل - أو سراديب - أي: أماكن ضيِّقة - لَفَرُّوا إليها.

قوله: (﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾) في «المصباح»: (جمَح الفرس براكبه، يجمَح: استعصى حتى غلبَه) اهـ[1]؛ ففيه إشارةٌ إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقِياد بوَجه من الوجوه.

---

(١) «المصباح المنير»، مادة: (جمح).

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿٥٨﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يَعِيبُك ﴿فِي﴾ قَسْمِ ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ مِن الغَنائِمِ ونَحوِها ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا﴾: كافِينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ مِن غَنِيمةٍ أُخرَى ما يَكفِينا، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ أن يُغنِيَنا، وجَواب (لَو): لَكانَ خَيراً لَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾) هذا بيان لحال بعض المنافقين، وقوله: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ من باب: (ضرَب)، واللَّمز: الإشارةُ بعين ونحوها على سبيل التنقيص، فهو أخصُّ من الغَمز؛ إذ هو: الإشارة بعين ونحوها مطلقاً، والمراد هنا: الإعابة بالقول.

قيل: نزلت في أبي الجوَّاظ المنافق ـ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء ـ ومعناه: الضَّخم المتكبر الكثير الكلام؛ حيث قال: (ألا ترون إلى صاحبكم يَقسم صَدقاتكم على رعاة الغنم، ويَزعم أنه يَعدل؟)[١]، وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي حُرقوص بن زهير، وهو أصل الخوارج[٢].

قوله: (﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾) المراد بها؛ قيل: الزكاة، وقيل: الغنائم، وقيل: ما هو أعَمُّ، وهو الأولى؛ بدليل ما يأتي للمفسِّر.

قوله: (﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾) أي: ما يُريدون.

قوله: (﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾) (إذا): فجائية، قامت مَقام الفاء، والأصل: (فهم).

قوله: (﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾) نِسبة الإعطاء لله حقيقية، وللرسول مجازية، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ما فعله الرسول إنما هو على طبق ما أمر الله به.

قوله: (﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾) أي: كافِينا.

قوله: (أن يُغنيَنا) أي: في أن يُغنينا، و(أن) وما دخَلت عليه في تأويل مصدر مجرور بـ(في)،

(١) انظر «تفسير الرازي» (١٦/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ....

﴿٦٠﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: الزَّكَواتُ مَصرُوفة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يَقَع مَوقِعاً مِن كِفايَتِهِم، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يَكفِيهِم، ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الصَّدَقات مِن جابٍ وقاسِمٍ وكاتِب وحاشِر، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ لِيُسلِمُوا ....

حاشية الصاوي

متعلقة بـ(يُغنينا)[1]، ويُؤخذ من الآية: تعليمُ العباد التَّعفُّفَ، والاعتمادَ على الله تعالى، وتفويضَ الأمور إليه؛ فإنَّ الأرزاق بِيَده تعالى، متكفِّلٌ بها، لا يَقطعها عن عباده ولو خالَفوه.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾) ردٌّ على المنافقين الذين يَزعمون أنَّ رسول الله يأخذ الصدقات لِنَفسه ولأهل بيته، فبيَّن في هذه الآية أنَّ المستحِقَّ لها الأصنافُ الثمانيةُ، ورسول الله وأهل بيته محرَّمةٌ عليهم؛ تشريفاً لهم وتطهيراً، والآية من قَصر الموصوف على الصفة؛ أي: الصدقات مقصورة على الاتصاف بصَرفِها لهؤلاء الثمانية.

قوله: (مصروفة) قدَّره؛ ليتعلَّق به الجار والمجرور.

قوله: (الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم) صادق بألَّا يجدوا شيئاً أصلاً، أو يجدوا شيئاً لا يقع الموقع من كِفايتهم.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادقٌ بألَّا يجدوا شيئاً أصلاً، أو يجدوا شيئاً لا يقع الموقع، أو يقع ولكن لا يكفيهم؛ فالفقير على هذا أسوَء حالاً من المسكين، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك بالعكس؛ فالمسكين: مَن لا يملك شيئاً أصلاً، والفقير: من عنده شيء لا يَكفيه، والمراد بالكفاية عند مالك: كفاية سَنة، وعند الشافعي: كفاية العمر الغالب، وهو سِتون سنة[2].

قوله: (من جابٍ... إلخ) أي: وهو الذي يجمع الزكاة من أربابها، و(القاسم): الذي يَقسمها على المستحقِّين، و(الكاتب): الذي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال، و(الحاشر): الذي يَجمع أرباب الأموال؛ لِيَأخذ منهم الجابي الزكاة.

قوله: (لِيُسْلِمُوا) أي: يرجى بإعطائهم إسلامهم.

(١) كذا في الأصول، ولعله سبق قلم، والظاهر تعلقها باسم الفاعل (راغبون).

(٢) انظر «الأم» (٢/ ٩٠)، و«بُلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٥٧).

وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ ....

أو يَثبُتَ إسلامُهُم، أو يُسلِمَ نُظَراؤُهُم، أو يَذُبُّوا عن المُسلِمِينَ أقسام؛ والأَوَّلُ والأَخِير لا يُعطَيانِ اليَومَ عِند الشَّافِعِيِّ رضيَ الله تَعالى عنهُ؛ لِعِزِّ الإسلام، بِخلافِ الآخَرَين، فيُعطَيَانِ على الأصَحِّ، ﴿وَفِى﴾ فَكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي: المُكاتَبِين، ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾: أهلِ الدَّينِ

حاشية الصاوي

قوله: (أو يثبت إسلامهم) أي: فهم حديثو عهد بإسلام، فنُعطيهم ليتمكَّن الإسلام من قُلوبهم.

قوله: (أو يسلم نُظراؤهم) أي: فهُم كِبار قبيلة أسلموا، فيُعطَوْنَ لِيُسلم نظراؤهم من الكفار.

قوله: (أو يذبُّوا عن المسلمين) أي: يدفعوا الكفار ويَردُّوهم عن المسلمين والحال أنهم مسلمُون.

قوله: (والأول والأخير) أي: الكافر لِيُسلم، والذَّابُّ عن المسلمين.

قوله: (لا يعطيان) هذا ضعيفٌ عندهم، والمعتمَد عندهم: إعطاء الأول[1].

قوله: (بخلاف الأخبرين) أي: الثاني والثالث، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: المؤلَّفة قلوبهم إما كفار يُعطَون ليسلموا، أو مسلمون يُعطَوا[2] لِيَثبت إسلامهم[3].

قوله: (﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾) إنما أضيفت (الصدقات) إلى الأصناف الأربعة الأول باللام، وإلى الأربعة الأخيرة بـ(في)؛ إشارةً إلى أن الأربعة الأول يملكونها يَتصرفون فيها كيف شاؤوا، بخلاف الأربعة الأخيرة؛ فيقيد بما إذا صُرفت في مصارفها؛ فإذا لم يحصل.. نُزعت منهم.

قوله: (أي: المكاتبين) أي: لِيَستعينوا بها على فكِّ رقابهم، وهذا التفسير على مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك وأحمد أن معناه: يُشترى بها رقيقٌ كامل الرق ويُعتق، ووَلاؤه للمسلمين، وعند أبي حنيفة: يشتري بها بعض رقبة، ويُعان بها مكاتب؛ لأن قوله: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ يقتضي التبعيض[4].

---

(١) انظر «نهاية المحتاج» (٦/ ١٥٦).

(٢) كذا في الأصول، وهي لغة معروفة، تقدمت كثيراً.

(٣) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٠).

(٤) انظر «الأم» (٢/ ٩٢)، و«بُلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٠)، و«العدة في شرح العمدة» (ص١٥٥)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/ ٣٤١).

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾ ....

إن استَدانُوا لِغَيرِ مَعصِيَةٍ، أو تابُوا وليسَ لَهُم وفاءٌ، أو لِإصلاحِ ذات البَينِ ولو أغنِياءَ، ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: القائِمينَ بِالجِهادِ مِمَّن لا فَيءَ لَهم ولو أغنِياءَ، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقَطِعِ في سَفَرِه، ﴿فَرِيضَةً﴾ ـ نصب بِفِعلِه المُقدَّر ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه، فلا يَجُوزُ صَرفُها لِغَيرِ هؤلاءِ، ولا مَنعُ صِنف مِنهُم إذا وُجِدَ

حاشية الصاوي

قوله: (لغير معصية) أي: بأن استدانوا لمباح ولو صرَفوه في معصية، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: إذا صرَفوه في معصية.. لا يُعطون منها إلا إذا تابوا[١].

قوله: (وتابوا) أي: ظهرت توبتهم، لا بمجرد قولهم: تُبنا مثلاً.

قوله: (أو لإصلاح ذات البين) أي: كأن خِيفت فتنةٌ بين قبيلتَين تنازعتا في قتيل لم يَظهر قاتله، فتحملوا الدية؛ تسكيناً للفتنة.

قوله: (أي: القائمين بالجهاد... إلخ) أي: ويشتري منه آلته من سلاح ودرع وفرس، ومذهب مالك: أن طلبة العلم المنهمِكين فيه.. لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياءَ إذا انقطع حقُّهم من بيت المال؛ لأنهم مجاهِدون[٢].

قوله: (﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾) الإضافة لأدنى ملابسة؛ أي: الملازم للطريق.

قوله: (المنقطع في سفره) أي: إن كان سَفره في غير معصية، وإلَّا.. فلا يُعطى ولو خيف عليه الموت ما لم يَتُب، ويعطى بشرط ألَّا يجد مُسلفاً، وهو: مليءٌ ببلده.

قوله: (فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر، وهو محلُّ وفاق.

قوله: (ولا منع صنف منهم) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم تَعميم الأصناف؛ فاللام في ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾... إلخ: لِبَيان المصرف، لا للاستحقاق[٣].

---

(١) انظر «الأم» (٢/ ٧٨)، و«بُلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٢).

(٢) انظر «شرح مختصر خليل» (٢/ ٢١٦).

(٣) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ١٦٩)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٥).

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ....

فيَقسِمها الإمامُ علَيهِم على السَّواء، ولَه تَفضِيلُ بَعض آحادِ الصِّنف على بَعضٍ. وأفادَت اللَّامُ وُجُوبَ استِغراق أفراده، لَكِنْ لا يَجب على صاحِب المال إذا قَسَمَ لِعُسرِه، بل يَكفي إعطاءُ ثَلاثةٍ مِن كُلِّ صِنفٍ، ولا يَكفي دُونَها كَما أفادَتهُ صِيغة الجَمع، وبَيَّنَت السُّنَّة أنَّ شَرطَ المُعطَى مِنها الإسلامُ، وأن لا يَكُونَ هاشِمِيًّا ولا مُطَّلِبِيًّا.

(٦١) ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي: المُنافِقِين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بِعَيبِه وبِنَقلِ حَدِيثِه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نُهُوا عن ذلك لِئَلَّا يَبْلُغَه: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يَسمَع كُلَّ قِيل ويَقبَله، فإذا حَلَفنا لَهُ أنَّا لَم نَقُلْ

حاشية الصاوي

قوله: (فيقسمها الإمام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يَلزم ذلك، بل يُندب إيثار المضطر[1].

قوله: (لعسره) علةٌ لعدم وجوب الاستغراق.

قوله: (الإسلام) هذا في غير المؤلفة قلوبهم.

قوله: (وألَّا يكون هاشميًّا ولا مطَّلبيًّا) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الذي تَحرم عليه الزكاة بَنو هاشم فقط، وهذا إن كان حقُّهم من بيت المال جارياً، وإلَّا.. فهم أولى من غيرهم، فإعطاؤهم أسهل من تعاطِيهم خدمة الذمِّي والفاجر[2].

قوله: (﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾) سبب نزولها: أن جماعة من المنافقين تكلَّموا في حقِّه ﷺ بما لا يَليق، فقال بعضهم لبعض: كفُّوا عن هذا الكلام؛ لِئلا يَبلغه ذلك، فيقع لنا منه الضرر، فقال الجُلاس ـ بضم الجيم وفتح اللام المخففة ـ بن سويد: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنُنكِر ما قُلنا ونحلف، فيُصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أُذن[3].

قوله: (أي: يسمع كلَّ قيلٍ) أي: من غير أن يتأمَّل فيه ويميِّز باطِنه من ظاهره، فقصدوا بذلك وصفه ﷺ بالغَفلة؛ لأنه كان لا يقابلهم بسوء أبداً، ويتحمَّل أذاهم، ويَصفَح عنهم، فحملوه على عدم التنبُّه والغفلة، وهو إنما كان يفعل ذلك رِفقاً بهم، وتغافلاً عن عيوبهم. وفي تسميته أذناً مجازٌ مرسلٌ

---

(١) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ١٧١)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٤).

(٢) انظر «منهاج الطالبين» (ص٢٠١)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٦٦٤).

(٣) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٢٢٧).

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ....

صدَّقنا، ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مُستمِعُ ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مُستمِعُ شرٍّ، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾: يُصدِّقُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبَرُوهُ بِه لا لِغَيرِهِم، واللَّام زائِدةٌ لِلفَرقِ بَين إيمان التَّسليم وغَيرِه، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ـ بِالرَّفعِ عَطفاً على ﴿أُذُنُ﴾، والجَرِّ عَطفاً على ﴿خَيْرٍ﴾ ـ ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيُّها المُؤمِنُون فيما بَلَغَكُم عَنهُم مِن أذَى الرَّسول أنَّهُم ...

حاشية الصاوي

من إطلاق الجزء على الكلِّ؛ لِلمبالغة في استماعه حتى صار كأنه هو آلة السماع؛ كما يُسمى الجاسوس عيناً.

قوله: (﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾) أي: يَسمع الخير، ولا يسمع الشرَّ.

قوله: (﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ... إلخ) هذا إيضاحٌ لكونه أذنَ خيرٍ.

قوله: (واللام زائدة) جوابٌ عمَّا يقال: لم زِيدت اللام مع أن الإيمان يتعدى بالباء، فأجاب: بأنها زيدت لِلفرق بين إيمان التسليم وهو قوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يسلِّم لهم قولهم ويُصدِّقهم فيما يقولونه، وبين إيمان التصديقِ المقابل للكفر، وهو قَوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي: يُصدِّق بالله ويوحِّده.

قوله: (﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) أي: الذين أظهروا الإيمان منكم، وهذه الرحمة بمعنى: الرفق بهم، وعدمُ كَشف أسرارهم، لا بمعنى: التصديق لهم؛ فإنَّ رحمته في الدنيا عامَّة للبرِّ والفاجر، وفي الآخرة مُختصَّةٌ بالبَرِّ دون الفاجر؛ إذ هي تابعةٌ لِرحمة الله تعالى وإحسانه.

قوله: (﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾) أي: يَحلف المنافقون للمؤمنين إنه ما وقع منهم الإيذاء لِلنبي، وقصدهم بذلك إرضاء المؤمنين؛ لِيَذبُّوا عنهم إذا أراد رسول الله أن يَفتك بهم.

وسبب نزولها: أنه اجتمع ناسٌ من المنافقين منهم الجُلاس بن سويد ووديعة بن ثابت، فوقعوا في رسول الله، ثم قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًّا.. فنحن شرٌّ من الحمير، وكان عندهم غُلام يقال له: عامر بن قيس، ثم أتى النبي ﷺ وأخبره، فدَعاهم وسألهم، فأنكروا وحَلفوا أن عامراً

﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ ....﴾

ما أتوهُ؛ ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بِالطَّاعةِ، ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا، ـ وتَوحِيد الضَّمِير لِتَلازُم الرِّضاءَينِ، أو خَبَر (الله) أو (رسولُه) محذوف ـ.

﴿٦٣﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بِـ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿مَن يُحَادِدِ﴾: يُشاقِق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ﴾

حاشية الصاوي

كذاب، وحَلف عامر أنهم كَذَبةٌ، فصدَّقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يَدعو ويقول: اللهم صدِّق الصادق وكذِّب الكاذب[1].

قوله: (ما أتوه) أي: ما فعَلوه، وفي نسخة: (آذَوه).

قوله: (﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾) علة لقوله: ﴿يَحْلِفُونَ﴾.

قوله: (﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾) الجملة حاليَّة من ضمير ﴿يَحْلِفُونَ﴾، والمعنى: يحلفون لكم لإرضائكم والحالُ أن الله ورسوله أحقُّ بالإرضاء.

قوله: (﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فليُرضوا الله ورسوله.

قوله: (وتوحيد الضمير... إلخ) أشار المفسِّر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية؛ حاصِله: أن لفظ الجلالة مبتدأٌ، و(رسوله): مبتدأٌ ثانٍ معطوفٌ عليه، وجملة ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ خبرٌ، والضمير مُفرد، وما قبله مثنى، فلِم أفرد الضمير؟

فأجاب المفسِّر: بأنه أفرده لأن الرضاءَين واحد؛ لأن رضا رسول الله تابع لِرضا الله، ولازم له، فالكلام جملة واحدة، أو الجملة خبر عن (رسوله)، وحذف خبر لفظ الجلالة؛ لِدلالة ما بعده عليه، أو خبر عن لفظ الجلالة، وخبر (رسولُه) محذوفٌ؛ لدلالة ما قبله عليه؛ ففيه إما الحذف من الثاني لِدلالة الأول عليه، أو بالعكس.

قوله: (﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾) الاستِفهام للتوبيخ.

قوله: (﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾) ﴿مَن﴾: شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ... إلخ﴾ خبرٌ لمحذوف؛

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

﴿لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٣ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ۝٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ﴾

﴿لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

(٦٤) ﴿يَحۡذَرُ﴾: يَخافُ ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: المُؤمِنِين ﴿سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ مِن النِّفاق وهُم مع ذَلك يَستَهزِئُون، ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾ أمرُ تَهدِيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ﴾: مُظهِر ﴿مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ إخراجَه مِن نِفاقِكم.

(٦٥) ﴿وَلَئِن﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿سَأَلۡتَهُمۡ﴾ عن استِهزائِهم بِك والقُرآنِ ....

حاشية الصاوي

أي: فحقٌّ أن له. . . إلخ، والجملة جواب الشرط، وجملة فعل الشرط وجوابه خبرُ (من)، ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر (أنَّ) الأولى، وجملة (أن) الأولى من اسمها وخبرها سدَّت مسدَّ مفعولي (يَعلم).

قوله: (جزاءً) تمييز.

قوله: (﴿خَٰلِدٗا فِيهَاۚ﴾) حال مقدَّرة.

قوله: (﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ﴾) أي: المؤمنين، وقوله: (﴿تُنَبِّئُهُم﴾) أي: تخبر المؤمنين، وقوله: (﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾) أي: المنافقين؛ من الحِقد والحسد للمؤمنين.

قوله: (﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾. . . إلخ) نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين وَقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غَزوة تبوك؛ ليفتكُوا به إذا علاها، وتنكَّروا عليه في ليلة مُظلمة، فأخبر جبريل رسول الله بما قد أَضمروا، وأمره أن يرسل إليهم من يَضرب وجوه رَواحلهم، وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ، وسُراقة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرِب وجوه رواحلهم، فضربها حذيفة حتى نحَّاهم عن الطريق، فلما نزل. . قال لحذيفة: «**هل عرفتَ من القوم أحداً؟**»، فقال: لم أعرِف منهم أحداً يا رسول الله، فقال رسول الله: «**إنهم فلان وفلان**» حتى عدَّهم كلَّهم، فقال حذيفة: هلَّا بعثتَ إليهم من يقتلهم؟ فقال: «**أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه. . أقبل يَقتلهم، بل يكفينا الله بالدُّبَيْلَةِ**»، وهي: خراج من نار يَظهر في أكتافهم حتى يَنجمَ من صدورهم[1].

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٣٧٩).

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ....

وهُم سائِرُون معَك إلى تَبُوك، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُعتَذِرين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحَدِيث: «لِنَقطَعَ بِه الطَّرِيقَ ولَم نَقصِدْ ذلك»، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عنهُ ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: ظَهَرَ كُفركُم بَعد إظهارِ الإيمان، ﴿إِن يُعْفَ﴾ - بِالياءِ مَبنِيًّا لِلمَفعُولِ، والنُّونِ مَبنِيًّا لِلفاعلِ - ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصِها وتَوبَتِها كمَخشِيِّ بن حُمَيِّر ﴿تُعَذَّبْ﴾ - بِالتَّاءِ والنُّون - ﴿طَآئِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مُصِرِّين على النِّفاق والاستِهزاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهم سائرون معك) أي: فكانوا يقولون: هيهات هيهات، يُريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقُصورها، فأطلع الله نبيَّه على ما قالوه، فقال لهم: «هلَّا قلتم كذا وكذا؟»، فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا مِن أمر أصحابك، ولكنَّا كنَّا في شيء مما يَخوض فيه الركب؛ ليقصرَ بنا السَّفر[1].

قوله: (﴿أَبِاللَّهِ﴾) أي: بفرائضه وحُقوقه، قوله: (﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾) أي: كلماتِهِ القرآنيَّةِ، قوله: (﴿وَرَسُولِهِۦ﴾) أي: محمد ﷺ.

قوله: (عنه) أي: الاستهزاء.

قوله: (مبنيًّا المفعول... إلخ) أي: ونائب الفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٍ﴾، وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (كمَخْشِيِّ بن حُمَيِّر) وفي بعض النسخ: (كجحش بن حمير)، وأسلم وحسُن إسلامه، كان يضحك ولا يَخوض، وكان ينكر بعض ما يَسمع، فلما نزلت هذه الآية.. تاب من نِفاقه وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ تَقشعرُّ منها الجلود، وتخفق منها القلوب، اللهم؛ اجعل وفاتي قَتلاً

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٧٩).

(٢) قرأ عاصم: «نَعْفُ» بنون العظمة، وهي قراءاتُ أَبي عبد الرحمن السلمي وزيد بن علي، وقرأ الباقون: «يُعفَ» بالياء من تحتُ مبنيًّا للمفعول. انظر «الدر المصون» (٦/ ٨١).

﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾

(٦٧) ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ أي: مُتَشابِهُونَ في الدِّين كأبعاضِ الشَّيءِ الواحِد، ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾: الكُفرِ والمَعاصِي، ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: الإيمانِ والطَّاعة، ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾ عن الإنفاقِ في الطَّاعةِ، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تَرَكُوا طاعَتَه ﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾: تَرَكَهُم مِن لُطفِه، ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

(٦٨) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنتُ، فأصيب يوم اليمامة، فلم يَعرف أحدٌ من المسلمين مَصرعه[١].

قوله: (﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾) أي: وكانوا ثلاث مئة.

قوله: (﴿وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾) أي: وكنَّ مئة وسبعين.

قوله: (أي: مُتشابهون في الدين) أي: الذي هو النِّفاق، فهم على أمرٍ واحدٍ، مجتمعون عليه.

قوله: (﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾) كناية عن عدم الإنفاق؛ لأنَّ شأن المعطي بَسطُ اليد، وشأن الممسك قبضُها.

قوله: (تركوا الله) جوابٌ عمَّا يقال: إن النسيان لا يؤاخذ به الإنسان، فأجاب: بأن المراد به: الترك.

قوله: (تركهم) جوابٌ عمَّا يقال: إن النسيان مُستحيلٌ على الله تعالى، فأجاب: بأن المراد به: الترك.

قوله: (﴿هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾) أي: الكامِلون في التمرد والفسق، والإظهارُ في موضع الإضمار؛ لزيادة التقريع.

قوله: (﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾) يُستعمل (وعد) في الخير والشَّر، وإنما يفترقان في المصدر؛ فمصدر الأول: (وَعْد)، والثاني: (وَعيد).

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٣٨٠)، و«الإصابة» (٦/ ٤٤).

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ....

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ جَزاء وعِقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾: أبعدَهم عن رَحمتِه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائِم.

﴿٦٩﴾ أنتُم أيُّها المُنافِقُونَ ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟﴾: تَمتَّعُوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: نَصيبِهم مِن الدُّنيا، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ أيُّها المُنافِقُون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطِل والطَّعنِ في النَّبيِّ ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ﴾ أي: خَوضِهِم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾) أي: المتجاهرين بالكفر، فهو عطف مُغاير.

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾) حال مقدَّرة.

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾) أي: غير النار كالزَّمهرير، أو المراد: عذاب في الدنيا.

قوله: (﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾) الجارُّ والمجرور خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (أنتم)، وهذا خطاب للمنافقين؛ ففيه التِفات من الغيبة للخطاب، والمثليَّة في الأوصاف المتقدمة، وهي الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وقَبض اليد، ونِسيان حقوق الله، والآتية بقوله: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟... إلخ﴾.

قوله: (﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾) أي: بِحُظوظهم الفانية، والتشاغل بها عمَّا يرضي الله تعالى.

قوله: (أي: كخوضهم) مشى المفسِّر على أن (الذي) حرفٌ مصدريٌّ، وهي طريقة ضَعيفة لبعض النحاة، وعليه: فيقدَّر في الكلام مفعول مُطلق؛ ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من (الذي)، والتقدير: وخضتم خوضاً كخَوضهم، والصحيح: أن (الذي): اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، والعائد محذوف تقديره، كالخوض الذي خاضُوه.

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ....

﴿٧٠﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هُود ﴿وَثَمُودَ﴾ قَوم صالِح، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قَوم شُعَيب، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: قُرَى قوم لُوطٍ أي: أهلِها، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ فكذَّبُوهُم فأُهلِكُوا، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بِأن يُعَذِّبَهُم بِغَيرِ ذَنب، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارتِكابِ الذَّنب.

﴿٧١﴾ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾) أي: المنافقين، والاستفهام للتقرير.

قوله: (﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾... إلخ) أي: وقد أُهلكوا بالطوفان، (﴿وَعَادٍ﴾) أي: أهلكوا بالريح العَقيم، (﴿وَثَمُودَ﴾) أُهلكوا بالرجفة، (﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾) أُهلكوا بسَلب النعمة عنهم، وبالبعوض، (﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾) أُهلكوا بالرجفة.

قوله: (﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾) أي: المنقلبات التي جعل الله عاليَها سافلَها.

قوله: (﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾) معطوفٌ على مقدَّر، قدَّره المفسِّر بقوله: (فكذبوهم فأهلكوا).

قوله: (بأن يعذِّبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفيِّ؛ أي: الواقع أن الله لم يُعذِّبهم بغير ذنب، بل لو فرض أنه عذَّبهم بغير ذنب.. لم يَكن ظلماً؛ لأن الظلم هو: التصرف في ملك الغير من غير إذنِه، ولا ملك لأحدٍ معه سبحانه وتعالى، لكن تفضَّل الله بأنه لا يعذِّب بغير ذنب، ولا يَجوز عليه شرعاً أن يعذِّب في الآخرة عبداً بغير ذنب وإن جاز عَقلاً.

قوله: (﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾... إلخ) لمَّا بيَّن حال المنافقين والمنافقات عاجلاً وآجلاً.. ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلاً وآجلاً.

قوله: (﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾) أي: في الدِّين، وعبَّر عنهم بذلك دون المنافقين؛ فعبَّر في شأنهم بـ(مِنْ)؛ إشارةً إلى أن نسبة المؤمنين في الدِّين كنسبة القرابة، وأما المنافقُون.. فنِسبتهم طبيعية نفسانية، فهم جنس واحد.

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ....

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجِزُهُ شيءٌ عن إنجازِ وَعدِه ووَعِيدِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَضَعُ شيئاً إلَّا في مَحلِّه.

﴿٧٢﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾) أي: يُحبُّون لأنفسهم ولإخوانهم، والمعروفُ: كلُّ ما عرف في الشرع، وهو: كلُّ خير.

قوله: (﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾) أي: يَنفرون منه، ولا يَرضون به، والمراد بالمنكر: كلُّ ما خالف الشرع.

قوله: (﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾) أي: باللسان والجنان وسائر الأعضاء.

قوله: (﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾) أي: في الدنيا بالإيمان والمعرفة، وفي الآخِرة بالخلود في الجنة ونعيمها، ورضا الله عليهم، وهذه الأوصافُ مقابلةٌ لأوصاف المنافقين المتقدِّمة.

قوله: (عن إنجاز وعده) أي: للمؤمنين والمؤمنات.

قوله: (ووعيده) أي: لِلمنافقين والمنافقات، فهو لفٌّ ونشر مُشوَّش.

قوله: (﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾) هذا تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله: (﴿جَنَّٰتٍ﴾) أي: بساتين لكل مؤمن ومؤمنة، ليس فيها شركة لأحد.

قوله: (﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾) أي: بأرضها.

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾) حال من ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

قوله: (﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾) أي: تَستطيبها النفوس وتَألفها، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سَمعت، ولا خَطر على قلب بشرٍ.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ ....

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾: إقامةٍ، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾: أعظَمُ مِن ذلك كُلِّه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

۝٧٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بِاللِّسانِ والحُجَّة، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾) أي: في بساتين إقامة، لا تَحول ولا تزول، روي: أنه سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ قال: «قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كلِّ لون، على كل فراش زوجة من الحور العين»[1]، وفي رواية: «في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من طعام»[2].

قوله: (﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾) التنوين للتقليل؛ أي: أقلُّ رضوان يَأتيهم من الله أكبرُ من ذلك كلِّه فضلاً عن أكثره، ورَد: أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «هل رَضيتم؟»، فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعط أحداً من خلقك؟، فيقولُ: «أنا أعطيكم أفضلَ من ذاك»، قالوا: وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ قال: «أُحلُّ عليكم رضواني؛ فلا أسخَط عليكم بعده أبداً»[3].

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: الرضوان.

قوله: (﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾) أي: الظفر بالمقصود الذي لا يُضاهى.

قوله: (بالسيف) المراد به: جميع آلات الحرب.

قوله: (باللسان والحُجة) أي: لا بِالسيف؛ لِنطقهم بالشهادتين، فالمراد بجهادهم: بذل الجهد في نصيحتهم وتخويفهم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجَم الأوسط» (٤٨٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٠) عن سيدنا عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ....

بِالانتِهارِ والمَقْتِ، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي.

﴿٧٤﴾ ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المُنافِقُون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ ما بَلَغَك عَنهُم مِن السَّبِّ، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾: أظهَرُوا الكُفرَ بعدَ إظهار الإسلام، ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ مِن الفَتك بِالنَّبيِّ لَيلةَ العَقَبة عِند عَودِه مِن تَبُوك، وهُم بَضعةَ عَشَرَ رَجُلاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالانتهار والمَقت) المراد به: القتلُ بالنسبة للكفار، والإهانةُ والزجرُ بالنسبة لِلمنافقين.

قوله: (﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾) جملة مستأنفة، بيانٌ لعاقبة أمرهم.

قوله: (﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾) هذا بيانٌ لقُبحهم وخباثة باطنهم.

قوله: (﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾) قيل: هي كلمة الجُلاس بن سويد؛ حيث قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول.. فنحن شرٌّ من الحمير، وقيل: هي كلمة ابن أبيٍّ ابن سلول؛ حيث قال: لئن رَجعنا إلى المدينة لَيُخرجن الأعزُّ منها الأذل[1].

قوله: (أظهروا الكفر... إلخ) دفع بذِكرها ما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مُسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يُسلموا أصلاً، فأجاب: بأن المراد: أظهروا الكفر بعد أن أظهَرُوا الإسلام.

قوله: (من الفتك) مثلث الفاء: الأخذ على حين غَفلة.

قوله: (ليلة العقبة) أي: التي بين تَبوك والمدينة.

قوله: (وهم بضعة عشر رجلاً) قيل: اثني عشر، وقيل: أكثر من ذلك، لكن لم يبلغُوا العشرين، وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة؛ ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبَّروه، فلما وصل إلى العقبة.. نادى منادي رسول الله بأمره: إنَّ رسول الله يريد أن يسلك العقبة؛ فلا يسلكها أحدٌ غيره، واسلُكوا يا معشر الجيش بطن الوادي؛ فإنه أسهل لكم وأوسع، فسَلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثَّموا وسلكوا

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

فضَرَبَ عَمَّار بن ياسِر وُجُوهَ الرَّواحِل لَمَّا غَشُوهُ فرُدُّوا، ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾: أنكَرُوا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ بِالغَنائِمِ بعدَ شِدَّة حاجَتِهم، المَعنَى: لَم يَنلهُم مِنهُ إلَّا هذا وليسَ مِمَّا يُنقَم، ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ عن النِّفاق ويُؤمِنُوا بِك، ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمانِ ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالقَتلِ، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ بِالنَّارِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ يَحفَظُهُم مِنهُ، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنَعُهُم.

حاشية الصاوي

العقبة، فلما ازدحموا على رسول الله. نفَرت ناقته حتى سقط بعض متاعه، فصرخ بهم، فولَّوا مُدبرين، وأمر عمار بن ياسر ـ وقيل: حذيفة ـ بِضرب وجوه رَواحلهم، فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي، واختَلطوا بالناس، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟»، قال: لا، كانوا متلثمين والليلة مظلمة، قال: «هم فلان وفلان» حتى عدَّهم، قال: «هل عرفت مرادهم؟»، قال: لا، قال: «إنهم مكروا وأرادوا الفتك بي، وإن الله أخبرني بمكرهم»، فلمَّا أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكرُوا، فحَلفوا بالله ما قالوا، ولا أرادوا، فنزلت الآية[١].

ويؤخذ من ذلك: أنهم سافروا مع رسول الله إلى تَبوك، وتقدَّم أنهم تخلَّفوا، ويمكن الجمع: بأن البعض سافر، والبعض تخلَّف.

قوله: (فضرب عمار بن ياسر) وقيل: حذيفة.

قوله: (﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أي: أنكروا) أي: ما كرهوا وما عابوا، وفي الآية تأكيدُ المدح بما يشبه الذمَّ؛ كأنه قيل: ليس له صفة تكره وتُعاب إلا إغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء، وهذه ليست صفةَ ذمٍّ؛ فحينئذ: ليس له صفة ذمٍّ أصلاً.

قوله: (وليس مما ينقم) أي: يُعاب ويكره.

قوله: (﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾[٢]) أي: داموا عليه.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٧٩).

(٢) في الأصول: (تولوا) بدل (يتولوا).

وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ......

﴿٧٥﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ - فيه إدغامُ التَّاء في الأصلِ في الصَّاد -، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهو ثَعلَبةُ بن حاطِب، سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ أن يَدعُوَ له أن يَرزُقَهُ الله مالاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِنْهُم﴾) أي: المنافقين، وظاهر الآية: أنه حين المعاهدة كان منافقاً، وليس كذلك، بل كان مسلماً صحيحاً، وكان يَلزم المسجد والجماعة حتى لقِّب بحمامة المسجد، فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره؛ ففيه مجاز الأوَّلِ.

قوله: (﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا﴾) تفسيرٌ لقوله: ﴿عَٰهَدَ﴾، واللام مُوطئة لقسم محذوف، و(إن) شرطية، و﴿ءَاتَىٰنَا﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ جواب القَسم، وحذف جواب الشرط لِدلالته عليه ولتأخره؛ على حدِّ قول ابن مالك[1] [الرجز]:

واحْـذِفْ لـدى اجتـمـاعِ شـرطٍ وقَـسَـمْ جَـوابَ مـا أَخَّـرْتَ فـهـو مُـلـتَـزَمْ

قوله: (فيه إدغام التاء... إلخ) أي: والأصل: لَنتصدقن، قلبت التاء صاداً، ثم أدغمت في الصاد.

قوله: (﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: في صرف المال؛ بأن نَصل به الأرحام، ونُنفقه في وجوه البرِّ والخير.

قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب) كان أولاً صحابيًّا جليلاً، ملازماً للجمعة والجماعة والمسجد، ثم رآه النبي يُسرع بالخروج إثر الصلاة، فقال له رسول الله: «**لمَ تفعل فعل المنافقين؟**»، فقال: إني افتقرت، ولي ولامرأتي ثوب؛ أجيء به للصلاة، ثم أذهب فأنزعه؛ لِتلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسِّع في رزقي.

وحاصلُ قصته: أنه جاء إلى رسول اله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله: «**ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدِّي شكره خيرٌ من كثير لا تُطيقه**»، ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك، فقال له رسول الله: «**أما لك فيَّ أسوة حسنةٌ؟ والذي نفسي بيده؛ لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة.. لسارَت**»، ثم أتاه بعد ذلك فقال له: والذي بعثك بالحق؛ لئن رزقني الله مالاً..

(١) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

ويُؤَدِّي منه كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فدَعا لَهُ فوُسّعَ علَيه، فانقَطَعَ عن الجُمُعة والجَماعةِ ومَنَعَ الزَّكاة كما قال تعالى:

حاشية الصاوي

لأعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فقال رسول الله: «**اللهم ارزق ثعلبة مالاً**»، فاتخذ غنماً فنَمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، فنزل وادياً من أَوديتها وهي تنمو كما ينمُو الدود، وكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمَت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمَت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم الجمعة.. يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكَره رسول الله ذات يوم، فقال: «**ما فعل ثعلبة؟**»، فقالوا له: يا رسول الله، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسَعها واد، فقال رسول الله: «**يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة**»، فلما نزلت آية الصدقة.. بعَث رسول الله رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جُهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة، وكيف يأخذانها، وقال لهما: «**مرَّا على ثعلبة بن حاطب، وعلى رجل من بني سليم، فخُذا صدقاتهما**»، فخرجا حتى أتيَا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وقرأا عليه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه إلا جِزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تَفرغا ثم عودا إليَّ، فانطلقا، وسمع بهما السليمي، فنظر إلى خِيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلمَّا رأياه.. قالا: ما هذا عليك، قال: خُذاه؛ فإن نفسي بذلك طيبة، فمرَّا على الناس، وأخذا الصدقات، ثم رَجعا إلى ثعلبة، فقال: أرُوني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أُخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي، فانطلَقا، فلما رآهما رسول الله.. قال قبل أن يتكلما: «**يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة**»، ثم دعا للسليمي بخير، فأخبراه بالذي صَنع ثعلبة، فنزلت الآية[1].

قوله: (ويؤدي منه... إلخ) الجملة حالية من فاعل (سأل).

قوله: (فدعا له) أي: في المرة الثالثة.

قوله: (فوسّع عليه) أي: بأن رزق غنماً، فصارت تنمُو كالدود.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٨) عن سَيدنا أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٨/ ٢٢٦).

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ....

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ﴾ عن طاعةِ اللهِ ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصَيَّرَ عاقِبَتَهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي: اللهَ، وهو يومُ القِيامة، ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ فيه، فجاءَ بَعد ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ بِزَكاتِه فقال: «**إنَّ الله مَنَعَنِي أن أقبَلَ مِنك**»، فجَعَلَ يَحثُو التُّرابَ على رَأسِه، ثُم جاء بها إلى أبي بَكر فلَم يَقبَلها، ثُمَّ إلى عُمَرَ فلَم يَقبَلها، ثُمَّ إلى عُثمانَ فلَم يَقبَلها، وماتَ في زَمانِه.

﴿٧٨﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ أي: المُنافِقُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾) أي: حيث منع الزكاة لما جاءه السُّعاة لأخذها، وقال: (ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية).

قوله: (﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾) أي: فأورثهم البخل نفاقاً متمكِّناً في قلوبهم.

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾) غاية لتمكن النفاق في قلوبهم، وحِكمة الجمع في هذه الضمائر مع أن سبب نزولها في شخص واحد: الإشارةُ إلى أنَّ حكم هذه الآية باقٍ لكلِّ مَنِ اتصف بهذا الوصف مِنْ أول الزمان لآخره، وليس مخصوصاً بثعلبة.

قوله: (﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ﴾) الباء: سببية، و(ما) مصدرية، والمعنى: ذلك بسبب إخلافهم اللهَ الوعدَ، ورد: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1].

قوله: (فجاء بعد ذلك) أي: غير تائب في الباطن، وإنما ذلك خوفاً من أن يحكم بردَّته؛ فيقتل ويؤخذ ماله كلُّه، ففعله ذلك لأجل حِفظ دمه وماله، لا توبة من ذنبه، وإلَّا.. لقبله الله.

قوله: (يحثو التراب) أي: يُهيله على رأسه.

قوله: (ثم جاء إلى أبي بكر) أي: في خلافته، وكذا في خلافة عمر وعثمان.

قوله: (أي: المنافقون) أي: لا بقَيد كونهم الذين عاهدوا الله؛ لأنَّ آيتهم قد انقضت بقوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾: ما أَسَرُّوهُ في أنفُسِهِم ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾: ما تَناجَوا بِه بَينَهم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: ما غابَ عن العِيان؟

﴿٧٩﴾ ولَمَّا نَزَلَت آيةُ الصَّدَقة جاء رَجُل فتَصَدَّقَ بِشَيءٍ كَثِير، فقال المُنافِقُون: مُراءٍ، وجاء رَجُل فتَصَدَّق بِصاعٍ فقالُوا: إنَّ الله غَنِيٌّ عن صَدَقةِ هذا، فنَزَل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ مُبتَدأ ـ ﴿يَلۡمِزُونَ﴾: يَعِيبُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (ما أسرُّوه) أي: أخفَوْهُ.

قوله: (ما غاب عن العيان) أي: بالنسبة للعباد، لا بالنسبة لله؛ فإنَّ الكل عنده عِيان، وليس شيء غائباً عن علمه سبحانه وتعالى.

قوله: (جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف، جاء بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لي ثمانية آلاف، فأَقرضت ربي أربعة؛ فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله، وأمسكت لعيالي أربعة، فقال له النبي: «بارك الله لك فيما أعطيتَ وفيما أمسكت»، فبُورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار، وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البَدريين إذ ذاك ـ وكان الباقي مئة ـ لكلٍّ منهم بأربع مئة دينار، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بِيعت بأربع مئة ألف.[1]

قوله: (وجاء رجل فتصدق بصاع) أي: وهو أبو عقيل الأنصاري، جاء بصاع تمر وقال: بتُّ ليلتي أجرُّ بالجرير ـ أي: الحبل الذي يستقى به ـ الماء، وكان أجيراً يسقي الزروع بالماء من البئر، قال: وكانت أُجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي، وجئتُ بصاع، فأمره النبي أن يَنثره على الصدقات[2].

قوله: (فقالوا: إن الله لغني... إلخ) وإنما أتى به؛ تعريضاً بفقره؛ لِيعطى من الصدقات.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾) مبتدأ، خبره جملة ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾، و(الذين لا يجدون) عطف على ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾، وقوله: ﴿فَيَسۡخَرُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿يَلۡمِزُونَ﴾.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٥/ ٢٣٤)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٣٨٩)، وأصلُه في «البخاري» (٤٦٦٨)، و«مسلم» (١٠١٨) عن سيدنا أبي مسعود رضي الله عنه.

ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ....

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: المُتَنَفِّلِين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقَتَهم فيَأتُون بِه، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، والخَبَرُ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهُم على سُخرِيَّتِهِم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٨٠﴾ ﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾ يا مُحمَّد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تَخيِير لَهُ في الاستِغفار وتَركِه، قال ﷺ: «إِنِّي خُيِّرتُ فاختَرت» يَعنِي الاستِغفارَ، رَواهُ البُخارِيُّ، ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قِيل: المُرادُ بِالسَّبعِينَ المُبالَغةُ في كَثرة الاستِغفار، وفي «البُخارِي» حَديث: «لَو أعلَم أنِّي لو زِدتُ على السَّبعِينَ غُفِرَ، لَزِدتُ علَيها»، وقِيل: المُرادُ العدد المخصُوصُ لِحَديثه أيضاً: «وسأَزيد على السَّبعِين»، فبين لَه حَسم المَغفِرة بِآيَةِ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾) أصله: (المتطوعين)، أبدلت التاء طاء، ثم أُدغمت في الطاء.

قوله: (﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾) الجهد: الشيء اليسير الذي يعيش به المُقِلُّ.

قوله: (﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾... إلخ) خبرٌ جيء به في صورة الأمر، والمعنى: استغفارُك لهم وعدمه سواءٌ.

قوله: (قال ﷺ) دليلٌ على التخيير.

قوله: (قيل: المراد بالسبعين... إلخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له.

قوله: (غفر) جواب (لو) الثانية، وقوله: (لزدت) جواب (لو) الأُولى.

قوله: (وقيل: المراد... إلخ) بناء على أن العدد له مفهوم.

قوله: (لحديثه) أي: البخاري[1]، قوله: (حسم المغفرة) أي: قطعها.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٧٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ﴾ ....

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبُوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بِقُعُودِهِم ﴿خِلَافَ﴾ أي: بعدَ ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿لَا تَنفِرُوا﴾: تَخرُجُوا إلى الجِهاد ﴿فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِن تَبُوك، فالأَولَى

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: عدم المغفرة لهم.

قوله: (﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾) الباء سببيَّة، و(أنَّ) مصدرية، والتقدير: بسبب كفرهم.

قوله: (﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾) أي: لا يُوصلهم لما فيه رضاه.

قوله: (﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾) جمع مخلَّف، اسم مفعول، والفاعل: الكسل؛ أي: الذين خلَّفهم الكسل، وكانوا اثني عشر.

قوله: (أي: بعد) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿خِلَافَ﴾ ظرفُ زمان، أو مكان، ويصحُّ أن يكون مصدراً بمعنى: مخالَفة، والمعنى على الأول: فَرِحوا بقعودهم في خلاف رسول الله؛ أي: بعد سَفره، أو بمكانه الذي سافر منه، وعلى الثاني: فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتَّصفوا بالقعود، واتصف هو بالسفر.

قوله: (﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا﴾) (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول (كرهوا)، والمعنى: كرهوا الجهاد؛ لأن الإنسان بِطَبعه ينفر من إتلاف النفس والمال، سيَّما مَنْ ينكر الآخرة.

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) أي: قال بعضهم لبعض.

قوله: (﴿لَا تَنفِرُوا﴾) أي: إلى تَبوك؛ لأنها كانت في شدَّة الحرِّ والقحط.

قوله: (﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾) أي: لأن حرَّ الدنيا يزول ولا يبقى، وحرَّ جهنم دائمٌ لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسُون؛ فمن آثر الشهوات على ما يرضي مولاه.. كان مأواه جهنم، ومن آثر رضا ربِّه على شهوته.. كان مَأواه الجنة؛ ولذا ورد: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات»[1].

(١) رواه مسلم (٢٨٢٢) عن سيدنا أنسِ بن مالك رضي الله عنه.

لَوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ....

أن يَتَّقُوها بِتَركِ التَّخَلُّف، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾: يَعلَمُون ذلك ما تَخلَّفُوا.

﴿٨٢﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ في الدُّنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا۟﴾ في الآخِرةِ ﴿كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ خَبَر عن حالِهم بِصِيغةِ الأمر.

﴿٨٣﴾ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾: رَدَّكَ ﴿ٱللَّهُ﴾ مِن تَبُوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ مِمَّن تَخلَّفَ بِالمَدِينةِ مِن المُنافِقِين، ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معَك إلى غَزوةٍ أُخرَى ﴿فَقُل﴾ لَهُم: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾: المُتَخلِّفِينَ عن الغَزوِ

حاشية الصاوي

قوله: (ما تخلفوا) جواب (لو).

قوله: (﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾) أي: بالنسبة لِبكاء الآخرة وإن كان في نفسه كثيراً.

قوله: (﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾) أي: على ما فاتهم من النعيم الدائم، وَرَد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس؛ ابكُوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا.. فتباكَوا؛ فإنَّ أهل النار يبكون في النار حتى تَسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء، فتقرح العيون؛ فلو أن سُفناً أجريَت فيها.. لجرت»[١].

قوله: (﴿جَزَآءًۢ﴾) إما مفعول لأجله، أو مصدر منصوب بفعل مُقدر تقديره: يجزون جزاء.

قوله: (خبر عن حالهم) أي: العاجل والآجل، وإنما جيء به على صورة الأمر؛ إشارةً إلى أنه لا يتخلَّف؛ لأنَّ الأمر المطاع مما لا يكاد يتخلَّف عنه المأمور.

قوله: (﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾) خطاب للنبي ﷺ بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك، ويُؤخذ من ذلك: أن أهل الفسوق والعصيان لا يرافَقُون ولا يُشاوَرون.

قوله: (ممن تخلَّف) بيان للضمير في ﴿مِّنْهُمْ﴾، قوله: (من المنافقين) بيان للطائفة.

قوله: (﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾) أي: وهو الخروج لِغزوة تبوك.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مُسنده» (٧/ ١٦١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾

مِن النِّساء والصِّبْيانِ وغَيرِهم.

﴿٨٤﴾ ولَمَّا صَلَّى النَّبيُّ ﷺ على ابن أُبَيٍّ نَزل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لِدَفنٍ أو زِيارةٍ، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: كافِرُون.

﴿٨٥﴾ ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾: تَخرُجَ

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهم) أي: كالمرضى.

قوله: (على ابن أبيٍّ) اسمه: عبد الله، وأبيٌّ: اسم أبيه، وسَلول: اسم أمِّه، وكان رئيس الخزرج، وكان له ولد مسلم صالح، فدعا النبي ﷺ ليصليَ عليه، وسأله أن يكفِّنه في قميصه، ففعل، ويروى: أن النبي ﷺ كُلِّم فيما فعل بعبد الله بن أبيٍّ، فقال ﷺ: «وما يُغني عنه قميصي وصلاتي من الله؟ والله إني كنت أرجو أن يُسلِم به ألفٌ من قومه»، ويروى: أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرَّك بقميصِ النبي ﷺ[1].

قوله: (﴿مِّنْهُم﴾) صفة لـ﴿أَحَدٍ﴾، وكذا قوله: (﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾).

قوله: (﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾) أي: لا تتولَّ دفنه.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾) علَّة لما قبله، ولما نزلت هذه الآية.. ما صلَّى على منافق، ولا قام على قَبره بعدها[2].

قوله: (كافرون) أي: وإنما عبَّر عنهم بالفسق؛ إشارةً إلى أنَّ الكافر قد يكون عدلاً في دِينه، بخلاف الفاسق، فأفعاله خبيثة لا ترضي أحداً، وليس له دين يقرُّ عليه، فعبَّر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر؛ إشارةً إلى أنهم جمعوا بين الوصفَين: الكفر، وخسَّة الطبع.

قوله: (﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ﴾... إلخ) الحكمة في تكرارها: المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به، وعبَّر في الآية الأولى بالفاء، وهنا بالواو؛ لأنَّ ما سبق له تعلُّق بما قبله، فحسن العطف، بخلاف ما هنا فلا تعلُّق له بما قبله، وأتى بـ(لا) فيما تقدَّم، وأسقط من هنا؛

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٩)، و«تفسير الخازن» (٢/ ٣٩٣).

(٢) رواه البخاري (٥٧٩٦)، ومسلم (٢٧٧٤)، عن سيدنا عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما.

أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ....

﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفةٌ مِن القُرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بِأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾: ذَوُو الغِنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جَمع خالِفةٍ، أي: النِّساءِ اللَّاتِي تَخَلَّفنَ في البُيُوت، ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخيرَ.

حاشية الصاوي

اعتناءً بنفي الأولاد هناك، وبيَّن هنا أنهم سَواء، وأتى باللام في ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ هناك، وبـ(أن) هنا؛ إشارةً إلى أن اللام بمعنى (أن)، وليست للتعليل، وأتى فيما تقدم بـ(الحياة)، وهنا بإسقاطها؛ إشارةً إلى خسة حياة الدنيا حيث لا تَستحق أن تُذكر، وقال هناك: (كارهون)[1]، وهنا: (كافرون)؛ إشارةً إلى أنهم يَعلمون كفرهم قبل موتهم، ويشاهدون الأماكن التي أُعدت لهم في نظيره؛ فمن حيث تلك المشاهدة.. تزهق أرواحهم وهم كافرون كارِهون، بخلاف المؤمن؛ فإنه يشهد مَقعده في الجنة، ولا تخرج روحه إلا وهو كارهٌ للدنيا، محبٌّ للآخرة.

قوله: (﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (أي: طائفة من القرآن) أي: سواء كانت تلك الطائفة سورةً كاملةً أو بعضَها.

قوله: (ذوو الغنى) أي: السعة من المال، وقيل: الرؤساء، وخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم قادرون على السفر، وتركوه نفاقاً؛ إذ العاجز لا يحتاج لاستِئذان.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟﴾) عطف على ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾.

قوله: (أي: النساء) ويصح أن يراد بهم: الرجال الذين لا خير فيهم؛ من قولهم: (رجلٌ خَالِفَةٌ) أي: لا خير فيه.

(١) لا يفوتنَّك أن كلمة (كارهون) في الآية السابقة للآية المشار إليها.

لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ

﴿٨٨﴾ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ﴾ في الدُّنيا والآخِرة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائِزُون.

﴿٨٩﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ ـ بِإدغامِ التَّاء في الأصل في الذَّال ـ أي: المُعتَذِرُون بِمعنَى المَعذُورِين، وقُرِئَ بِه، ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النَّبيِّ ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القُعُود لِعُذرِهِم، فأذِنَ لَهُم، ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ في ادِّعاء الإيمان مِن مُنافِقِي الأعرابِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾) استدراك على ما قد يتوهَّم أنَّ كسل هؤلاء جرَّ غيرهم.

قوله: (الخيرات في الدنيا والآخرة) أي: بالنصر والغنيمة، والجنة والكرامة.

قوله: (﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾) أي: هيَّأ وأحضر، ويُؤخذ من ذلك: أنَّ الجنة موجودة الآن.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: الجنة المستفادة من قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾.

قوله: (﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾) أي: الطالبُون قبول العذر، وهذا شروعٌ في ذكر أحوال منافقي الأعراب بعد بَيان أحوال منافقي المدينة.

قوله: (بإدغام التاء في الأصل) وأصله: (المعتذرون) أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وقيل: إنه لا أصل له، بل هو جمع (معذِّر) بالتشديد، بمعنى: متكلِّف العذر كذباً وليس بمعذور.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾) أي: سُكان البَوادي الناطقون بالعربية، والعربيُّ: من نطق بالعربية مطلقاً، سكن البوادي أم لا، فهو أعمُّ من الأعراب.

قوله: (﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾) أي: فهم فريقان: فريق جاء واعتَذروا لرسول الله كذباً، وهم أسد وغطفان، اعتَذروا بالجهد وكثرة العيال؛ وفريق لم يأتِ أصلاً. و﴿كَذَبُواْ﴾ بالتخفيف باتفاق السبعة، وقرئ شُذوذاً بالتشديد[1].

(١) قرأ أبيٌّ والحسن في المشهور عنه، ونوح وإسماعيل: (كذَّبوا) بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (٥/ ٤٨٢).

سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ....

عن المَجِيء لِلاعتِذار، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشُّيُوخِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعُمْيِ والزَّمنَى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد ﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ في التَّخَلُّف عَنه، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حالِ قُعُودهم بِعَدَمِ الإرجاف والتَّثبِيط والطَّاعة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: استمرُّوا عليه، وأتى بـ(من)؛ إشارةً إلى أن بعضهم أسلَم، وهو كذلك.

قوله: (﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) أي: في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالخُلود في النار.

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾) هذا تخصيص لِقوله فيما تقدم: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، والضعفاء: جمع ضعيف، وهو: ضعيفُ البنية، النَّحيف.

قوله: (كالشيوخ) أي: والنساء والصبيان.

قوله: (والزمنى) من: الزمانة، وهي: العجز والابتلاء.

قوله: (﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾) أي: لِفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة وبني عذرة.

قوله: (﴿حَرَجٌ﴾) اسم ﴿لَّيْسَ﴾، حذف من الأولَين؛ لدلالة الثالث عليه.

قوله: (﴿إِذَا نَصَحُواْ﴾) شرط في قوله: ﴿حَرَجٌ﴾، والمعنى: ليس على هؤلاء حرجٌ وقت نصحهم لله ورسوله.

قوله: (بعدم الإرجاف) أي: إثارة الفتن.

قوله: (والتثبيط) أي: تكسيل من أراد الخروج.

قوله: (والطاعة) معطوف على (عدم الإرجاف)، والمعنى: أنَّ نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله؛ بأن يخلصوا الإيمان، ويَسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين، ويَقوموا بمصالح بيوتهم، وبعدم إثارة الفتن، وبعدم تكسيل غيرهم، بل لِينشطوا ويرغبوا في الجهاد، وينهَوا من أراد التخلف.

مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ....

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طَرِيق بِالمُؤاخَذةِ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لَهُم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم في التَّوسِعة في ذلك.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ مَعَك إلى الغَزوِ وهُم سَبعةٌ مِن الأنصار، وقِيل: بَنُو مُقَرِّن، ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾) إنما أظهر في مقام الإضمار؛ إشارةً إلى انتظامهم بنصحهم في سِلك المحسنين، و(مِن) زائدة للتأكيد، والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ مبتدأ مؤخَّر، ويصح أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور؛ لاعتماده على النفي.

قوله: (﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾) أي: ليس عليهم سبيل.

قوله: (﴿إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾) (ما) إذا وقعت بعد (إذا) تكون صلة.

قوله: (إلى الغزو) أي: وهي غزوة تبوك.

قوله: (وهم سبعة من الأنصار) أي: ويقال لهم: البكَّاؤون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهَّزه، وحمل يامِين بن عمرو النضري اثنين[1].

قوله: (وقيل: بنو مقرِّن) أي: وكانوا ثلاثة إخوة: معقل، وسويد، والنعمان، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري، وقد كان حلف ألَّا يحملهم، ثم أتى له ﷺ بإبل من السبي، فأرسل إليهم ليَحملوا عليها، فقالوا: لا نركب حتى نسأل رسول الله؛ فإنه قد حلف ألَّا يحملنا، فلعله نَسي اليمين، فجاءه فقال ما معناه: «لا أرى خيراً مما حلفت عليه إلَّا فعلته»[2]، ومثل هذه اليمين لا تكفَّر عند مالك؛ لوجود بِساط اليمين حين الحلف، فكأن يمينه مقيَّدة بعدم وجود ما يحملهم عليه، وتكفَّر عند الشافعي[3].

قوله: (﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾) أي: ليس عندي ما تُحملون عليه، وفي هذا التعبير مزيدُ لطفٍ بهم.

---

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) انظر «بُلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/ ٢٠٥)، و«منهاج الطالبين» (ص٣٢٧).

تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ....

- حال - ﴿تَوَلَّواْ﴾ - جواب ﴿إِذَا﴾ - أي: انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ - لِلبيانِ - ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لِأجلِ ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد.

﴿٩٣﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التَّخلُّف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، تقدَّم مِثلُه.

﴿٩٤﴾ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التَّخلُّف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ مِن الغَزو، ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الكاف في ﴿أَتَوْكَ﴾، ويصح أن تكون هي الجواب، وجملة ﴿تَوَلَّواْ﴾ مستأنفة واقعة في جواب سؤال مُقدر، تقديره: فماذا حصل لهم؟

قوله: (﴿وَّأَعْيُنُهُمْ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿تَوَلَّواْ﴾.

قوله: (لِلبيان) أي: لجنس الفائض.

قوله: (﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنه مفعول لأجله، والعامل فيه ﴿حَزَنًا﴾ الواقع مفعولاً له أو حالاً.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾) أي: طريق العقاب.

قوله: (﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾.

قوله: (﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾) إما مستأنف، أو حال و(قد) مقدَّرة.

قوله: (تقدَّم مثله) أي: فذكره هنا للتأكيد، وعبَّر هنا بالعلم، وهناك بالفِقه؛ إشارةً إلى أن معناهما واحد؛ إذ الفقه هو العِلم، والعلم هو الفقه.

قوله: (﴿يَعْتَذِرُونَ﴾) أي: المتخلِّفون بالباطل والأكاذيب، استئنافٌ لِبيان اعتذارهم عند العود إليهم، روي: أنهم كانوا بِضعة وثمانين رجلاً، فلمَّا رجع رسول الله ﷺ. جاؤوا يَعتذرون إليه وإلى أصحابه بالباطل[1].

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) عن سيدنا كعب بن مالك ﷺ.

قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ....

﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾: نُصَدِّقَكُم ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ أي: أخبَرَنا بِأحوالِكُم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بِالبَعثِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: اللهِ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم عليه.

﴿٩٥﴾ ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ﴾: رَجَعتُم ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ مِن تَبوك أنَّهم مَعذُورُونَ في التَّخلُّف؛ ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ بِتَركِ المُعاتَبةِ، ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾: قَذَرٌ لِخُبثِ باطِنِهم، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾) أي: جواباً لهم.

قوله: (﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾) تعليل للنهي، وقوله: (﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ﴾) عِلة للعلة.

قوله: (﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾) السيِّئ، ومفعول (يرى) الثاني محذوف، تقديره: مستمرًّا، والمعنى: سيَظهر تعلُّق علمه بأعمالكم لعباده.

قوله: (أي: الله) أشار بذلك إلى أنه إظهار في موضع الإضمار؛ زيادةً في التشديد عليهم.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾) أي: بِعملكم، أو بالذي كُنتم تعملونه.

قوله: (﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾) تأكيدٌ لعذرهم بالكذب.

قوله: (أنهم معذورون في التخلُّف) هذا هو المحلوف عليه.

قوله: (﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾) أي: غير راضِين بفعلهم.

قوله: (﴿إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾) علة لقوله: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾.

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ ....

﴿٩٦﴾ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: عَنهُم، ولا يَنفَعُ رِضاكُم مع سَخَطِ الله.

﴿٩٧﴾ ﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهلُ البَدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ مِن أهلِ المُدُن؛ لِجَفائِهِم وغِلَظ طِباعِهِم وبُعدِهِم عن سَماعِ القُرآنِ، ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أولَى ﴿أَ﴾ن أي: بِأن ﴿لَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ﴾ مِن الأحكامِ والشَّرائِع، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخلقِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه بِهِم.

﴿٩٨﴾ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سَبيلِ الله ﴿مَغْرَمًا﴾: غَرامةً وخُسراناً؛ لِأنَّهُ لا يَرجُو ثَوابَه، بَل يُنفِقُهُ خَوفاً، وهُم بَنُو أسَدٍ وغَطَفان، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: يَنتَظِر ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ...﴾ إلخ، أشار له المفسِّر بقوله: (ولا ينفع رضاكم... إلخ).

قوله: (أي: عنهم) أشار بذلك إلى أن المقام للإضمار، وإنما أظهر؛ زيادةً في التشنيع والتقبيح عليهم؛ بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة.

قوله: (﴿الْأَعْرَابُ﴾) أي: جِنسهم، وهو: اسم جمع لا جمع (عرب)؛ لئلا يلزم عليه كون الجمع أخصَّ من مفرده؛ فإن الأعراب: سُكان البوادي، والعرب: المتكلِّمون باللغة العربية، سكنوا البوادي أم لا.

قوله: (لجفائهم) عِلة لقوله: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

قوله: (من الأحكام والشرائع) بيان لِلحدود.

قوله: (لأنه لا يرجو ثوابه) أي: لعدم إيمانه بالآخرة، وهو تعليل للاتخاذ المذكور.

قوله: (﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾) عطف على ﴿يَتَّخِذُ﴾.

بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ ....

﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ دَوائِرَ الزَّمان أن تَنقَلِبَ علَيكُم فيَتخلَّص، ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ - بِالضَّمِّ والفَتح - أي: يَدُور العَذاب والهَلاك علَيهِم لا علَيكُم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِ عِبادِه، ﴿عَلِيمٞ﴾ بِأفعالِهِم.

﴿٩٩﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ كجُهَينةَ ومُزَينةَ، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سَبِيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تُقَرِّبُه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾) جمع دائرة، وهي: ما يحيط بالإنسان من المصائب.

قوله: (فيتخلصوا) أي: من الإنفاق.

قوله: (بالضم والفتح) أي فهما قراءتان سبعيَّتان[١]، وهذا دعاءٌ عليهم بنَظير ما أرادوه للمسلمين.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾... إلخ) اعلَم: أن الأعراب أقسام: منهم المنافقون وقد تقدَّم ذكرهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا...﴾ إلخ، ومنهم مؤمنون وقد ذُكروا هنا.

قوله: (كجهينة ومزينة) أي: وكغِفار وأسلم، قبائل عِظام.

قوله: (﴿وَيَتَّخِذُ﴾) مضارع ينصب مفعولين: الأول: الاسم الموصول، والثاني: ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ أي: على حذف مضاف؛ أي: سَببَ قربات، وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة لـ﴿قُرُبَٰتٍ﴾، وقوله: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ معطوف على ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ أي: وسَبب صلوات الرسول.

قوله: (﴿قُرُبَٰتٍ﴾) بضمِّ الراء باتفاق السبعة، جمع (قربة) بضم الراء وسكونها؛ فعلى الضم: الأمر ظاهر، وعلى السكون: فضمُّ راء الجمع للإتباع لضمِّ قافه، أو جمعاً لمضموم الراء، وقد قرئ بهما في السبع[٢]. ومعنى كونها قُربات: أنها تُقرب العبد لرضا الله عليه، وليس معناه: أنَّ الله في مكان، وتلك النفقة تقرِّب من ذلك المكان؛ فإنه مستحيلٌ، تعالى الله عنه.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضم، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٠٥).

(٢) قرأ ورش: (قربة) برفع الراء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (١/ ٦٤٤)، وقد شطب في (أ) على قوله: (وقد قرئ بهما في السبع)، والمثبت من (ز).

عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ....

﴿عِندَ ٱللَّهِ وَ﴾ وَسيلةً إلى ﴿صَلَوَٰتِ﴾: دَعَواتِ ﴿ٱلرَّسُولِۚ﴾ له، ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي: نفقَتَهُم ﴿قُرْبَةٌ﴾ ـ بِضَمِّ الرَّاء وسُكُونها ـ ﴿لَّهُمْۚ﴾ عِندَه، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ﴾: جَنَّتِه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِأهلِ طاعَتِه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾) أي: دَعَواته؛ لأنه الواسطة العظمى في كلِّ نعمة؛ فتجب ملاحظته في كلِّ عمل لله؛ لأن ٱلله تعبَّدنا بالتوسل به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمَن زعم أنه يصل لرضا الله بدون اتخاذه ﷺ واسطةً ووَسيلةً بينه وبين الله تعالى.. ضلَّ سعيُهُ، وخاب رأيُهُ، قال العارف ابن مشيش: (ولا شيء إلا وهو به مَنوط؛ إذ لولا الواسطة.. لذهب ـ كما قيل ـ الموسُوط)[1]، وقال بعضهم[2]: [السريع]

وأنــــتَ بـــــابُ اللهِ أيُّ امــــرئٍ ... أتــاه مِــنْ غــيــرِكَ لا يَــدخــلُ

فهو باب الله الأعظم، وسرُّه الأفخَم، والوصول إليه وصولٌ إلى الله؛ لأنَّ الحضرتين واحدة، ومن فرَّق.. لم يَذق للمعرفة طعماً.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾) (ألا): أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بما بعدها.

قوله: (﴿قُرْبَةٌ﴾) أي: تقرِّبهم لرضا ربِّهم حيث أنفقوها مخلصِين فيها، متوسِّلين بذلك إلى رسول الله ﷺ.

قوله: (جنته) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالرحمة: الجنةُ، من إطلاق الحالِّ وإرادة المحل؛ لأنَّ الجنة محلٌّ للرحمة.

قوله: (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾) مبتدأ، و﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾ صفته، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ حال، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، والخبر قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ...﴾ إلخ.

---

(١) كما في الوظيفة الشاذليَّة ممزوجة بكلام سيدي أبي المواهب الشاذلي.

(٢) من استغاثة السيد محمد بن أبي الحسن البكري المصري بالنبي ﷺ، وأولها:

مـــا أرســـل الـــرحـــمـــن أو يـــرســـل

وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ....

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهُم مَن شَهِدَ بَدراً أو جَمِيعُ الصَّحابة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يَوم القِيامةِ ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العَمَل، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطاعَتِه، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بِثَوابِه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وفي قِراءة بِزِيادة (مِن)، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾) أي: وهم الأوس والخزرج.

قوله: (وهم: مَنْ شهد بدراً) أي: لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلِين، وعليه: تكون (مِنْ) للتبعيض.

قوله: (أو جميع الصحابة) أي: فتكون (مِنْ) بيانية، وقيل: المراد بهم: أهل بَيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وخمس مئة، وقيل: المراد بهم: أهل أحد، وقيل: كلُّ مَنْ دخل الإسلام قبل الفتح؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

قوله: (إلى يوم القيامة) أي: فيَشمل صلحاء كل زمان.

قوله: (﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾) أي: قَبِلَ أعمالهم، وأثابهم عليها، وأعطاهم ما لم يُعط أحداً من خلقه.

قوله: (﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾) أي: قَبلوا ما أعطاهم الله؛ لما في الحديث: «**ما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأيُّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني؛ فلا أسخَط بعده أبداً**»[١].

قوله: (وفي قراءة بزيادة «مِنْ») أي: وهي سبعيَّة أيضاً لابن كثير، ومَعلوم أنه يقرأ بالصلة، فمن قرأ بقراءته.. وَصل (اتبعوهم) و(عنهم) و(لهم)؛ بأن يشبع ضمَّة الميم في الجميع[٢].

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما تقدَّم من الرضا والجنان.

قوله: (﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾) أي: الظفَر بالمقصود الذي لا يُضاهى.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «السراج المنير» (١/ ٦٤٦).

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ....

(١٠١) ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهلَ المَدِينةِ ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ كأسلَمَ وأشجَعَ وغِفار، ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مُنافِقُون أيضاً ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: لَجُّوا فِيهِ واستَمَرُّوا، ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطابٌ لِلنبيِّ، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بِالفَضِيحةِ أو القَتلِ في الدُّنيا وعَذاب القَبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النارُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾) خبر مقدَّم، و﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ بيان لـ(مَنْ)، و﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ خبرٌ مقدَّم، والمبتدأ محذوف تقديره: مُنافقون أيضاً، وجملة ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ صِفة لذلك المحذوف، فيكون من عَطف الجمل، أو خبر بعد خبر توسَّط بينهما المبتدأ، ويكون من عَطف المفردات[(١)].

قوله: (كأسلم. . . إلخ) أي: بعض هذه القبائل؛ فلا ينافي ما تقدَّم مِنْ مَدحهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ [التوبة: ٩٩].

قوله: (﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾) أي: تمرَّدوا عليه، ولم يَتوبوا منه.

قوله: (﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾) إن قلتَ: كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا وأثبتَه في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؟ فالجواب: أنَّ آية النفي نزلت قبل آية الإثبات.

قوله: (بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك إلى أنه اختلف في المرة الأُولى، ولكن القول الأول هو الصحيح؛ لأنَّ أحكام الإسلام في الظاهر جاريةٌ على المنافقين، فلم يُقتلوا ولم يُؤسروا.

والفضيحة بإخراجهم من المسجد؛ لما في الحديث عن ابن مسعود: (خطَبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن منكم منافقين؛ فمن سمَّيته. . فليَقُم»، ثم قال: «قُم يا فلان فإنك منافق» حتى سمَّى سِتة وثلاثين)[(٢)].

قوله: (وعذاب القبر) هذه هي المرة الثانية، وستأتي الثالثة في قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾؛ فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات.

---

(١) شطب في (أ) على قوله: (فيكون من عطف) إلى قوله: (المفردات)، والمثبت من (ط٢).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٢٧٤)، والرواية فيه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ....

﴿١٠٢﴾ ﴿وَ﴾ قومٌ ﴿ءَاخَرُونَ﴾ - مُبتَدأ - ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ مِن التَّخلُّف، نعتُه، والخَبَرُ: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جِهادُهُم قبلَ ذلك، أو اعتِرافُهُم بِذُنُوبِهِم، أو غَيرُ ذلك، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تَخَلُّفُهُم، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نَزَلَت في أَبِي لُبابة ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَءَاخَرُونَ﴾) حاصله: أنَّ من تخلَّف عن تبوك ثلاثة أقسام: قِسم منافقون استمروا على النفاق، وقد تقدَّم ذكرهم في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٍ﴾، وقِسم تائبون اعترفوا بذنوبهم وبادَروا بالعذر لرسول الله، وقد ذكرهم في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقسم لم يبادِروا بالعذر، وقد ذكرهم الله بقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾.

قوله: (﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾) أي: أقرُّوا بذنوبهم لربِّهم، وتابوا منها، وليس المراد: اعترفوا للناس، وهتكوا أنفسهم؛ فإنَّ ذلك أمرٌ لا يَجوز.

قوله: (وهو جهادهم قبل ذلك) أي: قبل هذا التخلُّف.

قوله: (﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾) الواو: بمعنى الباء، والمعنى: أنهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيئ.

قوله: (وهو تخلُّفهم) أي: من غير عُذر واضح.

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾) أي: يَقبل توبتهم، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق؛ لأنَّ (عسى) ونحوها تُفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرَمه منه.. كان عاراً عليه، والله أكرم من أن يُطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه إيَّاه؛ لأنه وعد، وهو لا يتخلَّف، وهذه الجملة مستأنفةٌ، ويصحُّ أن تكون خبراً، وجملة ﴿خَلَطُوا۟﴾ حالية، و(قد) مقدَّرة.

قوله: (نزلت في أبي لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر، كان من أهل الصفة، رَبط نفسه ثنتي عشرة ليلة في سِلسلة ثقيلة، وكانت له ابنة تحلُّه للصلاة وقضاء الحاجة، وتقدَّم في (الأنفال) أنه أوثق نفسه مرَّة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبتُه[1].

---

(١) انظر (٣/ ٢٣).

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ....

وجَماعة أوثَقُوا أنفُسَهم في سَوارِي المَسجِد لَمَّا بَلَغَهُم ما نَزَلَ في المُتَخَلِّفِينَ، وحَلَفُوا لا يَحُلُّهُم إلَّا النَّبِيُّ ﷺ، فحَلَّهُم لَمَّا نزلَت.

(١٠٣) ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ مِن ذُنُوبِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وجماعة) قيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: خمسة، وقيل: ثلاثة، وقد كانوا تخلَّفوا عن تبوك، ثم نَدموا بعد ذلك، فلمَّا قرب رسول الله من المدينة.. حَلفوا ليربطنَّ أنفسهم بالسواري ولا يطلقونها حتى يكونَ رسول الله هو الذي يُطلقها، ففعلوا، فلمَّا رجع رسول الله.. رآهم فقال: «من هؤلاء؟»، فقيل له: هؤلاء تخلَّفوا عنك، فعاهدوا الله ألَّا يُطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم، فقال: «وأنا أقسم بالله؛ لا أُطلقهم، ولا أعذرهم حتى أُؤمرَ بإطلاقهم»، فنزلت هذه الآية، فعَذرهم وأَطلقهم[1].

قوله: (ما نزل في المتخلِّفين) أي: من الوعيد الشديد؛ حيث قال فيهم: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ الآية.

قوله: (فحلَّهم لما نزلت) أي: آية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

قوله: (﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾) ﴿مِنْ﴾: للتبعيض، والجار والمجرور حال من ﴿صَدَقَةً﴾، ووُجد المسوِّغ، وهو وصفها بقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، والمعنى: خُذ بعض الأموال التي خرجوا عنها لله ورسوله، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلَّهم رسول الله.. أتَوا وقالوا: هذه أموالنا التي خلَّفَتنا عنك، خُذها فتصدَّق بها وطهِّرنا واستغفر لنا، فقال: «ما أُمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فنزل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾ الآية[3].

قوله: (﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾) الأقرَب: أن التاء للخطاب، وحذف قوله: (بها) من الأول؛ لدلالة الثاني عليه، والمعنى: خُذ يا محمد صدقةً حال كونها بعضَ أموالهم حال كونك مطهِّراً لهم بها ومزكِّيهم بها، ومعنى تزكيهم: تنمِّيهم وتَزيدهم بسبب أخذها خيراً.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧٢)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٠١).

(٢) شطب في (أ) على قوله: (ووجد المسوغ) إلى قوله: (وتزكيهم بها)، والمثبت من (ط٢).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧٢)، وانظر «زاد المسير» (٢/ ٢٩٤).

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ....

فأَخَذ ثُلُثَ أموالِهم وتَصَدَّقَ بِها، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لَهُم؛ ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾: رَحمةٌ ﴿لَّهُمْ﴾، وقيل: طُمَأْنينةٌ بِقَبُول تَوبَتِهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (**فأخذ ثلث أموالهم**) أي: كفارة لذنوبهم، ويُؤخذ من ذلك: أنَّ مَنْ قال: مالي صدقةٌ في سبيل الله أو الفقراء.. يَكفيه ثلثه، وهو مذهب مالك، وعموم الآية يَشمل الصدقة الواجبة والمندوبة.

قوله: (﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾) بالجمع والإفراد هنا وفي (هود) في قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾، قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى: دعَواتك رحمةٌ لهم وطمأنينة، وهذا في حياة رسول الله، وأما بعد وفاته.. فدعاء الخليفة يقوم مَقام دعاء النبي، وأيضاً: الأعمال تُعرض عليه صباحاً ومساءً؛ فإن رأى خيراً.. حمد الله، وإن رأى غير ذلك.. استَغفرَ لنا؛ كما ورد في الحديث: «**حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم، تُعرض عليَّ أعمالكم في الصباح والمساء؛ فإن وجدتُ خيراً.. حمدت الله، وإن وجدت سوءاً.. استغفرت لكم**»[2]، فدعاء رسول الله حاصلٌ في حياته وبعد مَوته، لا عبرة بمن ضلَّ وزاغ عن الحق وخالف في ذلك.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾) أي: لِلأقوال والأفعال.

قوله: (﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾) أي: التائبون.

قوله: (﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾) ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَقْبَلُ﴾ خبره، والجملة خبر (أنَّ)، وجملة (أن) واسمها وخبرها: سدَّت مسدَّ مفعولي (يَعلم)، أو مفعولها.

قوله: (﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾) متعلِّق بـ﴿يَقْبَلُ﴾، و(عن) بمعنى (مِن)، ويجوز أن تكون باقيةً على معناها للمجاوَزة، والمعنى: يتجاوز عن عباده بقَبول توبتهم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائيُّ: (صلاتك) بغير واو بعد اللام على التوحيد، والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع. انظر «السراج المنير» (١/٦٤٧).

(٢) رواه البزار (٥/٣٠٨) عن سيدنا ابن مسعود ﷺ، وليس فيه: (في الصباح والمساء).

وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ....

﴿وَيَأْخُذُ﴾: يَقبَلُ ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عِبادِهِ بِقَبول تَوبَتِهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِهِم، والاستِفهامُ لِلتَّقريرِ، والقَصدُ بِهِ هو تَهييجُهم إلى التَّوبة والصَّدَقة.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَقُلِ﴾ لَهُم أو لِلنَّاسِ: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شِئتُم، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بِالبَعثِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: اللهِ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾) أي: يُثيب صاحبها عليها، وعبَّر عن القبول بالأخذ؛ ترغيباً لهم في بذل الأموال.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بالحكم.

قوله: (تهييجهم) أي: حثُّهم وترغيبهم.

قوله: (لهم، أو: للناس) تفسيران في الآية.

قوله: (﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شئتُم) في ذلك وعدٌ عظيمٌ للطائعين، ووعيدٌ لِلعاصين، والمعنى: اعملوا أيها التائبون ـ أو أيها الناس عموماً ـ ما شئتُم من خير فيُجازيكم عليه بالثواب، وشرٍّ فيُجازيكم عليه بالعقاب، أو يَعفو الله عنكم.

قوله: (﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾) أي: يُحصيه ويجازيكم عليه، فالاستقبال بالنظر للجزاء.

قوله: (﴿وَرَسُولُهُۥ﴾) أي: لأنَّ الأعمال تُعرض عليه.

قوله: (﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: فيكون ذلك الجزاء إما فرحاً وسروراً بين أهل الموقف، أو حزناً وسوءاً بينهم.

قوله: (﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: فيُحاسبكم على جميع ما قدَّمتمُوه.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ . . . .

﴿١٠٦﴾ ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ مِن المُتخلِّفِين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ ـ بِالهَمزِ وتَركِه ـ: مُؤَخَّرُون عن التَّوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فِيهِم بِما يَشاء، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بِأن يُمِيتَهُم بِلا تَوبة، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه بِهِم، وهُم الثَّلاثة الآتُونَ بَعدُ: مُرارةُ بن الرَّبِيع وكَعبُ بن مالِك وهِلالُ بنُ أُمَيَّة، تَخَلَّفُوا كَسَلاً ومَيلاً إلى الدَّعة لا نِفاقاً، ولَم يَعتَذِرُوا إلى النَّبِيِّ ﷺ كغَيرِهِم، فوَقَفَ أمرهُم خَمسِينَ لَيلةً، وهَجَرَهُم النَّاسُ حتَّى نَزَلَت تَوبَتُهم بعدُ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالهمز) أي: المضموم وتركه؛ أي: مع سكون الواو، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (عن التوبة) أي: عن قبولها، وإلَّا . . فقد وَقعت منهم التوبة غير أنهم لم يَعتذروا للنبي صريحاً، وإنما نَدموا وحزنوا وصمَّموا على التوبة سرًّا.

قوله: (﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾) ﴿إِمَّا﴾: للإبهام بالنسبة لِلمخاطبين، والمعنى: أن الله أبهم على المخاطَبين أمرهم.

قوله: (﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾) أي: يَقبل توبتهم.

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: لا يُسْأَلُ عما يفعل؛ فلا يُعترض على أحكامه سبحانه وتعالى.

قوله: (وهم الثَّلاثة) وكانوا من أهل المدينة، قوله: (مُرارة) بضمِّ الميم.

قوله: (إلى الدَّعة) أي: الراحة والكسَل.

قوله: (ولم يعتذروا) أي: لِشدَّة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرَّطوا.

قوله: (فوقف أمرهم خمسين ليلة) أي: في نظير مُدة التخلف؛ لأنها كانت خمسين ليلة، فلمَّا تمتَّعوا بالراحة فيها مع تَعب غيرهم في السفر . . عوقبوا بهجرهم تِلك المدة.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «مُرْجَؤُون» بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة، والباقون: «مُرْجَوْن» دون تلك الهمزة. انظر «الدر المصون» (٦/ ١١٨).

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ....

﴿١٠٧﴾ ﴿وَ﴾ مِنهُم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهُم اثنا عَشَرَ مِن المُنافِقِين، ﴿ضِرَارًا﴾: مُضارَّةً لِأهلِ مَسجِد قُباءَ، ﴿وَكُفْرًا﴾ لِأنَّهُم بَنَوهُ بِأمرِ أبِي عامِرِ الرَّاهِبِ؛ لِيَكُونَ مَعقِلاً لَه يُقَدَّم فِيه مَن يَأتِي مِن عِنده، وكان ذَهَبَ لِيَأتِيَ بِجُنُودٍ مِن قَيصَر لِقِتالِ النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يُصَلُّونَ بِقُباءَ بِصَلاةِ بَعضِهم في مَسجِدِهم، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: تَرَقُّباً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل بِنائِه وهو أبُو عامِرٍ المَذكُورُ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بِبِنائِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾) بالواو ودونها، قراءتان سبعيَّتان[1]، والأحسَن: إعراب الاسم الموصول مبتدأ على كلٍّ، خبره محذوف قدَّره المفسر بقوله: (منهم)، والواو: إمَّا للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] عطف قصَّة على قصَّة، أو لِلاستئناف.

قوله: (﴿ضِرَارًا﴾) إما مفعول لأجله، أو مفعول ثانٍ لـ﴿اتَّخَذُوا﴾.

قوله: (لأهل مسجد قباء) أشار بذلك إلى أنَّ مُتعلق الضرار محذوف.

قوله: (بأمر أبي عامر الراهب) أي: وهو والِد حَنظلة غسيل الملائكة.

قوله: (معقلاً له) أي: ملجأ.

قوله: (وكان ذهب. . . إلخ) حاصل ذلك: أنَّ أبا عامر قد ترهَّب في الجاهلية، ولبس المسُوح، وتنصَّر، فلمَّا قدم النبي ﷺ المدينة. . قال له أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئتَ به؟ قال النبي ﷺ: «جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم»، قال أبو عامر: فأنا عليها، قال له النبي: «إنك لستَ عليها»، قال أبو عامر: بلى، ولكنك أدخلتَ في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلتُ، ولكن جئت بها بيضاء نقيَّة»، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منَّا طريداً وحيداً غريباً، فقال

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: «الذين اتخذوا» بغير واو، والباقون بواو العطف؛ فأمَّا قراءةُ نافع وابن عامر. . فلموافقة مصاحفِهم، فإنَّ مصاحف المدينة والشام حُذفت منها الواوُ، وهي ثابتةٌ في مصاحف غيرهم. انظر «الدر المصون» (١١٩/٦).

إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ....

﴿إِلَّا﴾ الفَعلةَ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مِن الرِّفق بِالمِسكِينِ في المَطَر والحَرِّ، والتَّوسِعةِ على المُسلِمِين، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلك. وكانُوا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أن يُصَلِّيَ فِيه فنَزل:

حاشية الصاوي

النبي ﷺ: «آمين»، وسمَّاه: أبا عامر الفاسق، فلمَّا كان يوم أحد.. قال أبو عامِر الفاسق للنبي: لا أجد قوماً يُقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يَزل كذلك إلى يوم حُنين، فلما انهزمت هوازن.. يئس أبو عامر، فخرج هارباً إلى الشام، فأرسل إلى المنافقين أن أَعِدُّوا ما استطعتم من قُوة وسلاح، وابنوا لي مَسجداً؛ فإني ذاهب إلى قَيصر ملك الروم، فآتي بجُند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فبنَوا مسجد الضرار إلى جَنب مسجد قباء، فلما فَرغوا من بنائه.. أتوا رسول الله وهو يتجهَّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله؛ إنا قد بنينَا مسجداً لِذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحبُّ أن تأتِيَنا وتصلي لنا فيه وتدعُوَ بالبركة، فقال رسول الله: «**إني على جناح سفر، ولو قَدمنا إن شاء الله.. أتيناكم فصلَّينا فيه**»، فلمَّا انصرف ﷺ من تبوك راجعاً.. نزل بذي أوان ـ وهو موضع قريب من المدينة ـ فأتاه المنافقون وسَألوه أن يأتي مسجدَهم، فدعا بقميصه لِيَلبسه ويأتيهم، فنزلت هذه الآية، وأخبر جبريل خبر مَسجد الضرار وما همُّوا به، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومَعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيًّا، فقال لهم: «**انطلِقُوا إلى هذا المسجد الظالم أهله؛ فاهدمُوه وحرِّقوه**»، فخرجوا مُسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف ـ وهم رَهط مالك بن الدخشم ـ فقال مالك: أنظِرُوني حتى أخرج إليكم بنار، فدخل على أهله، فأخذ من سَعف النخل، فأوقدُوه ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهلُه، فأحرَقوه وهدموه، وتفرَّق أهله، وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجِيَف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام طريداً وحيداً غريباً[1].

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾) صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (الفعلة).

قوله: (﴿يَشْهَدُ﴾) أي: يَعلم.

قوله: (في ذلك) أي: الحلف.

قوله: (وكانوا سألوا النبي... إلخ) أي: بعد فَراغهم من بنائه، وكان متجهِّزاً لغزوة تبوك، فوعدهم بذلك حين يَقدم.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٦٠)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٠٦).

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ....

﴿١٠٨﴾ ﴿لَا تَقُمْ﴾: تُصلِّ ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾، فأرسَلَ جماعةً هَدَمُوهُ وحَرَّقُوهُ، وجَعَلُوا مَكانَه كُناسةً تُلقَى فِيها الجِيَفُ، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾: بُنِيَت قَواعِدُه ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وُضِعَ يَومَ حَلَلْتَ بِدارِ الهِجرة، وهو مَسجِد قُباءَ كما في «البُخارِيِّ»، ﴿أَحَقُّ﴾ مِنه ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾: تُصَلِّيَ ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هُم الأنصارُ ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يُثِيبُهُم، ـ وفِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الطَّاء ـ رَوَى ابنُ خُزَيمةَ في «صَحِيحه» عن عُوَيم بن ساعِدَةَ أنَّهُ ﷺ أتاهُم في مَسجِدِ قُباءَ فقال: «**إنَّ الله تَعالى قَد أحسَنَ علَيكُم الثَّناءَ في الطُّهُور في قِصَّة مَسجِدِكُم، فما هذا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُونَ بِه؟**»، قالُوا: والله

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّمَسْجِدٌ﴾) اللام: للابتداء، و(مَسْجِدٌ) مبتدأ، و﴿أُسِّسَ﴾ نعته، و﴿أَحَقُّ﴾ خبره.

قوله: (يوم حللت بدار الهجرة) أي: وهو يوم الاثنين، فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة، وقيل: صلَّى به الجمعة، وهي أوَّل جمعة صلَّاها رسولُ الله ﷺ، وهذا على القول بأنه أقام بِقباء أربعة أيام، وقيل: أقام أربعة عشر، وقيل: اثنين وعشرين يوماً.

قوله: (﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾) اسم التفضيل ليس على بابه، أو باعتبار زَعم المنافقين، أو باعتبار ذات المسجد؛ فإنَّ الخبث في نيَّتهم، لا في ذات المسجد.

قوله: (﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾) هم بَنو عامر بن عوف.

قوله: (﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾) يحتمل أن المراد: الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح، وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله، وقيل: المراد: الطهارة الحسيَّة من النجاسات والأحداث، وهو الأقرب؛ لأنَّ مزيَّتهم التي مُدِحوا عليها مُبالغتُهُم في طهارة الظاهر، وأما طهارة الباطن.. فأمرٌ مُشتركٌ بين المؤمنين، وقيل: المرادُ ما هو أعمُّ؛ فقد حازُوا طهارة الظاهر والباطن.

قوله: (وفيه إدغام التاء... إلخ) أي: فأصله (المتطهرين) أُبدلت التاء طاء، وأدغمت في الطاء.

قوله: (في الطُّهور) بضمِّ الطاء في هذا وفيما يأتي؛ لأنَّ المراد به: الفعل.

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ ....

يا رَسُول الله ما نَعلَم شَيئاً إلَّا أنَّهُ كان لَنا جِيرانٌ مِن اليَهُود، وكانُوا يَغسِلُونَ أدبارَهُم مِن الغائِط، فغَسَلنا كما غَسَلُوا، وفي حَدِيثٍ رَواهُ البَزّار: فقالُوا: نُتبِعُ الحِجارة بِالماءِ، فقالَ: «هو ذاكَ، فعَلَيكُمُوه».

﴿١٠٩﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾: مَخافةِ ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَ﴾ رَجاءِ ﴿رِضْوَٰنٍ﴾ مِنهُ ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿جُرُفٍ﴾ ـ بِضَمِّ الرَّاء وسُكُونِها ـ: جانِبٍ ﴿هَارٍ﴾: مُشرِفٍ على السُّقُوط، ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾: سَقَطَ مع بانِيهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فغسلنا كما غسلوا) أي: بعد المسح بالأحجار؛ بدَليل الرواية الثانية.

قوله: (نتبع الحجارة بالماء) أي: وهذا هو الأكمَل في الاستنجاء؛ فإن لم يوجد حجر.. فالمدر يقوم مَقامه، وإلّا.. فالماء فقط، أو الحجر فقط، أو المدَر فقط.

قوله: (فعليكموه) أي: الزموه.

قوله: (﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾... إلخ) في الكلام استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ حيث شبِّهت التقوى والرضوان بأرضٍ صلبة يعتمد عليه البنيان، وطُوي ذكر المشبَّه به، ورُمز له بشيء من لوازمه، وهو التأسيس، فإثباته تخييل، والتأسيس كناية عن أحكام أمور الدين والأعمال الصالحة.

قوله: (﴿مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾) أي: أحكَم أُمور دينه على ضلال وكفر ونفاق.

قوله: (بضمِّ الراء وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (جانب) الأحسَن ما قاله غيره: أن المراد به: البئر التي لم تُطوَ.

قوله: (﴿هَارٍ﴾) إما أصله: (هاوِر)، أو (هاير) فقدِّمت اللام على العين، فصار كـ(قاض)، فإعرابه بحركات مقدرة، أو حُذفت عينه تخفيفاً بعد قلبها همزة، فإعرابه بحركات ظاهرة، وإما أصله: (هَوِر)، أو (هير) تحركت الواو والياء، وانفتح ما قبلها، قلبت الفاء مثل: (باب)، وإعرابه بحركات ظاهرة كالذي قبله.

(١) قرأ حمزة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «جُرْفٍ» بسكون الراء والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٢٥).

فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير؟ تَمثِيلٌ لِلبناءِ على ضِدِّ التَّقوَى بِما يَؤُولُ إليه، والاستِفهامُ لِلتَّقريرِ، أي: الأوَّلُ خَير، وهو مِثالُ مَسجِد قُباءَ، والثَّانِي مِثالُ مَسجد الضِّرار، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١١٠) ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾: شَكّـًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ﴾: تَنفَصِل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بِأن يَمُوتُوا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه بِهِم.

(١١١) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾) ورد: (أنهم رأوا الدخان حين حفرُوا أساسه)[١].

قوله: (خيرٌ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ خبر (من) الثانية محذوف.

قوله: (﴿رِيبَةً﴾) أي: سبب رِيبة، أو بُولِغَ فيه حتى جُعل نفس الريبة.

قوله: (﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾) مستثنى من محذوف، والتقدير: لا يزال بنيانهم الذي بنَوا ريبة في قلوبهم في كلِّ وقت أو كل حال إلا وقتَ أو حال تقطيع قلوبهم، وفيها قراءتان سبعيَّتان: الأولى: بفتح التاء وتشديد الطاء؛ بحذف إحدى التاءين، و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل. الثانية: بضم التاء و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ نائب فاعل، وقرئ شذوذاً: (تُقْطَع) بالتخفيف، وقرئ أيضاً: (إلى أن تُقطِّع) بضمِّ التاء وكسر الطاء المشددة، و(قلوبَهم) مفعول به، والفاعل ضمير يَعود على النبي[٢].

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: يضع الأشياء في محلِّها، ومنه: جرَيان عادة الله في كلِّ حسود لأهل الدين والصلاح أنه لا يزال الكمَد به حتى يموت على أسوأ الأحوال.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾... إلخ) لما ذكر قبائح المتخلِّفين لغير عُذر

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٢٩٣).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: «تَقَطَّع» بفتح التاء، والأصل: تتقطع بتاءَيْن، فحُذفت إحداهما، وقرأ الباقون: «تُقَطَّع» بضمِّها، وهو مبني للمفعول مضارع (قَطَّع) بالتشديد، وقرأ أُبَيٌّ: «تَقْطَع» مخففاً مِنْ (قطع)، وقرأ الحسن ومجاهد وقَتادة ويعقوب: «إلى أن» بـ(إلى) الجارة، و أبو حَيْوة كذلك، إلا أن أبا حيوةَ قرأ: «تُقطِّع» بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددةً. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٢٧).

وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بِأن يَبذُلُوها في طاعَتِه كالجِهادِ، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ـ جُملة استِئناف بَيانٌ لِلشِّراءِ ـ، وفي قِراءة بِتَقديم المَبنِيِّ لِلمَفعُول، أي: فيُقتَل بَعضُهم ويُقاتِل الباقِي، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ـ مَصدَرانِ مَنصُوبانِ بِفِعلِهما المَحذُوف ـ ....

حاشية الصاوي

وما فاتهم من الخير العظيم.. ذكر فَضل المجاهدين وما أعدَّ لهم من الفوز الأكبر؛ حيث عظَّم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمناً لهما، ومن المعلوم: أنَّ المثمَّن أغلى من الثمن، وإشارة إلى أن الجنَّة خلقت لهم ولم يُخلقوا لأجلها.

قوله: (يبذلوها في طاعته) أي: يَصرفوها في مرضاته.

قوله: (﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾) لم يقُل: (بالجنة)؛ إشارةً إلى أن الجنة مختصَّة بهم وواصلة إليهم، كأنه قيل: بالجنة الثابِتة لهم.

ثم إن قوله: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ كنايةٌ عن التعويض عن بَذل النفوس والأموال بالجنة، وإلَّا.. فحقيقة الشراء: أخذُ ما لا يملك بعِوَض، وهذا مستحيلٌ في حقِّ الله تعالى، بل معناه: أثابهم وقبلهم في نظير خِدمتهم، فشبِّهت الإثابة والقبول بالشراء، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتقَّ من الشراء (اشترى) بمعنى: أثابهم وقبلهم، وإنما عبَّر عنه بالشراء؛ تَلطفاً ورفقاً بهم.

قوله: (بيان للشراء) الأوضح أن يقول: بيان للبيع الذي يَستلزمه الشراء.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: فيُقتَلُ بعضهم، ويقاتل الباقي) أشار بذلك إلى أنه لا يتوقَّف الفضل على الجمع بين الأمرين معاً، بل المدارُ على نيَّة إعلاء كلمة الله؛ حصَلا أو أحدهما، أو لا ولا.

قوله: (بفعلهما المحذوف) أي: والتقدير: وَعده وعداً، وحقَّه حقًّا.

---

(١) قرأ حمزةُ والكسائي بتقديم المقتولين على القاتلين. انظر «السراج المنير» (١/ ٦٥٢).

فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّٰٓئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ ....

﴿فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحَدَ أوفى مِنهُ، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ ـ فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ ـ ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ﴾ البَيعُ ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المُنِيلُ غايةَ المَطلُوب.

﴿١١٢﴾ ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾ ـ رُفِعَ على المَدح بِتَقدِيرِ مُبتَدَأ ـ مِن الشِّرك والنِّفاق، ﴿الْعَٰبِدُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي التَّوْرَىٰةِ﴾... إلخ) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿وَعْدًا﴾، والمعنى: وعداً مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن، وخصَّ التوراة والإنجيل بالذكر؛ لإقامةِ الحجة على مَن عارض من اليهود والنصارى، وحينئذٍ: فلا ينافي أنَّ هذا الوعد مذكورٌ في الكتب السماويَّة.

قال محمد بن كعب القرظي: لما بايَعَت الأنصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً.. قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئتَ، قال: «**أشترط لربي أن تعبُدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنَعون منه أنفسكم وأموالكم**»، قال: إذا فعَلنا ذلك ما لنا؟ قال: «**الجنة**»، قالُوا: ربح البيع، لا نقيل، ولا نَستقيل، فنزلت هذه الآية؛ بشارةً لهم[1].

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾) خطابٌ للمؤمنين؛ لِمزيد الاعتناء بهم، والسين والتاء للتصيير؛ أي: صِرتم لكم البُشرى بذلك في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾... إلخ) هذه أوصافٌ تسعة للمؤمنين، الستة الأولى متعلِّقة بحقوق الله وحده، والاثنان بعدها مُتعلقان بحقوق الخلق، والأخير عام.

قوله: (بتقدير مبتدأ) أي: هم التائبون.

قوله: (من الشرك والنفاق) متعلق بـ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾، والتوبة شرطُهَا: النَّدم على ما وقع، والعزم على عدم العود، والإقلاع، وردُّ المظالم إلى أهلها.

(١) انظر «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٩٩).

﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ ....

الـمُخلِصُون العِبادةَ لِلَّه، ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ لَه على كُلِّ حال، ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾: الصَّائِمُون، ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾ أي: المُصَلُّونَ، ﴿ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: لِأحكامِه بِالعَمَلِ بِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (المخلصون العبادة لله) أي: المنهمِكون في طاعة الله سرًّا وجهراً.

قوله: (﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ له على كلِّ حال) أي: في السراء والضراء، قال عليه الصلاة والسلام: «**أوَّل مَنْ يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يَحمدون الله على كلِّ حال في السَّراء والضَّراء**»[١] أي: بأن يكون عن الله راضياً في جميع الأحوال؛ كالفَقر والغنى، والصحة والمرض، وغير ذلك.

قوله: (﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾) مِن السياحة، وهي في الأصل: الذهاب في الأرض للعبادة، سمِّي الصائمون بذلك؛ لأنَّ مِنْ شأن السائح تركَ اللَّذات كلها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح، ولا شكَّ أن الصائم كذلك. والصيام عند العامَّة: ترك شهوتَي البطن والفرج، وعند الخاصَّة: ترك ما سِوى الله تعالى، قال العارف الجيلي[٢]: [الطويل]

صِيامي هو الإمْسَاكُ عنْ رُؤيَةِ السِّوى ... وفِطْرِيَ أنِّي نَحْوَ وَجْهِكَ راجِعُ

قوله: (أي: المصلُّون) أشار بذلك إلى أنه أَطلق الجزء وأراد الكلَّ، وخصَّ الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها؛ لأنَّ بهما التقرُّب إلى الله تعالى؛ لما في الحديث: «**أقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد**»[٣]، والركوع يَلي السجود في التواضع والذُّلِّ.

قوله: (﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾) إنما عطف هذا بالواو على ما قبله؛ لِوجود المضادَّة بينهما؛ لأنَّ الأمر طلب الفعل، والنهي طلب الترك.

قوله: (﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾) هذا أعمُّ الأوصاف المتقدِّمة؛ ولِذا عطف بالواو، وهذا معنى التقوى؛ إذ هي: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيَّات؛ ولذا حكي: أن السَّري السقطي سأل

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرَك» (١/ ٦٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢١٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «شرح القصيدة العينية» للعلامة النابلسي (ص٢١).

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بِالجنَّة.

﴿١١٣﴾ ونَزَلَ في استِغفارِه ﷺ لِعَمِّه أبي طالبٍ واستِغفارِ بَعض الصَّحابةِ لِأَبَوَيه المُشرِكَينِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾: ذَوِي قَرابةٍ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّارِ بِأن ماتُوا على الكُفر.

﴿١١٤﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ ....

حاشية الصاوي

ابن أختِه الجنيد عن التقوى وهو صغير، فقال له: ألَّا يراك حيث نهاك، وألَّا يَفقدك حيث أمرك، فقال له: أخاف أن يكون حظك من الله لِسانك[1].

قوله: (﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) إظهارٌ في مقام الإضمار؛ اعتناءً بهم، وتشريفاً لقدرهم، وحذف المبشَّر به؛ إشارةً إلى أنه لا يَدخل تحت حصر، بل لهم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشر.

قوله: (لعمِّه أبي طالب) أي: لأنه ﷺ قال لعمِّه أبي طالب حين حضرَته الوفاة: «قل كلمة أحاجُّ لك بها عند الله»، فأبى، فقال النبي: «لا أزال أستَغفر لك ما لم أُنْهَ عن الاستغفار» فنزَلت[2]، وقصد النبيُّ بهذا الاستغفار تأليفَهُ للإسلام؛ لعلَّه يهتدي، وإلَّا.. فرسول الله يَعلم أنَّ الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به.

قوله: (﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾) أي: لا ينبغي، ولا يَصح.

قوله: (بأن ماتوا على الكفر) فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ، وأمَّا الاستغفار لِلكافر الحيِّ.. ففيه تفصيلٌ؛ فإن كان قَصده بذلك الاستغفار هدايتَهُ للإسلام.. جاز، وإن كان قصده أن تُغفرَ ذنوبه مع بقائه على الكفر.. فلا يَجوز.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾... إلخ) هذه الجملة مستأنفةٌ استئنافاً بيانيًّا واقعاً

(١) رواها القشيري في «رسالته» (ص٣١٣) بنحوها.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٤١) عن سيدنا المسيب بن حزن ﵁، وفيهما: (قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ...).

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا ....

﴿لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقولِه: «سأستَغفِرُ لَك ربِّي» رَجاءَ أن يُسلِمَ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بِمَوتِهِ على الكُفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وتَرَكَ الاستِغفارَ له، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾: كَثيرُ التَّضَرُّعِ والدُّعاءِ، ﴿حَلِيمٌ﴾: صَبُورٌ على الأذَى.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ ....

حاشية الصاوي

في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: إن شَرعنا هو بعينه شرع إبراهيم، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر.

قوله: (﴿لِأَبِيهِ﴾) تقدَّم الخلاف في كونِه أباه وعمَّه، وإنما سمِّي أباً؛ لأنَّ عادة العرب تسمِّي العمَّ أباً، والقرآن نزل بِلغة العرب.

قوله: (﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾) أي: إن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبيُّن أنه لا ينفع فيه الاستغفار؛ لإصراره على الكفر.

قوله: (﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾) أي: أنه مصرٌّ ومستمرٌّ على الكفر والعداوة؛ لأنَّ الذي تبيَّن بالموت إنما هو إصراره على الكفر، وإلَّا.. فأصله كان حاصلاً ومتبيِّناً من قبل.

قوله: (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾) هذا بيانٌ للحامل له على الاستغفار قبل التبيُّن.

قوله: (﴿لَأَوَّٰهٌ﴾) من: التأوُّه، وهو: التوجع والإكثار من قول: (آه)، واختُلف في معناه؛ فقيل: هو الخاشع المتضرِّع، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: المؤمن التوَّاب، وقيل: الرحيم بِعباد الله، وقيل: الموقن، وقيل: المسبِّح، وقيل: المعلِّم للخير، وقيل: الراجع عمَّا يَكرهه الله، الخائف من النار.

قوله: (﴿حَلِيمٌ﴾) معناه: صَفوح عن المسيء له، مقابل له باللطف والرفق، وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ...﴾ إلخ، فأجابه إبراهيم بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧]، وكعدم دعائه على النمروذ حيث ألقاه في النار.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾) سببُ نزولها: أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون

بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ....

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ لِلإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ مِن العَمَلِ فلا يَتَّقُوهُ فيستَحِقُّوا الإضلالَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومِنهُ مُستَحِقُّ الإضلال والهِدايَة.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أيُّها النَّاس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يَحفَظُكم مِنه، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنَعُكُم عن ضَرَرِه.

﴿١١٧﴾ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي: أدامَ تَوبَتَه ....

حاشية الصاوي

لآبائهم الكفار، وماتوا قبل نُزول آية النهي، فظنَّ بعض الصحابة أنَّ الله يؤاخذهم، فبيَّن الله أنه لا يؤاخذ أحداً بعمل إلا بعد أن يُبيِّن حكمه فيه[1].

قوله: (﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾) أي: بعد وقت هِدايتهم وتوفيقهم للإيمان.

قوله: (ومنه) أي: من الشيء.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: ففَوِّضوا أموركم إليه؛ لأنه الموجد لكلِّ شيءٍ، الذي مِنه العون والنصر.

قوله: (﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾) اللام مُوطئة لقسم محذوف[2].

قوله: (أي: أدام توبته) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ النبي معصومٌ من الذنوب، والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنباً، بل سافَروا معه واتَّبعوه من غير امتناع.

وأجيب أيضاً: بأن معنى تَوبته على النبي: عدمُ مؤاخذته في إذنه لِلمتخلِّفين حتى يظهر المؤمن من المنافق، ومعنى تَوبته على المهاجرين والأنصار: مِن أجل ما وقع في قلوبهم من الخواطر والوَساوس في تلك الغزوة؛ فإنها كانت في شدَّة الحرِّ والعسر.

وقيل: إنَّ ذكر النبيِّ تشريفٌ لهم، وإنما المقصودُ ذكرُ قبولِ تَوبتهم؛ لأنه لم يقع منه ﷺ ذنب أصلاً حتى يحتاج لِلتوبة منه.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤١٣).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم مقدَّر، وقد تقدَّم الكلام على اللام الموطئة، انظر (١/ ٢٢٨).

﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ....

﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي: وَقتِها، وهي حالُهم في غَزوةِ تَبُوك، كان الرَّجُلانِ يَقتَسِمانِ تَمرةً، والعَشرةُ يَعتَقِبُون البَعِيرَ الواحِد، واشتَدَّ الحَرُّ حتَّى شَرِبُوا الفَرث، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياء ـ: تَمِيل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتِّباعه إلى التَّخَلُّف لِما هُم فِيه مِن الشِّدَّة، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالثَّبات، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) أي: وكانوا سبعين ألفاً ما بين راكب وماشٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائرِ القبائل.

قوله: (أي: وقتها) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالساعة: الزمانيَّة، لا الفَلكية، والعسرة: الشدة والضيق، وكانت غزوة تبوك تسمَّى: غزوة العسرة، وجيشها يسمَّى: جيش العُسرة؛ لأنه كان عليهم عسرة في الركب والزاد والماء، فكان العشرة منهم يَخرجون على بعير واحد يَعتقبونه، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغيِّر، وكان تمرهم يسيراً جدًّا؛ حتى إن أحدَهم إذا أجهده الجوع.. يأخذ التمرة، فيَلُوكها حتى يجد طعمها، ثم يُعطيها لصاحبه؛ حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى إلا النواة، وكانُوا من شدة الحرِّ والعطش يَشربون الفرث، ويجعلون ما بقي على كبدهم، قال أبو بكر: يا رسول الله؛ إنَّ الله قد عوَّدك خيراً، فادعُ الله، قال: «أتحبُّ ذلك؟»، قال: نعم، فرَفع رسول الله يديه، فلم يَرجعا حتى قالت السماء فأظلَّت ثم سكبت، فمَلؤوا ما معهم من الأوعية، ثم ذهبنا نَنظرها فلم نجدها جاوَزت العسكر[1].

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ﴾) هذا بيانٌ لبلوغ الشدَّة حدَّها؛ حتى إنَّ بعضَهم أشرف على الميل إلى التخلف، واسم ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿تَزِيغُ﴾ في محلِّ نصب خبرها.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾) ذكر التوبة أولاً قبل الذنب؛ تفضُّلاً منه وتَطميناً لقلوبهم، ثم ذكرها بعده؛ تعظيماً لشأنهم وتأكيداً لِقَبول توبتهم.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٣٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ حمزة وحفص عن عاصم: «يزيغ» بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٣٣).

﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ....

﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١١٨﴾ ﴿وَ﴾ تابَ ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ عن التَّوبة علَيهِم، بِقَرِينةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) هذا تأكيدٌ لما تقدَّم، والرؤوف: الرفيق بعباده، اللطيف بهم، والرحيم: المحسِن المتفضِّل.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾) قدَّر المفسِّر (تاب)؛ إشارةً إلى أنه معطوف على قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، ويصح عطفُه على الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، وهو الأقرب؛ لإعادة الجارِّ، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وعَودُ خافضٍ لدَى عَطْفٍ على ضَميرِ خفضٍ لازماً قد جُعِلَا

وإن كان يمكن أن يقال: إنما أعاده تأكيداً.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾) إنما لم يسمِّهم الله؛ لكونهم معلُومين بين الصحابة، والتوبة هنا على حقيقتها، بمعنى: أنه قَبِلَ عُذرهم وسامحهم وغفَر لهم ما سلف منهم، وأما التوبة فيما تقدَّم.. فمُستعملة في مجازها، بمعنى: دوام العصمة للنبي، والحفظ للمُهاجرين والأنصار؛ ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها.

قوله: (عن التوبة عليهم) أي: عن قَبولها من الله، وسبب تأخير القبول من الله: عدم إظهار توبتهم كما فَعل أبو لبابة، وقيل: المراد خلِّفوا من الغزو ولم يَخرجوا مع رسول الله، وفي «صحيح البخاري» ما نصُّه: (باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان يقود كعباً حين عَمِيَ ـ قال: سمعتُ كعب بن مالك يحدِّث حين تخلَّف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، وكان من خبري أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفت عن رسول الله ﷺ في تِلك الغزوة، وغزَا رسولُ الله تلك الغزوةَ حين طابت الثمار والظلال، وهممتُ أن أرتحل فأدركهم ـ ولَيتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك، ولم يَذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك، فقال

(١) «الخلاصة»، باب (عطف النسق).

. . . .

حاشية الصاوي

وهو جالس في القوم بتَبوك: «**ما فعل كعبُ بن مالك؟**»، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله؛ حبسه بُرْدَاهُ ونظرُهُ في عِطْفَيْهِ، فقال معاذ بن جبَل: بئس ما قُلتَ، والله يا رسول الله؛ ما عَلمنا عليه إلا خيراً، فسَكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلمَّا بلغني أنه توجَّه قافلاً.. حضرني همِّي، فطفقتُ أتذكَّر الكذب، وأهيِّؤه لأعتذر به، وأقول: بماذا أخرج من سَخطه غداً؟ واستَعنت على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي، فلمَّا قيل: إنَّ رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً ـ أي: قرُب قدومه ـ انزاح عني الباطل، وعرفتُ أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذبٌ، فأجمعتُ الصِّدقَ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر.. بدأ بالمسجِد؛ فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلمَّا فعل ذلك.. جاءه المخلَّفون، فطَفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبِلَ رسول الله منهم عَلانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكَلَ سرائرهم إلى الله، فجئتُه، فلمَّا سلَّمت عليه.. تبسَّمَ تبسُّمَ المغضَب، ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «**ما خلَّفك، ألم تكن قد ابتعت مركوبَك؟**»، فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعُذر، ولقد أُعطيت جدلاً ـ أي: فصاحة ـ ولكني والله لقد علمتُ لئنْ حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني.. ليُوشكنَّ الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدَّثتك حديثَ صدقٍ تجدُ ـ أي: تغضب ـ عليَّ فيه.. إني لأرجو فيه عفوَ الله، لا والله، ما كان لي من عذرٍ، ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَّا هذا.. فقد صدَق، فقُم حتى يقضيَ الله فيك**»، فقُمت، وبادر رجالٌ من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علِمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزتَ أن تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلَّفون، قد كان كافيك من ذنبك استغفارُ رسول الله، فوالله ما زالوا يَلومونني لوماً عنيفاً حتى أردت أن أَرجع فأكذِّب نفسي، ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نَعم، رجلان قالا مثل ما قلتَ، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلتُ: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهِلال بن أُمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، لي فيهما أُسوة، فمضيتُ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلَّف عنه، فاجتنبَنا الناس، فتغيَّروا لنا حتى تنكرَت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلَبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمَّا صاحباي..

. . . .

حاشية الصاوي

فاستكانا وقعدَا في بيوتهما يَبكيان، وأمَّا أنا.. فكنتُ أشَبَّ القوم وأجلدَهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطُوف في الأسواق، ولا يكلِّمني أحدٌ، وآتي رسولَ الله فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّكَ شفتَيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثمَّ أصلِّي قريباً منه، فأُسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي.. أقبل إليَّ، فإذا التفتُّ نحوه.. أعرض عني.

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفوة الناس.. مشيت حتى تسوَّرت جدارَ حائط أبي قتادة ـ وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليَّ ـ فسلَّمت عليه؛ فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة؛ أنشدُك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسولَه؟ فسكت، فعُدتُ له فنشدته، فسكتَ، فعدت له فنشدته، فسكتَ، فقال: الله ورسوله أعلَم، ففاضت عيناي، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار، حتى إذا مضَت أربعون ليلة من الخمسين؛ إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إنَّ رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلتُ: أطلِّقها أم ماذا أفعَل؟ قال: بل اعتزلها ولا تَقربها، وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحَقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضيَ الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمَلت ـ بفتح الميم ـ لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلمَّا صلَّيتُ صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبَينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله؛ قد ضاقَت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحُبت.. سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سَلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشِر، قال: فخرَرتُ ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرَج، وآذن رسول الله ـ أي: أعلَم ـ الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يُبَشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشِّرون، وركب رجل إليَّ فرساً وركَضها، وسعى ساعٍ من أسلَم، فأوفى على الجبل، وكان الصوتُ أسرعَ من الفرس، فلمَّا جاءني الذي سمعتُ صوته يُبشرني.. نزعت له ثوبيَّ فكسَوته إياهما ببشراه، ووالله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستَعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلَقتُ إلى رسول الله، فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهنُّونني بالتوبة، يقولون: لِتَهْنِك ـ بفتح التاء ـ توبةُ اللهِ عليك.

قال كعب: حتى دخلتُ المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ، حوله الناسُ، فقام إليَّ طلحة بن عُبَيد الله يُهرول حتى صافحني، ووالله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحةَ، قال كعبٌ: فلمَّا سلَّمت على رسول الله ﷺ.. قال وهو يَبرقُ وجهه من السرور: «أبْشِرْ بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدَتك أمُّك»، قال: قلتُ: أمن عندِك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا،

حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ....

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحْبِها، أي: سَعَتِها، فلا يَجِدُونَ مَكاناً يَطمَئِنُّون إليه، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قُلُوبُهم لِلغَمِّ والوَحشةِ بتَأخِيرِ تَوبَتِهم، فلا يَسَعُها سُرُورٌ ولا أُنس، ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: أيقَنُوا ﴿أَن﴾ - مُخفَّفة - ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وَفَّقَهم لِلتَّوبة ﴿لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

بل من عند الله»، وكان رسول الله إذا سُرَّ.. استنار وجهُه كأنه قطعة قَمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلمَّا جلستُ بين يديه.. قلتُ: يا رسول الله؛ إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله: «أمسِك عليك بعض مالك، فهو خيرٌ لك»، قلتُ: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وأنزل الله على رسوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، فوالله ما أنعم الله عليَّ من نِعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صِدقي لرسول الله). انتهى[1].

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾... إلخ) أي: لم يطمئنُّوا ولم يَسكنوا إلى شيء منها. و(إذا) صلة، أو (ثمَّ)؛ ليستقيم المعنى.

قوله: (أي: مع رحبها) بضم الراء، وأما بفتحها.. فمعناه: المكان المتَّسع.

قوله: (فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب؛ أي: فلا تسع سُروراً.

قوله: (﴿أَن﴾ مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن.

قوله: (﴿لَّا مَلْجَأَ﴾... إلخ) ﴿لَا﴾: نافية للجنس، و﴿مَلْجَأَ﴾ اسمها، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرها، والجملة سدَّت مسدَّ مفعولي (ظنُّوا).

قوله: (﴿مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾) أي: من سَخطه إلا بالتضرع إليه.

قوله: (﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾) أي: قَبل توبتهم.

قوله: (﴿لِيَتُوبُوٓا۟﴾) أي: لِيحصلوا التوبة ويُنْشِئُوها.

(١) «صحيح البخاري» (٤٤١٨).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿١١٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِتَركِ مَعاصِيهِ ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمانِ والعُهود، بِأن تَلزَمُوا الصِّدقَ.

﴿١٢٠﴾ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غَزا، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بِأن يَصُونُوها عَمَّا رَضِيَهُ لِنَفسِهِ مِن الشَّدائِد، وهو نَهيٌ بِلَفظِ الخَبَر، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النَّهيُ عن التَّخَلُّف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بِسَبَبِ أنَّهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) خطابٌ عامٌّ لكلِّ مؤمن.

قوله: (﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) ﴿مع﴾: بمعنى (من)؛ بدليل القراءة الشاذَّة المرويَّة عن ابن مسعود[1].

قوله: (﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾) أي: لا يَصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلُّف عن رسول الله. . . إلخ، والمعنى: إذا خَرج رسول الله بنفسه للغزو. . فلا يجوزُ لأحد من المؤمنين التخلُّف، بل يَنفرون كافة.

قوله: (﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ﴾) يجوز فيه النصب عطفٌ على ﴿يَتَخَلَّفُوا۟﴾، والجزم على أنَّ (لا) ناهية.

قوله: (بأن يَصونوها. . . إلخ) هذا بيانٌ لحاصل المعنى، وإيضاحه: أُمروا بأن يَصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبةٍ ونشاطٍ، وأن يتلقَّوا الشَّدائد معه ﷺ، علماً بأنه أعزُّ نفسٍ وأكرمُهَا عند الله، فإذ تعرَّضت مع عزَّتها وكرامتها للخَوض في شدة وهولٍ. . وجب على سائر الأنفس أن تتعرَّض مثلها.

قوله: (وهو نهيٌ بلفظ الخبر) أي: ما ذكر من قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ. . .﴾ إلخ؛ أي: فكأنه قيل: لا يتخلَّف واحد منهم.

(١) انظر «تفسير الطبري» (١٤/٥٥٩).

لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ....

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ ـ مَصدَر بمعنَى وَطْأً ـ ﴿يَغِيظُ﴾: يُغضِبُ ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ للهِ ﴿نَّيْلًا﴾ قَتلاً أو أسراً أو نَهباً، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾ لِيُجازَوا علَيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرَهُم، بَل يُثيبُهُم.

﴿١٢١﴾ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فِيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولَو تَمرةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بِالسَّيرِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ظَمَأٌ﴾) أي: ولو يسيراً، وكذلك يقال فيما بعده.

قوله: (﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾) أي: لا يَدوسون بأرجلهم وحوافرِ خيولهم وأخفاف رواحلهم دَوْساً.

قوله: (﴿يَغِيظُ﴾) بفتح الياء باتفاق السبعة وإن كان يَجوز في اللغة ضمُّها[١].

قوله: (﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾) أي: يُصيبون.

قوله: (قتلاً أو أسراً أو نهباً) أمثلة للنَّيل بسبب جَعله مصدراً، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المُنال؛ أي: المأخوذ.

قوله: (﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾) أي: بكلٍّ واحدٍ من الأُمور الخمسة.

قوله: (أي: أجرهم) غرَضه بهذا: أنَّ المقام للإضمار، والعُدولُ عنه لأجل مَدحهم، وليُفيد العموم وعدم الخُصوصية للمخاطبين، بل هذا الفضلُ العظيمُ باقٍ ومستَمرٌّ إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿وَادِيًا﴾) المراد به هنا: مُطلق من الأرض وإن كان في الأصل: المكان المنفرج بين الجبال.

---

(١) انظر «الدر المصون» (٦/١٣٧).

إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ....

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ.

﴿١٢٢﴾ ولَمَّا وُبِّخُوا على التَّخَلُّف وأرسَلَ النَّبيُّ ﷺ سَرِيَّة نَفَرُوا جَمِيعاً، فنَزل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ إلى الغَزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: قَبيلةٍ ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾: جَماعةٌ، ومَكَثَ الباقُونَ ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي: الماكِثُون ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ذلك) أي: ما ذكر من النفقة وقَطع الوادي.

قوله: (أي: جزاءه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف؛ أي: جزاء أحسَن ما كانوا... إلخ.

قوله: (ولما وُبِّخوا على التخلُّف... إلخ) أي: سبب نزولها: أنه لما وبَّخهم الله على التخلُّف، وظَهرت فضيحة المنافقين، وتاب الله على مَنْ تاب.. أجمع رأيهم وحَلفوا أنهم لا يتخلَّفون عن رسول الله ولا عن سَرية بعثها، فلمَّا رجعوا من تبوك وبعث السرايا.. تهيَّأ المسلمون جميعاً إلى الغزو.

قوله: (سرية) قيل: هي اسم لما زاد على المئة إلى الخمس مئة، وما زاد إلى ثمانِ مئة يقال له: مَنْسِرٌ، وما زاد عليه إلى أربعة آلاف يقال له: جيش، وما زاد عليها يقال له: جَحْفَل، وجملةُ سراياه التي أرسلها رسول الله ولم يَخرج معها: سبعة وأربعون، وغزواته التي خرج فيها بنفسه: سبعة وعشرون؛ قاتل في ثمانيَة منها فقط.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: لا ينبغي ولا يَجوز لهم أن ينفروا جميعاً، بل يجب عليهم أن ينقسموا قِسمين: طائفة تكون مع رسول الله لتلقِّي الوحي، وطائفة تَخرج للجهاد.

قوله: (فهلَّا) أشار بذلك إلى أن (لولا) للتحضيض.

قوله: (ومكث الباقون) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ علة لمحذوف، ولا يصح أن يكون علة لقوله: ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾.

قوله: (﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾) عطف على قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾، وفيه إشارةٌ إلى أنه ينبغي لطالب العلم تَحسينُ مقصده؛ بأن يَقصد بطلبِ العلمَ تعليمَ غيرِهِ، واتِّعاظَهُ هو في نفسه، لا الكبر على العباد، والتشدُّق بالكلام.

إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ ....

﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ مِن الغَزو بِتَعليمِهِم ما تَعَلَّمُوه مِن الأحكام، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ عِقابَ الله بامتِثالِ أمرِه ونَهيِه، قال ابنُ عبَّاس: فهذه مَخصُوصة بِالسَّرايا، والتِي قَبلها بِالنَّهيِ عن تَخَلُّفِ أحَدٍ فِيما إذا خَرج النَّبيُّ ﷺ.

﴿١٢٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي: الأقرَبَ فالأقرَب مِنهُم، ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾: شِدَّةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ﴾) أي: مَن كان في الغزو، وقوله: (﴿إِلَيۡهِمۡ﴾) أي: إلى مَن مكث لِيَتفقه في الدِّين.

قوله: (قال ابن عباس) المقصود من ذلك: دفعُ التَّعارض بين هذه الآية وما قبلها.

قوله: (مخصوصة بالسرايا) أي: وهي التي أرسَلها ولم يخرج معها.

قوله: (فيما إذا خرج النبي) أي: لأنه لا عذر حينئذٍ في التخلُّف؛ لأنَّ صاحب الشريعة الذي يتعلَّمونها منه مُصاحبٌ لهم.

قوله: (﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾) ليسَت هذه الآية ناسخة لآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: ٣٦] على التحقيق، بل هذه الآية تعليمٌ لآداب الحرب، وهو أن يَبدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يميلوا إلى الأبعد، فبهذا يتمكَّنون من قتالهم كافَّة؛ لأنَّ قتالهم دُفعة واحدة لا يُتصوَّر؛ ولذا قاتل رسول الله أوَّلاً قومه، ثمَّ انتقل إلى سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب، ثم إلى قتال الروم والشام، ثم بعد وفاته ﷺ انتقل أصحابه إلى قتال العراق، ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار.

قوله: (﴿يَلُونَكُم﴾) من الوَلْيِ، وهو: القرب، في فِعله لغتان: وَلِيَه يَلِيه وهذا الأكثر، والثانية: من باب (وعد)، والآية منها، وهي قليلة الاستعمال، فأصله: (يَوليون) حذفت الواو؛ لوقوعها بين عدوَّتيها، ثمَّ نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء؛ لالتقائهما.

قوله: (شدّة) أي: صبراً وتحمُّلاً.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ ....

أي: أغلِظُوا عليهم، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بالعَونِ والنَّصرِ.

(١٢٤) ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ مِن القُرآنِ ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي: المُنافِقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لِأصحابِه استِهزاءً: ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾: تَصديقاً؟ قال تَعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لِتَصديقِهِم بِها ﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يَفرَحُون بِها.

(١٢٥) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: ضَعفُ اعتِقادٍ ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾: كُفراً إلى كُفرِهِم لِكُفرِهِم بِها، ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أغلِظوا عليهم) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية استعمال المسبَّب في السبب[1]؛ لأنَّ وجدان الكفار الغِلظة مسبَّبٌ عن إغلاظ المسلمين عليهم.

قوله: (﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ﴾) والمعنى: إذا أُنزلت سورةٌ من القرآن والحال أنَّ المنافقين ليسوا حاضرِين وقت النزول وليس فيها فَضيحة لهم، وأمَّا ما يأتي.. فيُحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك، والحال فيها بيان أحوالهم، فلا تنافي بين المحلَّين كما يأتي.

قوله: (لأصحابه) أو لِضعفاء المؤمنين.

قوله: (يَفرحون بها) أي: لأنه كلَّما نزل شيء من القرآن.. ازدادوا إيماناً، وهذا الحكم باقٍ إلى الآن؛ فمَن يفرح بكلام الله وبِحامليه.. فهو من المؤمنين الصادقين، ومَنْ ينفر مِنْ سماعه ومن حامِليه.. فهو إمَّا كافر، أو قريبٌ من الكفر.

قوله: (كفراً إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن الزيادة معنى الضمِّ، والمعنى: زادتهم كفراً مضموماً إلى كُفرهم؛ لأنَّ كفرهم يزيد بزيادة جَحدهم المنزل، وسمَّى الكفر رجساً؛ لأنه أقبح الأشياء. والرجس هو: الشيء المستَقْذَر.

---

(١) في (ط٢): (استعمال السبب في المسبب).

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ....

﴿١٢٦﴾ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بِالياءِ أي: المُنافِقُون، والتَّاءِ أيُّها المُؤمِنُون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يُبتَلَونَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالقَحطِ والأمراضِ، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِن نِفاقِهم، ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيها ذِكرُهم وقَرأها النَّبيُّ ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يُرِيدُون الهَرَب يَقُولُون: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قُمتُم؟ فإن لَم يَرَهُم أحَدٌ قامُوا وإلَّا ثَبَتُوا، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كُفرِهم، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهُدَى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحَقَّ لِعَدَمِ تَدَبُّرِهم.

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء) أي: فالاستفهام للتعجب؛ لأنَّ الخطابَ حينئذ للصحابة.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾) أي: لا يرجعون عمَّا هُم عليه.

قوله: (فيها ذِكرهم) أي: بيانُ أحوالهم.

قوله: (﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾) أي: يتغامزون بالعيون.

قوله: (يُريدون الهروب) أي: خوفاً من الفضيحة التي تحصلُ لهم.

قوله: (ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ مقولةٌ لقول محذوف.

قوله: (﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كفرهم) عِبارته تفيد أن قوله: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ ليس مرتباً على كونهم لم يرَهم أحدٌ، وليس كذلك، فكان المناسب أن يقول: قاموا، وهو بمعنى ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾.

قوله: (﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾) إخبارٌ أو دعاءٌ.

قوله: (﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحق) أي: لا يفهمونه.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ ....

﴿١٢٨﴾ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: مِنكُم، مُحمَّد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شَدِيدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتُكُم أي: مَشقَّتكم ولِقاؤُكُم المَكرُوهَ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تَهتَدُوا، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شَدِيدُ الرَّحمة، ﴿رَّحِيمٌ﴾ يُرِيد لَهُم الخيرَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾) اللام موطئة لقسم محذوف؛ أي: وعزَّتي وجلالي لقد جاءكم... إلخ[1].

قوله: (﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) خطابٌ للعرب، قال ابن عباس: (ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نَسبٌ)[2].

و﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء باتفاق السبعة، وقرئ: (من أنفَسِكم) بفتح الفاء، من: النَّفاسة[3]، والمعنى: جاءكم رسول من أشرَفكم وأرفعكم قدراً؛ لما في الحديث: «**إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قُريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيارٌ من خيارٍ**»[4].

قوله: (﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾) يصح أن يكون ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، و﴿مَا﴾ مصدرية، أو بمعنى (الذي)، والمعنى: يعزُّ عليه عنَتكم، أو: الذي عَنتموه، ويصح أن يكون ﴿عَزِيزٌ﴾ خبراً مقدماً، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مبتدأ مؤخَّراً.

قوله: (﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾) أي: محافظ على هُداكم؛ ليكون لكم السعادة الكاملة.

قوله: (أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: حريصٌ على هِدايتكم.

قوله: (﴿رَءُوفٌ﴾) بالمدِّ والقصر، قراءتان سبعيَّتان[5].

---

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف، قدَّره المفسر رحمه الله تعالى.

(٢) انظر «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص١٧).

(٣) وهي قراءة عبد الله بن قُسَيْط المكي. انظر «المحتسب» (١/ ٣٠٦).

(٤) رواه مسلم (٢٠٠٢) عن سيدنا واثلة بن الأسقع ﷺ، وليس فيه: (فأنا خيار من خيار).

(٥) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بمدِّ الهمزة، والباقون بالقصر. انظر «السراج المنير» (١/ ٦٥٨).

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾

١٢٩ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمانِ بِكَ ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ﴾: كافِيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾: بِهِ وَثِقتُ لا بِغَيرِهِ، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ﴾: الكُرسِيِّ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكرِ لِأنَّه أعظَمُ المَخلُوقات. روَى الحاكِمُ في «المُستَدرَك» عن أُبَيِّ بن كَعب قال: آخِرُ آية نَزَلَت: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ...﴾ إلى آخِرِ السُّورة.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

و(الرؤوف) أخصُّ من (الرحيم)، قال الحسن بن المفضل: (لم يَجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي ﷺ، فسمَّاه رؤوفاً رحيماً، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣])[١].

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾) أي: جميع خَلق الله؛ مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم.

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾) كالدليل لما قبله.

قوله: (لا بغيره) أخذ هذا الحصرَ من تقديم المعمول.

قوله: (الكرسي) مرورٌ على القول باتحاد العرش مع الكرسي، وهو خلافُ الصحيح، والصحيح: أنَّ العرش غير الكرسي؛ فالعرش: جسمٌ عظيمٌ محيطٌ بجميع المخلوقات، والكرسيُّ أقلُّ منه.

قوله: (﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾) بالجرِّ باتفاق السبعة صفة لـ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾، وقُرئ شذوذاً بالرفع صفةٌ للربِّ[٢].

قوله: (خصَّه بالذكر) جوابٌ على ما يقال: إن الله ربُّ كلِّ شيء، فلِمَ خصَّ العرش بالذكر؟

قوله: (آخر آية) مراده: الجنس، وإلَّا.. فهما آيتان، وهذا القول ضعيفٌ؛ لما تقدَّم: أنَّ آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وعلى ما قاله المفسِّر: يكونان مدنيَّتين، وهو أحد قولَين حكاهما المفسِّر أول السورة.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٢٥).

(٢) وهي قراءة ابن مُحيصن. انظر «البحر المحيط» (٥/ ١٢٢).

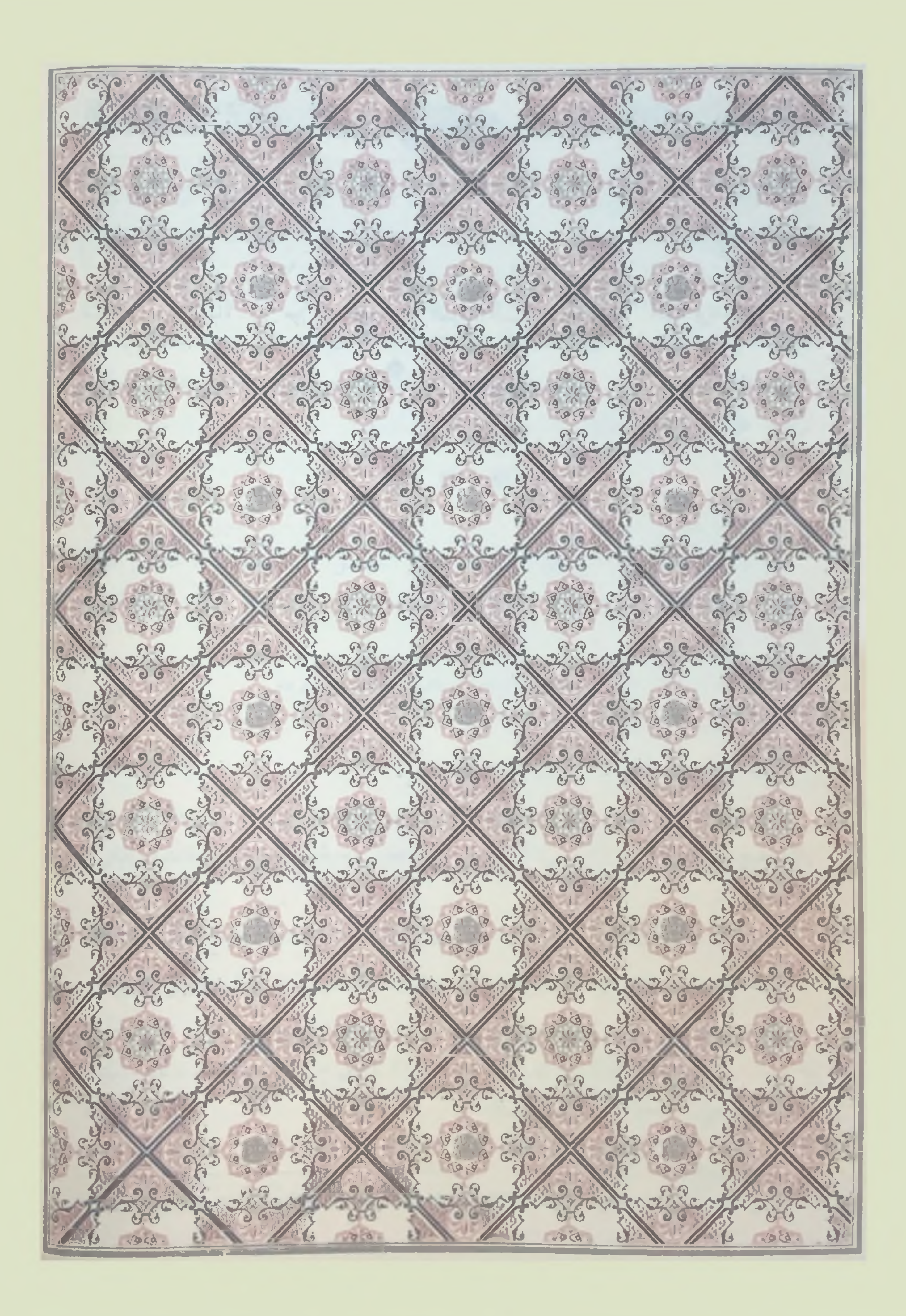
....

حاشية الصاوي

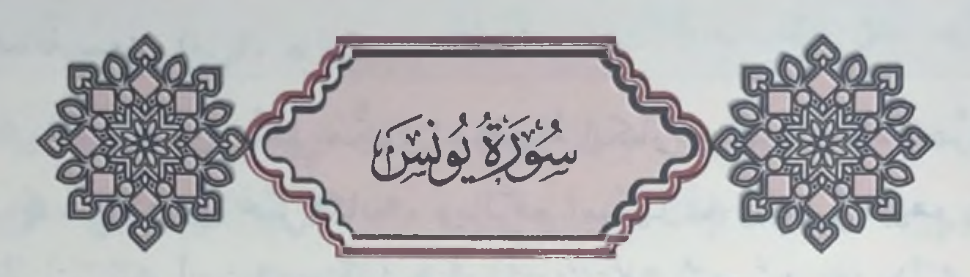
وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مَكروه، وقد ورد: (مَن قرأهما ـ ويكرر الآية الثانية سبعاً صباحاً، وسبعاً مساءً ـ أمِنَ من كل مَكروه حتى الموت؛ فمَن أراد الله مونه.. أنساه قِراءتهما)[1].

✿ ✿ ✿

(١) وروى أبو داوود (٥٠٨١) سنيَّة قراءة (حسبي الله...) عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه.



﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ....



مكيَّة إلَّا ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾ الآيتين أو الثلاث، أو ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ...﴾ الآية. مائةٌ وتسع أو عشرُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلَم بمُرادِهِ بذلك، ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

حاشية الصاوي

سُورَةُ يُونُسَ

سمِّيت بذلك لِذِكر اسمه فيها وقصَّتِهِ، وقد جرت عادةُ الله بتَسمية السُّورة ببعض أجزائها.

قوله: (مكيَّة) أي: لنزولها قبل الهجرة.

قوله: (أو الثلاث) (أو): لِتنويع الخلاف، وسببُه: الخلاف في أنَّ آخر الآية الثانية ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، أو ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾.

قوله: (أو: ﴿وَمِنْهُم﴾... إلخ) أي: فيكون المدني لها ثلاث وأربع بزيادة ﴿وَمِنْهُم... إلخ﴾، وقال القرطبي نقلاً عن فرقة: إنَّ مِنْ أوَّلها نحواً من أربعين آيةً مكيٌّ، وباقيها مَدنيٌّ[1].

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحدُ أقوالٍ تقدَّمت في (البقرة)، وهو أتمُّها وأسلَمُها.

قوله: (أي: هذه الآيات) يحتمل أنَّ اسم الإشارة عائدٌ على ما تقدَّم من أوَّل القرآن إلى هنا، ويحتمل أنه عائدٌ على الآيات التي ستُذكر في هذه السورة، وأتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارةً إلى بُعد رتبته عن كلام البشر، ورِفعة قدره.

قوله: (﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) خبر اسم الإشارة.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٠٤).

﴿الْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ ....

القُرآنِ، والإضافةُ بِمَعنَى (مِن)، ﴿الْحَكِيمِ﴾ المُحكَم.

﴿٢﴾ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّة، استِفهامُ إنكار، والجارُّ والمَجرُور حالٌ مِن قولِه: ﴿عَجَبًا﴾ - بِالنَّصبِ خَبَرَ «كانَ»، وبِالرَّفعِ اسمُها -، والخَبَرُ - وهو اسمُها على الأُولَى -: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي: إيحاؤُنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾: مُحمَّدٍ ﷺ ﴿أَنْ﴾ - مُفَسِّرة - ﴿أَنْذِرِ﴾: خَوِّف ﴿النَّاسَ﴾: الكافِرين بِالعَذابِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والإضافة) أي: في قوله: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، والمعنى: تِلك آيات من الكتاب؛ لأنَّ المشار إليه بعض القرآن.

قوله (المحكم) أشار بذلك إلى أن (فعيلاً) بمعنى (مَفعول)، ومعناه: الذي لا يتطرَّق إليه الفساد، ولا تغيِّره الدهور، ولا يَعتريه الكذب ولا التناقض، ويصح أن يكون بمعنى (فاعل) أي: الحاكم؛ أي: ذو الحُكم؛ لاشتماله على الأحكام الدينيَّة المتعبَّد بها.

قوله: (استفهام إنكاري) أي: والمعنى: لا يليق ولا ينبغي لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله ﷺ حيث قالوا: العجب أنَّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب[1].

قوله: (﴿عَجَبًا﴾) العجب: استعظامُ أمرٍ خَفِيَ سببُهُ.

قوله: (خبر «كان») أي: مقدَّم عليها.

قوله: (وبالرفع اسمها) هذه القراءة شاذَّة، فكان المناسب للمفسِّر أن ينبِّه عليها[2].

قوله: (والخبر) مبتدأ، وجملة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبره، وقوله: (وهو اسمها على الأولى) اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر.

قوله: (مفسِّرة) أي: بمعنى (أي)، وضابِطها: أن يتقدَّمها جملةٌ فيها معنى القول دُون حروفه.

قوله: (﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾) أي: إن استمرُّوا على الكفر.

---

(١) انظر «تفسير الرازي» (١٧/ ١٨٥).

(٢) قرأ بها سيدنا عبد الله بن مسعود. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٤٥).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ ....

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ﴾ أي: بِأنَّ ﴿لَهُمۡ قَدَمَ﴾: سَلَف ﴿صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: أجراً حسناً بما قَدَّمُوهُ مِن الأعمالِ، ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القُرآن المُشتمِلَ على ذلك ﴿لَسِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾: بيِّن، - وفي قِراءة: ﴿لَسَٰحِرٞ﴾ - والمُشارُ إليهِ النَّبيُّ ﷺ.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ مِن أيَّامِ الدُّنيا، أي: في قَدرِها؛ لِأنَّه لَم يَكُن ثَمَّ شَمسٌ ولا قَمَر، ولَو شاء لَخلَقَهُنَّ في لَمحةٍ، والعُدُول عنه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾) من إضافة الموصوف للصفة، وسمِّي الأجر الحسَن قدمَ صدقٍ؛ لأنَّ الخير قد سبق لهم عند الله، والشأن أنَّ السعي يكون بالقدم، فسمِّي المسبَّب باسم السبب؛ كما سمِّيت النعمة يداً؛ لأنها تُعطى بها.

قوله: (أجراً حسناً) هذا أحدُ أقوال في تفسير قوله: ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾، وهو لابنِ عباس، وقيل: هو الأعمال الصالحة، وقيل: شفاعة النبي ﷺ، وقيل: السعادة المكتوبة لهم أزلاً في اللوح المحفوظ، وقيل: منزلة رفيعة في الجنة، وكلُّ هذه التفاسير تَرجع إلى ما قاله المفسِّر[1].

قوله: (﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾) أي: حيث ردَّ عليهم بتعجُّبهم بأبلغ ردٍّ.

قوله: (المشتمل على ذلك) أي: الإنذار والتَّبشير.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله (المشارُ إليه) أي: على القراءة الثانية.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾) هذا ردٌّ عليهم في تعجُّبهم، والمعنى: لا ينبغي لكم التعجب من إرسال الرسول؛ لأنَّ ربكم الله الذي خلَق السموات والأرض... إلخ؛ فمن كان قادراً على ذلك.. فلا يُستَغربُ عليه إرسالُ رسول.

قوله: (أي: في قدرها) جواب عن قوله: (لأنه لم يكن ثَمَّ شمس... إلخ).

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٢٧).

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء، على أنَّ الإشارة للقرآن المشتمل على ذلك، والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أنَّ الإشارة للنبيِّ ﷺ. انظر «السراج المنير» (٢/٣).

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ ....

لِتعليمِ خَلقِه التَّثبُّت، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ استِواءً يَليق بِه، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ بَين الخَلائِقِ ﴿مَا مِن﴾ ـ زائدة ـ ﴿شَفِيعٍ﴾ يَشفَع لِأحَدٍ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ رَدٌّ لِقَولِهم: إنَّ الأصنام تَشفَع لَهُم، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالِقُ المُدَبِّر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾: وَحِّدُوه، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بِإدغامِ التَّاء في الأصلِ في الذَّال ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (لتعليم خلقه التَّثبُّتَ) أي: التأنِّيَ والتمهُّلَ في الأمور، وتخصيصُ الستَّةِ بذلك ولم تكن أقلَّ ولا أكثر.. ممَّا استأثر الله بعِلمه.

قوله: (استواءً يليقُ به) هذه طريقة السَّلف في تَفويض علمِ المتشابه إلى الله تعالى، وطريقة الخلف يؤوِّلونه بالاستيلاء والقَهر والتصرف، وإلى هذين الطريقتين أشار صاحبُ «الجوهرة»[1] بقوله: [الرجز]

وكلُّ نصٍّ أَوْهَمَ التَّشبِيها ... أَوِّلْهُ أو فَوِّضْ ورُمْ تَنزيهَا

فالاستواءُ كما يُطلق على الركوب يطلقُ على الاستيلاء، وهو المراد هنا، ومنه قول الشاعر[2]: [الرجز]

قدِ استوى بِشرٌ على العِراقِ ... مِن غَيْرِ سَيفٍ ودَمٍ مُهْراقِ

قوله: (﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾) أي: يَتصرف في الخلائق بأسرها، ولا يَشغله شأنٌ عن شأنٍ.

قوله: (﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾) أي: لا يشفع أحدٌ عنده إلا أن يَأذن له في الشفاعة.

قوله: (﴿رَبُّكُمۡ﴾) أي: خالقُكم ومربِّيكم.

قوله: (بإدغام التاء في الأصل) أي: فأصله: (تتذكرون)، قُلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال[3].

---

(١) انظر «شرح الجوهرة» للمصنِّف (ص٢١٦).

(٢) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو لِلأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٠٦).

(٣) وهي قراءة غير حفص وحمزة والكسائي. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤).

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ....

﴿٤﴾ ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ ـ مَصدَرانِ مَنصُوبانِ بِفِعلِهِما المُقدَّر ـ، ﴿إِنَّهُ﴾ ـ بِالكَسرِ استِئنافاً والفَتح على تَقدِيرِ اللَّام ـ ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ أي: بَدَأهُ بِالإنشاءِ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بِالبَعثِ؛ ﴿لِيَجْزِيَ﴾: يُثِيبَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ بالِغ نِهايةَ الحَرارةِ، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ كُفرِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾) ردٌّ على مُنكري البعث حين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قوله: (بفعلهما المقدَّر) أي: وَعدكم وعداً، وحقَّه حقًّا.

قوله: (بالكسر) أي: وهي القراءة السبعيَّة[١].

قوله: (والفتح) أي: وهي شاذَّة، فكان عليه أن يُنبِّه عليها[٢].

قوله: (﴿بِالْقِسْطِ﴾) أي: العدل المصحوب بالفضل، أو المراد بالقِسط: عدل العَبيد بامتثالهم المأمورات واجتنابهم المنهيات؛ فتكون الباء سببيَّةً.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾) غايرَ الأسلوب؛ إشارةً إلى أنهم مُستحقون العذابَ بسبب أعمالهم، وأما المؤمنون.. فثوابهم بفضل الله، وإلى أنَّ المقصود من البَدء والإعادة إنما هو الثوابُ، وأمَّا العقاب.. فكأنه عَرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم.

قوله: (﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) أي: غير الشراب.

قوله: (أي: بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببيَّة، و(ما) مصدرية.

---

(١) انظر «الدر المصون» (٦/١٤٨).

(٢) قرأ بها عبد الله وابن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب. انظر «الدر المصون» (٦/١٤٨).

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ....

﴿٥﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: ذاتَ ضِياء أي: نُور ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ﴾ مِن حيثُ سَيْرُهُ ﴿مَنَازِلَ﴾ ثَمانِيةً وعِشرِينَ مَنزِلاً في ثَمانٍ وعِشرِينَ لَيلةً مِن كُلِّ شَهر، ويَستَتِر لَيلَتَينِ إن كان الشَّهر ثَلاثِين يَوماً، ولَيلَةً إن كان تِسعةً وعِشرِين يَوماً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾) هذا من جملة أدلَّة تَوحيده.

قوله: (ذاتَ ضياء) أشار بذلك إلى أن ﴿ضِيَآءً﴾ مصدر، ويحتمل أنه جمع (ضوء)، والمعنى: ذات أضواء كثيرة، والضوءُ: النورُ القويُّ العظيمُ، فهو أخصُّ من مطلق نورٍ، وقيل: الضياء: ما كان ذاتيًّا، والنور: ما كان مكتسَباً من غيره، فما قام بالشمس يُقال له: ضياء، وما قام بالقمر يُقال له: نور.

واعلَم: أن الشُّعاعَ الفائضَ من الشمس؛ قيل: جوهرٌ، وقيل: عرَضٌ، والحقُّ: أنه عرضٌ؛ لِقيامه بالأجرام.

قوله: (﴿وَٱلْقَمَرَ﴾) معطوف على (الشمس)، و﴿نُورًا﴾ معطوف على ﴿ضِيَآءً﴾؛ ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائزٌ بلا خِلاف.

قوله: (﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾) الضمير عائدٌ على (القمر) فقط، وخُصَّ بالذكر وإن كانت الشمس لها مَنازل أيضاً؛ لأنَّ سَير القمر في المنازل أسرعُ، وبه يعرف انقضاءُ الشهورِ والسنين؛ لأنَّ المعتبر في مثل الصيام والحَج السنةُ القمريةُ، ويحتمل أنَّ الضمير عائدٌ على كلٍّ من الشمس والقمر، وأَفرد باعتبار ما ذكر، والأقرب: الأول.

قوله: (ثمانية وعشرين منزلاً) أي: وهي مُنقسمة على اثني عشر برجاً، وهي: الحمل، والثور، والجَوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت؛ لكلِّ برج مَنزلان وثلث، فيكون إقامته في كل برج ستةً وخمسين ساعة، وانتقالاتُ الشمس في هذه الأبراج مرتَّبةٌ على الشهور القبطيَّة، لكن الشهر نِصفه الأول من آخر برج، ونصفه الثاني من أول بُرج آخر، فيكون نصفه الأول من نصف السنبلة الأخير، ونِصفه الأخير من نصف الميزان الأول، وهكذا.

قوله: (ويستتر ليلتين) أي: لا يُرى وإن كان سائراً.

لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ....

﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورَ ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ لا عَبَثاً تَعالَى عن ذلك، ﴿يُفَصِّلُ﴾ - بالياءِ والنُّون -: يُبَيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتدبَّرُون.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالذَّهابِ والمَجِيءِ والزِّيادةِ والنُّقصان، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِن ملائِكةٍ وشَمسٍ وقَمَر ونُجُوم وغيرِ ذلك، ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مِن حَيَوانٍ وجِبالٍ وبِحار وأنهارٍ وأشجارٍ وغَيرِها، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ه فيُؤمِنُون، خَصَّهُم بِالذِّكرِ لِأَنَّهم المُنتَفِعُون بها.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بِالبَعثِ، ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بَدَل الآخِرةِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾) هذا هو حكمة التقدير.

قوله: (﴿وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾) معطوف على ﴿عَدَدَ﴾ مُسلَّط عليه (تعلموا)، ولا يجوز جرُّه عطفاً على ﴿ٱلسِّنِينَ﴾؛ لأنَّ الحساب لا يُعلم عدده؛ ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب؛ أتنصبه أم تجرُّه؟ فقال: (ومن يَدري ما عدد الحساب؟!)[1]؛ كناية عن كونه لا يَجوز جرُّه.

قوله: (المذكور) أي: مِن كونه جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وعلى النون فيه التفاتٌ من الغيبة للتكلم[2].

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾) خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعُون بذلك.

قوله: (﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) أي: في كون أحدهما يَخلف الآخر ويعقبه.

قوله: (بالذهاب والمجيء) تصويرٌ للاختلاف، والزيادة والنقصان؛ أي: فكلٌّ واحد يزيد بقدر ما نقص من الأخير.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾) أي: لا يخافونه ولا يُؤمنون به.

(١) انظر «البحر المحيط» (٥/ ١٣٠).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة؛ جرياً على اسم الله تعالى، والباقون بنون العظمة. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٥٤).

وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ....

لإنكارِهِم لَها، ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سَكَنُوا إليها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: دَلائِل وَحدانِيَّتِنا ﴿غَٰفِلُونَ﴾: تارِكُون لِلنَّظَرِ فيها.

﴿٨﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ مِن الشِّرك والمَعاصي.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ﴾: يُرشِدُهُم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ بِه، بِأن يَجعَلَ لَهُم نُوراً يَهتَدُون بِه يومَ القِيامةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾) أي: فَعلوا فعل المخلَّدين فيها.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ، و﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾ مبتدأ ثان، و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبرُ الأول، والجملة خبر (إنَّ).

قوله: (﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾) أي: بسبب كَسبهم.

قوله: (من الشرك والمعاصي) بيان لقوله: ﴿يَكْسِبُونَ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) هذا مُقابل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا...﴾ إلخ، و﴿إِنَّ﴾: حرفُ توكيد ونصب، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها، ﴿ءَامَنُواْ﴾ صلته، وجملة ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾: خبر (إنَّ).

قوله: (﴿ءَامَنُواْ﴾) أي: صدَّقوا بالله ورَسوله، واليوم الآخر، والقَدر؛ خيره وشرِّه، حُلوه ومرِّه.

قوله: (﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) أي: الأعمالَ المرضيَّة لله ورسوله.

قوله: (﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾) أي: يُوصلهم لدار السعادة، وحذف المعمول لِلعلم به.

قوله: (﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾) أي: بسبب تَصديقهم بالله ورسله؛ أي: وبسبب أعمالهم الصالحة أيضاً، فالإيمان والأعمال الصالحة سببان مُوصِلان لدار السعادة، أو المراد بالإيمان: الكامل؛ لِيَشمل الأعمال.

قوله: (بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به) أي: وتصوَّر لهم الأعمالُ الصالحة بِصُورة حسنة عند خروجهم من القبور، وتقول لِصاحبها: كنتُ أُسهرك في الدنيا، وأتعبك فيها؛ فاركَب على ظهري، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، بخلاف الكافر؛ فيحشر يَوم القيامة

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ....

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ طَلَبُهم لِما يَشتَهُونَه في الجَنَّة أن يَقُولُوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا اللهُ، فإذا ما طَلَبُوه وجَدُوه بَين أيدِيهم، ....

حاشية الصاوي

أعمى، لا يهتدي إلى مَقصوده، ويأتيه عمله السيئ فيقول له: كنتَ مُتلذذاً بي في الدنيا؛ فأنا أركبُك اليوم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام: ٣١][١].

قوله: (﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾) أي: بَساتين التنعم، وهذا الأمر يُطلق على جميع الجنان، والمعنى: أن المؤمنين العاملين للصالحات يُوصلهم ربهم لدار كرامته ومحلِّ سعادته، تجري الأنهار بجانب قُصورهم، ينظرون إليها من أعلى أماكنهم.

قوله: (طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا... إلخ) أي: فهذه الكلمة علامةٌ بين أهل الجنة والخدَم في جميع ما يطلبونه، فإذا أرادوا الأكل مثلاً.. قالوا: سُبحانك اللهم، فيأتونهم بالطعام على الموائِد؛ كلُّ مائدةٍ ميلٌ في ميل، على كلِّ مائدة سبعون ألف صحفة، في كلِّ صحفة لونٌ من الطعام لا يُشبه بعضها بعضاً، فإذا فَرغوا من الطعام.. حمدوا الله على ما أعطاهم، وذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠][٢].

والمراد بما يَشتهونه في الجنة: ما كان محموداً في الدنيا؛ فلا يقال: إنَّ نفوس الفُسَّاق قد تشتهي اللواط مثلاً، فيُفيد أنه يحصل في الجنة؛ لأنه يقال: المراد بما يشتهونه: ما ليس بشَهوات شيطانيَّة؛ لأنهم عُصموا منها بالموت، فلا تخطُر ببالهم في الجنة، ولا يميل لها طبعهم، وكذلك يقال في شَهوة المحارم كالأم والبنت، وأيضاً: أهل الجنة لا أدبارَ لهم، ولا يتغوَّطون فيها؛ لما في الحديث: «**أهل الجنة يَأكلون فيها ويشربون، ولا يَتفلون ولا يَبولون ولايتغوَّطون ولا يمتخطون**»، قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «**جشاءٌ، ورشحٌ كرشح المسك، يُلهَمون التسبيح والتحميد كما يُلهَمون النَّفس**»[٣].

---

(١) انظر «الدر المنثور» (١١/ ٣٢٧).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٣٠).

(٣) رواه مسلم (٧٢٥٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم ....

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بَينَهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾ ـ مُفَسِّرة ـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿١١﴾ ونَزل لَمَّا استَعجَل المُشرِكُون العذابَ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾ أي: كاستِعجالِهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾) التحيَّة: ما يُحيَّا به الإنسانُ من الكلام الطيب.

قوله: (فيما بينهم) أي: أو تحية الملائكة لهم، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أو تحية الله لهم، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

قوله: (﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾) أي: خاتمة تَسبيحهم في كلِّ مجلسٍ أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، وليس معناه انقطاعَ الحمدِ؛ فإنَّ أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخرَ لها.

قوله: (مفسِّرة) اعتُرض بأنَّ ضابط المفسِّرة مفقودٌ هنا؛ إذ ضابطها: أن يتقدَّمها جملةٌ فيها معنى القول دون حروفه، وهنا تقدَّمها مفردٌ، فكان المناسب أن يقول: (مُخففة من الثقيلة)، ويكون اسمها ضميرَ الشأن، وجملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبرُها.

قوله: (﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) أي: فأهل الجنة يَبتدئون مطالبهم بالتسبيح، ويختمونها بالتحميد، فتَلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعم.. لا يَشغلهم عن ذكر الله وشكره.

قوله: (ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أي: لما بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه يُجيب الداعي بالخير.. أدَّب عباده بأنهم لا يطلبون الشرَّ، بل يَطلبون الخير، فيُعطَونه، وقوله: (لما استعجل المشركون) قيل: هم النَّضر بن الحارث وغيره؛ حيث قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قوله: (﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾) أي: الذي طلَبوه لأنفسهم.

قوله: (أي: لاستعجالهم) أشار بذلك إلى أن ﴿اسْتِعْجَالَهُم﴾ مصدرٌ، والأصل: استعجالاً مثل استِعجالهم، حذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه، ثم حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ....

﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾ - بالبناءِ لِلمفعُولِ ولِلفاعلِ - ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ - بِالرَّفع والنَّصبِ - بِأن يُهلِكَهُم، ولَكِن يُمهِلُهُم، ﴿فَنَذَرُ﴾: نَتْرُك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَتَرَدَّدُون مُتَحيِّرِين.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾) أي: لهلكوا جميعاً، والمعنى: أن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلِهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما يَدعونه بالرزق والرحمة؛ فلو أجابهم الله إذا دعَوه بالشرِّ الذي يستعجلونه به مثل ما يُجيبهم إذا دعوه بالخير.. لأهلكهم، ولكنَّه من فضله وكرمه يَستجيب للداعي بالخير، ولا يستجيب له بالشرِّ، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: (بالبناء للمفعول وللفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (بالرفع والنصب) لفٌّ ونشر مرتَّب؛ فالرفع نائب فاعل، والنصب مفعول به.

قوله: (بأن يهلكهم) أي: قبل مَوتهم.

قوله: (ولكن يمهلهم) أي: فضلاً منه وكرماً إلى أن يأتي أجلُهم؛ فإذا جاء.. لا يستأخرون ساعةً، ولا يَستقدمون؛ فالمؤمن يَلقى النعيم الدائم، والكافر يلقى العذاب الدائم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾) أي: الذين لا يخافون عقابنا، ولا يؤمنون بالبعثِ بعد الموت.

قوله: (﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾) أي: الذي هو إنكارُ البعث والمقالات الشنيعة.

قوله: (﴿يَعْمَهُونَ﴾) حال من فاعل ﴿يَرْجُونَ﴾.

قوله: (يتردَّدون متحيِّرين) أي: في الفرار من العذاب؛ فلا يَجدون لهم مفرًّا.

قوله: (﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾) وجه مُناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لمَّا وبَّخهم على الدعاء بالشرِّ لأنفسهم.. بيَّن هنا غاية عجزهم وضعفهم، وأنهم لا يَقدرون على إيجاد شيءٍ ولا إعدامِهِ.

---

(١) قرأ ابن عامر بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء لِلمفعول. انظر «الدر المصون» (٦/١٥٩).

﴿ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ ....

الكافِرَ ﴿ٱلضُّرُّ﴾: المَرَضُ والفَقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مُضطَجِعاً ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ أي: في كُلِّ حال، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كُفرِه ﴿كَأَن﴾ ـ مُخَفَّفة واسمها مَحذُوف ـ أي: كأنَّهُ ﴿لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما زُيِّن لَه الدُّعاء عِند الضَّرَر والإعراضُ عِند الرَّخاء ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المُشرِكِين ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

١٣ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾: الأُمَم ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بِالشِّركِ، ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الدَّلالاتِ على صِدقِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الكافر) مثلُهُ: ناقصُ الإيمان، المنهمكُ في المعاصي.

قوله: (﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾) حال من فاعل ﴿دَعَانَا﴾، واللام بمعنى (على).

قوله: (﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾) يحتمل أن (أو) على بابها؛ لأن المضارَّ؛ إمَّا ثقيلةٌ تمنعه القيام والقعود، أو خفيفةٌ لا تمنع ذلك، أو مُتوسطةٌ تمنع القيام دون القعود، ويحتمل أن (أو) بمعنى الواو، فهو إشارةٌ لتنويع الأحوال، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (أي: في جميع الأحوال).

قوله: (﴿مَرَّ﴾ على كفره) أي: استمرَّ عليه.

قوله: (﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ﴾) الجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿مَرَّ﴾، والمعنى: استمرَّ هو على كفره مُشبهاً بمن لم يدعنا أصلاً؛ أي: رجع إلى حالته الأُولى، وترك الالتجاء إلى ربِّه.

قوله: (﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾) أي: المتجاوزين الحدَّ.

قوله: (﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾) أي: عملهم، فالواجبُ على الإنسان دوامُ الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله في كل حالٍ سيَّما في حالِ الصحة والغنى؛ لأنه يُشدَّد عليه فيهما ما لا يشدَّد عليه في غيرهما.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾) أي: كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

قوله: (﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾) أي: حين ظُلمهم.

وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ....

﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ - عطف على ﴿ظَلَمُوا۟﴾ -، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلَكنا أُولئك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرين.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ﴾ يا أهلَ مَكَّة ﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾: جَمع خَلِيفة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تَعتَبِرُون بِهِم فتُصَدِّقُوا رُسُلَنا؟

﴿١٥﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾: ظاهِراتٍ حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يَخافُون البَعثَ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ﴾ ليسَ فِيه عَيبُ آلِهَتِنا، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ مِن تِلقاءِ نَفسِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (عطف على ﴿ظَلَمُوا۟﴾) أي: كأنه قيل: حين ظلموا وحين لم يكونوا مُؤمنين، والمعنى: أن سبب إهلاكهم شيئان: ظلمُهم، وعدمُ إيمانهم.

قوله: (﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ﴾) عطف على ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

قوله: (﴿خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: مُستخلفون من بعد القُرون؛ بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم؛ فمِنْ يوم بعث الله محمداً؛ فجميع الخلق الموجودين من يومئذٍ إلى يوم القيامة.. مِن أُمَّته؛ مسلمهم وكافرهم، وهم خُلفاء الأرض.

قوله: (﴿لِنَنظُرَ﴾) أي: ليظهرَ متعلَّق علمنا، ونُعاملهم معاملة من ينظر، وفي الكلام استعارة تمثيليَّةٌ؛ حيث شبَّه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها في إمهالهم لينظرَ ماذا تفعل، واستعير الدالُّ على المشبَّه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب، ولله المثل الأعلى.

قوله: (﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾) أي: فهل تُصدقون رسلنا أو تكذِّبونهم.

قوله: (﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾) فيه التفات من الخطاب للغيبة.

قوله: (﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ﴾) أي: مِن عند ربك إن كنت صادقاً في أنه من عند الله.

قوله: (﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾) أي: بأن تجعلَ مكان سبِّ آلهتنا مَدْحَهُمْ، ومكان الحرام حلالاً، وهذا الكلامُ من الكفار يحتمل أن يكون على سَبيل الاستهزاء والسخرية، ويحتمل أنه على سبيل

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ....﴾

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ﴾ قِبَلِ ﴿نَفْسِيٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يومُ القِيامة.

﴿١٦﴾ ﴿قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: أعلَمَكُم ﴿بِهِۦ﴾، و(لا) نافِيَة عَطف على ما قَبله، وفي قِراءة بِلام جَواب (لَو)، أي: لَأَعلَمَكُم بِه على لِسان غَيرِي، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾: مَكَثتُ ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾: ....

حاشية الصاوي

الامتحان؛ ليعلموا كونه من عند الله فلا يَقدر على تغييره وتبديله، أو من نفسه فيَقدر على ذلك، والأول هو المتبادر من حالهم.

قوله: (﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾... إلخ) أي: لا يَليق منِّي ولا يصحُّ.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾) تعليل لما قبله.

قوله: (﴿قُل لَّوْ شَاءَ ٱللَّهُ﴾) مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف؛ أي: عدمَ إنزاله.

قوله: (﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾) (أدرى): فعل ماض، وفاعله مُستتر يعود على (الله)، والكاف مفعول به.

قوله: (و(لا): نافية) أي: وجملة ﴿أَدْرَىٰكُم﴾ مؤكِّدة لما قبلها، عطف عام على خاصٍّ، والمعنى: لو شاء الله عَدم إنزاله.. ما تلوتُه عليكم، ولا أعلمكم به منِّي ولا من غيري.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (بلام) أي: وهي للتأكيد، والمعنى على هذا: لو شاء الله عدمَ تِلاوتي.. ما تلوته عليكم، ولأعلمكم به من غيري؛ بأن يُنزله على لسان نبيٍّ غيري، ونتيجة هذا القياس محذوفةٌ، تقديره: لكن شاء الله إنزاله عليَّ، فأنا أتلُوه عليكم، وأنا أعلمكم به.

قوله: (﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم، والمعنى: أن كُفار مكة

---

(١) قرأ ابن كثير بخلاف عن البزي باللام، وقرأ الجمهور: بـ«لا». انظر «الدر المصون» (٦/ ١٦٤).

﴿مِن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ....

سَنيناً أربَعِين ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓۚ﴾ لا أُحَدِّثكم بِشيءٍ، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنَّهُ ليسَ مِن قِبَلِي؟

﴿١٧﴾ ﴿فَمَنۡ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسبَةِ الشَّريك إلَيه، ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: القُرآنِ؛ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَا يُفۡلِحُ﴾: يُسْعَدُ ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: المُشرِكُون.

﴿١٨﴾ ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ....

حاشية الصاوي

شاهدوا رسول الله قبل مَبعثه، وعلموا أحواله، وأنه كان أُمِّيًّا لم يقرأ كتاباً ولا تعلَّم من أحد، وذلك مُدَّة أربعين سنة، ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن، مُشتمل على نفائس العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق؛ فكلُّ مَنْ له عقل سَليم وفهمٌ ثابت.. يعلم أنَّ هذا القرآن من عند الله، لا مِن عند نفسه.

قوله: (سنيناً) منصوب بفتحة ظاهرة، وقد مرَّ المفسِّر على طريقة مَنْ يجعلُه مثل (حين)، ومنه: حديث: «اللهمَّ اجعلها عليهم سنيناً كسِنِينِ يوسف» في إحدى الروايتين[١].

قوله: (﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾) أي: أعميتُم عن الحقِّ فلا تعقلونه؟

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ، بمعنى النفي.

قوله: (بنسبة الشريك إليه) أشار المفسِّر إلى أنَّ الخطاب متوجِّه لهم، والمعنى على ذلك: إنكم افتريتُم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً، والله منزَّه عنه، وثبت عندكم صِدقي بالقرآن، فكذَّبتم بآياته.

قوله: (﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾) عطف على ما تقدَّم، عطف قصة على قصة، بيانٌ لقبائحهم، وفي الحقيقة عبادتهم غيرَ الله تسبَّب عنه ما تقدَّم من افترائهم وتكذيبِهم بآيات الله.

---

(١) رواها أبو عوانة في «مستخرجه» (٢١٦٩)، والدارقطني في «سننه» (٢/ ٣٦٨)، والحديث في «صحيح البخاري» (١٠٠٦)، و«صحيح مسلم» (١٤٨٥) على الإعراب بالحروف.

مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ....

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لَم يَعبُدُوه، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عَبَدُوهُ وهو الأصنامُ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾: تُخبِرُونَه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾؟ استِفهامُ إنكار؛ إذ لَو كان لَه شَرِيكٌ لَعَلِمَه؛ إذ لا يَخفَى عليه شَيء، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً لَه، ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ه معه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾) (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة، ونفي الضُّر والنفع هنا باعتبار ذواتهم، وإثباتهما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣] باعتبار النسب.

قوله: (وهو الأصنام) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾) قال أهلُ المعاني: توهَّموا أن عبادتها أشدُّ في تعظيم الله من عبادتهم إيَّاه، وقالوا: لَسنا بأهلٍ أن نعبد الله، ولكن نَشتغل بعبادة هذه الأصنام؛ فإنها تكون شافعةً لنا عند الله، قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

إن قلتَ: إنهم ينكرون البعث؛ ففي أيِّ وقت يشفعون لهم على زَعمهم؟ أجيبَ: بأنهم يَرجون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معاشهم.

قوله: (﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾) المقصود: نفي وُجود الشريك بنفي لازمه؛ لأنَّ علمه تعالى محيطٌ بكلِّ شيء؛ فلو كان موجوداً.. لَعلمه الله، وحيث كان غيرَ معلوم لله.. وجب ألَّا يكون موجوداً، وهذا مثلٌ مشهور؛ فإن الإنسان إذا أراد نفيَ شيءٍ وقع منه.. يقول: ما عَلِم الله ذلك منِّي؛ أي: لم يَحصل ذلك منِّي قطُّ.

قوله: (﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) حال من العائد المحذوف في (يَعلم).

قوله: (استفهام إنكار) أي: بمعنى النفي.

وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ....

﴿١٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دِينٍ واحِد وهو الإسلام مِن لَدُنْ آدم إلى نُوحٍ، وقِيل: مِن عَهد إبراهِيمَ إلى عَمرِو بن لُحَيٍّ، ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ بِأن ثَبَتَ بَعضٌ وكَفرَ بَعض، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتَأخِيرِ الجَزاء إلى يَومِ القِيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: النَّاسِ في الدُّنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الدِّين بِتعذِيبِ الكافِرِين.

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهلُ مَكَّة: ﴿لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على مُحمَّد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما كان لِلأنبياءِ مِن النَّاقةِ والعَصا واليَد، ﴿فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾: ما غابَ عن العِباد أي: أمرُه ﴿لِلَّهِ﴾ ومِنهُ الآياتُ، فلا يَأتِي بِها إلَّا هو، وإنَّما عليَّ التَّبلِيغ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾) أي: متَّفقين على الحقِّ والتوحيد من غيرِ اختلاف.

قوله: (مِن لدن آدم إلى نوح) أي: إنَّ عبادة الله وَحده استمرَّت من آدم إلى نوح، فظهر في أمة نوح من يَعبد غيرَ الله، قال تعالى في شأنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا...﴾ [نوح: ٢٣] الآية، فأُخذوا بالطوفان.

وقوله: (وقيل: من عهد إبراهيم) أي: إنه ظَهر في زمن إبراهيم مَن يعبد غير الله، فأهلكوا بالبعوض، واستمرَّ مَنْ يعبد الله وحده إلى أن ظهر عمرُو بن لحيٍّ، وهو أول من بحر البحائر، وسيَّب السوائب في الجاهلية إلى أن ظهَر سيدنا محمد ﷺ.

قوله: (﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾) المراد فيها: حُكمه الأزلي بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) أي: في الدين الذي يختلفون بِسببه.

قوله: (بتعذيب الكافرين) متعلِّق بـ(قُضي).

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَآ﴾ تحضيضيَّة.

قوله: (﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾) أي: معجزةٌ كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

قوله: (﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾) أي: مختصٌّ به لا يَقدر على الإتيان بشيءٍ منه إلا الله،

فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ....

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العَذابَ إن لَم تُؤمِنُوا، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّة ﴿رَحْمَةً﴾: مَطراً وخِصباً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: بُؤسٍ وجَدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ بِالاستِهزاءِ والتَّكذِيب، ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: مُجازاةً، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحَفَظَة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياء ـ.

حاشية الصاوي

وإنما لم يُجابُوا بعين مطلوبهم؛ لِعلمه بقاءَ هذه الأمَّة وهذا الدِّينِ إلى يوم القيامة، وقد جرَت عادته سبحانه وتعالى أنَّ القوم الذين يطلبون الآيات إذا جاءت ولم يُؤمنوا بها.. يعجِّل لهم الهلاك، فعدمُ إجابتهم على طبق ما طلبوا.. رحمةٌ لهم.

قوله: (﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾) أي: لِما يفعله بكم.

قوله: (﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾) هذا جوابٌ آخرُ عن قول أهل مكة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ وذلك أنه لما اشتدَّ من أهل مكة العنادُ وعدمُ الإذعان.. ابتَلاهم الله بالقَحط سبع سنين، ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب، فجَعلوا ذلك هزواً وسخرية، وأضافوا المنافع إلى الأصنام وقالوا: لو كان القحط بسبب ذُنوبنا كما يقول محمد.. ما وصل لنا بعد ذلك الخصب؛ لأننا لم نَتُب؛ فإذا كان كذلك.. فعلى تقدير أن يُعطوا ما سألوا من إنزال ما طلبوه لا يؤمنون.

قوله: (بِالاستهزاء... إلخ) تفسيرٌ للمكر.

قوله: (﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾) أي: أعجل عقوبةً من سُرعة مكرهم، وتسميةُ عقوبة الله مكراً مُشاكلةٌ.

قوله: (﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾) تعليلٌ لأسرعيَّة مَكره، وتنبيهٌ على أنَّ ما دبَّروه غير خافٍ على الحفَظة فضلاً عن العَليم الخبير.

قوله: (بالتاء والياء) أي: لكن الأُولى سبعيَّة، والثانية عشريَّة[1].

---

(١) قرأ الحسن وقتادة ومجاهد والأعرجُ ونافع في رواية بياء الغيبة، والباقون بالخطاب. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٦٨).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ ....

﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ - وفي قِراءَة: (يَنشُرُكُم) - ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ - فِيه التِفاتٌ عن الخِطاب - ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: لَيِّنَة، ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شَدِيدَة الهُبُوب تَكسِر كُلَّ شَيء، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أُهلِكُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾) الجملة المعرَّفة الطرفين تفيد الحصر؛ أي: لا مُسيِّر لكم في البرِّ والبحر إلا هو، وهذا من جملة أدلَّة توحيده.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، من النَّشر، وهو: البثُّ والتفريق، والمعنى: يفرِّقكم ويبثُّكم في البر والبحر، والرَّسم متقارب، لكن طُوِّلت السِّنَّة الثانية وهي النون في القراءة الثانية، وطوِّلت السِّنَّة التي قبل الراء وهي الياء على القراءة الأُولى.

قوله: (﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾) مُشاةً وركباناً.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾) غاية للسَّير في البحر. و(الفُلك) يُستعمل مفرداً وجمعاً، فحركتُه في المفرد كحركة (قُفْل)، وحركته في الجمع كحركة (بُدْن)، وهنا مستعمل في الجمع؛ بدليل: ﴿وَجَرَيْنَ﴾، وفي آية: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩] مُستعمل مفرداً.

قوله: (فيه التِفات عن الخطاب) أي: إلى الغيبة، وحِكمته: زيادة التقبيح على الكفار؛ لأنَّ شأنهم عدمُ شكر النعمة، وأما الخطاب أوَّلاً.. فهو لكل شخصٍ؛ مُسلم أو كافر بتعداد النِّعم عليهم.

قوله: (﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾) أي: تُوصل للمقصود بلطف.

قوله: (﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾) الجملة حاليَّة من ضمير ﴿بِهِم﴾، و(قد) مقدَّرة.

قوله: (﴿وَظَنُّوٓاْ﴾) أي: أيقَنوا.

قوله: (أي: أهلكوا) أي: ظنُّوا الهلاك؛ لِقيام الأسباب بهم.

---

(١) قرأ ابن عامر بعد الياء الأولى بنون ساكنة بعدها شين معجمة مضمومة، والباقون بسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشدَّدة. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٣).

دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ....

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الدُّعاءَ ﴿لَئِنْ﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوالِ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المُوَحِّدِينَ.

﴿٢٣﴾ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بِالشِّرك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾: ظُلمكُم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لِأنَّ إثمَه علَيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُخْلِصِينَ﴾) أي: غير مشركين معه شيئاً من آلهتهم.

قوله: (﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾) هذا مقولٌ لقول محذوف، بيان لمحصل الدعاء، والتقدير: قائلِين: وعزَّتك وجلالك؛ لَئن أنجيتنا.

قوله: (﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾) أي: على نَعمائك، الموحِّدين لك.

قوله: (﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾) ﴿إِذَا﴾: للمفاجأة، والمعنى: فحين أنجاهم فاجؤوا الفساد وبادرُوا إليه.

قوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾) إمَّا وصفٌ كاشفٌ، أو احترز به عن البغي بحقٍّ؛ كاستيلاء المسلمين على الكفار، وتخريب دُورهم، وإتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقُريظة[1].

قوله: (﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾) الكلام على حذف مضاف؛ أي: إثم بَغيكم؛ كما يشير له المفسِّر بقوله: (لأن إثمه عليها)، والمعنى: إن وَبال بغيكم راجعٌ لأنفسكم، لا يضرُّ الله منه شيء؛ كما لا يَنفعه طاعة المطيع، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وقال العارف: ماذا يضرُّك وهو عاصٍ، أو يفيدك وهو طائع؟! فإشراك المشرك لا يُثْبِتُ لله شريكاً، بل هو محض افتراءٍ وكذبٍ، ووَباله على صاحبه، وتوحيد الموحِّد لا يثبت لله وَحدة، بل هي ثابتة أزلاً وأبداً، بل معنى (وحَّدت ربي): قامت وَحدته بقلبي، وامتزجت بلبِّي، وليس المعنى: أنه أثبت له وحدة لم تكن؛ فإنَّ هذا هو الكفر بعَينه، وفي ذلك قال العارف[2]: [السريع]

مـا وحَّـد الـواحِـدَ مـن واحِـد إذ كُـلُّ مَـن وحَّـدَهُ جـاحِـدُ

---

(١) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (٤٦٢٠) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) «منازل السائرين» (ص١٣٩).

﴿مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٣ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ ....

هو ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تُمتَّعُونَ فِيها قَليلاً، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بعدَ المَوت، ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فنُجازِيكُم علَيهِ، ـ وفي قِراءَة بِنَصبِ ﴿مَتَٰعَ﴾ أي: تَتمتَّعُون ـ.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾: مَطَر ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾: بِسَبَبِه ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ واشتَبَكَ بَعضُه بِبَعضٍ، ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن البُرِّ والشَّعِير وغَيرِهما، ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ مِن الكَلَأ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾: بَهجَتَها مِن النَّبات، ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾) قدَّر المفسِّر (هو)؛ إشارةً إلى أنه بالرفع، خبرٌ لمحذوف.

قوله: (تمتَّعون فيها قليلاً) أي: زمناً قليلاً.

قوله: (﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾) أي: لا مفرَّ لهم من ذلك، وإنما إمهالهم وتأخيرهم مِن حلمه سبحانه وتعالى.

قوله: (فنجازيكم عليه) أي: على ما عَمِلتموه من خير وشرٍّ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (بنصب ﴿مَتَٰعَ﴾) أي: مفعول لفعل محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (أي: تمتَّعون).

قوله: (﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾) بيان لشأن الدنيا، وأنَّ مدَّتها قصيرة، والمعنى: صفتها في سرعة انقضائها وكونكم مَغرورين بها كماء... إلخ.

قوله: (﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) حكمةُ تشبيهها بماء السماء دون ماء الأرض: إشارة إلى أنَّ الدنيا تأتي بلا كَسب من صاحبها، ولا تعانٍ منه كماء السماء، بخلاف ماء الأرض فيُنال بالآلات.

قوله: (وغيرهما) أي: كالذرة والحمص واللوبيا والفول ونحو ذلك.

قوله: (من الكلأ) هو: العشب رطباً أو يابساً.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾) غاية لمحذوف؛ أي: ما زال ينمو ويزهو حتى... إلخ،

(١) قرأ حفص «متاع» بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٧٤).

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ....

بِالزَّهرِ، وأصلُه: تَزَيَّنَت، أُبدِلَت التَّاء زاياً وأُدغِمَت في الزَّاي، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: مُتَمَكِّنُونَ مِن تَحصِيل ثِمارِها، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: قَضاؤُنا أو عَذابُنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: زَرعَها ﴿حَصِيدًا﴾: كالمَحصُودِ بِالمَناجِلِ، ﴿كَأَن﴾ - مُخفَّفة - أي: كأنَّها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾: تكُن ﴿بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

والمعنى: حتى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات، وتمَّ سرور أهلها بها؛ أتاها أمرنا... إلخ.

قوله: (**بالزهر**) أي: أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك.

قوله: (**وأدغمت في الزاي**) أي: بعد تَسكينها، وأتي بهمزة الوصل؛ لأجل النطق بالساكن، فلمَّا دخلت الواو.. حُذفت؛ للاستغناء عنها.

قوله: (**متمكنون من تحصيل ثمارها**) أي: مِن أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبُقول.

قوله: (﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾) جواب ﴿إِذَآ﴾.

قوله: (**كالمحصود**) أي: المقطوع.

قوله: (﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾) أي: كأن لم تكن تِلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض، وهذا مثل للراغب في زَهرة الدنيا وبهجتها، الرَّاكن لها، المعرض عن الآخرة؛ فكما أن النبات الذي عَظم الرجاء فيه والانتفاع به أتته المتلفات بغتة ويُئِسَ منه، كذلك المتمسِّك بالدنيا إذا افتخر بها وتعزَّز.. يأتيه الموت بَغتة؛ فيسلبه ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذَّاتها.

قوله: (﴿بِٱلْأَمْسِ﴾) المراد به: الزمن الماضي، لا خُصوص اليوم الذي قبل يومك.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) أي: كما فصَّلنا في ضرب المثل.

قوله: (﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾) أي: فليس هذا المثل قاصراً على شَخص دون شخص، بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبُّر، فينبغي للإنسان أن ينزِّل القرآن في خطاباته على نفسه، ويتأمَّل فيها، ويتدبر؛ ليأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه.

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ....

﴿٢٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السَّلامةِ، وهيَ الجَنَّة بِالدُّعاءِ إلى الإيمان، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَتَه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾: دِينِ الإسلام.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدينا ورغب في الزهد فيها والتجنُّب لِزخرفها. . رغَّب في الآخرة ونعيمها؛ حيث أخبر أنه بعَظمته وجلاله وكبريائه يدعو إلى دار السلام.

و(السلام): اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: المنزَّه عن كل نقص، المتَّصف بكل كمال، وأُضيفت (الدار) لـ(السلام)؛ لأنها سالمة من الآفات والكدرات؛ كما أنَّ معنى السلام: السَّالم من كل نقص.

قوله: (أي: السلامة) أي: من الآفات والنقائص.

قوله: (وهي الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم: ما يَشمل جميع الجنات، لا خصوص المسمَّاة بهذا الاسم، من باب: تسمية الكلِّ باسم البعض، وكذا يقال في باقي دُورها؛ كدار الجلال، وجنة النعيم، وجَنة الخلد، وجنة المأوى، والفردوس، وجنة عَدن، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمَّياتها؛ يطلق كل اسم منها على جميع دُورها؛ لصدق الاسم على المسمَّى في كلٍّ.

قوله: (بالدعاء للإيمان) أي: سبب لدخول الجنة وإن كان صاحبه عاصياً، فالمدار في استحقاق الجنة: على مجرد الإيمان.

قوله: (﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾) أي: يُوصله إلى السعادة الكاملة.

قوله: (هدايته) هذا هو مفعول ﴿يَشَآءُ﴾.

قوله: (﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾) أي: طريق قويم لا اعوجاج فيه، وحذف مقابل ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ. . .﴾ إلخ، تقديره: (ويُضل من يشاء عنه)، فالضلال والهدى بيَد الله، يعطي أيَّهما شاء لمن شاء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۭ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌۭ وَلَا ذِلَّةٌ ....﴾

(٢٦) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمانِ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجَنَّة ﴿وَزِيَادَةٌۭ﴾ هي النَّظر إلَيهِ تَعالى كما في حَديث مُسلِم، ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يَغشَى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌۭ﴾: سَوادٌ، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: كَآبةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾) خبر مقدَّم، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (بالإيمان) أي: ولو صحبه ذنوب، فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وإن كانَت مراتب أهل الجنة متفاوتة؛ فليس المنهمكون في طاعة الله كغيرهم.

قوله: (هي النظر إليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين[١]، وقيل: المراد بالزيادة: رضوان الله، وقيل: مضاعفة الحسنات، وقيل: الزيادة: غُرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة أبواب، ولكن القول الأول هو الذي عليه المعوَّل؛ لأنَّ النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك، ويدل للقول الأول ما ورَدَ: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ.. يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا، ألم تُدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيَنكشف الحجاب، فما يعطون شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى**»[٢]، زاد في رواية: (ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۭ﴾)[٣].

واعلم: أن الناس جميعاً في الجنة يَنظرون إليه سبحانه وتعالى في مثل يوم الجمعة من الأسبوع، وفي مثل يوم العيد من السنة، وهذه هي الرؤية العامَّة لجميع أهل الجنة، وللخواصِّ مراتبُ متفاوتةٌ؛ فمنهم من يَراه في كلِّ صباح ومساء، ومنهم من يراه في مثل أوقات الصلوات الخمس، ومِنهم من لا يحجب عن الرؤية أبداً؛ لما قيل: (إن لله رجالاً؛ لو حُجبوا عن الرؤية طرفةَ عينٍ.. لتمنَّوا الخروج من الجنة)[٤].

قوله: (﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾) الجملة مستأنفةٌ.

قوله: (سواد) أي: وغبار، فأهل الجنة بِيض الوجوه، في غاية من البسط والجمال، فلا يعتريهم نكدٌ ولا كدرٌ، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌۭ يَوْمَئِذٍۢ مُّسْفِرَةٌۭ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌۭ مُّسْتَبْشِرَةٌۭ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩].

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٢) رواه مسلم (٣٦٨) عن سيدنا صُهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه.

(٣) رواها مسلم (٣٦٩).

(٤) انظر «تفسير التستري» (ص١٠٠).

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا ....

﴿أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ - عَطف على ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ - أي: ولِلَّذين ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: عَمِلُوا الشِّركَ ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ﴾ - زائِدة - ﴿عَاصِمٖۖ﴾: مانِع، ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾: أُلْبِسَت ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا﴾ - بِفَتحِ الطَّاء - جَمع قِطعَة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُولَٰٓئِكَ﴾) أي: المحدَّث عنهم بأنَّ لهم الحسنى وزيادة.

قوله: (﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أي: لا يخرجون منها أبداً.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾) شروعٌ في ذكر صفات أهل النار إِثْرَ ذكر صفات أهل الجنة.

قوله: (عطف على ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾) أي: ويكون فيه العطف على معمولَي عاملين مختلفين؛ لأنَّ (الذين) معطوف على (الذين) الأول، والعامل فيه المبتدأ الذي هو (الحسنى)، وقوله: (جزاء سيئة) معطوف على (الحسنى)، والعامل فيه الابتداء، وهذا الوجه فيه خِلاف بين النحويين؛ ولذلك حاول بعضهم إعراب الآية حتى ذكر فيه سبعة أوجه: أحسنُها: أن قوله: (الذين) مبتدأ أول، و(جزاء سيئة) مبتدأ ثان، و(بمثلها) خبر الثاني، والثاني وخبره خبرُ الأوَّل، والباء زائدة، ويدلُّ لزيادتها قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

قوله: (﴿بِمِثۡلِهَا﴾) أشار بذلك إلى الفرق بين الحسَنات والسيئات؛ فالحسنات مضاعفة بفضل الله، والسيئات جزاؤها مِثلها؛ عدلاً منه سبحانه وتعالى، قال صاحب «الجوهرة»[1]: [الرجز]

فَالسَّيِّئَاتُ عِنْدَهُ بِالمِثْلِ ... وَالحَسَنَاتُ ضُوعِفَتْ بِالفَضْلِ

قوله: (﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾) أي: يَغشاهم الذل والكآبة.

قوله: (﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾) أي: من عذابه وسَخطه.

قوله: (﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾) أي: غطِّيت.

(١) انظر شرح «الجوهرة» للمصنف (ص٣٧٨).

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ﴾ ....

وإسكانِها أي: جُزءاً ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٨ ﴿وَ﴾ اذكُـر ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾ أي: الـخَـلـقَ ﴿جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ﴾ ـ نَصبٌ بِـ(الزَمُوا) مُقَدَّراً ـ ﴿أَنتُمۡ﴾ ـ تَأكِيد لِلضَّمِيرِ المُستَتِر في الفِعل المُقَدَّر لِيَعطِف علَيهِ ـ

حاشية الصاوي

قوله: (وإسكانها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى على الأول: كأن أجزاء الليل غَطَّتهم ولبستهم، وعلى الثانية: كأنَّ جزءاً من الليل غَشِيهم وغطَّى وجوههم، وهذه الآية بمعنى الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢]. وما مشى عليه المفسِّر من أن (القطع) بالسكون: الجزء.. هو أحدُ أقوال في تفسيره، وقيل: هو سَواد الليل، وقيل: هو ظلمةُ آخر الليل.

قوله: (﴿مُظۡلِمًاۚ﴾) حال من ﴿ٱلَّيۡلِ﴾.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) أي: الموصوفون بما ذكر.

قوله: (﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾) أي: المستحقُّون لها.

قوله: (﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أي: ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد.

قوله: (﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾) شروعٌ في ذكر محاجَّة أهل الشرك مع مَعبوداتهم إثرَ بيان أصحاب النَّار. و(يوم) ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر).

قوله: (نصب بـ«الزموا») أي: على أنه مفعول به، والمعنى: الزمُوا هذا المكان ولا تبرحوا عنه، أو ظرف بجعل (الزموا) بمعنى: (قِفوا).

قوله: (تأكيدٌ للضمير المستتر) أي: الذي هو الواو، وتَسميته مستتراً فيه مسامحةٌ؛ إذ الواو من الضمائر البارزة، وقد يجاب: بأن المراد بالاستتار: عدمُ الذكر بالفعل.

قوله: (المقدَّر) أي: الذي هو (الزمُوا)، والإخبار بهذا الأمر؛ للتهديد، يَصدر من الله على لسان ملك، لا مباشرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

---

(١) قرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ١٨٦).

وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ....

﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: الأصنامُ، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميَّزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبينَ المُؤمِنِينَ كما في آيَةِ ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَّا﴾: نافِيَة، وقُدِّمَ المفعولُ لِلفاصِلة.

﴿٢٩﴾ ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ ـ مُخَفَّفة ـ أي: إنَّا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَزَيَّلْنَا﴾) من التزييل، وهو: التفريق والتمييز، يقال: زِلْ ضأنك من مَعزك[1]؛ أي: فرّق بينهما، وميِّز هذا من هذا، ووزنه (فعَّل) بالتضعيف، فهو من ذوات الياء، أو (فيعل)، وأصله: (زَيول)، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء، فهو من ذوات الواو.

قوله: (﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسِّر، وهو بعيدٌ من سابق الكلام ولاحِقه، وقيل: ميَّزنا بينهم وبين معبوداتهم، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وهو الأقرَب؛ لأنَّ الكلام فيه.

قوله: (﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾) إنما أضيفت الشركاء لهم؛ لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة.

قوله: (﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾) قال مجاهد: تكون في القيامة ساعةٌ فيها شدَّةٌ، تُنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نُبصر ولا نعقل ولا نَعلم أنكم كنتم تعبدونَنا، فيقولون: والله إياكم كنَّا نعبد، فتقول الآلهة لهم: فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنَّا عن عِبادتكم لغافلين[2].

قوله: (للفاصلة) أي: تناسُب رؤوس الآي.

قوله: (﴿لَغَٰفِلِينَ﴾) أي: لا عِلم لنا بذلك.

---

(١) ووزن الفعل في هذا المثال: (فِلْ).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٣٦٢).

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿٣٠﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ذٰلك اليومَ ﴿تَبْلُوا﴾ مِن البَلوَى، وفي قِراءَة بِتاءَينِ مِن التِّلاوَة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قَدَّمَت مِن العَمَل، ﴿وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: الثَّابِتِ الدَّائِم، ﴿وَضَلَّ﴾: غابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ علَيهِ مِن الشُّرَكاء.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) إشارة للمكان البعيد، وهو الموقف الذي يُدهش العقول.

قوله: (﴿تَبْلُوا﴾) أي: تختبر وتَعلم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، (من التلاوة) أي: تقرأ ما أسلَفته وقدَّمته فتجده مسطَّراً في صحف الملائكة، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، أو: من التلو؛ أي: تَتْبع وتَطلب ما أسلَفته من أعمالها، وفي قراءة أيضاً: (نَبلو) بالنون بعدها باء موحدة؛ أي: نختبر نحن، و(كل) بالنصب مفعول به عليها، وهي شاذة[2].

قوله: (﴿وَرُدُّوٓا﴾) أي: المشركون.

قوله: (الثابت الدائم) أي: الذي لا يَقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾) أي: غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق، فلا ينافي أنهم معهم في النار، وهكذا كلُّ مَنِ اعتمد على غير الله.. يقال له: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ...﴾ الآية؛ فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص قَلبه من الوهم الذي يُلجئه إلى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو عِلم أو عمل أو غير ذلك؛ ليرى الحق حقًّا، والباطل باطلاً؛ فيَتبع الحق، ويجتنب الباطل، وبهذا الأمر يتبيَّن الولي من العاصي؛ فالولي يرى الأشياء كلَّها ظاهراً وباطناً من الله، فهو دائماً مطمئنٌّ، ساكنٌ، مسلِّم لله في كل ما يَفعله، والعاصي يعتقد ذلك بقلبه، غير أنَّ الوهم يخيِّل له أن لغير الله ضرًّا أو نفعاً، فيكون دائماً في تعب ونصب، وقد آشار العارف لذلك بقوله: [الطويل]

وما الخَلْقُ في التِّمثالِ إلَّا كثَلْجَةٍ ... لها صُورةٌ لكن تبدَّتْ عنِ الماءِ

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بتاءَين، من التلاوة، والباقون بباء مُوحَّدة بعد التاء من البَلوى. انظر «السراج المنير» (٢/١٧).

(٢) وهي قراءة عاصم في رواية. انظر «الدر المصون» (٦/١٩٣).

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ....

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بِالنَّباتِ، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنَى الأسماعِ أي: خَلْقَها ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بَينَ الخَلائِقِ؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿ٱللَّهُ فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ه فَتُؤمِنُون؟

حاشية الصاوي

فذو الكَشْفِ لم يشهَدْ سوى الماءِ وحدَهُ   تبدَّى بوصفِ الثَّلْجِ من غيرِ إخفاءِ
ومَن حجبَتْهُ صورةُ الثَّلجِ جاهِلٌ   تغطَّى عليه الأمرُ من لمْعِ أضواءِ

قوله: (﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾... إلخ) أمر سبحانه وتعالى نبيَّه ﷺ أن يُقيم الحجة على المشركين، ويُبطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية، أجاب المشركون عن الخمسة الأولى، وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجوابُ الأخير لم يذكر؛ لِلعلم به، وقد صرَّح به المفسِّر.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: رزقاً مبتدأ من السماء والأرض.

قوله: (بالمطر) فهو سببٌ لإخراج نبات الأرض، فصحَّ كون الرزق من السماء.

قوله: (﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾) أي: يَخلقه ويحفظه من الآفات في كلِّ لحظة؛ إذ هو معرَّض للزوال لولا حفظ الله له.. ما ثبت.

قوله: (بمعنى: الأسماع) إنما قال ذلك؛ ليوافق (الأبصار).

قوله: (﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾) جمع بَصر، والمعنى: أن الله هو الخالق للأبصار، الواضع للنور فيها الذي به الإبصار، وهو الحافظ.

قوله: (﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾... إلخ) تقدَّم أن المراد بالحيِّ: الإنسان والطير، وبالميت: النطفة والبَيضة.

قوله: (﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾) عطف عام على خاصٍّ؛ لأنَّ تدبير الأمر عامٌّ في كل شيء.

قوله: (﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾) أي: جواباً لما تقدَّم.

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾) أي: أدُمتم على الشرك فلا تتَّقونه؟ ويؤخذ من هذا: أن المعرفة ليست

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ....

﴿٣٢﴾ ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفاعِلُ لِهذه الأشياءِ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ ـ استِفهامُ تَقرير ـ، أي: ليسَ بَعده غَيره، فمَن أخطَأَ الحَقَّ وهو عِبادةُ الله وَقَعَ في الضَّلال، ﴿فَأَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمانِ مَع قِيام البُرهانِ؟

﴿٣٣﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صُرِفَ هؤلاءِ عن الإيمانِ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾: كَفَرُوا، وهيَ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآيَة [السجدة: ١٣]، أو هي: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

هي الإيمان؛ إذ لو كانت هي الإيمان.. لَكان إقرارهم بأن الله هو الفعَّال لهذه الأشياء توحيداً وإيماناً، بل الإيمان هو: حديث النفس التابع للمعرفة؛ أي: قول النفس: آمنتُ وصدَّقت على التحقيق.

قوله: (الثابت) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (استفهام تقرير) المناسب: (إنكار)؛ بدليل قوله: (أي: ليس بَعده غيره).

قوله: (وقع في الضلال) أي: الباطل، وهو الشرك؛ لأنه لا واسطة بين الحقِّ والباطل.

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾) أي: تُمنعون، وهو استفهام تعجبي.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) الكاف: في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير: مِثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به حقَّت... إلخ.

قوله: (وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾) أي: فالمراد: نفذ القضاء والقدر بأن جهنم تَمتلئ من الجن والأنس حتى تقول: (قَط قط)[1].

قوله: (أو: هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) (أو): لتنويع الخلاف؛ أي: فالمراد بكلمة الله على هذا القول: نُفوذ قضاء الله وقدَره بعدم إيمانهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٧٢٧٩) عن سيدنا أنس ﷺ، وقوله: (قط قط): معناه: (حسبي) أي: يكفيني، وفيه ثلاث لغات: إسكان الطاء فيهما، وكسرها مُنوَّنة وغير منونة. انظر «شرح مسلم» (١٧/ ١٨٢).

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ ....

﴿٣٤﴾ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرَفُونَ عن عِبادَتِه مع قِيامِ الدَّليلِ؟

﴿٣٥﴾ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بِنَصبِ الحُجَجِ وخَلقِ الاهتِداءِ؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو اللهُ ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: يَهتَدِي ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ . . . إلخ) هذا هو السؤال السادس.

قوله: (﴿مَّن يَبْدَؤُا۟﴾) أي: يُنشئ الخلق من العدم.

قوله: (﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾) أي: الخلق في القيامة للحساب والجزاء، وإنما لم يُجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه؛ لأنهم منكرون للبعث؛ فلو أجابوا . . لكان ذلك إقراراً منهم بالبعث، وصحَّ أن يكون حُجة عليهم؛ لقيام الأدلة والبراهين عليه، فلا يستطيعون أن يُنازعوا في ذلك.

قوله: (﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾) هذا هو السؤال السابع، والمعنى: هل مِنْ شركائكم مَنْ يقيم الحجج ويُرسل الرسل ويُوفق العبيد لرشادهم؟! ولما لم يكونوا مسلِّمين ذلك. . تولى الله جوابه أيضاً.

قوله: (﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾) أي: فهو أحقُّ بالاتباع، لا هذه الأصنام التي لا تهتدي بنفسها.

قوله: (﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾) هذا هو السؤال الثامن، وقد ذكر المفسِّر جوابه بقوله: (الأول أحقُّ).

قوله: (﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾) خبر قوله: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ﴾، والمعنى: أفمَن يهدي إلى الحق حقيقٌ بالاتباع أم من لا يَهدي إليه؟!

قوله: (﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾) أصله: (يَهتَدِي) نقلت فتحة التاء إلى الهاء، وأبدلت التاء دالاً، وأدغمت في الدال. و(يهدي) بفتح الهاء وكسرها، وبكسر الياء والهاء معاً، فالقراءات ثلاث، وكلُّها سبعيَّة؛ فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين، وكسر الياء إتباع لكسر الهاء[1].

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء، وحفص بكسر الهاء دون الياء، وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع بفتح الياء واختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال، وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش بإكمال فتحة الهاء على أصل النقل. انظر «الدر المصون» (٦/١٩٩).

إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ....

﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ أحَقُّ أن يُتَّبَع؟ استِفهام تَقرِير وتَوبِيخ، أي: الأوَّلُ أحَقُّ، ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ هذا الحُكمَ الفاسِدَ مِن اتِّباع ما لا يَحِقُّ اتِّباعُه؟

٣٦ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ في عِبادةِ الأصنامِ ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾ حيثُ قَلَّدُوا فِيهِ آباءَهُم، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ فِيما المَطلُوب مِنهُ العِلمُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾) استثناء من أعم الأحوال، والمعنى: لا يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهداء الغير إياه، ومعنى هداية الأصنام: كونها تَنتقل من مكان لآخر، فالمعنى: لا تنتقل من مكان لآخر إلا أن تحمل وتنقل، وهذا ظاهر في الأصنام، وأما مثل عيسى والعزير.. فمعنى (لا يَهدي): لا يخلق الهدى؛ لا في نفسه، ولا في غيره، فالخلق كلُّهم عاجِزون؛ إذ لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن غيرهم.

قوله: (﴿فَمَا لَكُمۡ﴾) أي: أيُّ شيء ثبت لكم في هذه الحالة؟

قوله: (﴿كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾) أي: بالباطل، وتجعلون لله شريكاً.

قوله: (﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾) يُفيد: أنَّ الأقلَّ يعرفون أن الله منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، متَّصفٌ بكلِّ كمال، غير أنهم يكفرُون عناداً.

قوله: (حيث قلَّدوا فيه آباءهم) أي: فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾) المراد بالظن: خِلاف التحقيق، فيشمل الشكَّ والوهم، وهذا الكلام في حقِّ الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلَّدوهم فيه، فلا عذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى، وأما المؤمن الخالص الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجَز عن قيام الأدلة على التوحيد وقلَّد العارف فيه.. فليس من هذا القَبيل، بل هو مؤمن جزماً؛ لأنه ليس عنده ظنٌّ، بل جزم مطابق للواقع، وربما إنْ دام على الصدق ومتابعة من يُقلده.. يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجلَّ من مقام مَن قلَّده، وأما القول بأنه كافر.. فإنما يُعرف لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة؛ فلا يُعوَّل عليه.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ فيُجازيهم عليه.

﴿٣٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾ أي: افتراءً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، ﴿وَلَٰكِن﴾ أُنزِلَ ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ مِن الكُتُب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾) هذا تهديدٌ لهم على ما وَقع منهم من الأفعال الشنيعة، والأحوال القَبيحة.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾) المقصودُ من هذا الكلام: الردُّ على من كذَّب بالقرآن وزَعم أنه ليس من عند الله، والمعنى: لا يَنبغي لهذا القرآن أن يختلف ويُفتعل؛ لأنَّ تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين؛ وذلك لأنَّ حسن الكلام على حسَب سَعة علم المتكلم واطلاعه، ولا أحد أعلَم من ربِّ العالمين؛ فلذلك أعجز الخلائق جميعاً؛ لِكونه في أعلى طبقات البلاغة؛ ولذلك قال صاحب «الهمزية»[1]: [الخفيف]

أَعـجـزَ الإنـسَ آيـةٌ مِـنـهُ والـجِـ ـنَّ فـهـلَّا تَـأتـي بـه الـبُـلَـغـاءُ

إلى أن قال:

سُـوَرٌ مـنـهُ أشـبـهَـتْ صُـوراً مِـ ـنَّـا ومِـثـلُ الـنـظـائـرِ الـنُّـظَـراءُ

قوله: (أي: افتراءً) أشار بذلك إلى أن خبر ﴿كَانَ﴾: (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر.

قوله: (﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾) هذا الاستدراك وقع أحسَن موقع؛ لأنه وقع بين نقيضَين، وهما: الكذب، والصدق. و﴿تَصۡدِيقَ﴾ بالنصب خبر لـ (كَانَ) مقدَّرة، والتقدير: ولكن كان تصديق... إلخ، أو مفعول لأجله لفعل محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (أنزل)، وتَصديق: بمعنى: مُصدق، أو بولغ فيه حتى جعل نفس التصديق، على حدِّ (زيد عدلٌ)، وكذا يقال في قوله: ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

قوله: (من الكتب) أي: السماويَّة المنزلة على الأنبياء.

---

(١) انظر «المنح المكية» (ص٣٨٦) وما بعدها.

وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ ....

﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: تبيينَ ما كَتَبَهُ الله مِن الأحكام وغَيرِها، ﴿لَا رَيۡبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ - مُتعَلِّق بـ﴿تَصۡدِيقَ﴾ أو بـ(أُنزِلَ) المَحذُوف، وقُرِئ بِرَفعِ (تَصدِيق) و(تَفصِيل) بِتَقدِير (هو) -.

﴿٣٨﴾ ﴿أَمۡ﴾ بل أ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: اختَلَقَهُ مُحمَّد؟ ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في الفَصاحةِ والبَلاغةِ على وَجه الافتِراء؛ فإنَّكُم عَرَبِيُّونَ فُصَحاءُ مِثلِي، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ لِلإعانةِ علَيهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾) أي: مُفصل لما في الكتاب، وهو اللوح المحفوظ؛ فالقرآن مفصِّل لما كتب في اللوح المحفوظ؛ مِن علم ما كان وما يكون وما هو كائن في الدنيا والآخرة؛ فمَن أعطي شيئاً من أسرار القرآن.. فلا يحتاج للاطِّلاع على اللوح المحفوظ، بل يأخذ منه ما أرادَه.

قوله: (وغيرها) أي: من المغيَّبات.

قوله: (﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾) حال من (التصديق) و(التفصيل)، وهذا هو الأظهَر.

قوله: (متعلق بـ﴿تَصۡدِيقَ﴾، أو بـ(أُنزِلَ)) أي: ويكون قوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ مقترناً بين المتعلِّق والمتعلَّق.

قوله: (وقرئ) أي: شاذًّا[1].

قوله: (﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾) ﴿أَمۡ﴾: منقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة، والمعنى: أنهم أصرُّوا على تلك المقالة، ولم يُذعنوا للحق.

قوله: (اختلقه محمد) أي: افتعله وليس من عند الله.

قوله: (﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ﴾) هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة، وهو جواب شرط مقدَّر، والتقدير: إن كان الأمر كما تَزعمون.. فأتوا بسورة مثله.

واعلَم: أن مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة:

---

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٠٢).

مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ....

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أَنَّهُ افتِراءٌ، فلَم يَقدِرُوا على ذلك. قال تعالى:

﴿٣٩﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ولَم يَتَدَبَّروهُ، ﴿وَلَمَّا﴾: لَم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: عاقِبةُ ما فِيه مِن الوَعِيد، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التَّكذِيبِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهُم،

حاشية الصاوي

أولها: أنه تحدَّاهم بِجَميع القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثانيها: أنه تحدَّاهم بعَشر سور، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣].

ثالثها: أنه تحدَّاهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

رابعها: أنه تحدَّاهم بحديث مثله؛ كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤].

قوله: (﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾) أي: من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فأتوا بسورة وادعوا... إلخ.

قوله: (﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾) أي: بِفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة؛ فتكذيبُهُم لعدم فهمهم معناه، وجَهلهم بفضله؛ ففي المثل: (مَنْ جهل شيئاً عاداه)[1]، وقال البوصيري[2]: [البسيط]

قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشَّمسِ من رَمدٍ ... ويُنكِرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

قوله: (﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾) أي: لم ينزل بهم الوعيد فيَحملهم على التصديق قهراً، فتكذيبُهُم لأمرين: جَهلهم بفضله، وعدم إتيان الوعيد لهم.

قوله: (من الوعيد) أي: وهو العذاب الموعود به.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب) أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى (مثل) نعت لمصدر محذوف؛ أي: مثل ذلك التكذيب كذَّبوا رُسلهم.

---

(١) انظر «مُعترك الأقران في إعجاز القرآن» للإمام السيوطي (١/ ٣٥٥).

(٢) في قصيدته البردة المشهورة.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٣٩ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۝٤٠ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ....

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيبِ الرُّسل، أي: آخِرُ أمرِهم مِن الهلاك، فكذلك نُهلِك هؤلاءِ.

٤٠ ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: أهلِ مكَّة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لِعِلمِ الله ذلك مِنهُم، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تَهدِيدٌ لَهم.

٤١ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لَهُم: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لِكُلٍّ جَزاءُ عَمَلِه، ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا مَنسُوخ بِآيةِ السَّيف.

٤٢ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قَرأْتَ القُرآن، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فكذلك نهلك هؤلاء) أي: بأن نُسلِّطكم عليهم؛ لتقتلوهم، وليس المراد: الهلاكَ العامَّ بالخسف والمسخ مثلاً؛ فإنَّ ذلك مرفوعٌ ببركته ﷺ.

قوله: (﴿وَمِنْهُم﴾) أي: من أهل مكة المكذِّبين.

قوله: (﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾) أي: في المستقبل، والمعنى: أن أهل مكة المكذِّبين للقرآن انقسموا قسمين: قسم آمن بعد، وقِسم لم يؤمن.

قوله: (﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾) أي: داموا على تكذيبك.

قوله: (أي: لكلٍّ جزاءُ عملِهِ) أي: جزاء ما عمله من خير أو شرٍّ.

قوله: (وهذا منسوخ بآية السيف) أي: فبعد نزولها لم يقُل ذلك، وفيه: أن شرط الناسخ: أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومَدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف؛ إذ مدلول هذه الآية اختصاص كلٍّ بعمله، وبراءة كلٍّ من عَمل الآخر، وهذا حاصل مطلقاً، فالوجه: أنه لا نسخ في هذه الآية.

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾) أي: مِن كفار مكة المكذِّبين للقرآن فريقٌ يُصغون إلى قراءتك بآذانهم، ولم يُذعنوا بقلوبهم، فلا تطمع في إيمانهم؛ لوجود الختم على قلوبهم، فلا يَفقهوا الحق ولا يتبعوه، وفي هذا تسليةٌ له ﷺ، كأنَّ الله يقول له: لا تحزن على عدم إيمانهم؛ فإنك لا تقدر أن تُسمِعَ الصُّمَّ ولو كانوا لا يَعقلون.

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ....

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شَبَّهَهُم بِهِم في عَدِمِ الانتِفاعِ بِما يُتلَى علَيهِم، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾ مع الصَّمَمِ ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُون؟

﴿٤٣﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾؟ شَبَّهَهُم بِهِم في عَدِمِ الاهتِداء، بَل أعظَم، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، والمعنى: أنت لا تَقدر أن تسمع مَنْ سلَبه الله السَّمع.

قوله: (شبَّههم) أي: الكفارَ، وقوله: (بهم) أي: بالصُّمِّ، وقوله: (في عدم الانتفاع) هذا هو وجه الشَّبه؛ أي: فكما أنَّ معدوم السمع لا يَنتفع بالأصوات.. فكذلك الكفَّار لا ينتفعون بسماع القرآن؛ لِوجود الحجاب على قلوبهم.

قوله: (﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾) أي: ولو كان مع الصمم عدمُ العقل، وجواب الشرط محذوفٌ، دلَّ عليه ما قبله، وجملةُ الشرط معطوفةٌ على محذوفٍ، تقديره: أفأنت تُسمع الصم إن عقلوا، بل ولو كانوا لا يعقلون.. فأنتَ لا تسمعهم، فيكون المعنى: أنت لا تسمع الصمَّ؛ عقَلوا أو لم يعقلوا، فهم كالأنعام، بل هم أضلُّ.

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾) أي: يُبصرك بعينه.

قوله: (﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾) يقال فيه ما قيل فيما قَبله.

قوله: (﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾) أي: لا يتأمَّلون ولا يتفكرون بقُلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة، والشمائل الفَخيمة، والمعنى: أنت لا تهدي عُميَ القلوب؛ أبصروا أو لم يُبصروا.

قوله: (بل أعظم) أي: لأنهم عَدموا البصيرة، والمشبَّه بهم عدموا البصر، وفَقْدُ البصيرة أعظمُ في الضرر من فَقْدِ البصر.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾) هذه الآية سِيقت لدفع توهم أن الله حيث سلَبهم العقل

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ ....﴾

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

(٤٥) ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ كَأَن﴾ أي: كأنَّهم ﴿لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ في الدُّنيا أو القُبورِ ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لِهَولِ ما رَأَوا، ـ وجُملةُ التَّشبيه حالٌ مِن الضَّمِير ـ، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ يَعرِف بَعضُهم بَعضاً إذا بُعِثُوا، ثُمَّ يَنقَطِع التَّعارُف لِشِدَّةِ الأهوال، ـ والجُملةُ حالٌ مُقَدَّرة أو مُتعَلَّق الظَّرف ـ

حاشية الصاوي

والسمع والبصر. . فتَعذيبهم على عدم الهدى ظلمٌ، فدفع ذلك: بأن الظلم هو: التصرف في مِلك الغير، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، فتقديرُهُ الشقاوةَ على أهلها ليس بظُلمٍ منه؛ لأنه هو المالك الحقيقي، وهو يتصرَّف في مُلكه كيف يشاء.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾) إنما قال ذلك؛ لأنَّ الفعل منسوبٌ إليهم بسبب الكسب الاختياريِّ، فالله سبحانه وتعالى يُعذِّب الشقيَّ على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختياري؛ فإن قيل: هو الخالق لذلك الكَسب. . يقال: لا يُسْأَلُ عمَّا يفعل.

قوله: (﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾[1]) أي: نَجمعهم للحساب، والضمير عائدٌ على المشركين المنكرين للبعث، والمعنى: ويوم نجمع المشركين في القيامة، ويعرف بعضهم بعضاً حال كونهم في وقت حَشرهم مشبَّهين بمن لم يلبثوا إلا زمناً قليلاً من النهار.

قوله: (لِهَوْلِ ما رأوا) أي: فبسبب ذلك يعدُّ الزمن السابق عليه يسيراً وإن كان في نفسِه طويلاً.

قوله: (حال من الضمير) أي: في ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾.

قوله: (إذا بعثوا) دفع بذلك ما يقالُ: إن هذا مُعارض لقوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وحاصل الجواب: أنهم يتعارفون أوّلاً، فإذا اشتدَّ الهولُ. . نسي بعضهم بعضاً.

قوله: (والجملة حال) أي: من الواو في ﴿يَلۡبَثُوٓاْ﴾، أو من الضمير في ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾، وعلى هذا: فالظرف متعلق بمحذوف تقديره: (اذكُر).

قوله: (أو متعلق الظرف) أي: فهو معمولٌ له، والتقدير: يتعارفون وقتَ حشرهم.

---

(١) قرأ حفص بالياء، والباقون بالنون. انظر «البحر المحيط» (٥/ ١٦٢).

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ....

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: بِالبَعثِ ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ ـ فِيهِ إدغام نُون (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) المَزِيدة ـ ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بِه مِن العَذاب في حَياتِك، وجَواب الشَّرط مَحذُوفٌ أي: فذاكَ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبل تَعذِيبِهم، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِن تَكذِيبِهم وكُفرِهم، فيُعَذِّبهُم أشَدَّ العَذاب.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾) هذا إخبارٌ من الله بحالهم الشَّنيع.

قوله: (﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾) معطوف على جملة ﴿قَدْ خَسِرَ﴾، والمعنى: وما كانوا واصِلين للجنة أبداً.

قوله: (﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ، كأنَّ الله يقول له: لا تحزن فإمَّا نرينَّك عقوبتهم في حياتك، أو نؤخِّرهم إلى يوم القيامة، فهم لا يُفلتون من عذابنا على كلِّ حال؛ فاصبر ولا تَضِق؛ فإنَّ الأمر لنا فيهم.

قوله: (فذاك) أي: هو المراد، وقد حصَل ذلك؛ بأن بلَّغ الله نبيَّه الآمال فيمن عاداه بسبب تسلِيمه الأمرَ فيهم لمالكهم، وهكذا يفعل الله بالظالم إذا يُسلِّم المظلومُ أمرَهُ لسيِّده، ولم يَعترض على أفعاله، وصبر على أحكامه، فهذا يَنال رضا الله، ويظفر بمطلوبه ممَّن ظلمه، وفي هذا المعنى قلتُ[1]: [الطويل]

أَرِحْ قَلْبَكَ العاني وَسَلِّمْ لَهُ القَضا ... تَفُزْ بِالرِّضا فَالأَصْلُ لا يَتَحَوَّلُ
عَلامَةُ أَهْلِ اللهِ فِينا ثَلاثَةٌ ... إيمانٌ وَتَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ مُجَمَّلُ

قوله: (﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾) هذا هو جواب الشرط.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾) ﴿ثم﴾: لترتيب الأخبار، لا لِلترتيب الزماني.

(١) تقدَّمت الأبيات للمصنف في سورة (آل عمران) (١/ ٥٦٣)، وفيها: (أمانٌ) بدل (إيمان) وبها يستقيم الوزن.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ....

﴿٤٧﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مِن الأُمَم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ إلَيهِم فكَذَّبُوهُ ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بِالعَدلِ فيُعَذَّبُون ويُنَجَّى الرَّسُول ومَن صَدَّقَهُ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بِتعذِيبِهم بِغَيرِ جُرمٍ، فكَذلك نَفعَل بِهؤلاء.

﴿٤٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بِالعَذابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيه؟

﴿٤٩﴾ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾ أدفَعهُ ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلِبُهُ، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ أن يُقدِرَني علَيه، فكيفَ أملِكُ لَكُم حُلُولَ العَذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مُدَّةٌ مَعلُومة لِهَلاكِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَّسُولٌ﴾) أي: أرسله الله لهم.

قوله: (فكذَّبوه) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ مرتَّب على محذوف، لا على قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾) أي: لأن تَعذيبهم بسبب كسبهم؛ لما تقدَّم أن الرحمة قد تأتي من غير سابق مُقتضيها، وأمَّا العذاب.. فلا بدَّ وأن يكون بسبب فعلٍ يَقتضيه.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: كفارُ مكةَ.

قوله: (﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾) أي: الذي تَعِدنا به، وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) خطابٌ للنبي والمؤمنين.

قوله: (﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾... إلخ) أي: لا أستطيع أن أدفع الضرَّ عن نفسي إن أراد الله نُزوله بي، ولا أستطيع جلبَ نفعٍ أراد الله منعه عنِّي.

قوله: (﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾) يحتمل أن يكون متصلاً، والتقدير: إلا ما شاء الله أن أملِكه وأقدر عليه، أو منقطعاً، والتقدير: لكن ما شاء الله من ذلك فأنَّى أملك لكم الضرَّ وأجلب العذاب؟

قوله: (﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾) هذا من جملة ما أجابهم به، والمعنى: حيث كان لكلِّ أمَّةٍ أجلٌ محدودٌ لا تتعداه.. فلا معنى لاستعجالكم العذاب.

إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ....

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: يتأخَّرون عنهُ ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يتقدَّمون عليه.

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبِروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي: اللهِ ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾: أيُّ شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المُشرِكُون؟ فِيهِ وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَر، وجُملةُ الاستِفهام جَوابُ الشَّرط، كقَولِك: إنْ أتيتُك ماذا تُعطِينِي؟ والمُرادُ بِهِ التَّهوِيل، أي: ما أعظَمَ ما استَعجَلُوه!

﴿٥١﴾ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: حَلَّ بِكُم ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ أو العَذاب عِندَ نُزُولِه؟ والهَمزةُ لِإنكارِ التَّأخِير فلا يُقبَل مِنكُم، ويُقالُ لَكُم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (يتأخرون... إلخ) أشار بذلك إلى أن السين في ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ و﴿يَسْتَقْدِمُونَ﴾ زائدةٌ، والمعنى: أنه إذا جاء الأجل الذي قدَّره الله لكل أمَّة.. فلا يتأخرون عنه، ولا يتقدمون إن لم يَجِئْ.

ت إن قلتَ: ورد: «**أن الصدقة تَزيد في العمر**»[1].. فالجواب: أن المراد بالزيادة: البركة؛ لأن الأجل الذي سبَق في علم الله لا يتغيَّر.

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾) أي: قُل للذين يستعجلون العذاب.

قوله: (موضع المضمر) وهو الواو التي مع تاء المخاطب، والتقدير: (ماذا تستعجلون)، وعَدل عنه لأجل الوصف بالإجرام؛ تَبكيتاً عليهم.

قوله: (وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي: على تقدير الفاء؛ لأنَّ الجملة اسمية.

قوله: (والمراد به) أي: بالاستفهام.

قوله: (لإنكار التأخير) أي: المستفاد من (ثم)، والتقدير: أأخَّرتم ثم آمنتم به إذا وقع؟! والمعنى: لا ينبغي هذا التأخير؛ لأنَّ الإيمان في هذه الحالة غيرُ نافع.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤١٠٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ....

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ تُؤمِنُون ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استِهزاءً؟

﴿٥٢﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الَّـذِي تَـخـلُـدُون فِـيـه، ﴿هَلْ﴾: ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءً ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: يَستَخبِرُونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وَعَدتنا بِه مِن العَذاب والبَعث؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَآلْـَٔنَ﴾) منصوب على الظرفية، والعامل فيه محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (تُؤمنون)، والفعل المقدَّر ومَعموله على إضمار القول، وهو (يقال لكم).

و﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ بهمزتين: الأُولى: همزة الاستفهام، والثانية: همزة (أل) المعرفة، فإذا اجتمع هاتان الهمزتان. . وجب في الثانية إمَّا تسهيلُها، أو مدُّها بقَدر ثلاث ألفات، وهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وقد وقع ذلك في القرآن في سِتة مواضع: اثنان في (الأنعام): ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ مرتين، وثلاثة في هذه السورة: ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ مرتين، و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، وواحد في (النمل): ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾، وأمَّا تحقيق الهمزتَين. . فلا يجوز.

قوله: (﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾) الجملة حالية من فاعِل ﴿ءَامَنتُم﴾.

قوله: (استهزاءً) أي: تَستعجلونه على سبيل الاستهزاء.

قوله: (﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) إخبارٌ بما وقع لهم في القيامة.

قوله: (﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾) الواو: نائب فاعل، مفعول أول، وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ مفعول ثان وقوله: (﴿إِلَّا﴾ جزاءً) مفعول مطلَق لـ﴿تُجْزَوْنَ﴾، والمعنى: لا تُجزون إلا جزاء الذي كنتُم تكسبونه من الكفر والتكذيب.

قوله: (﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾) السين والتاء للطلب، والمعنى: يَسألونك أن تخبرهم عمَّا وعدتهم به من العذاب؛ أحقٌّ هو؟!. . . إلخ. و(يَستنبئونك) فعل مضارع، والواو: فاعل، والكاف: مفعول أول، وجملة ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ في محل المفعول الثاني، و(حقٌّ): مبتدأ، و(هو) خبر، أو بالعكس، أو (هو) فاعل بـ(حق) أغنى عن الخبر، والشرط مَوجود، وهو اعتماد المبتدأ على الاستفهام.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٤).

قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ . . . .

﴿قُلۡ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾: كفرت ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ من العذاب يومَ القيامة، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾ . . . إلخ) هذا أمرٌ من الله لرسوله بأن يُجيبهم بثلاثة أشياء: إي وربي، إنه لحقٌّ، وما أنتم بمعجزين.

قوله: (نعم) أشار المفسِّر بذلك إلى أن (إي) من أحرف الجواب، ولكنَّها مختصَّةٌ بالقسم، لا تُستعمل في غيره، ومنه قول الناس: إي والله، وقولهم: (إيوَه)؛ فالواو: للقسم، والهاء: مأخوذة من (الله)، ويحتمل أن الهاء لِلسكت، والمقسم به محذوفٌ؛ للعِلم به، تقديره: إي والله، وهذا هو الأقرَبُ؛ لأنَّ تقطيع اسم الجلالة غيرُ لائقٍ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾) جوابٌ للقَسم.

قوله: (﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾) يَصح أن يكون معطوفاً على (إي)؛ فيكون من جملة مقول القول، ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطاباً من الله لهم، وليس مِن جملة مَقول القول، و(ما): يحتمل أنها حجازية فاسمها الضمير، و﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾ خبرها، أو تميميَّة، وما بعدها مبتدأٌ وخبرٌ.

قوله: (بفائتين العذاب) أي: فارِّين منه، بل هو مُدرككم لا محالة.

قوله: (﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ . . . إلخ) المعنى: امتنع افتداءُ كلِّ نفسٍ من العذاب؛ لامتناع ملكها لما لا تَفتدي به، وهو جميع ما في الأرض.

قوله: (كفرت) أي: وماتت على كُفرها.

قوله: (﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾) أي: لجعلته فداءً لها من العذاب، لكنه لا يحصل ذلك.

قوله: (﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾) الضمير عائد على الرؤساء، والإسرارُ على حقيقته، والمعنى: أن الرؤساء حين يرَوا[1] العذاب يخفون الندامة خوفَ التَّعيير، وهذا ما مشى عليه المفسِّر، وقيل:

(١) كذا في الأصول، وهي لغة معروفة.

لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ....

﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها رُؤساؤُهم عن الضُّعَفاء الَّذِين أَضَلُّوهم مَخافةَ التَّعيير، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بينَ الخَلائِق ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئاً.

﴿٥٥﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعثِ والجَزاء ﴿حَقٌّ﴾: ثابِتٌ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: النَّاسِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

حاشية الصاوي

إنَّ (أسرُّوا) بمعنى: أظهَروا، من تسمية الأضداد، ولعلَّ هذا هو الأقرب، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ...﴾ [الزمر: ٥٦] الآية.

قوله: (﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾) ظرف لـ(أسرُّوا) بمعنى: حين، أو شرطٌ حُذِفَ جوابه لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (مخافة التعيير) أي: التَّوبيخ الواقع من الأتباع لهم.

قوله: (بين الخلائق) أي: فيَقضي للمسلمين بالجنة، وللكفار بالنار، ويصح أن يكون المعنى: بين الظالمين والمظلومين.

قوله: (العدل) أي: وهو عدم الجور والظلم.

قوله: (﴿أَلَآ﴾) أداة تَنبيه، يؤتى بها للاعتناء بما بعدها، ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أنَّ كلَّ نفسٍ كافرةٍ تتمنى أنها لو تَملك ما في الأرض لافتدت به.. بيَّن هنا أنه لا يمكن ذلك؛ لعدم ملكها؛ فإنَّ لله ما في السماوات والأرض.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾) أي: لا مَحيص عنه، بل هو واقع ولا بدَّ.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: لِقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم، فيُنكرون ذلك، والتعبير بـ(أكثر)؛ إشارةً إلى أنَّ الأقل يَعلم ذلك، وهو واحدٌ من ألف؛ لما تقدَّم في الحديث: «يا آدمُ؛ أخرِج بَعْثَ النار من ذُريتك، فيخرج من كلِّ ألف واحداً للجنة، والباقي للنار»[1].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٤٥٢) عن سيدنا أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه.

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ....

﴿٥٦﴾ ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخِرة فيُجازيكُم بأعمالِكُم.

﴿٥٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كِتاب فِيهِ ما لَكُم وعلَيكُم وهو القُرآنُ، ﴿وَشِفَآءٌ﴾: دَواءٌ ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مِن العَقائِد الفاسِدة والشُّكُوك، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (فيُجازيكم بأعمالكم) أي: خيرها وشرِّها.

قوله: (أي: أهل مكة) أشار بذلك إلى أنَّ الخطاب لهم، ولَكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: (﴿مَّوْعِظَةٌ﴾) مصدر (وَعظ) بمعنى: ذكَّر وأرشد لما يَنفع من محاسن الأعمال، وزجر عمَّا يضرُّ من قبائحها.

قوله: (﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾) صفة لـ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾، وفي هذا تنزُّل من الله لِعباده؛ كأن الله يقول: الفداء في الآخرة لا ينفع، وأما في الدنيا.. فذلك نافِع.

قوله: (﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾) المراد بها: القلوب، من باب: تسمية الحالِّ باسم المحل، والمعنى: أنَّ القرآن مذكِّر وواعظٌ، وبه الشفاء لما في القلوب؛ مِن الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة.

قوله: (﴿وَهُدًى﴾) أي: نور يُقذف في قلوب الكاملين، يُميزون به بين الحق والباطل، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى الشريعة والطريقة والحقيقة؛ فأشار للشريعة بقوله: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأن الشريعة بها تطهير الظواهر، وأشار لِلطريقة بقوله: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾؛ لأنَّ الطريقة بها تطهير البَواطن عن كل ما لا ينبغي، وأشار للحقيقة بقوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ بالحقيقة التحلِّيَ بالأنوار الساطعة في القلوب، التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه عِياناً؛ فعند ذلك يرى الله في كلِّ شيء، وأقربَ إليه من كلِّ شيء علماً ذوقيًّا لا علماً يقينيًّا[1]، فالحقيقةُ ثمرةُ الطريقةِ لا تحصُل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة؛ ولِذا قيل: (حقيقةٌ بلا شريعةٍ باطلةٌ، وشريعةٌ بلا حقيقةٍ عاطلةٌ).

---

(١) في (أ): (وعلماً يقينيًّا).

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ....

﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: القرآنِ ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضلِ والرَّحمةِ ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِن الدُّنيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾... إلخ) متعلِّق بمحذوف دلَّ عليه ما بعده، والأصل: لِيَفرحوا بفضله وبرحمته فبذلك فليَفرحوا[1]، ثم قدَّم الجارَّ والمجرور على الفعل؛ لإفادة الحصر، ثم دخلت الفاء لإفادة السببيَّة، والمعنى: أنَّ مَنِ اتَّصف بهذه الصفات المتقدمة.. فينبغي له أن يَفرحَ ويشكر ما أنعم الله به عليه، ويجود برُوحه وجسمه في خدمة ربِّه، ولا يتوانى؛ فمَن قذف الله في قلبه نور محبَّته.. فالواجب عليه فناء جسمه في خِدمته كي يتمَّ له ذلك النور، ويَزداد السرور، وهذه المحبة هي التي يعبِّر عنها العارِفون بالخمرة والشراب والحُميا؛ لأنَّ بها السُّكرَ والفناءَ عمَّا سوى الله تعالى، قال العارف رضي الله عنه[2]: [الطويل]

شَرِبْنَا علَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدامةً ... سَكِرْنا بها من قبلِ أن يُخْلَقَ الكَرْمُ

وقال العارف: [الوافر]

ولا تَنْظُرْ لجِسْمِي يا عَذُولي ... فإنَّ الجِسْمَ مَطلُوبي سَلاهُ
ولا تُنْكِرْ شَرابَ حُمَيّ قَلبي ... فإنَّ القلبَ مَحبُوبي سَقَاهُ

وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة: [مخلَّع البسيط]

فتلكَ خمرُ الشُّهودِ تُدْعَى ... لا خَمرةِ الكَرْمِ والدِّنانِ

ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧]، فنسأل الله تعالى أن يَجعلنا من أهل محبَّته، وأن يَحشرنا في زمرة أهل قُربه ومودَّته.

قوله: (﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾) أي: من الدنيا وزخارفها، وأبهمها؛ إشارةً إلى أنها خَسيسةٌ، لا تساوي جناحَ بعوضة.

---

(١) في هامش (أ): (وفي «السمين»: قل: بفضل الله ورحمته ليفرحوا بذلك فليفرحوا، فحذف اللفظ الأول؛ لدلالة الثاني عليه، فهما جملتان)، وانظر «الدر المصون» (٦/ ٢٢٣).

(٢) مطلع قصيدة لابن الفارض في «ديوانه» (ص١٤٠).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ....

ـ بالياءِ والتَّاء ـ.

(٥٩) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبِرُوني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: خلَقَ ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ كالبَحِيرةِ والسَّائِبة والمَيتةِ ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بِالتَّحلِيلِ والتَّحرِيم؟ لا ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبُون بِنسبَةِ ذلك إلَيه.

(٦٠) ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: أيُّ شَيء ظَنُّهم بِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) راجع لقوله: ﴿يَجْمَعُونَ﴾[1]، وأما ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾.. فالتاء عشريَّة، والياء سبعيَّة[2].

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾) أشار المفسِّر إلى أن ﴿أَرَءَيْتُم﴾ بمعنى: أخبروني، وحينئذٍ فتنصب مفعولين: الأول: الموصول وصِلته، والثاني: جملة ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، و﴿قُلْ﴾ تأكيدٌ للأول، وليست مِن جملة المفعول الثاني.

قوله: (كالبحيرة والسائبة) مثالان لِلحرام، وتقدَّم أن البحائر والسوائب: نَعَمٌ يوقفونها على الأصنام، يحرمون ظُهورها ونتاجها وألبانها ولحومها، وقوله: (والميتة) مِثال للحلال.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿أَمْ﴾ بل) أشار المفسِّر إلى أنها منقطعة بمعنى: (بل)، ويصح أن تكون مُتصلة معادلة للهمزة، والمعنى: أخبِروني أحصَل إذنٌ من الله لكم أم ذلك افتراءٌ منكم وكذبٌ؟! فهو استفهامٌ لطلب التعيين، وهو الأولى.

قوله: (﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ﴾) (ما): استفهام مبتدأ، و﴿ظَنُّ﴾: خبره، و﴿يَوْمَ﴾: ظرف متعلق بـ﴿ظَنُّ﴾، والمعنى: أيُّ شيء ظنُّهم بالله يوم القيامة؟

---

(١) قرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء على الغَيبة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٦).

(٢) الجمهور على «فليفرحوا» بياء الغيبة، وقرأ الشامي وأبو جعفر بتاء الخطاب، وبها قرأ عثمان بن عفان، وأبيٌّ، وأنس، والحسن، وأبو رجاء، وابن هرمز، وابن سيرين، وهي قراءة رسول الله ﷺ، قال الزمخشري: «وهو الأصل والقياس». انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٢٤)، و«البدور الزاهرة» (ص١٤٩).

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ....

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؟ أيَحسَبُونَ أنَّهُ لا يُعاقِبُهُم؟ لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالِهِم والإنعام علَيهِم، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا مُحمَّد ﴿فِى شَأْنٍ﴾: أمرٍ ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: مِن الشَّأن أو اللهِ ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أنزَلَهُ علَيك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطَبَهُ وأُمَّتَه ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (أيحسبون... إلخ) قدَّر المفسِّر هذه الجملة؛ إشارةً إلى أنَّ مفعولي الظنِّ محذوفان، فهذه الجملة سدَّت مسدَّهما.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ؛ أي: لا ينبغي هذا الظن ولا يَليق ولا ينفع، وأما قوله في الحديث: «أنا عِند ظنِّ عبدي بي»[1].. فذلك في حقِّ المؤمن؛ فظنُّ الخير بالله يَنفع المؤمن، وأما الكافر.. فلا يَنفعه ذلك ما دام على كُفره.

قوله: (﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) أي: الطائع منهم والعاصي، وذلك في الدنيا؛ فَنِعَمُ الدنيا ليست تابعةً للتقوى، بل هي ثابِتة بالقسمة الأزليَّة للمؤمن والكافر.

قوله: (بإمهالهم) أي: تأخيرِ عذابهم.

قوله: (والإنعام عليهم) أي: بأنواع النِّعم كالعقل والسمع والبَصر وغير ذلك.

قوله: (﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾) أي: لا يصرفون النِّعم في مَصارفها، وحينئذٍ فلا تنفعهم تلك النِّعم إلا إذا صحبها الإيمان والشكر، فإن عَدموا الإيمان.. صارت النِّعم نِقَماً، وقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يُفيد أن القليل هو الشاكر، وهو كذلك، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قوله: (﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾) الضمير إمَّا عائد على الشأن، أو على (الله) كما قال المفسِّر؛ فعلى الأول: تكون (مِن) للتعليل، وعلى الثاني: تكون ابتدائية، وقوله: (﴿مِن قُرْءَانٍ﴾) (مِن): صلة، والمعنى: وما تتلو من أجل هذا الشأن قرآناً، أو: وما تتلو قرآناً مبتدأً وصاعِداً من الله.

قوله: (﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾) استثناءٌ من أعمِّ الأحوال، والمعنى: ما تتلبَّسون بشيءٍ من هذه الثلاثة في حال من الأحوال إلا في حال كوننا مطَّلعين عليه حافظِين له؛ إذا علمتَ ذلك..

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٩٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ....

رُقَباءَ ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تَأخُذُون ﴿فِيهِ﴾ أي: العَمَلِ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يَغِيبُ ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ وزنِ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغرِ نَملَة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن هو اللَّوحُ المَحفُوظ.

حاشية الصاوي

فكان المناسب للمفسِّر أن يُعيد الضمير في (فيه) لكلٍّ من الثلاثة، وقد يجاب: بأنه أعاده على العمل؛ لعمومه وشمولِه لباقي الثلاثة.

قوله: (﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾) ظرف لقوله: ﴿شُهُودًا﴾.

قوله: (﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾) بضمِّ الزاي وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿عَن رَّبِّكَ﴾) أي: عن عِلمه.

قوله: (أصغر نملة) وقيل: هو الهباء، وقيل: أصغر بَعوضة.

قوله: (﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾) أي: في سائر الموجودات، وعبَّر عنه بالسماء والأرض؛ لمشاهدة الخَلق لهما.

واعلم: أن عالم الملك: ما يُشاهده الخلق كالأرض وما حوَته، وما ظهر من السماء، وعالم الملكوت: ما لا يُشاهد؛ كما فوق السماء من العرش والكرسي والملائكة وغير ذلك، وعالم الجبَروت هو: عالم الأسرار، وعالم العِزة هو: ما أستأثر الله بعلمه؛ كعِلم ذاته وصفاته ومراداته.

قوله: (﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾) بالرفع والنصب، قراءتان سبعيَّتان[2]؛ فالرفع إمَّا على الابتداء والخبر، أو على أنَّ (لا) عاملة عمل (ليس)، والخبر على كلا الإعرابين قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، فتكون الجملة مستأنفةً منقطعةً عما قبلها، والنصب على أنها عاملة عمل (إن)؛ لأنَّ (أصغَر) و(أكبر) شبيهان بالمضاف، تعلَّق بهما شيء من تَمام معناهما وهو العمل في الجار والمجرور، وهاتان القراءتان هنا فقط، وأما في (سبأ).. فبِالرفع باتفاق السبعة[3].

قوله: (﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾) الاستثناء منقطع، والمعنى: لكن جميع الأشياء في كتاب مُبين،

---

(١) قرأ الكسائي بالكسر، والباقون بالضم. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٢٩).

(٢) قرأ حمزة برفع راء «أصغر» و«أكبر»، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٣٠).

(٣) انظر «الدر المصون» (٩/ ١٤٨).

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ....

(٦٢) ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ....

حاشية الصاوي

فهو استدراكٌ على ما يُتوهم نفيه؛ لأنَّ قوله: (لا يعزب عن ربك. . . إلخ)[1] ربما يتوهم منه أنَّه لم يُحط بها غير عِلم الله، فدفع ذلك بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لكن جميع الأشياء مُثبتة في كتاب مبين أيضاً، ولا يصح أن يكون متصلاً؛ لأنه يصير المعنى: لا يَغيب عن علمه شيءٌ في حال من الأحوال إلا في حال كونه مثبتاً في كتاب مُبين، فيَغيب؛ فيفيد أنَّ ما في الكتاب المبين غائبٌ عن عِلم الله، وذلك باطل، وهذا الإشكال لا يَرد إلا على جعل قوله: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ معطوفاً على ﴿مِثْقَالَ﴾، وأما إن جعل مستأنفاً كما تقرَّر. . فلا يَرِد الإشكال، فتأمَّل.

قوله: (﴿أَلَآ﴾) أداة تنبيه، يؤتى بها ليتنبَّه السامع لما بعدها، ويَعتنيَ به؛ لعظمه.

قوله: (﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾) جمع وَلي، من: الولاء، وهو: العزُّ والنصر، سمُّوا بذلك؛ لأنهم هم المنصُورون بالله، المعزُوزون به، لا يطمعون في شيءٍ سوى القربِ منه.

وولي: (فعيل) إما بمعنى (فاعِل) أي: متولِّي خدمة ربِّه بكل ما أمكَنه بروحه وجسمه ودنياه، أو بمعنى (مفعول) أي: تولَّى الله إكرامه وعَطاياه ونفحاته، فلم يَكِلْهُ لشيءٍ سواه؛ فحيث تولى الخدمة. . تولَّاه الله بالنعمة والنقمة، وهو سرُّ قوله في الحديث: «يا دنيا؛ مَن خدَمني. . فاخدمِيه»[2]، فصار معنى الولي: المنهمِك في طاعة ربِّه، الذي أُفيضت عليه الأنوار والأسرار؛ لما ورد: «مَن تقرَّب منِّي شبراً. . تقرَّبت منه ذراعاً، ومن تقرَّب منِّي ذراعاً. . تقرَّبتُ منه باعاً، ومن أتاني يمشي. . أتيته هَرولة»[3]، وعلامة الولي كما في الحديث: سُئل رسول الله عن علامة الأولياء، فقال: «هم الذين إذا رُؤوا. . ذُكِرَ الله تعالى»[4]، وسببُ ذلك: ظهور أنوار المعرفة الكائنة في قُلوبهم على ظواهرهم، وذلك سرُّ قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال أبو بكر الأصم: أولياء الله هم الذين تولَّى الله هِدايتهم، وتولَّوا القيام بحقِّ العبودية لله تعالى والدعوة إليه.

---

(١) لا يفوتنك أن سياق الآية: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ. . .﴾ إلخ، وما ذكره المصنف حلُّ معنى.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٩٤).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٩٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الخرائطي في «مَساوئ الأخلاق» (٢٢٥) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٣)، والحكيم الترمذي في «نَوادر الأصول» (٤/ ٨٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ ....

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

والولي: من الولاء، وهو القرب والنصرة؛ فوليُّ الله هو: الذي يتقرَّب إلى الله بكلِّ ما افترض الله عليه، ويكون مُشتغلاً بالله، مُستغرق القلب في نور مَعرفة جلال الله تعالى؛ فإن رأى.. رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع.. سَمع آيات الله، وإن نطق.. نطَق بالثناء على الله، وإن تحرَّك.. تحرَّك في طاعة الله، وإن اجتهد.. اجتهد فيما يُقربه إلى الله، لا يفتُر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفة الأولياء، وإذا كان العبد كذلك.. كان الله وليَّه وناصره ومُعينَه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وروي عن أبي مالك الأشعري قال: كنتُ عند النبي ﷺ فقال: «**إن لله عباداً ليسُوا بأنبياء ولا شهداء، يَغبطهم الأنبياء والشهداء بقُربهم ومَقعدهم من الله يوم القيامة**» قال: وفي ناحيةِ القوم أعرابي، فجثى على ركبتَيه ورمى بيديه، ثم قال: حدِّثنا يا رسول الله عنهم؛ مَن هم؟ قال: فرأيتُ في وجه رسول الله البشرى، فقال: «**هم عِباد من عباد الله، ومِن بلدان شتَّى، لم تكن بينهم أرحام يَتواصلون بها، ولا دنيا يَتباذلون بها، يتحابُّون بروح الله، يجعل الله وجوههم نوراً ويجعل لهم منابرَ من لؤلؤ قُدام الرحمن، يفزع الناس ولا يَفزعون، ويخاف الناس ولا يَخافون**»(١).

وروي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بِأنبياء ولا شهداء، يَغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانِهم من الله**»، قالوا: يا رسولَ الله تخبرنا بأمرِهم، قال: «**هم قومٌ تحابُّوا بروح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموال يَتعاطونها؛ فوالله إن وجوههم لَنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يَحزنون إذا حزن الناس**»، وقرأ هذه الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢)، وروي عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: إن أوليائي من عِبادي الذين يُذْكَرون بذكري، وأُذكَر بذِكرِهم**»(٣).

قوله: (﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) أي: لحفظ الله لهم في الدنيا من الأسباب التي تُوجب الخوف والحُزن في الآخرة.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٨٨).

(٢) رواه أبو داوود (٣٥٢٧).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٠) عن سيدنا عمرو بن الجموح ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ....

في الآخِرة.

﴿٦٣﴾ هُم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بِامتِثالِ أمرِه ونَهيِه.

﴿٦٤﴾ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فُسِّرَت في حَدِيث صَحَّحَهُ الحاكِم بِالرُّؤيا الصَّالِحَة يَراها الرَّجُل أو تُرَى لَهُ، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِالجَنَّة والثَّواب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في الآخرة) أي: لما في الحديث: «**لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**».

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) قدَّر المفسِّر (هم)؛ إشارةً إلى أن الاسم الموصول خبرٌ لمبتدأ محذوف، وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: وما صِفات أولياء الله؟ فأجاب: بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، والمعنى: أنَّ أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمان ـ وهو: الاعتقادُ الصحيحُ المبنيُّ على الدلائل القطعيَّة ـ والتقوى، وهي: امتثال المأمُورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع؛ ولذا قال القشيري: (شرط الولي: أن يكون محفوظاً؛ كما أنَّ مِن شرط النبي: أن يكون معصوماً؛ فكلُّ من كان للشرع عليه اعتراض.. فهو مَغرور مخادع)[١]، وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة: (إذا لم تكن العلماءُ أولياءَ الله.. فليس لله وليٌّ)[٢]؛ وذلك في العالم العامِل بعلمه.

قوله: (فسِّرت في حديث رواه الحاكم بـ«الرؤيا الصالحة... إلخ») أي: لأنه لم يبقَ من النبوة إلا المبشِّرات، وهي الرؤية الصالحة، وفي الحديث: «**الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النُّبوة**»[٣].

وقيل: المراد بالبشرى في الحياة الدنيا: نُزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

---

(١) «الرسالة القشيرية» (٢/٤١٦).

(٢) انظر «التبيان في آداب حمَلة القرآن» (ص٢٩).

(٣) رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٥٩٧٤) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ ....

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا خُلْفَ لِمَواعِيدِه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكُورُ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

٦٥ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: لَستَ مُرسَلاً وغَيرَهُ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: البشرى في الحياة الدنيا: الثناء الحسن ومحبَّة الخلق لهم؛ لما ورد عن أبي ذرٍّ: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيتَ الرجل يعمل العمل من الخير ويَحمده الناس عليه؟ قال: «**عاجِل بشرى المؤمن**»(١)، وورد أيضاً: «**إذا أحب الله عبداً.. نادى جبريل فيقول له: إني أُحب فلاناً فأَحبَّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يُحب فلاناً فأحبوه، فيُحبه أهل السماء، ثم يُوضَع له القبول في الأرض**»(٢)، قال بعض المحققين: إذا اشتَغل العبد بالله عزَّ وجلَّ.. استنار قلبه، وامتلأ نوراً؛ فيَفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه، فيَظهر عليه آثار الخشوع والخضوع، فيحبُّه الناس ويُثنُون عليه، فتلك عاجل بشراه؛ لمحبة الله له، ورِضوانه عليه(٣).

وقيل: البشرى في الحياة الدنيا: ظهور الكرامات، وقَضاء الحوائج. والأحسن: أن يراد بالبشرى في الدنيا: جميع ما تقدَّم، وأعظَمُها التوفيق، وأما البشرى في الآخرة.. فالجنة وما فيها من النعيم الدائم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

قوله: (لا خُلْفَ لمواعيده) أي: التي وعد الله بها أولياءَه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسِنة رسله، والمعنى: لا تغييرَ لذلك الوعد.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: الوعد المتقدِّم؛ من كونهم لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكونِ هذا الوعد لا يتغيَّر ولا يتبدَّل.

قوله: (﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾) أي: الظفَر بالمقصود الكامل الذي لا يُضاهى.

قوله: (﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾) إما بفتح الياء وضم الزاي من باب (نصَر)، أو بضم الياء وكسر الزاي

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٦٧٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٥٢).

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ....

﴿إِنَّ﴾ ـ استئنافٌ ـ ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾: القُوَّة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقولِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفِعلِ، فيُجازِيهم ويَنصُرُك.

۝٦٦ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عَبيداً ومُلكاً وخَلقاً، ....

حاشية الصاوي

من باب (أكرَم)، قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى: لا تهتمَّ بأقوالهم، ولا تحزن لها؛ فإنَّ الله مُعِزُّك وناصرك، وهذا تسليةٌ له ﷺ عمَّا يلقاه من أذاهم، وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود.

قوله: (استئناف) أشار بذلك إلى أن الوقف تمَّ عند قوله: ﴿قَوْلُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ...﴾ إلخ كلامٌ مستأنفٌ من كلام الله تعالى في قُوة التعليل لقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، أو واقع في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع أن أقوالهم تُوجِب الحزن، فأجاب الله تعالى: بأن العزة لله يُعطيها لمن يشاء، فأقوالهم لا تُفيد شيئاً؛ فحينئذ لا يُبالي بهم ولا بقولهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾) أي: الغلبة والسَّلطنة الكاملة ثابتة لله، يَخلعها على من يشاء؛ ولذا قال في (سورة المنافقون): ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) حال من ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾.

قوله: (فيجازيهم) أي: على ما قدَّموا من خير وشرٍّ.

قوله: (وينصرك) أي: على مَنْ عاداك، وهذا يقال لكلٍّ من سَلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها، وتعرَّض له الحُساد بالإيذاء؛ فيقال له: لا يَحزنك قولهم وعيبُهم وحسدهم؛ لأنَّ العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد؛ فلا تَنزعج منهم، ولا تلتفِت لهم.

قوله: (﴿أَلَآ﴾) أداة تنبيهٍ.

قوله: (﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾) (مَن): واقعة على العاقل، فالمراد بـ(من في السموات): الملائكة العقلاء، وبـ(من في الأرض): الإنس والجنُّ، وخصَّهم بالذكر؛ لِشرفهم،

---

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من (أحزنه)، والباقون بفتح الياء وضم الزاي. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٨).

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٦٦ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ ....

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعبُدُون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ على الحَقِيقة تَعالى عن ذلك، ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذَلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: ظَنَّهم أنَّها آلِهَة تَشفَعُ لَهُم، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكذِبُون في ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ ۝٦٧ ....

حاشية الصاوي

وليعلم أن غيرهم من باقي المخلوقات مملوكون لله بالطريق الأولى؛ وهذا هو الحكمة في تعبيره في الآية الأُولى بـ(ما)، وفي هذه بـ(من)، أو يقال في الحكمة: إن التغاير إشارةٌ إلى أن الخلق جميعاً في قَبضته، ومملوكون له سبحانه وتعالى؛ فإن (ما) مستعملة في غير العاقل كثيراً، و(مَن) بالعكس، فأفاد: أن جميع ما في السموات وما في الأرض مملوكُون له حقيقة.

قوله: (﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ﴾) (ما): نافية، و﴿يَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع، و﴿الَّذِينَ﴾ فاعل، و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة، و﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ متعلِّق بـ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾، ومفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أصناماً)، والمعنى: لا يتبع الذين يعبدُون غير الله أصناماً شركاء حقيقة؛ فالمنفي كونها شركاء حقيقة، وأمَّا ادعاؤهم الشركة لله.. فثابِت، وهذا نتيجة قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾، فيَصير المعنى: حيث ثبت أن له جميع ما في السماوات وما في الأرض عُقلاءَ وغيرهم.. تحقَّق وثبت أنه ليس له شَريك أصلاً؛ إذ ليس شيء مما جَعلوه إلهاً خارجاً عن السماوات والأرض؛ فكيف يكون المملوك شريكاً؟! تعالى الله عن ذلك.

قوله: (﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾) أي: لأنهم مُقلِّدون لآبائهم حيث قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾) هذا من حَصر الموصوف في الصفة؛ أي: ليس لهم صفة إلا الكذب، والخَرْصُ في الأصل: الحَزر والتَّخمين، والمراد منه هنا: الكذب كما أفاده المفسِّر.

قوله: (يكذبون في ذلك) أي: اتباعهم الظن.

قوله: (﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾) هذا من جملة الأدلَّة القطعيَّة على أنه واحدٌ

﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٦٧ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ....

﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسنادُ الإبصار إلَيهِ مَجازٌ؛ لأنَّهُ يُبصَرُ فِيه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دَلالاتٍ على وَحدانيَّته تَعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدَبُّر واتِّعاظٍ.

۝٦٨ ﴿قَالُوا﴾ أي: اليَهُودُ والنَّصارَى ومَن زَعَمَ أنَّ المَلائِكة بَنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تَعالى لَهُم: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تَنزيهاً لَهُ عن الوَلَد، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كُلِّ أحَد، وإنَّما يَطلُب الوَلَد مَن يَحتاجُ إلَيه، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً،

حاشية الصاوي

لا شريك له، وفي هذه الآية احتباكٌ؛ حيث حذف من كلٍّ نظير ما أثبته في الآخر؛ فحذف من الأول وصف الليل وهو (مظلماً)، وذكر حِكمته، وحذف من الثاني الحكمة وذكر وصفه، والأصل: هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتبتغوا وتتحركُوا فيه.

قوله: (﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾) أي: لتستريحوا من تَعب النهار.

قوله: (مجاز) أي: عقليٌّ من الإسناد للظرف.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أي: الجعل المذكور.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعُون بذلك.

قوله: (أي: اليهود) أي: حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: (والنصارى) أي: حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: (ومن زعم) أي: وهم مُشركو العرب.

قوله: (﴿سُبْحَانَهُ﴾) أي: تقدَّس وتنزَّه عن ذلك، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا...﴾ [مريم: ٩٠-٩٢] الآية.

قوله: (﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾) أي: المستغني عن كلِّ ما سِواه، المفتقرُ إليه كلُّ ما عداه، وهو دليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾... إلخ) دليلٌ لقوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ....

﴿إِنْ﴾: ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجَّةٍ ﴿بِهَٰذَآ﴾ الَّذِي تَقُولُونه، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ـ استِفهام تَوبِيخ ـ.

﴿٦٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الوَلَدِ إِلَيه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا يَسعَدُون.

﴿٧٠﴾ لَهُم ﴿مَتَٰعٌ﴾ قَلِيل ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يَتمتَّعُون بِه مُدَّةَ حَياتِهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بِالمَوتِ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعدَ المَوت ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَٱتْلُ﴾ يا مُحمَّد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (استفهام توبيخ) أي: تقريع وتهديدٍ لهم.

قوله: (﴿قُلْ﴾) أمرٌ من الله لنبيِّه ﷺ أن ينبِّههم على سُوء عاقبتهم؛ لعلهم ينزجرون عمَّا هم عليه.

قوله: (لا يسعدون) أي: لا يفوزون بمطلوبهم، بل هم خائبون خاسرون، وإن تكاثرت عليهم النعم.. فمآلها للزوال.

قوله: (﴿مَتَٰعٌ﴾) مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لهم)، وحينئذ: فالوقف على قوله: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾، وهذا جوابٌ عما يقال: إنا نَراهم في حظوظ كثيرة، وسعة عيش، وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية، فدفع ذلك بقوله: (متاع قليل) أي: فلا يستمرُّ وليس بنافع في الآخرة.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾) أي: بسبب كُفرهم.

قوله: (﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾) لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال قريش وما كانوا عليه من القبائح، وما وعَظهم الله به على لسانه ﷺ.. شَرع في ذكر ما وقع للأنبياء مع أُممهم؛ ليكون ذلك تسليةً له ﷺ، وعبرةً للكفار؛ لعلَّهم يؤمنون.

﴿نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ ....

﴿نَبَأَ﴾ : خبر ﴿نُوحٍ﴾ ، ـ ويُبدَل منهُ ـ : ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ : شَقَّ ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ : لُبثِي فيكم ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ : وَعظِي إيَّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾) أي: بعضَ نبئه؛ إذ لم يذكر جميعَ خبره، وتقدَّم أنَّ اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، ونُوح: لقبه، وبينه وبين إدريس ألف سنة، وقدَّم قصة قوم نوح؛ لأنهم أول الأمم هلاكاً، وأشدُّهم كفراً.

قوله: (﴿كَبُرَ﴾) بضمِّ الباء في المعاني، وأما في الأجسام.. فهو بكسر الباء.

قوله: (﴿مَّقَامِى﴾) بفتح الميم باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بضمِّها[1]؛ فالأول ثلاثي، والثاني رباعي، وهو من باب: الإسناد المجازي، وحقُّ الإسناد: أن يكون لِلذات؛ نظير: ثقُل عليَّ ظلُّه.

قوله: (لبثي فيكم) أي: مُكثي بينكم.

قوله: (﴿وَتَذْكِيرِى﴾... إلخ) الواو: بمعنى (مع)، والمعنى: إن كان عظم عليكم مكثي بينكم مع تذكيري بآيات الله.. فأَجمعوا أمركم... إلخ، وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله؛ ففي الحقيقة الذي شقَّ عليهم إنما هو دُعاؤه إلى توحيد الله ونصيحته لهم؛ لأن النصيحة لا يقبلها إلا الطَّبع السَّليم.

قوله: (﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾) أي: وَثقت به لا بغيره، وفوَّضت أموري إليه.

قوله: (﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾) هذا هو جواب الشرط، وجملة ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتراضٌ بين الشرط وجوابه، ولا يصح أن يكون جواباً؛ لأنه لا يحسُن ترتبها على الشرط؛ إذ هو متوكل على الله دائماً.

و(أجمعوا) بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة، وهو يتعدَّى بنفسه وبحرف الجرِّ، وأمَّا ما يأتي في (طه) في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾.. فبهمزة الوصل والقطع، قراءتان سبعيَّتان[2]؛ فـ(أجمع) بهمزة القطع مُستعملٌ في المعاني كثيراً، وبهمزة الوصل في الأجسام كثيراً؛ يقال: أجمعت أمري، وجمَعت جَيشي.

---

(١) وبها قرأ أبو رجاء وأبو مجلز وأبو الجوزاء. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٣٩).

(٢) قرأ الستة بقطع الهمزة، وقرأ أبو عمرو وحده: «فاجمعوا» بوصل الألف. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٤٢).

وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ....

اعزِمُوا على أمرٍ تَفعَلُونه بِي ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ ـ الواو بِمَعنَى (مع) ـ ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مَستُوراً، بل أظهِرُوهُ وجاهِرُونِي بِه، ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾: أمضُوا فِيَّ ما أردتُمُوه، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهِلُونِ فإنِّي لَستُ مُبالياً بِكُم.

﴿٧٢﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تَذكِيرِي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (اعزموا) أي: صمّموا ولا تردَّدوا.

قوله: (على أمر تفعلونه) أي: كهلاكي.

قوله: (الواو: بمعنى «مع») أي: فـ(شركاءكم) منصوب على المعيَّة، لا معطوف على ﴿أَمْرَكُمْ﴾؛ لأنَّ الشركاء ذوات لا يَتسلط عليه (أجمعوا) إلا بقلَّة، ويصح النصب بإضمار فعل لائق، والتقدير: فأجمعوا أمركم واجمَعوا شركاءكم ـ بهمزة الوصل ـ على حدِّ[1]: [الكامل]

عـلَـفـتُـهـا تـبـنـاً ومـاءً بـارداً

أو يقدَّر مضاف في المعطوف، والتقدير: أمر شركائكم.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾) أي: لا يكن أمركم مخفيًّا، بل أظهروا ما في ضَمائركم؛ فإني لست مُبالياً بكم؛ لأنَّ توكلي على ربي، فالغمَّة مأخوذة من قولهم: غمَّ الهلال: إذا خفي على الناس.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾) أي: أدُّوا إليَّ ما أردتُموه وأوصِلوه لي، وقرئ شذوذاً: (ثم أفضوا) بقطع الهمزة وبالفاء[2]؛ من: أفضى بالشيء: إذا انتهى إليه وأسرع، والمعنى: ثم أسرعوا إليَّ بما عزمتُم عليه.

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾) أي: دُمتم على التولي والكفر، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فلا ضرر عليَّ، وقوله: (﴿فَمَا سَأَلْتُكُم﴾... إلخ) تعليلٌ لذلك المحذوف.

---

(١) تقدَّم الكلام عليه.

(٢) وبها قرأ السري. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٤٤).

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ....

ثَوابٍ عليهِ فتوَلَّوا، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾: ثَوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السَّفِينةِ، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: مَن مَعَهُ ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرضِ، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بِالطُّوفانِ، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مِن إهلاكِهِم، فكذَلك نَفعَل بِمَن كَذَّبك.

﴿٧٤﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: نُوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ثواب عليه) أي: على التذكير.

قوله: (فتولوا) منصوب بـ(أن) مُضمرة بعد فاء السببية، وفيه حذف إحدى التاءين، والأصل: (تتولوا).

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: ثوابي عليه لا على غيره فأطلبه منه.

قوله: (﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) أي: المنقادين لامتثال أوامره واجتناب نَواهيه في نفسي وتبليغ غيري.

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: داموا واستمرُّوا على تكذيبه.

قوله: (﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾) أي: أعقبنا تكذيبه النجاةَ له ولمن آمن معه.

قوله: (﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾) أي: من الإنس، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة.

قوله: (﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾) تقدَّم أنه يستعمل مفرداً وجمعاً.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾) أي: صيَّرناهم.

قوله: (﴿وَأَغْرَقْنَا﴾) إنما أخَّر ذكره عن الإنجاء؛ إشارةً إلى أن الرحمة سابقةٌ على الغضب، ولتعجيل المسرَّة لمن يمتثل الأمر.

قوله: (فكذلك نفعل بمن كذَّبك) هذا هو المقصودُ من ذكر هذه القصصِ.

قوله: (﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾) أي: فكلُّ رسولٍ بُعث إلى قومه.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ....

كإبراهِيمَ وهُودٍ وصالِح ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجزاتِ، ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلَ بَعث الرُّسُل إلَيهِم، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نَختِم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تَقبلُ الإيمانَ كما طَبَعنا على قُلُوب أُولَئك.

﴿٧٥﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: قَومِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كإبراهيم) أي: فكذَّبوه وآذوه حتى رموه في النار.

قوله: (وهود) أي: فكذَّبوه وآذوه، فأهلكهم الله.

قوله: (﴿فَجَآءُوهُم﴾) أي: جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات.

قوله: (﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾) أي: لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الإيمان؛ فالمراد بعدم الإيمان: الإصرار على الكفر والتكذيب.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) أي: مثلُ هذا الطبع.

قوله: (فلا تقبل الإيمان) أي: لوجود الحجاب المانع منه؛ ففي الحقيقة لا يمكنهم الإيمان وإن كانوا في الظاهر مختارين.

قوله: (﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾) هذا عطف قِصة على قصة، وهو خاص على عام؛ لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون، وكلُّ هذا تسلية له ﷺ.

قوله: (﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾) أي: فكلٌّ منهما رسولٌ، لكن هارون وزير لموسى ومُعين له، قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ...﴾ [القصص: ٣٤] الآية، وهذا لا ينافي أن كلًّا منهما رسول من عند الله؛ فمن أنكر رسالة واحد منهما.. كفر.

قوله: (﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾) تقدَّم أن الملأ بالقصر والهمز: الأشراف الذين يملؤون العيون بمهابتهم، والمجالس بأجسامهم، والقلوبَ بجلالتهم، ولكن المفسِّر فسَّرهم هنا بالقوم، فحينئذ: يكون المراد بهم: ما يشمل الأتباع، وقيل: المراد بالملأ: خُصوص الأشراف، وخصُّوا بالذكر؛ لأنَّ غيرهم تبعٌ لهم؛ فإذا آمَن الرؤساء.. آمن الأتباع، وإذا كفروا.. كفر الأتباع.

فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ....

التِّسعِ، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمانِ بِها، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظاهِر.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنَّه لَسِحرٌ؟ ﴿أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾ وقَد أفلَحَ مَن أتَى بِه وأَبطَلَ سِحر السَّحَرةِ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ﴾ والاستِفهامُ في المَوضِعَينِ لِلإنكارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (التسع) تقدَّم منها في (الأعراف) ثمانية: العصا، واليد، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وستأتي التاسعة هنا في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [يونس: ٨٨] الآية.

قوله: (﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾) الاستكبار: ادِّعاء الكبر من غير استحقاق له.

قوله: (عن الإيمان بها) أي: بتلك الآيات التسع، وفي نسخة: (بهما) أي: موسى وهارون.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾) أي: الآيات التسع؛ ففيه إظهار في مقام الإضمار، وفي الحقيقة: أصل نزاعهم ودَعواهم أن ما جاء به سحر إنما هو في اليد والعصا.

قوله: (﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾) هذه المقالة وَقعت منهم بعد مجيء السحرة وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيِّهم.

قوله: (﴿قَالَ مُوسَىٰٓ﴾) أي: ردًّا عليهم بثلاث جمل: الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ إنَّه لَسِحرٌ، الثانية: ﴿أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾، الثالثة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ﴾.

قوله: (﴿إنه لسحر﴾) مقول لقوله: ﴿أَتَقُولُونَ﴾، حذف لدلالة ما قبله عليه، ولأنه لا ينبغي أن يُذكر.

قوله: (وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية.

قوله: (﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ﴾) أي: لا يَفوزون بمطلوبهم، والجملة حالية من فاعل ﴿أَتَقُولُونَ﴾.

قوله: (للإنكار) أي: فالمعنى: لا يَليق ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ ....

٧٨ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾: لِتَرُدَّنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾: المُلكُ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مِصر، ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِين.

٧٩ ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾: فائِقٍ في عِلم السِّحر.

٨٠ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بَعدما قالُوا لَه: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾.

٨١ ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾) لما لم يجدوا حُجة يعارضون بها.. رجعوا للتقليد المحض، فقالوا ما ذكر.

قوله: (﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾) أي: من عبادة الأصنام.

قوله: (﴿وَتَكُونَ﴾) معطوف على (تَلفتنا) أي: ولتكونَ.

قوله: (الملك) أي: وسمِّي بالكبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا، ولأنه يورث الكبرياء والعزَّ.

قوله: (﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾) ليس هذا مرتَّباً على ما تقدَّم؛ فإنَّ هذا القول وقع في ابتداء القصة، فالمقصود هنا: بيان ذكر القصة لا بقَيد ترتيبها؛ فإنَّ الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾) عطف على محذوف، تقديره: فأتَوا بالسحرة.

قوله: (بعدما قالوا له... إلخ) أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف، وأصل الكلام: فلما جاء السحرة وجمعُوا حبالهم وعِصيهم وقالوا لموسى: إما أن تُلقي، وإما أن نكونَ نحن الملقِين.. قال موسى... إلخ.

قوله: (﴿مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾) أبهمه؛ إشارةً إلى تحقيره.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾) أي: السحرة، وتقدَّم أنهم كانوا ثمانين ألفاً.

قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ....

حِبالَهم وعِصِيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾ ـ استِفهامِيَّة ـ مُبتَدأ خَبَرُه: ﴿جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾؟ ـ بَدَل، وفي قِراءَة بِهمزَةٍ واحِدة إخبارٌ، فـ(ما) اسم مَوصُول مُبتَدأ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي: سَيَمحَقُه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿وَيُحِقُّ﴾: يُثبِتُ ويُظهِر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بِمَواعِيدِه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (حبالهم وعصيَّهم) أي: وتقدَّم أنها كانت حمل ثلاث مئة بعير.

قوله: (استفهاميَّة) أي: أيُّ شيء جئتم به، وهو للتوبيخ والتحقير.

قوله: (بدل) أي: من (ما) الاستفهامية، وأُعيدت همزة الاستفهام؛ لتكشف استفهام المبدل منه على حدِّ قول ابن مالك[1]: [الرجز]

وبدلُ المضمَّنِ الهمزَ يَلِي همزاً كمَنْ ذا أسعيدٌ أمْ علِي؟

قوله: (بهمزة واحدة إخبارٌ) أي: بإسقاط همزة الاستفهام، ووُجهت هذه القراءة: بأن (ما) اسم موصول مبتدأ، وصلتها ﴿جِئْتُم بِهِ﴾، والخبر ﴿ٱلسِّحْرُ﴾، والحاصل: أن في همزة (آلسحر) الثانية وجهان: التسهيل، والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات، وهاتان القراءتان على جعل (ما) استفهامية، وخبرها: ﴿جِئْتُم بِهِ﴾، و(آلسحر) بدلٌ من (ما)، وأما على إسقاطها.. فالجملة خبرية، و(ما): اسم موصول مبتدأ، و﴿جِئْتُم بِهِ﴾: صِلته، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾: خبر، وتحذف همزة (أل) عند الدَّرج[2].

قوله: (أي: سيمحقه) أي: فلا يبقى له أثر أصلاً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾) تعليل لقوله: ﴿سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾.

قوله: (﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾) عطف على قوله: ﴿سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾.

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾) أي: الكافرون.

---

(١) «الخلاصة»، باب: (البدل).

(٢) قرأ أبو عمرو وحدَه دون باقي السبعة: «آلسحر» بهمزة الاستفهام، وبعدها ألف مَحضة، وهي بدل عن همزة الوصل الداخلة على لام التعريف، ويجوز أن تُسهل بين بين، وقرأ باقي السبعة بهمزة وصل تسقط في الدرج. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٤٩).

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ....

﴿٨٣﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: طائفةٌ ﴿مِّن﴾ أولادِ ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أي: فِرعَون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يَصرِفَهُم عن دِينه بِتَعذِيبه، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: مُتَكبِّرٌ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصر، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المُتَجاوِزين الحَدَّ بِادِّعاءِ الرُّبُوبِيَّة.

﴿٨٤﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾) الذرية: اسمٌ يقع على القليل من القوم.

قوله: (أي: فرعون) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ عائدٌ على فرعون، والمراد: بذرية قومه: ناسٌ يسيرٌ؛ منهم امرأة فِرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازنه، وأولاد خازنه، وماشِطَته. وقيل: إن الضمير عائد على موسى، وهم: ناسٌ من بني إسرائيل نجَوا من قتل فرعون؛ وذلك لأنَّ فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل. . كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً. . وهبته لقبطية؛ خوفاً عليه من القتل، فنشؤوا بين القِبط، فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة. . آمنوا به. وقيل: هم بنو إسرائيل، وهو الأقرب.

قوله: (﴿عَلَىٰ خَوْفٍ﴾) أي: مع خوف.

قوله: (﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾) أي: ملأ الذرية الذين نشؤوا بينهم على التفسير الثاني، أو أقاربهم حقيقة على التفسير الأول الذي ذكره المفسِّر.

قوله: (﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾) أي: فرعون، وأفرد؛ لأنه هو المباشر لِلفتنة، والخوف من الملأ إنما كان بواسطتِه هو.

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾) أي: تطميناً لقلوبهم، وهذا يؤيِّد أن الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ عائد على موسى، وقد يجاب عن المفسِّر: بأنه سمَّاهم قومه من حيث إنه مُرسلٌ لهم.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم﴾) جوابه: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾، وقوله: (﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه، والتقدير: توكَّلتم عليه، أو هو شرط في الشرط؛ لأن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود. . فالشرط الثاني شرطٌ في الأول.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾) أي: مُنقادين لأحكام الله.

فَقَالُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

﴿٨٥﴾ ﴿فَقَالُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تُظهِرهُم علَينا فيَظُنُّوا أنَّهُم على الحقِّ فيَفتَتِنُوا بِنا.

﴿٨٦﴾ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتَّخِذَا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مُصَلًّى تُصَلُّون فِيه لِتَأمَنُوا مِن الخَوف، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَقَالُوا﴾) أي: جواباً لموسى.

قوله: (﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ . . . إلخ) دعاءٌ منهم لله سبحانه وتعالى.

قوله: (أي: لا تظهرهم علينا) أي: لا تجعلهم ظاهرِين علينا وغالبين لنا.

قوله: (﴿وَنَجِّنَا﴾) أي: خلِّصنا.

قوله: (﴿بِرَحْمَتِكَ﴾) أي: إحسانِك وإنعامك.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: الجاحِدين لآياتك.

قوله: (﴿أَن تَبَوَّءَا﴾) يحتمل أن (أن) تفسيرية؛ لوجود ضابطها، وهو: أن يَتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، ويحتمل أنها مصدرية؛ أي: أَوحينا التبوُّء، والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يتخذا لِقومهما مساكن بأرض مصر؛ يتوطنون بها ويَعبدون الله فيها رغماً على أنف عدوِّهم فرعون، وهذا طُمأنينة للقوم؛ فإنهم كانوا خائفين من فرعون.

قوله: (﴿لِقَوْمِكُمَا﴾) الأقرب: أن اللام زائدة في المفعول الأول، و﴿بُيُوتًا﴾ مفعول ثان[1].

قوله: (﴿بِمِصْرَ﴾) متعلق بـ﴿تَبَوَّءَا﴾، والمراد بمصر: مصر القديمة.

قوله: (﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾) أي: اجعلوا مَساكنكم مصلى، والمراد بالقبلة: مكان التوجه لله، لا خصوص الفَجوة المعلومة، واختلف في قبلتهم؛ قيل: هي الكعبة، وقيل: بيت المقدس.

(١) في هامش (أ): (بمعنى: بوِّئا قومكما بيوتاً؛ أي: أنزلاهم).

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟﴾ ....

وكان فِرعَونُ مَنَعَهُم مِن الصَّلاة، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ﴾: أتِمُّوها، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالنَّصرِ والجَنَّة.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتَهُم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ في عاقبَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكان فرعون منعهم من الصلاة) أي: في أوَّل أمرهم، فأمر الله موسى ومَن معه أن يصلوا في بيوتهم خُفية؛ لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويَفتنوهم عن دينهم، وذلك كما كان عليه المسلمون في أول الإسلام بمكة.

قوله: (أتِمُّوها) أي: بشروطها وأركانها المعلومة عندهم.

قوله: (﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: قومَك الذين آمنوا بك، وهذا خطابٌ لموسى وحده؛ لأنَّ البشارة على لسانه، وما قبله من قوله: (واجعلوا) و(أقيموا) خطابٌ لموسى وقومه؛ لاشتراكهم في ذلك.

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾) أي: لما رأى فرعون وقومَه طغَوا وبغوا، ولم ينقادوا للإسلام، واستمروا على الكفر والعناد.. جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم، وقدَّم سبب الدعاء وهو بَطر النعم؛ إذ هو من أعظم المعاصي الموجبة لِغَضب الله وسَلب النعم.

قوله: (﴿زِينَةً﴾) هي: عبارة عما يتزيَّن به من اللباس والمال والأمور الجميلة، قال ابن عباس: (كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذَهب وفضة وزبرجد وياقوت)[1].

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾) كرَّره تأكيداً للأول، وتلذُّذاً بخطاب الله.

قوله: (﴿لِيُضِلُّوا۟﴾) متعلق بـ﴿ءَاتَيْتَ﴾ في كلام الله، وأما قول المفسِّر: (آتيتهم ذلك) إنما هو تتميم للجملة المؤكدة. واللام: لِلعاقبة والصيرورة، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (في عاقبته)[2].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٣٤٥).

(٢) في هامش (أ): (أي: آتيتهم النعم المذكورة؛ ليشكروها ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفرُوا وأضلوا عن سبيلك).

عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ....

﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: دِينِك، ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: امسَخْها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: اطبَع علَيها واستَوثِق، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: المُؤلِم، دعَا علَيهِم وأمَّنَ هارُونُ على دُعائِه.

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمُسِخَت أموالُهُم حِجارةً ولَم يُؤمِن فِرعَونُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَن سَبِيلِكَ﴾) أي: طاعتك وتوحيدك.

قوله: (﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾) أي: أزِل صورها وصفاتها، قال قتادة: بلغنا أن أموالهم وحُروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة، ودَنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً، وهذا الطمس آخرُ الآيات التسع[١].

قوله: (﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) أي: اربط عليها حتى لا تَلين وتنشرح للإيمان، وإنما دعا بذلك؛ لما علم أن سابق قضاء الله وقدَره فيهم أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدَّر وقضى عليهم، فكان ترجماناً عن مراد الله، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموتِه على الكفر.. فلا يحلُّ.

قوله: (﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾) عطف على ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ فيكون منصوباً، أو هو مجزوم بجعل (لا) دعائيَّة.

قوله: (دعاء عليهم) الأقرَب: أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا دعاء عليهم؛ أي: قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟...﴾ إلخ، ودفع بذلك ما قيل: إنه خبرٌ وليس من جملة الدعاء، فتأمَّل.

قوله: (وأمَّن هارون على دعائه) أي: والمؤمِّن أحد الداعيَين، فصحَّت التثنية في قوله: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إن الداعي موسى فلِمَ ثنّى الضمير في ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾؟

قوله: (فمسخت أموالهم) أي: الدنانير والدراهم والنَّخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك، وقيل: مُسخت صورهم أيضاً، فكان الرجل مع أهله فصارَا حجرين، والمرأة قائمة تخبز صارت حجراً، وهذا قولٌ ضعيف؛ لأن موسى دعا على أموالهم ولم يدعُ على أنفسهم بالمسخ.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٥٨).

﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾

حتَّى أدركَهُ الغرَق، ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على الرِّسالَة والدَّعوةِ إلى أن يَأتِيَهُم العَذابُ، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استِعجالِ قَضائي، رُوِيَ أَنَّهُ مَكَثَ بَعدها أربَعين سنةً.

﴿٩٠﴾ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾) أي: دُوْمَا على الاستقامة.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾) خطابٌ لموسى وهارون، والمراد: غيرهما؛ على حدِّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والمعنى: لا تَسلكا طريق الجاهلين الذين يَظنون أنه متى دعا الإنسان.. أجيب بعين مَطلوبه في الحال؛ لأنَّ الإجابة على مراد الله، فربما يجاب الشخص بغير مَطلوبه، أو تتأخر إجابته؛ لحِكم يعلمها الله.

وفي ﴿تَتَّبِعَآنِّ﴾ ثلاثُ قراءات سبعيَّات: تشديد النون مع تشديد التاء فقط، وتخفيفها مع تشديد التاء، وتخفيفها[1]؛ فعلى الأولى: تكون النون للتوكيد الثقيلة، وكسرت تشبيهاً بنون المثنى، والفعل مجزوم بحذف النون، وعلى الثانية والثالثة: تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع، والتقدير: وأنتُما لا تتبعان.

قوله: (روي أنَّه) أي: نزول العذاب بِهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة، وهذا التأخير لِحكمة يعلمها الله.

قوله: (﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾... إلخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهارون بالطَّمس على أموالهم والربطِ على قلوبهم.. أوحى الله إلى موسى وهارون؛ أن أَسْرِ بعبادي، واخرج بهم من أرض مصر؛ ورد: أنَّ يعقوب لما دخَل مصر مع ذرِّيته لاجتماعهم بيوسف.. كانوا اثنين وسبعين؛ فلمَّا خرج موسى بهم.. كانوا ست مئة ألف، وكان فرعون غافلاً عن ذلك، فلمَّا سمع أنهم خرجُوا وعزموا على مفارقة مملكته.. خرج في عَقِبهم، فلمَّا أدركهم.. قالوا لموسى: أين المخلص والبحرُ أمامنا والعدوُّ وراءنا؟! فلمَّا قربوا.. أوحى الله إليه؛ أن اضرِب بعصاك البحر، فضربه، فانفَلق، فقطعه موسى وبنو إسرائيل، فلحقهم فرعون وكان على حِصان أدهم، وكان معه ثمان مئة ألف

---

(١) قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون، والباقون بتشديدها، وقد رُوي عن ابن ذكوان: (تَتْبعان) ساكنة التاء مُشددة النون. انظر «العنوان في القراءات السبع» (ص١٠٥).

فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ....

لَحِقَهُم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ـ مَفعُول لَهُ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ أي: بِأَنَّهُ، ـ وفي قِراءة بِالكَسرِ استِئنافاً ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى، وميكائيل يَسوقهم حتى لا يبقى منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلمَّا وجد الحصان ريح الأنثى.. لم يتمالك فرعون نفسه فنزل البحر، وتَبِعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر، وهمَّ أوَّلهم بالخروج.. انطَبق عليهم[1].

وحصان؛ بوزن: (كتاب)، وجمعه: حُصن ك: كُتب، كذا في «القاموس»[2]. و(جاوَزنا) من: المجاوزة، وهي: التخطية والتعدية، والمعنى: جعلناهم مُجاوزين البحر؛ بأن جعلناه يبساً، وحفظناهم حتى بلغوا الشَّط.

قوله: (﴿ٱلْبَحْرَ﴾) أي: بحر السويس.

قوله: (لحقهم) أي: مشى خلفهم.

قوله: (﴿بَغْيًا﴾) أي: في الأقوال، (﴿وَعَدْوًا﴾) أي: في الأفعال؛ ففرعون متعدٍّ على بني إسرائيل بالأقوال الكاذبة، والأفعال الجائرة.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، ويصح نصبهما على الحال؛ أي: باغِين مُعتدين.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾) غايةٌ لإتْبَاعِهِ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

قوله: (استئنافاً) أي: واقعاً في جواب سؤال مقدَّر، أو على إضمار القول، والتقدير: (قائلاً: إنه... إلخ).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٥٩).

(٢) «القاموس المحيط» (١/ ١١٩٠)، مادة: (حصن).

(٣) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي بكسر (إن)، وقرأ الباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٦٤).

كَرَّرَهُ لِيُقبَلَ مِنه، فلَم يُقبَل، ودَسَّ جِبرِيلُ في فِيه ....

حاشية الصاوي

قوله: (كرَّره؛ ليقبل منه) أي: كرَّر الإقرار بالإيمان ثلاث مرات: قوله: ﴿ءَامَنتُ﴾، وقوله: ﴿أَنَّهُ... إلخ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (فلم يُقْبَلْ) أي: فمات على كفره، وهذا ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما قيل من أنه مات مؤمناً.. فلا يُلتفَت له.

قوله: (ودسَّ جبريل) أي: بأمرٍ من الله، وهو لا يسأل عمَّا يفعل، وذلك نظير أمرِنا بقتل الكفار، وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازي في هذا المقام(١).

---

(١) ووجه الإشكال كما ذكره الإمام في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٧): أن التكليف في تلك الحالة هل كان ثابتاً أم لا؟ فإن كان ثابتاً.. لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يُعِينه على التوبة وعلى كل طاعة، وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت.. فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة، وأيضاً: لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببَقائه على الكفر، والرضا بالكفر كفرٌ، وأيضاً: فكيف يَليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان؟

وقد أجاب العلَّامة الخازن في «تفسيره» (٢/ ٤٦١) عن هذه الاعتراضات، فقال: (والجواب عن هذا الاعتراض: أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ، فلا اعتراض عليه لأحد، وأما قول الإمام: «إن التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا؟ فإن كان ثابتاً لم يجز لجبريل أن يمنعَه من التوبة» فإنَّ هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر، القائلين بخلق الأفعال لله، وأن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر؛ فإنهم يقولون: إن الله يحول بين الكافر والإيمان، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهكذا فعل بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاءً على تركه الإيمان أوّلاً، فدسُّ الطين في فَم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب، ومنعُ الإيمان وصون الكافر عنه جزاء على كفره السابق، وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال لله. ومِن المنكرين لخلق الأفعال من اعترف أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى يَفعل هذا عقوبة لل عبد على كفره السابق، فيحسن منه أن يُضِله ويطبع على قلبه ويمنعه من الإيمان.

فأمَّا قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فإنها من هذا الباب؛ فإنَّ غاية ما يقالُ فيه: إن الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبةً له على كُفره السابق وردِّه للإيمان لما جاءه، وأما فعل جبريل به من دسِّ الطين في فيه.. فإنما فَعل ذلك بأمر الله، لا من تِلقاء نفسه.

وأمَّا قول الإمام: «لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يُعِينه عليها وعلى كل طاعة» هذا إذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا، وأما إذا كان جبريل إنما يفعل ما أمره الله به، والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فِرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله.. فكيف لا يجوز له منع مَنْ منعه الله من التوبة؟! وكيف =

مِن حَمأة البَحر مَخافةَ أن تَنالَهُ الرَّحمة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (من حمْأة البحر) بسكون الميم وتحريكها، وهي: الطين الأسود.

قوله: (مخافةَ أن تناله الرحمة) أي: وليس من أهلها؛ لِسابق علم الله بعدم إيمانه.

= يجب عليه إعانة من لم يُعِنه الله؟ بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليمَ حين لا ينفعه الإيمان.

وقوله: «وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فحِينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدةٌ»، فجوابه أن يقالَ: إن للناس في تعليل أفعال الله قولين: أحدهما: أن أفعاله لا تُعلّل، وعلى هذا التقدير: فلا يرد هذا السؤال أصلاً، وقد زال الإشكال، والقول الثاني: أن أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسَب المصالح لأجلها فعلها، وكذا أوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لأجلِها أمَر بها ونهى عنها، وعلى هذا التقدير قد يقال: لما قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وقد عَلم جبريل أنه ممَّن حقَّت عليه كلمة العذاب، وأن إيمانه لا يَنفعه.. دسَّ الطينَ في فيه؛ لِيُحقق معاينته للموت، فلا تكون تلك الكلمة نافعةً له، فإنه وإن كان قالها في وقت لا ينفعه فدسُّ الطين في فيه تحقيقاً لهذا المنع، والفائدة فيه: تعجيلُ ما قد قضي عليه، وسدُّ الباب عنه سدًّا محكماً؛ بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ، ولا يبقى من عُمره زمن يتسع للإيمان؛ فإن موسى عليه السلام لما دعا ربَّه بأن فرعونَ لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، والإيمانُ عند رؤية العذاب غيرُ نافع.. أجاب الله دعاءَه، فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق.. استعجل جبريل فدسَّ الطين في فيه؛ لِيَيأس من الحياة، ولا تنفعه تلك الكلمة، وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، فيكون سعي جبريل في تكميلِ ما سبق في حكم الله أنه يفعله، فيكون سعي جبريل في مَرضاة الله سبحانه وتعالى منفذاً لما أمره به وقدَّره وقضاه على فرعون.

وأما قوله: «لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفرٌ»، فجوابه: ما تقدَّم من أن الله يضل من يشاء ويَهدي من يشاء، وجبريل إنما يتصرف بأمر الله ولا يفعل إلا ما أمره الله به، وإذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفَّذه.. فإنما رضي بالأمر لا بالمأمور به، فأيُّ كفر يكون هنا؟ وأيضاً: فإن الرضا بالكفر إنما يكون كفراً في حقِّنا؛ لأنا مأمُورون بإزالته بحسب الإمكان، فإذا أقررنا الكافر على كُفره ورضينا به.. كان كفراً في حقنا؛ لمخالفتنا ما أمرنا به، وأما مَن ليس مأمورا كأمرنا ولا مكلفاً كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربُّه.. فإنه إذا نَفذ ما أمره به لم يكن راضياً بالكفر، ولا يكون كفراً في حَقِّه، وعلى هذا التقدير: فإنَّ جبريل لما دسَّ الطين في فِي فرعون.. كان ساخطاً لِكُفره غيرَ راض به، والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرِّها وهو غير راض بالكفر، فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذاً لقضاء الله وقَدَره في فرعون من الكفر وهو ساخطٌ له غيرُ راضٍ به.

وقوله: «كيف يَليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان؟» فجوابه: أن الله يفعل ما يشاء ويَحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل).

ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ....

وقالَ له:

﴿٩١﴾ ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ تُؤمِنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِضَلالِك وإضلالِكَ عنِ الإيمان؟

﴿٩٢﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نُخرِجُك مِن البَحر ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: ما الحكمة في عدم قَبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات؟

أجيب بأجوبة منها: أنه إنما آمن عند نُزول العذاب، وهو حينئذ غير نافع، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

ومنها: أن الإيمان بالله من غير إقرار لِلرسول بالرسالة غير نافع، وفرعون لم يقرَّ برسالة موسى عليه السلام، فلم يصحَّ إيمانه.

ومنها: أن قوله: (آمنتُ) ليس قاصداً به الإيمان حقيقة، بل قَصد به النجاة من البحر على حكم عادته؛ إذا أصابته مصيبة. . رَجع واستجار.

وحكي: أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفَتوى: ما قول الأمير في عبدٍ نشأ في مالِ مولاه ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقَّه، وادَّعى السيادة دونه، فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبدِ الخارجِ عن سيِّده الكافرِ نعمتَهُ. أن يغرقَ في البحر، فلمَّا غرق. . رفع جبريل إليه خطَّه[١].

قوله: (وقال له) معطوف على قوله: (ودسَّ)، وقدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ ظرف لمحذوف، والجملة مقول لذلك القول المقدَّر.

قوله: (﴿ءَآلْـَٔنَ﴾) استفهام توبيخ وتقريع.

قوله: (﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾) الجملة حالية، والمعنى: آلآن تتوبُ وقد ضيَّعت الإيمان في وقته الذي يُقْبَل فيه؟! وهو غير وقت العذاب.

قوله: (﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾) بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيَّتان[٢].

---

(١) انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٦).

(٢) قرأ يعقوب بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم، والباقون بفتح النون الثانية وتشديدِ الجيم. انظر «الدر المصون» (٦/ ٢٦٥).

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى

﴿بِبَدَنِكَ﴾: جَسَدِك الَّذِي لا رُوحَ فِيه؛ ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: بَعدَك ﴿ءَايَةً﴾: عِبرَةً، فيَعرِفُوا عُبُودِيَّتك ولا يُقدِمُوا على مِثل فِعلِك، وعن ابن عبَّاس أنَّ بَعض بَني إسرائيل شَكُّوا في مَوتِه فأُخرِجَ لَهُم لِيَرَوْهُ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يَعتَبِرُون بِها.

﴿٩٣﴾ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزَلْنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: مَنزِلَ كَرامَة وهو الشَّامُ ومِصر، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بِأنْ آمَنَ بَعض وكَفَرَ بَعضٌ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِبَدَنِكَ﴾) حال من الضمير في ﴿نُنَجِّيكَ﴾، والمعنى: فاليوم نخرجك من البحر ملتبساً ببدنك فقط، لا مع روحك كما هو مَطلوبك، وقيل: المراد بالبدن: الدرع؛ لأنَّ له درعاً كان يعرف بها، فلما ألقي على وجه الأرض وعليه درعه.. عرَفوه.

قوله: (فيعرفوا عبوديَّتك) أي: ويُبطلوا دعوى ألوهيَّتك؛ لأنَّ الإله لا يموت ولا يتغيَّر.

قوله: (شكُّوا في موته) إنما وقع منهم الشَّك؛ لشدَّة ما حصل في قلوبهم من الرعب منه، فأمر الله البحر، فألقاه على الساحل أحمر قصيراً، كأنه ثَور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمِن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً.

قوله: (﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) هذا امتنانٌ من الله تعالى على بني إسرائيل بنِعم عظيمة.

قوله: (﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾) أي: أنزلناهم منزلاً حميداً صالحاً، وإنما وصف المكان بالصِّدق؛ لأن عَّادة العرب إذا مدحت شيئاً.. أضافَته إلى الصدق؛ يقولون: (هذا قدَمُ صِدق)، و(رجل صدق).

قوله: (وهو الشام ومصر) أي: وقيل: مصر فقط؛ لأنها التي كانت تحت أيدِي فرعون وقومه.

قوله: (﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾) أي: مَنْ فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل؛ وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين في نبوَّته؛ لما يَجدونه مكتوباً عندهم، فلمَّا بُعِثَ.. اختلفوا فيه؛ فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابِه، وكفر بعضٌ.

قوله: (﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾) أي: القرآن؛ وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمَبعثه وصفته، ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بُعث.. اختلفوا؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ .....

﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين بإنجاءِ المُؤمِنينَ وتَعذِيبِ الكافِرين.

﴿٩٤﴾ ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مِن القَصَص فَرضاً، ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾: التَّوراةَ ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنَّهُ ثابتٌ عِندَهم يُخبِرُوك بِصِدقِه، قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسأَلُ»، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فِيه.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾) ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وَجَبَت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بِالعَذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يَنفَعُهم حِينَئذٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (فَرضاً) جوابٌ عمَّا يقال: إن الشكَّ محالٌ على رسول الله، فأجاب: بأنه على فرض المحال، وأجيب أيضاً: بأن الخطاب له والمرادُ غيره، وهذا هو الأتمُّ في تلك الآيات.

قوله: (﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ﴾... إلخ) أي: فإن ذلك محقَّقٌ عندهم، ثابتٌ في كُتبهم.

قوله: (يُخبروك) مجزوم في جواب الأمر، وهو (اسأل).

قوله: (﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾) أي: اليقين من الخبر بأنَّك رسول الله حقًّا، وهذا كلامٌ منقطعٌ عمَّا قبله، وفيه معنى القسم، تقديره: والله لقد جاءك الحق... إلخ.

قوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾) أي: دُم على ما أنت عليه من عدم الشك والافتراء.

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾) أي: ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر، فلا يتأتَّى منهم الإيمان أصلاً؛ إذ لا مُعقِّب لحكمه سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَرَوُا﴾) غاية في النفي.

قوله: (فلا ينفعهم حينئذ) أي: كفرعون وأضرابه.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوٓاْ ....﴾

﴿٩٨﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أُرِيدَ أهلُها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قَبل نُزُولِ العَذاب بِها، ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾: لَكِن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوٓاْ﴾ عِند رُؤيَةِ أَمارةِ العَذاب ولَم يُؤَخِّرُوا إلى حُلُولِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَوْلَا﴾) أشار المفسر بقوله: (هلَّا) إلى أنها تحضيضية، وهو للتوبيخ مع النفي، و(كانَ) فعل ماض تام، و﴿قَرْيَةٌ﴾ فاعلها، و﴿ءَامَنَتْ﴾ صفة ﴿قَرْيَةٌ﴾، وقوله: ﴿فَنَفَعَهَآ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ عطف مسبَّب على سبب، والمعنى: لم تكن قَرية من تلك القرى التي تقدمت قومَ يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيَتسبب على إيمانها كونه نافعاً لها، والحاصل: أن الآية تضمَّنت تحضيضاً وتوبيخاً ونفياً؛ فالنفي راجع لمن مضى، والتوبيخ والتحضيض راجِعان لمن يسمع.

قوله: (أريد أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلمة مجازاً مرسلاً من باب: تسمية الحالِّ باسم المحل، لا مجازاً بالحذف.

قوله: (﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾) أشار المفسِّر إلى أن الاستثناء منقطعٌ؛ حيث عبَّر بـ(لكن)، وضابط الاستدراك موجود، وهو رَفع ما يتوهم ثبوته أو نفيُه، فأتى به هنا؛ لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب، فرفع ذلك التوهُّم بأن قوم يونس آمنوا قبل نُزول العذاب، بل عند حُضور أماراته؛ ولذلك نفعهم إيمانهم، وأما غيرُهم.. فلم يؤمن قبل نزوله أعمّ من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً.

قوله: (ولم يؤخِّروا إلى حلوله) أي: بل عجَّلوا الإيمان عند ظهور أماراته.

وحاصل قصتهم على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نِينوى من أرض الموصل، وكانوا أهلَ كفرٍ وشركٍ، فأرسل الله عزَّ وجلَّ إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله، وتَرْك عبادة الأصنام، فدعاهم، فأبَوا عليه، فقيل له: أخْبِرْهُم أنَّ العذاب يصبِّحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نُجرِّب عليه كذباً قطُّ، فانظروا؛ فإن بات فيكم.. فليس بشيء، وإن لم يَبِت.. فاعلموا أنَّ العذاب مُصبِّحكم، فلمَّا كان جوف الليل.. خرج يونس من بين أظهُرِهم، فلمَّا أصبحوا.. تغشَّاهم العذاب، فكان فوق رُؤوسهم.

....

حاشية الصاوي

قال ابن عباس: إنَّ العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدرُ ثلثي ميل، فلمَّا دعوا.. كشَفه الله عنهم، وقال قتادة: قدر مِيل، وقال سعيد بن جبير: غشي قومَ يونسَ العذابُ كما يغشى الثوب الغبر، وقال وهبٌ: غامت السماء غيماً أسود يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتَهم، واسودَّت أسطحتهم، فلمَّا رأوا العذاب.. أيقَنوا بالهلاك، فطلبوا نبيَّهم يونس فلم يَجدوه، فقذف الله في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونِسائهم وصبيانهم ودوابِّهم، ولبسوا المسوح، وأظهَروا الإيمان والتوبة، وفرَّقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب، فحنَّ البعض للبعض، فحنَّت الأولاد إلى الأمَّهات، والأمهات إلى الأولاد، وعلَت الأصوات، ولجؤوا جميعاً إلى الله تعالى، وتضرَّعوا إليه، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله، وأخلَصوا النية، فرحمهم ربهم، واستجاب دعاءهم، وكشف ما نزل بهم بعد ما أظلَّهم، وكان ذلك اليوم يومَ عاشوراء، وكان يوم الجمعة.

قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أنهم ردُّوا المظالم فيما بَينهم؛ حتى إنه كان الرجل يأتي إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه، فيَقلعه فيرده[1].

وروي الطبراني بسنده قال: (لما غشي قوم يونس العذاب.. مشوا إلى شيخ من بَقية علمائهم، فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال: قولوا: «**يا حيُّ حين لا حيَّ، ويا حيُّ يحيى الموتى، ويا حيُّ لا إله إلا أنت**»، فقالوها، فكشَف الله عنهم العذاب ومُتِّعوا إلى حين)[2].

وقال الفضيل بن عياض: إنهم قالوا: اللهم؛ إن ذُنوبنا قد عظمت وجلَّت، وأنت أعظم وأجلُّ، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تَفعل بنا ما نحن أهله؛ فلما خرج يونس.. جعل ينتظر العذاب فلم يرَ شيئاً، فقيل له: ارجع إلى قومك، قال: وكيف أرجع إليهم فيَجدوني كذاباً، وكان كلُّ مَنْ كذَّب ولا بينة له.. قُتِلَ، فانصرف عنهم مغاضباً، فنَزل في سفينة، فلمَّا بلغت وسط البحر.. وقفَت وكان من عادتهم أن السفينة لا تقف إلا إذا كان فيها عبدٌ آبق، فضَربوا القرعة، فخرجت على يونس، فألقَوه في البحر، فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجاب الله نداءه، وأخرجه من بطن الحوت ضعيفاً، فأنبت الله عليه شَجرة القرع،

---

(١) نقل هذه الأقوال عنهم العلامة الخازن في «تفسيره» (٢/ ٤٦٥).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٠)، و«حِلية الأولياء» (٦/ ٥٨).

كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ....

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقِضاءِ آجالِهم.

﴿٩٩﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بِما لَم يَشَأْهُ الله مِنهُم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؟ لا.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِإرادتِه، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: العَذابَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: يَتدبَّرونَ آياتِ الله.

حاشية الصاوي

ورجع إلى قومه وكانوا يَزيدون عن مئة ألف، ففرحوا به وأحبُّوه وآمنوا به؛ فهنيئاً لمن رجع إلى مولاه، ونَدم على ما جناه؛ فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده، ويَعفُو عن السيئات.

قوله: (إلى انقضاء آجالهم) تفسير لـ(الحين)، ودفع بذلك ما قيل: إن قوم يونس من المنظَرين، لا يموتون إلا عند النَّفخة الأولى، فأجاب المفسِّر: بأنَّ معنى (الحين): انقضاءُ آجالهم.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾) مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ؛ أي: إيمانَ جميعِ الناس.

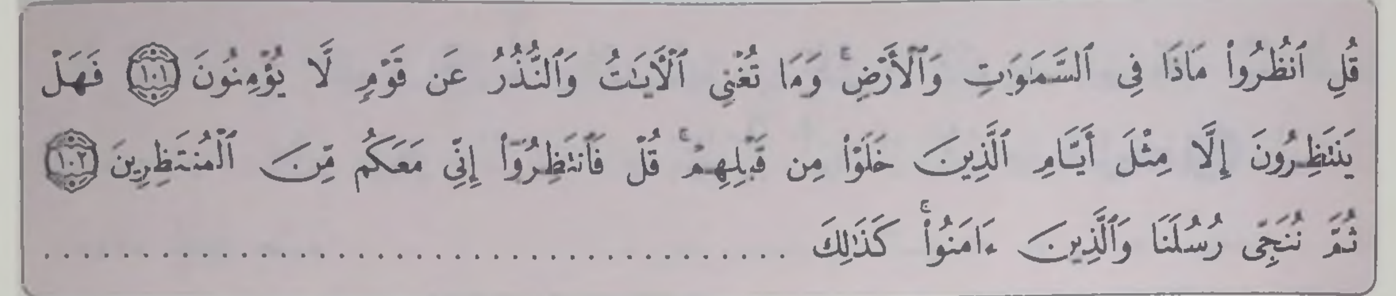
قوله: (﴿كُلُّهُمْ﴾) توكيد لـ﴿مَن﴾، و﴿جَمِيعًا﴾ حال منها، والمعنى: لو أراد الله إيمان مَنْ في الأرض.. لآمنوا كلُّهم حال كونهم مجتمعِين.

قوله: (﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسَّف عليه فأنت تكره... إلخ.

قوله: (لا) أي: لست بمكره للناس على الإيمان، والمعنى: ليس عليك إلا البلاغ، لا خَلق الإيمان في قلوبهم، وإكراههم عليه؛ فإنَّ الأمر لله، لا خالقَ سواه.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾... إلخ) بيان وتعليل لما قبله، والمعنى: ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا في حال إرادة الله الإيمانَ لها.

قوله: (﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾) معطوف على محذوف، والتقدير: فيُريد الله الإيمان للبعض ويجعل الرجس... إلخ.



قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ ....

(١٠١) ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّارِ مَكَّة: ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا﴾ أي: الَّذِي ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِن الآياتِ الدَّالَّة على وَحدانِيَّة الله تَعالى، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: جمع (نَذِير) أي: الرُّسُل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في عِلم اللهِ، أي: ما تَنفعُهُم.

(١٠٢) ﴿فَهَلْ﴾: فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بِتكذِيبِك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم، أي: مِثل وَقائِعهم مِن العَذاب، ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ذلكَ ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

(١٠٣) ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ - المُضارع لِحكايةِ الحالِ الماضِية - ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مِن العَذابِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاءِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾) بضم اللام وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[1]؛ فالضمُّ على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص، والمعنى: تفكَّروا وتأمَّلوا واتَّعظوا.

قوله: (من الآيات) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ﴾) أي: المذكورةُ في قوله: ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ ففي الكلام إظهارٌ في مقام الإضمار، والمعنى: لا تنفع الآيات والنذر قوماً لا يؤمنون.

قوله: (أي: مثل وقائعهم من العذاب) أي: وهو القتل بالسيف.

قوله: (﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ذلك) أي: مثل وقائع الأمم السابقة.

قوله: (﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾) بالتشديد باتفاق العشرة، وثبوت الياء لفظاً وخطًّا.

قوله: (﴿رُسُلَنَا﴾) أي: مَنْ سبق على محمد.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) صفة لمصدر محذوف؛ أي: إنجاء مثل ذلك الإنجاء والعامل فيه ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ جملةٌ معترضةٌ بين العامل والمعمول.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٠).

حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ....

﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه حينَ تعذيبِ المُشرِكين.

﴿١٠٤﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكَّة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أنَّهُ حقٌّ ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه وهو الأصنامُ لِشَكِّكُم فيه، ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يقبِضُ أرواحَكُم، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بِأنْ ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَ﴾ قِيلَ لِي: ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) بالتخفيف والتشديد، وتحذف منه الياء لفظاً وخطًّا[1].

قوله: (حين تعذيب المشركين) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (أي: أهل مكة) أي: الكفار المعارِضون.

قوله: (﴿مِّن دِينِى﴾) أي: الذي جئتُ به عن ربي.

قوله: (أنه حقٌّ) بدل من ﴿دِينِى﴾، والمعنى: إن كنتم في شكٍّ من حقِّيَّةِ ديني وصحته.. فلا أعبد. . . إلخ.

قوله: (لشكِّكم فيه) أي: في ديني الحق؛ أي: فالحاملُ لكم على عبادة غير الله شكُّكم في حقيَّة ديني، وأما أنا. . فليس عندي شكٌّ في حقيَّته؛ فلذلك لا أعبد غير الله، فكفرهم بالشكِّ؛ لأنه لا يتأتَّى منهم إنكارُ كون الله حقًّا ودينِ الإسلام حقًّا على سبيل الجزم بذلك؛ لِقيام الأدلة العقليَّة القطعيَّة على ذلك.

قوله: (﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾) خصَّ هذا الوصف بالذكر؛ تهديداً وتخويفاً لكم.

قوله: (﴿أَنْ أَكُونَ﴾) (أنْ): مصدرية مجرورة بالباء المقدَّرة كما قال المفسِّر؛ أي بكوني من المؤمنين المصدِّقين بما جاء من عند الله؛ لأنه مرسَلٌ لنفسه، فهو واجبٌ عليه الإيمان بما أرسل به.

قوله: (﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾) قدَّر المفسِّر القول؛ إشارةً إلى أن (أنْ) وما دخلت عليه في محل نصب مقول لذلك القول.

(١) قرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٠).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٥ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ . . . .

مائلاً إِلَيه، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٠٦ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تَعبُد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عَبدتَه، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تَعبُدْه، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فَرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٠٧ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يُصِبْك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفَقرٍ ومَرَض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافِعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾: دافِعَ ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الَّذِي أرادَك بِه، ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بِالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (مائلاً إليه) أي: مخلصاً له العمل ظاهراً وباطناً، فعلى المكلَّف أن يتخلَّق بخلق رسول الله؛ بألَّا يميل لغير الله ظاهراً أو باطناً، بل يكون كلُّه معه؛ فلا يشرك معه غيره أصلاً؛ لا في الظاهر ولا في الباطن، فكما أنَّ الخالق لا شريك له فيما خَلقه.. كذلك ينبغي للمخلوق ألَّا يشرك في عِبادته غيره.

قوله: (﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) أي: غيرَهُ.

قوله: (فَرضاً) جوابٌ عمَّا يقال: إن عبادة النبيِّ غيرَ الله مستحيلةٌ؛ فكيف يخاطب بذلك؟! أجاب المفسِّر: بأنَّ ذلك على سبيل الفَرض والتقدير، وأجيب أيضاً: بأن الخطاب له، والمرادُ غيره.

قوله: (﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾) أي: لا دافعَ ولا مانع له إلا الله حقيقة، فنسبة النفع والضرِّ لغير الله.. باعتبار أنَّ الله أجرى على أيدِيهم ذلك، لا باعتبار أنهم الخالقون؛ فإنَّ نسبة ذلك لهم من هذه الحيثيَّة كفرٌ.

قوله: (﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾) عبَّر في جانب الخير بالإرادة دون المسِّ؛ إشارةً إلى أن الخير لا يتوقف إتيانه على سبب وتهيُّؤ من العبد، بخلاف الضرِّ فلا بدَّ من تقدُّم سببه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾) أي: والستَّار للذنوب الماحي لها.

ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ ثَواب اهتِدائِه لَه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأنَّ وَبالَ ضَلالِه عليها، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجبِرَكُم على الهُدَى.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ مِن رَبِّك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدَّعوةِ وأذاهُم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فِيهِم بِأمرِه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدَلُهم، وقَد صَبَرَ حتَّى حُكِمَ على المُشرِكين ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلرَّحِيمُ﴾) أي: المنعم المحسِن؛ فالغفور: المنجي من النار بسبب مَحو الذنوب، والرحيم: المدخل للجنة بسبب الإنعام والإحسان.

قوله: (﴿ٱلْحَقُّ﴾) أي: القرآن ومَنْ جاء به، وهو النبي ﷺ.

قوله: (لأن ثواب اهتدائه له) أي: فلا يصل لله ممَّن كفر ضرٌّ، ولا ممَّن آمن نفعٌ، تنزَّه سبحانه وتعالى عن أن يتكمَّل بمخلوق.

قوله: (لأنَّ وبالَ ضلاله عليها) أي: عذابَ ضلالِهِ على نفسه، فلا يشاركه أحدٌ؛ لا في هداية نفسه، ولا في ضَلاله، بل كلُّ امرئ بما كسب رهينٌ.

قوله: (﴿بِوَكِيلٍ﴾) أي: بحفيظ موكول إليَّ أمرُكم، وإنما أنا بشيرٌ ونذيرٌ.

قوله: (فأجبركم على الهدى) أي: أكرهكم عليه.

قوله: (﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾) أي: من القرآن.

قوله: (على الدعوة) أي: دعائك إياهم للإيمان.

قوله: (وأذاهم) أي: لك، فكان رسول الله يَسمع سبَّه بأذنه ولا يتكلم.

قوله: (أعدلُهُم) أي: فلا يخطئ في حُكمه أصلاً، وأما غيره . فتارةً يخطئ في حكمه، وتارةً يعدل، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرةٌ بين الفضل والعدل؛ فإثابة المؤمن بالفضل، وتعذيب العاصي بالعدل.

بِالقِتالِ وأهلِ الكِتاب بِالجِزْية.

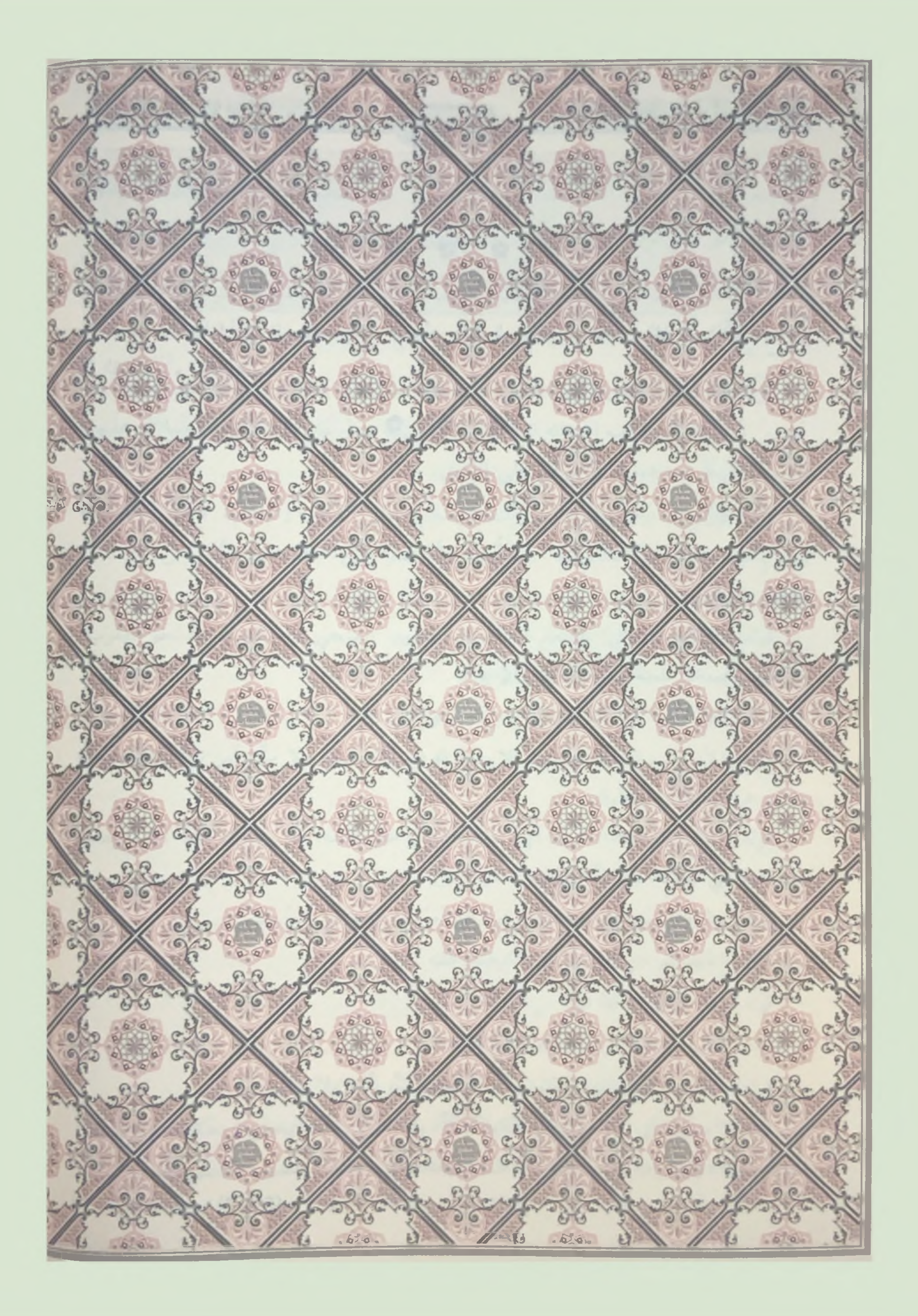
✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

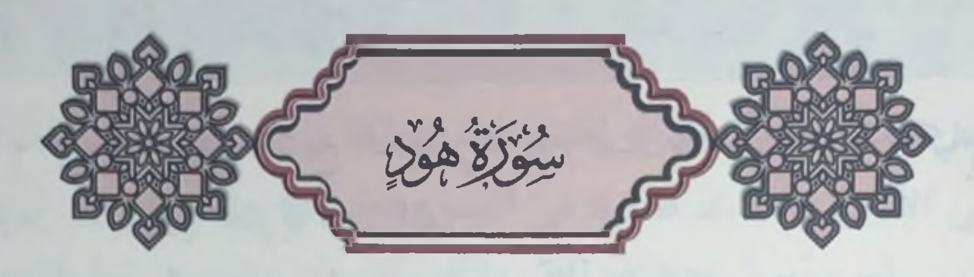
قوله: (بالقتال) أي: الجهاد، وأشار المفسِّر بذلك إلى قول ابن عباس: (إن هذه الآية منسوخةٌ بآية القتال)[1]، والله أعلَم.

✿ ✿ ✿

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٣٥٤).



﴿الٓر كِتَٰبٌ ....



مكية إلَّا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ الآيةَ، وإلَّا ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ...﴾ الآيةَ، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ...﴾ الآيةَ. مائةٌ وثِنتان أو ثلاثٌ وعِشرون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓر﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذلك، هذا ﴿كِتَٰبٌ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ هُودٍ

بالصرف وتركه؛ فإن لُوحظ أنه اسمٌ للسورة.. منع الصرف، وإن لوحظ أنَّ المراد: السورةُ المذكور فيها هودٌ.. صرف، ومثل ذلك يقال في (سورة نوح)؛ لأن هذه الأسماء مصروفة. و(سورة): مبتدأٌ أخبر عنه بخبرين: قوله: (مكية)، وقوله: (مئة... إلخ).

قوله: (إلا ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) التلاوة: ﴿وَأَقِمِ﴾ بالواو؛ فالصواب: أن يقول: (إلا ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ)، وهذا قول ابن عباس، وقوله: (أو: ﴿إِلَّا فَلَعَلَّكَ...﴾ إلخ) هو قول مقاتل[1]؛ فالحاصل: أن المدنيَّ عند ابن عباس آيةٌ واحدةٌ وهي: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ الآية، وعند مقاتل آيتان: قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ...﴾ الآية، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ...﴾ الآية.

قوله: (الله أعلَم بمراده بذلك) تقدَّم: أنَّ هذا هو الأسلَم في تفسير الحروف المقطَّعة.

قوله: (﴿كِتَٰبٌ﴾) خبرٌ لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (هذا)، يدل عليه قوله في آية أخرى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، واسم الإشارة يصحُّ عودُهُ على ما ذكر في هذه السورة فقط، أو على جميع القرآن، وتقدَّم ذلك.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٧٠).

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ....﴾

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بِعَجِيبِ النَّظمِ وبَدِيعِ المَعانِي، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَت بِالأحكامِ والقَصَصِ والمَواعِظ، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: اللهِ.

﴿٢﴾ ﴿أَن﴾ أي: بِأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بِالعذابِ إن كَفَرتُم، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالثَّوابِ إن آمَنتُم.

﴿٣﴾ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُحْكِمَتْ﴾) صفة لـ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ إما من الإحكام؛ أي: الإتقان، ففعله متعدٍّ، والمعنى: أُتْقِنَتْ آياتُهُ لفظاً ومعنًى، فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى، ولم يُوجد تركيبٌ بديعُ الصنع عديمُ النظير نظيرَ القرآن؛ أو الهمزة للنقل من: (حكُم) بضم الكاف بمعنى: جعلت حكيمة.

قوله: (﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾) يحتمل أن (ثم) لمجرد الإخبار، والمعنى: أخبرنا الله بأنَّ القرآن محكمٌ حسنُ الإحكام، مفصَّل أحسنَ التَّفصيل؛ كما تقول: فلان كريمُ الأصل ثم كريم الفعل، ويحتمل أنها للترتيب الزماني بحسَب النزول؛ لأنها أحكمت أوَّلاً حيث نزلت جملةً واحدةً، ثم فصِّلت ثانياً بحسب الوقائع.

قوله: (﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾) صفة ثانية لـ﴿كِتَٰبٌ﴾، وفيه طِباق حسن؛ لأن (حكيم) يناسب (أحكمت)، و(خبير) يناسب (فصِّلت)، ويصح أن يكون من باب التنازع؛ أعمل الأول وهو ﴿أُحْكِمَتْ﴾، وأضمر في الثاني وحذف، والأحسَن: الأول.

قوله: (﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾) والأحسن: أنَّ (أن) تفسيرية؛ لوجود ضابطها، وهو: تقدم جملة فيها معنى القول دون حُروفه، وهي قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾.

قوله: (﴿مِّنْهُ﴾) يصحُّ عود الضمير على (الله)، أو على (الكتاب).

قوله: (إن كفرتم) أي: دُمتم على الكفر.

قوله: (﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾) عطف على قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾، والسين والتاء للطلب، والمعنى: اسألوه الغفران لِذنوبكم فيما مضى، وقوله: (﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾) أي: في المستقبل؛ لأن شَرط التوبة: النَّدم على ما فات، والإقلاع في الحال، والعزمُ على عدم العود في المستقبل؛ فلا يقال: إن الاستغفار هو التوبة، بل بينَهما التغاير.

يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ....

﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدُّنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بِطِيبِ عَيشٍ وسَعَة رِزقٍ، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو المَوتُ، ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخِرةِ ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في العَملِ ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جَزاءَه، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ ـ فِيه حَذفُ إِحدَى التَّاءَينِ ـ أي: تُعرِضُوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يَومُ القِيامة.

﴿٤﴾ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ الثَّواب والعَذاب.

﴿٥﴾ ونَزَل كما رَواه البُخاريُّ عن ابنِ عبَّاسٍ فِيمَن كان يَستَحيِي أن يَتَخَلَّى أو يُجامِعَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُمَتِّعْكُم﴾) جواب الأمر.

قوله: (بطيب عيش) أي: في أمن وراحة ورضا؛ فمن تاب من ذنوبه، وأخلص عبادة ربّه.. عاش في أمن وراحة ورضاً، وإن ضُيّقت عليه الدنيا.. فهي رفع درجات له؛ لوجود رضا الله عليه، ومن لم يتب وأصرَّ على المعاصي والكفر.. عاش في خوف وتعبٍ وسخط وإن وسِّعت عليه ملاذُّ الدنيا؛ إذ لا خيرَ في خيرٍ بعده النار، وحينئذ: فلا ينافي هذا كون: «الدنيا سِجن المؤمن، وجنة الكافر»[1].

قوله: (فيه حذف إحدى التاءين) أي: والأصل: (تتولَّوا).

قوله: (أي: تعرضوا) أي: عن الأوامر والنواهي، وتدُوموا على الكفر، وجواب الشرط محذوف، والتقدير: فلا تلوموا إلا أنفسكم، وقوله: (﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ...﴾ إلخ) تعليلٌ للجواب المحذوف.

قوله: (﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾) أي: فلا مفرَّ لكم منه.

قوله: (ومنه الثواب) أي: من الشيء المقدور عليه.

قوله: (فيمن كان يستحيي) أي: من المسلمين.

قوله: (أن يتخلَّى) أي: يقضي حاجته من البَول والغائط.

---

(١) رواه مسلم (٧٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ ....

فيُفضِي إلى السَّماء، وقِيل في المُنافِقِين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ أي: اللهِ، ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾: يتغطَّون بِها ﴿يَعۡلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ فلا يُغنِي استِخفاؤُهُم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بِما في القُلُوب.

حاشية الصاوي

قوله: (فيفضي) معطوف على (يتخلى)، وتنزيلُ الآية على هذا القول؛ باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة، كأنَّ الله يقول لهم: لا تظنُّوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله، بل الله يعلم ما تسرُّون وما تُعلنون؛ فلا ينافي أنَّ التغطية عند التخلي والجماع مندوبةٌ، وليس المراد: ذمَّهم على هذا الفعل؛ إذ هو مطلوبٌ حياءً من الله والجن والملائكة.

قوله: (وقيل: في المنافقين) قال ابن عباس: (نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلاً طلق الكلام، حُلو المنظر، وكان يلقى رسول الله بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره)[1]، وقيل: كان الرجل من الكفار يَدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويستغشي ثوبه، ويقول الكفر، ويظنُّ أنَّ الله لا يعلمه في تلك الحالة[2].

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ﴾) من: الثني، وهو: طيُّ الشيء ليكون مستوراً، فالمراد: يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر؛ ليكون مخفيًّا مستوراً. وأصله: (يَثْنِيُون) نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها، ثم حذفت الياء؛ لالتقائها ساكنة مع الواو، وهذا المعنى على أنَّ سبب النزول في المنافقين، وأما على أنه فيمن يَستحيي حال قضاء الحاجة والجماع.. فالمرادُ بثني الصدر: انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة، وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع، فتأمَّل.

قوله: (﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾) هذا هو علة ثني الصدر على ما فيه.

قوله: (﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾) أي: يأوون إلى فراشهم، ويَرتدون بثيابهم.

قوله: (﴿مَا يُسِرُّونَ﴾) أي: في قلوبهم، وقوله: (﴿وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾) أي: بأفواههم.

قوله: (أي: بما في القلوب) أي: فالمراد بالصدور: القلوب، وما فيها هو: الخواطِر، فأُطْلِق المحلُّ وأريد الحالُّ فيه.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٣٥٨).

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ....

﴿٦﴾ ﴿وَمَا مِن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هي ما دَبَّ علَيها ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تَكَفَّلَ بِه فَضلاً مِنهُ تَعالى، ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: مَسكَنَها في الدُّنيا أو الصُّلب، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بَعد المَوت أو في الرَّحِم، ﴿كُلٌّ﴾ مِمَّا ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ هو اللَّوح المَحفُوظ.

﴿٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾) النكرة في سياق النفي تعمُّ، فدَخلت جميع الدوابِّ؛ عاقلةً وغيرَ عاقلةٍ.

قوله: (هي: ما دبَّ عليها) أي: مشى وسار.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾) ليس المراد: أنَّ ذلك واجبٌ عليه، تنزَّه سبحانه وتعالى، بل المراد: أنه التزم به وتكفَّل به التزاماً لا يتخلَّف؛ ففي الحقيقة (على) بمعنى (من)، وإنما التعبير بـ(على)؛ ليزداد العبد ثقةً بربِّه وتوكُّلاً عليه، وإن أخذ في الأسباب. . فلا يعتمد عليها، بل يثق بالله ويَعتمد عليه، وليكن أخذه في الأسباب امتثالاً لأمره تعالى؛ لأنَّ الله يكره العبد البطَّال.

وخصَّ دوابَّ الأرض بالذكر؛ لأنهم المحتاجون للأرزاق، وأما دوابُّ السماء كالملائكة والحُور العين. . فليسوا محتاجين لذلك، بل قوتهم التسبيح والتهليل.

قوله: (﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾) أتى بذلك؛ دفعاً لما يُتوهم من كونه متكفِّلاً لكلِّ دابة في الأرض برزقها: أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب، فدفع ذلك التوهم: بأنه يَعلم مكان كلِّ دابة؛ فلا تخفى عليه خافيةٌ، والمعنى: أنه أحاط علمه بمكان كلِّ دابة وزمانها.

قوله: (بعد الموت) أي: وهو القبر.

قوله: (﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر) أي: من الدابة ورزقها، ومُستقرها ومستودعها؛ فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها، وهذا من باهِر قدرته تعالى؛ لزيادة طمأنينة العبيد، ومراجعة الملائكة الموكَّلين بالأرزاق، لا خوفاً من نِسيانه؛ إذ هو مستحيل عليه تعالى.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) هذا بيانٌ لكونه قادراً على جميع الممكنات، وما تقدَّم بيانٌ لكونه عالماً بالمعلومات كلِّها.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضَ﴾) أي: وما فيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك، والكلام على التوزيع؛

وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ ....

أوَّلها الأحَد وآخِرُها الجُمُعة، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قبلَ خَلقِهما ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وهو على مَتنِ الرِّيح، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ - مُتعلِّق بِـ﴿خَلَقَ﴾ - أي: خَلَقَهُما وما فِيهما مِن مَنافِعَ لَكُم ومَصالِح لِيَختَبِرَكُم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوَعُ لِلَّه، ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا مُحمَّد لَهُم: ....

حاشية الصاوي

إذ خلق السماوات في يومين، والأرض في يومَين، والأقوات في يومين؛ كما يأتي في (سورة فصِّلت)[1].

قوله: (أوَّلها الأحد) تقدَّم: أنَّ هذا مشكلٌ؛ لأنه لم يكن ثَمَّ زمان، فضلاً عن تفصيله أياماً، فضلاً عن تخصيص كلِّ يومٍ باسمٍ، وتقدَّم الجواب عنه: بأنَّ ذلك باعتبار ما تعلَّق به علمه سبحانه وتعالى؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ كانَ أو يكون فهو في عِلمه على ما هو عليه، فالمعنى: أوَّلها الأحد الذي علم الله أنه يكون.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾) أي: لم يكن بينهما حائلٌ، بل هو في مكانه الذي هو فيه الآن، وهو ما فوق السماوات السبع، والماء في المكان الذي هو فيه الآن، وهو ما تحت الأرضين السبع؛ وذلك أنَّ أول ما خلق الله النور المحمدي، ثم خَلق منه العرش، ونشأ الماء من عرق العرش، فخلق الله منه الأرضين والسماوات؛ فالأرضون من زَبده، والسماوات من دخانه.

قوله: (ليختبركم) أي: ليتميَّز المحسن من المسيء بتلك النِّعم؛ فمَن شكر. . فهو المحسن، ومن كفر. . فهو المسيء، والمعنى: ليظهر بين الناس المطيع؛ فيُثيبه في الآخرة على طاعته، والعاصي؛ فيعاقبه في الآخرة على عصيانه.

قوله: (﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾) مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معمولة لـ(يَبلوكم)، علَّق عنها بالاستفهام.

قوله: (﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾) اللام موطئةٌ لقَسم محذوف، و(إن) حرف شرط، وقوله: (﴿لَيَقُولَنَّ﴾) جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ لِتأخره، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

واحذِفْ لدَى اجتماعِ شَرطٍ وقَسَمْ ... جوابَ ما أخَّرْتَ فهْوَ مُلتَزَمْ

وكذا يقال فيما بعده.

(١) انظر (٦/١٠٧).

(٢) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ....

﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القُرآنُ النَّاطِق بِالبَعثِ أو الَّذِي تَقُولُه ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن، ـ وفي قِراءة: ﴿سَٰحِرٌ﴾ ـ والمُشارُ إلَيه النَّبيُّ ﷺ.

﴿٨﴾ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مَـجِـيءِ ﴿أُمَّةٍ﴾: أوقـاتٍ ﴿مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ﴾ استِهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ما يَمنعُه مِن النُّزُول؟ قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾: مَدفُوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾) أي: كالسحر، فالكلام على التشبيه البليغِ من حيث إنه كلامٌ مزيَّن الظاهر، فاسدُ الباطن.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾) أي: الذي استعجلوه.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾) أي: طائفة من الأزمنة.

قوله: (﴿مَّعْدُودَةٍ﴾) أي: قليلة.

قوله: (﴿لَّيَقُولُنَّ﴾) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين: فاعل، وأعرب مع وجود نون التوكيد ولم يُبْنَ؛ لأن نُّون التوكيد لم تُباشره؛ إذ الأصل (ليقولُونن)، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، والمحذوف لعلَّة كالثابت، وهذا بخلاف ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ المتقدِّم؛ فإنه مبنيٌّ لمباشرة النون في اللفظ والتقدير.

قوله: (﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾) أي: أيُّ شيء يَمنعه من النزول؟ وهذا الاستفهام على سَبيل السُّخرية.

قوله: (﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾) ﴿أَلَا﴾: أداة افتتاح داخلة على ﴿لَيْسَ﴾ في المعنى، و﴿يَوْمَ﴾ مَعمول لخبر ﴿لَيْسَ﴾، واسمها ضمير فيها يعود على (العذاب)، وكذلك فاعل ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير يعود على (العذاب)، والتقدير: ألا ليس هو ـ أي: العذاب ـ مَصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب؛ ففي هذه الآية تقدَّم معمولُ خبر ﴿لَيْسَ﴾ عليها.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألفٍ بعدها وكسر الحاء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٧).

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ ....

مِن العَذاب.

﴿٩﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكافِرَ ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: غِنًى وصِحَّةً ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: قَنُوطٌ مِن رَحمة الله، ﴿كَفُورٌ﴾: شَدِيدُ الكُفر بِه.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾: فَقرٍ وشِدَّة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: المَصائبُ ﴿عَنِّىٓ﴾ ولَم يَتوَقَّع زَوالَها ولا شَكَر علَيها، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ فَرِحَ بَطِرٍ، ﴿فَخُورٌ﴾ على النَّاس بِما أُوتِيَ.

﴿١١﴾ ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الضَّرَّاء ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النَّعماءِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجَنَّة.

﴿١٢﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿تَارِكٌۢ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من العذاب) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾) أي: أخذناها قهراً.

قوله: (قنوط) أي: لقلَّة صبره، وعَدم رجائه في ربِّه.

قوله: (﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾) أي: على سَبيل عادة الدهر، ولا ينظر لفضل الله في ذلك، فهو مغضوبٌ عليه على كلِّ حال.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾) مستثنى من قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ إلخ، وقد أشار المفسِّر إلى أنَّ هذا الاستثناءَ منقطعٌ؛ حيث عبَّر بـ(لكن)، ويصحُّ أن يكون متصلاً باعتبار أنَّ المراد بالإنسان: الجنس، لا واحد بِعَينِه.

قوله: (﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾) أي: لِذنوبهم.

قوله: (﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾) أي: عظيم مدَّخر لهم في الآخرة.

قوله: (﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾) (لعلَّ): تأتي للترجي في الأمر المحبوب؛ كما تقول: لعلَّ الحبيب قادم، وتأتي للتوقع في الأمر المكروه؛ كما تقول: لعلَّ العدوَّ قادم، والآية من هذا الثاني،

بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ....

﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تُبلِّغهُم إيَّاهُ لِتهاوُنِهم به، ﴿وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بِتِلاوَتِه علَيهِم لِأجلِ ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يُصَدِّقهُ كما اقتَرحنا، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ فلا علَيك إلَّا البَلاغُ لا الإتيانُ بِما اقتَرحُوهُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ﴾: حَفِيظ فيُجازِيهم.

﴿١٣﴾ ﴿أَمْ﴾: بَل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

غير أنَّ التوقع ليس على بابه؛ إذ مستحيلٌ على رسول الله كتمُ بعضِ ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك، بل المقصود منه: الاستفهام الإنكاريُّ، والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه؛ كأنَّ الله يقول لنبيِّه: بلِّغ ما أُمرت به ولو كره المشركون ذلك، ولا تترك التبليغ محافظةً على عدم استهزائهم؛ وذلك أنَّ رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سبُّ المشركين وآلهتِهم.. نفروا وقالُوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدِّله ونحن نتَّبعك، فردَّ الله عليهم ذلك؛ حيث حضَّه على التبليغ، ونهاه عن الكَتم[1].

قوله: (﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾) أي: وهو ما فيه سبُّ آلهتهم.

قوله: (﴿وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾) أي: لا يكُن منك ضيقُ صدرٍ بسبب استهزاء الكفَّار؛ فإنَّ الله حافظك وناصرُك عليهم، ومخذِّلهم.

قوله: (﴿أَن يَقُولُواْ﴾) أي: فقد قالوا: إن كنت صادقاً في الرسالة من عند الله الذي تَصِفه بالقدرة التامة، وأنك حَبيبه وعزيزٌ عنده مع أنك فقير.. فهلَّا أُنْزِلَ عليك ما تستغني به أنت وأصحابك، وهلَّا أُنزِلَ عليك ملكٌ يشهد لك بِالرسالة.

قوله: (﴿كَنزٌ﴾) أي: مالٌ كثيرٌ، وسمِّي بذلك؛ لأنَّ شأنه أن يُكنز.

قوله: (فلا عليك إلا البلاغ) أي: فلا تُبالِ بقولهم، ولا تَغتمَّ منهم.

قوله: (حفيظ) أي: فيَحفظك، ويجازيهم.

قوله: (﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾) ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى (بل) والهمزة، والإضراب انتقالي، والهمزة لِلتوبيخ والإنكار والتعجب.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٣٦١).

ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن ....

﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في الفَصاحةِ والبَلاغةِ ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ فإنَّكُم عَربِيُّونَ فُصَحاءُ مِثلِي، تَحدَّاهُم بِها أوَّلاً ثُمَّ بِسُورَةٍ، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ لِلمُعاوَنةِ على ذلك ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّهُ افتِراء.

﴿١٤﴾ ﴿فَإِ﴾نْ ﴿لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي: مَن دَعَوتُمُوهُم لِلمُعاوَنةِ، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ خِطابٌ لِلمُشرِكِين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ مُلتَبِساً ﴿بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ وليسَ افتِراءً علَيهِ، ﴿وَأَن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: أنَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾) أي: اختلقه من عند نفسه.

قوله: (﴿قُلۡ فَأۡتُواْ﴾ . . . إلخ) ردٌّ لما قالوه، والمعنى: إنكم عربيُّون مثلي؛ فَأْتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتُ به؛ فإنكم تقدرون على ذلك، بل أنتم أقدر منِّي؛ لِمُمارستكم الأشعار والوقائع.

قوله: (﴿مِّثۡلِهِۦ﴾) نعت لـ﴿سُوَرٖ﴾ وإن كان بلفظ الإفراد؛ فإنه يوصف به المثنى والجمع، والمذكر والمؤنث.

قوله: (تحدَّاهم بها أوّلاً) أي: بعد أن تحدَّاهم بجميع القرآن كما في (سورة الإسراء)، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ. . .﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية، ثم تحدَّاهم بعشر سُوَرٍ كما هنا، ثم سورة كما في (البقرة) و(يونس)؛ فـ(الإسراء) قبل (هود) نزولاً، ثم (هود)، ثم (يونس)، ثم (البقرة).

قوله: (على ذلك) أي: الإتيان.

قوله: (أي: غيره) أي: من الأصنام، أو مِن جميع المخلوقات.

قوله: (﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾) أي: أيها المشركون، وقوله: (أي: مَنْ دعوتموهم) تفسير للواو في ﴿يَسۡتَجِيبُواْ﴾.

قوله: (﴿بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾) أي: فكما أنَّ عِلمه لا يشابهه علمٌ.. كذلك كلامه لا يشابهه كلام؛ لأنَّ الكلام على حسب علم المتكلم؛ فكلَّما كان المتكلم متَّسع العِلم.. كان كلامه فصيحاً بليغاً، ولا أوسع من عِلم الله؛ لأنه أحاط بكلِّ شيء علماً.

قوله: (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ....

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعدَ هذه الحُجَّة القاطِعةِ؟ أي: أَسلِمُوا.

﴿١٥﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بِأَنْ أَصرَّ على الشِّرك، وقِيل: هي في المُرائين، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أَسْلِمُوا) أي: فهو استفهام فيه معنى الطلب؛ لزوال العذر المانع من ذلك.

قوله: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) اختُلف في سبب نزولها؛ فقيل: في اليهود والنصارى، وقيل: في المنافقين الذين كانوا يَطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم؛ لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، وقيل: في المرائين، والحمل على العموم أولى؛ فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذي يأتي بالطاعات على وجه الرياء والسمعة[١].

قوله: (﴿وَزِينَتَهَا﴾) أي: ما يتزيَّن به فيها؛ من الصحة والأمن والسَّعة والرياسة وغير ذلك.

قوله: (بأن أصرُّوا على الشرك) هذا شاملٌ للقولين المتقدِّمين.

قوله: (وقيل: هي في المرائين) أي: ومعنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ أي: ابتداءً، ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها، ويدلُّ على أنَّ له هذا الوعيد الشديد ما روي: «**يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري.. تركتُه وشركه**»[٢]، وهذا القول اختاره البيضاوي؛ لحديث: (يقال لأهل الرياء: حجَجتم وصلَّيتم وتصدَّقتم وجاهدتم وقرأتم؛ ليقال ذلك، فقد قيل ذلك)، ثم قال: «**إنَّ هؤلاء أوَّل مَنْ تُسعر لهم النار**»، رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صَدق رسول الله؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا...﴾ إلخ[٣].

قوله: (﴿نُوَفِّ﴾) بالنون مبنيًّا للفاعل، وفيه ضميرٌ يعود على (الله)، وبالياء مبنيًّا للمفعول، و(أعمالهم) بالرفع نائب الفاعل، والفاء مشدَّدة على كلِّ حال، قراءتان: الأُولى: سبعيَّة، والثانية: شاذَّة[٤].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٣٦٢).

(٢) رواه مسلم (٧٥٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «تفسير البيضاوي» (٣/ ١٣٠)، والحديث رواه مُسلم بمعناه (٤٩٥٨).

(٤) كذا في الأصول، ولكن الذي في «الدر المصون» (٦/ ٢٩٦): أن القراءات ثلاث: بالنون والياء مبنيًّا للفاعل، =

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ....

أي: جَزاءَ ما عَمِلُوهُ مِن خَير كصَدقةٍ وصِلَةِ رَحِم، ﴿فِيهَا﴾ بِأن نُوَسِّعَ علَيهِم رِزقَهم، ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدُّنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: يُنقَصُونَ شَيئاً.

﴿١٦﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾: بَطَلَ ﴿مَا صَنَعُوا﴾ه ﴿فِيهَا﴾ أي: في الآخِرةِ، فلا ثَوابَ لَه، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيانٍ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جزاء ما عملوه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (بأن نوسِّع عليهم رزقهم) أي: فهذا هو جزاء أعمالهم الحسنة في الدنيا، وأما في الآخرة.. فليس لهم في نَظير ذلك شيء، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فجزاء الآخرة بالجنة ونَعيمها مخصوصٌ بالمؤمن.

قوله: (فلا ثواب له) أي: لأنهم قد استَوفوا في الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة، فلم يبقَ لهم في الآخرة إلا العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

قوله: (﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) أي: في الدنيا من الخيرات.

قوله: (﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾) لما تقدَّم ذكرُ أوصاف أهل الدنيا الغافِلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم.. ذكر هنا أوصاف أهل الآخرة الذين يُريدون بأعمالهم وجه ربِّهم.

واسم الموصول: مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره المفسِّر فيما يأتي بقوله: (كمن ليس كذلك)، وجواب الاستفهام محذوف، قدَّره بقوله: (لا)، وقد صرَّح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

قوله: (بيانٍ) أي: نورٍ واضحٍ، ودليلٍ ظاهرٍ، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

= وبالتاء مبنيًّا للمفعول، قال فيه: (الجمهور على «نُوَفِّ» بنون العظمة وتشديد الفاء، وقرأ طلحة وميمون بياء الغيبة، وزيد بن علي كذلك إلا أنه خفف الفاء، والفاعل في هاتين القراءتين ضمير (الله)، وقُرئ: «تُوَفَّ» بضم التاء وفتح الفاء مشددة مبنيًّا للمفعول)، فتنبه.

﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ ....

وهو النَّبيُّ ﷺ أو المُؤمِنون وهيَ القُرآنُ، ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ : يَتبَعهُ ﴿شَاهِدٞ﴾ له بِصِدقِه، ﴿مِّنۡهُ﴾ أي: مِن الله وهو جِبريلُ، ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ : التَّوراةُ شاهِد لَه أيضاً، ﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ﴾ حال، كمَن ليسَ كَذلك؟ لا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: مَن كانَ على بَيِّنةٍ ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ أي: بِالقُرآنِ فلَهُم الجَنَّةُ، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ جَمِيع الكُفَّار

حاشية الصاوي

قوله: (وهو النبي) أي: وعليه: فالجمع للتعظيم في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾، وقوله: (أو المؤمنون) والجمع فيها ظاهر، وفي نُسخة: (والمؤمنون)، وهي ظاهرة.

قوله: (وهو القرآن) تفسير لـ(البينة) وقد أخذ هذا التفسير مما يأتي في (سورة البينة) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ [البينة: ١-٣].

قوله: (﴿وَيَتۡلُوهُ﴾) الضمير عائد على (من).

قوله: (وهو جبريل) تفسيرٌ لـ(الشاهد)، والمعنى: مَنْ كان متمسِّكاً بالحق والحال أنه يَتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل؛ لأنه مُقوٍّ ومصدِّق للرسول، ويصح أن يكون المراد بالشاهد: معجزات القرآن، والضمير في (منه) إما عائد على الله، أو على القرآن، والمعنى على هذا: ويَتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله، وهو الإعجاز في نَظمه، واشتماله على عجائب المغيبات في معناه؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله كلًّا أو بعضاً، ويصح أن يراد بـ(الشاهد): المعجزات الظاهرة على يدِ رسول الله مطلقاً.

قوله: (﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾) الجار والمجرور: حال من ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ الواقع معطوفاً على ﴿شَاهِدٞ﴾.

قوله: (شاهد له أيضاً) الأوضح أن يقول: (يَتلوه أيضاً)؛ إذ هو المسلَّط عليه.

قوله: (﴿إِمَامٗا﴾) أي: مقتدًى به.

قوله: (﴿وَرَحۡمَةًۚ﴾) أي: إحساناً ولطفاً لمن أنزل إليهم.

قوله: (أي: مَنْ كان على بينة من ربِّه) أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة عائدٌ على قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾.

قوله: (﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾) اسم الموصول راجع لقوله: (كمن ليس كذلك) فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ ....

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾ مِنَ القُرآنِ، ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسبَةِ الشَّريك والوَلَد إلَيهِ، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يَومَ القِيامة في جُملةِ الخَلقِ، ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾: جَمع (شاهِد)، وهُم المَلائِكةُ يَشهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالبَلاغِ وعلى الكُفَّار بِالتَّكذِيب، ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: المُشرِكِين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَكُ﴾) أصله: (تكون)، دخل الجازم فسُكنت النون، فالتقى ساكنان، حذفت الواو؛ لالتقائهما، وحُذفت النون تخفيفاً.

قوله: (﴿فِى مِرْيَةٍ﴾) بكسر الميم باتفاق السَّبعة، وقرئ شذوذاً بضمِّها، وهي لغة قليلة[1]، وهو خطابٌ للنبي، والمرادُ غيره.

قوله: (﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾) أي: الثابت الذي لا مَحيص عنه.

قوله: (﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾) يفيد أنَّ الأقل مؤمن، وهو كذلك في كل زمنٍ إلى يوم القيامة، وإنما خصَّ المفسِّر أهل مكة؛ لكون أصل الخطاب لهم.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهذا شروع في ذكر أوصافهم، وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفاً: أوَّلها: قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وآخرها: قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

قوله: (﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾) أي: عرض فضيحة، وهتكُ ستر.

قوله: (وهم الملائكة) أي: والنبيُّون والأصفياء.

قوله: (﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة، فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة في الآخرة، وليس المراد أنهم يُطردون عن رحمة الدنيا.

---

(١) وبها قرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي والحسن، وهي لغة أسد وتميم. انظر «البحر المحيط» (٥/ ٢١٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ ....﴾

﴿١٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِ الإسلامِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يَطلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعوَجَّةً، ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ﴾ ـ تأكيدٌ ـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ اللهَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنصارٍ يَمنعُونَهُم مِن عَذابِه، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بإضلالِهِم غيرَهم، ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ لِلحَقِّ ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾هُ، أي: لِفَرطِ كَراهَتِهِم لَه كأنَّهُم لا يَستَطِيعُون ذلك.

﴿٢١﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ لِمَصِيرِهِم إلى النَّار المُؤبَّدةِ علَيهِم، ﴿وَضَلَّ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: يمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام، والمعنى: أنهم كما ضلوا في أنفسهم يُضِلُّون غيرهم.

قوله: (﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾) أي: ينسبونها للاعوجاج، والحال أنه قائم بقلوبهم.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾) أي: فارِّين من عذاب الله؛ لأنَّ الله وإن أمهَلهم لا يُهملهم.

قوله: (﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾) (مِن): زائدة في اسم (كان)، والمعنى: ليس لهم أنصار من غير الله يمنعون عذاب الله عنهم.

قوله: (بإضلالهم غيرهم) أشار بذلك إلى جواب سؤال وارد على الآية، وحاصله: أنَّ المضاعفة مخصوصة بالحسنات، وأما السيئات.. فلا تُضاعف، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأجاب المفسِّر: بأنَّ معنى المضاعفة: الشدة؛ لأنهم يُعذَّبون عذابين: عذاباً على ضلالهم في أنفسهم، وعذاباً على إضلالهم غيرهم.

قوله: (وما كانوا يستطيعون السمع) أي: لم يَقبلوه؛ لوجود الحجاب على قلوبهم.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾) أي: لم يقدروا على ذلك.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) أي: الذين لا يستطيعون السَّمع ولا الإبصار.

عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ....

غابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ على الله مِن دَعوَى الشَّريك.

﴿٢٢﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟﴾: سَكَنُوا واطمَأَنُّوا أو أنابُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: (من دعوى الشريك) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾) اختلف العلماء في معنى (لا جرم) على ثلاثة أوجه: **أوّلها**: أن (لا): نافيةٌ لأماني الكفار، و(جرم): فعل ماض بمعنى: حقَّ وثبت، وقوله: ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ الجملة في محل رفع فاعل بـ(جرم)، ويصير المعنى: لا عِبرة بأمانيهم، بل حقَّ وثبت خسرانهم في الآخرة، وهذا الوجه أحسَنها.

ثانيها: أن (لا) كذلك، و(جرم) بمعنى: كسب، و(أنَّ) وما دخلته عليه في تأويل مصدر مفعوله، والفاعل ما دلَّ عليه السياق، والمعنى: ما كسب لهم كفرُهم وأمنيَّاتهم إلا خسرانَهُم في الآخرة.

ثالثها: أن (لا جرم) بمعنى: لا بدَّ؛ أي: لا بدَّ أنهم في الآخرة هم الأخسَرون؛ فـ(لا): نافيةٌ للجنس، و(جرم): اسمها مبنيٌّ معها على الفتح، وجملة: (أنهم) في محل رفع خبرها.

إذا علمتَ ذلك.. فقول المفسِّر: (حقًّا) لم يوافق واحداً من هذه الثلاثة، إلا أن يقالَ: إنه مرَّ على الأول، ويكون (حقًّا) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير: حقَّ حقًّا. وقد ورَدت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع، ويقال في كلِّ واحد منها ما قيل هنا.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم.. أتبَعهم بذكر المؤمنين وما آل إليه أمرُهم.

قوله: (﴿وَأَخْبَتُوٓا۟﴾) من الإخبات، وهو: الخشوع والخضوع، ويتعدى باللام، و(إلى)؛ فإن عدِّي باللام.. فمَعناه: خَشَع وخضع، وإن عدِّي بـ(إلى).. فمعناه: اطمأنَّ وسكن، وقد اقتصر المفسِّر على هذا الثاني.

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي ....

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفَة ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾: الكُفَّارِ والمُؤمِنِين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مَثَلُ الكافِرِ، ﴿وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ هذا مَثَل المُؤمِن، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾؟ لا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - فِيه إدغامُ التَّاء في الأصلِ في الذَّال -: تَتَّعِظُون.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنِّي﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾) التعبير بـ(أصحاب) إشارةٌ إلى أنَّ أهل الجنة مالِكون لمنازلها ملكاً لا يحُول ولا يزول.

قوله: (﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾) لما ذكر أحوال الكُفار وما هم عليه من الصَّمَمِ والعمى عن اتباع الحق، وذكر أحوال المؤمنين وما هم عليه من التبصر وسَماع الحق واتباعه.. أتبع ذلك بذكر مثلٍ لكلِّ فريق.

قوله: (﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾) هذا كنايةٌ عن كون الله سلَبهم الانتفاع بالحق؛ لسبق شقاوتهم في علم الله، والمراد من الأعمى والأصم: ذاتٌ واحدة اتصفت بهذين الوصفين؛ فإنه هو الذي لا يقبل الهدى لمقصوده بأيِّ وجهٍ كان، ومثل ذلك يقال في نظيره، وهو: البصير والسميع.

قوله: (﴿مَثَلًاۚ﴾) تمييز محوَّل عن الفاعل، والأصل: هل يستوي مثَلُهُما.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعمِيتم وتركتم الهدى فلا تذكَّرون؟ وهو خطاب للمشركين الذين كانوا في زمنه ﷺ.

قوله: (فيه إدغام التاء... إلخ) أي: والأصل: (تتذكرون) أبدلت التاء الثانية ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة سبعيَّة بحذف إحدى التاءين تخفيفاً[1].

قوله: (﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾) جرت عادة الله في كتابة العزيز أنه إذا أقام الحُجَج على الكفار

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٢).

لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ ....

أي: بِأنّي، - وفي قِراءَة بِالكَسرِ على حَذفِ القَول - ﴿لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ.

﴿٢٦﴾ ﴿أَن﴾ أي: بِأنْ ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إنْ عبدتُم غيرَه ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾: مُؤلِم في الدُّنيا والآخِرة.

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ وهُم الأشرافُ: ﴿مَا نَرَىٰكَ ....

حاشية الصاوي

ووبَّخهم وضرب لهم الأمثال.. يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدِّمين وأُمَمهم؛ لعلهم يهتدون، وفي هذه السورة سبع قصص: الأُولى: قصة نوح مع قومه، الثانية: قصة هود مع قومه، الثالثة: قصة صالح مع قومه، الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة، الخامسة: قصة لُوط مع قومه، السادسة: قصة شعيب مع قومه، السابعة: قصة موسى مع فرعون، وذكر هذه القصص على حسَب الترتيب الزماني.

وتقدَّم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، ونوحٌ لقبه، سمِّي بذلك لِكثرة نوحه؛ لما ورد: (أنه رأى كلباً مجذوماً، فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبتني أم عِبْتَ الكلب؟!) فكان ذلك عتاباً له، فاستمرَّ يَنوح على نفسه، فسمِّي بذلك[١].

قوله: (أي: بأني) أشار بذلك إلى أنَّ قراءة الفتح على إظهار حرف الجرِّ.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[٢].

قوله: (على حذف القول) أي: ومتى وقعت (إنَّ) بعد القول كُسِرَتْ.

قوله: (﴿مُّبِينٌ﴾) أي: بيِّنُ الإنذار وواضحه.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾) هذا في قوَّة التعليل لقوله: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾.

قوله: (﴿أَلِيمٖ﴾) صفة لِليَوم، وأسندَه له؛ مبالغةً على سَبيل المجاز العقلي، وحقُّ الإسناد للعذاب.

قوله: (﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾) اعلَم: أنهم احتجوا له بثلاثة حُجج: أوَّلها قوله: ﴿مَا نَرَىٰكَ

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٢١٤).

(٢) قرأ ابن كثير و أبو عمرو والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٢).

إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ ....

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ولا فَضلَ لَك علَينا، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أسافِلُنا كالحاكَةِ والأساكِفة، ﴿بَادِئَ ٱلرَّأْيِ﴾ ـ بِالهمزِ وتَركِه ـ أي: ابتِداءً مِن غَير تَفَكُّر فِيك، ـ ونَصبُه على الظَّرف ـ أي: وقتَ حُدُوثِ أوَّلِ رَأْيِهم، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتَستَحِقُّونَ بِه الاتِّباعَ مِنَّا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في دَعوَى الرِّسالة، أدرَجُوا قَومَه معَهُ في الخِطاب.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أَخبِرُوني ....

حاشية الصاوي

﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾، وآخرها قوله: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾، وقد أجابهم عنها إجمالاً بقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى...﴾ إلخ، وتفصيلاً بقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾) أي: آدميًّا مثلنا.

قوله: (ولا فضل لك علينا) أي: لا مزيَّة لك علينا، وهذا من فَرط جهلهم؛ حيث استبعدوا فضل الله على البشر، وظنُّوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة.

قوله: (﴿أَرَاذِلُنَا﴾) إما جمع الجمع، فهو جمع (أرذُل) بضم الذال، جمع (رَذْل) بسكونها ك: كلْب وأكلُب وأكالب، أو جمع المفرد، وهو (أرذَل) ك: أكبَر وأكابر، وأبطح وأباطح.

قوله: (كالحاكة) جمع: حائك، وهو: القزَّاز.

قوله: (والأساكفة) جمع: إسكاف، وهو: صانع النِّعال، وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء: أنَّ أوَّل من يَتبعهم ضعفاء الناس؛ لِذلِّهم، فلا يتكبَّرون عن الاتباع.

قوله: (بالهمز وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (من غير تفكُّر فيك) أي: ولو تفكَّروا.. لما اتَّبعوك.

قوله: (﴿مِن فَضْلٍ﴾) أي: هدية من مال وغيره.

قوله: (في الخطاب) أي: في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾.

قوله: (﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾) هذا خطابٌ فيه غاية التلطُّف بهم.

---

(١) قرأ أبو عمرو من السبعة وعيسى الثقفي بالهمز، والباقون بياء صريحة مكان الهمزة. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣١٠).

إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ....

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيانٍ ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً﴾: نُبُوَّةً ﴿مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ﴾: خَفِيَتْ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ـ وفي قِراءَة بِتَشدِيدِ المِيم والبِناء لِلمَفعُولِ ـ ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنُجبِرُكُم على قَبُولها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾؟ لا نَقدِرُ على ذلك.

﴿٢٩﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تَبلِيغ الرِّسالة ﴿مَالًا﴾ تُعطُونِيهِ، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾: ثَوابِي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ كما أَمَرتُمُوني، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بيان) أي: حجَّةٍ وبرهانٍ.

قوله: (﴿فَعُمِّيَتْ﴾) أي: النبوة؛ أي: خَفيت عليكم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (والبناء للمفعول) أي: والأصل: أعماها الله عليكم؛ أي: أخفاها، فأُطلق العمى، وأريد لازمه وهو الخفاء؛ لأنَّ الأعمى تخفى عليه الأشياء؛ فلا يَهتدي، ولا يهدي غيره.

قوله: (أنجبركم على قبولها) أي: لا قدرة لنا على إلزامِكم إياها والحال أنكم كارهون لها، بل الإيمان: إنما هو بالرضا والتسليم الباطني، والمعنى: أخبروني إن كنت على حجة ظاهِرة من ربي، وأعطاني نبوَّةً من عنده، فأخفاها عليكم.. أأُجبركم على قبولها والإيمان بها والحال أنكم كارهون مُنكرون لها؟! لا أستطيع ذلك، بل لا قُدرة لي إلا على البلاغ.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: فهو المتكفِّل لي بالعَون والعطايا.

قوله: (كما أمرتموني) أي: فقد قالوا له: امنع واطرُد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتَّبعك؛ فإنا نستحيي أن نجلس معهم في مَجلسك[2]، وهذا كما قالت قريش لمحمد ﷺ كما في (سورة الأنعام)، فنزل ردًّا عليهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ الآية[3].

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم العين وتشديد الميم، والباقونَ بفتح العين وتخفيف الميم. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤١٦).

(٣) رواه مسلم (٦٣٢٠) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ ....

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بالبَعثِ فيُجازِيهِم ويَأْخُذ لَهُم مِمَّن ظَلَمَهُم وطَرَدَهُم، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عاقِبَةَ أَمرِكُم.

﴿٣٠﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي﴾: يَمنَعُني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَذابِه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾؟ أي: لا ناصِرَ لي، ﴿أَفَلَا﴾: أفهَلَّا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بِإدغامِ التَّاء الثَّانية في الأصلِ في الذَّال ـ: تَتَّعِظُون.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إنِّي ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، بَل أنا بَشَر مِثلُكُم، ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ﴾: تَحتَقِر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾: قُلُوبِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيجازيهم) أي: على ما قدَّموا من الأعمال الصالحة.

قوله: (﴿تَجْهَلُونَ﴾) أي: لا تُحسنون خطاباً.

قوله: (أي: لا ناصر لي) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتأمروني بطردهم فلا تذَّكَّرون.

قوله: (﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾) هذا ردٌّ لقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، والمراد بـ(خزائن الله): مغيَّباته التي لا يَعلمها ولا يَطَّلع عليها إلا هو.

قوله: (﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾) ردٌّ لقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ...﴾ إلخ، والمعنى: ما قلتُ لكم: إني أعلم الغيب، فأطلع على بَواطنكم.

قوله: (﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾) ردٌّ لقولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾.

قوله: (﴿تَزْدَرِيٓ﴾) أصله: (تزتري) فقلبت تاء الافتعال دالاً.

قوله: (﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾) أي: توفيقاً وهدًى.

قوله: (﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾) أي: من إيمان وكفر.

إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾

﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إنْ قُلتُ ذَلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾: خاصَمْتَنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ بِه مِن العَذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجِيلَه لَكُم، فإنَّ أمرَه إلَيهِ لا إلَيَّ، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بِفائِتِين اللهَ.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي: إغواءَكُم، ـ وجَوابُ الشَّرط دَلَّ علَيهِ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ ـ، ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾) أي: شرعتَ في جِدالنا.

قوله: (به) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ عائد الموصول محذوف، ويصح أن تكون (ما) مصدرية، والمعنى: بوعدك إيَّانا.

قوله: (فيه) أي: في الوعد.

قوله: (تعجيله) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف.

قوله: (بفائتين الله) أي: بفارِّين من عذابه.

قوله: (وجواب الشرط) أي: الأول، وهذا مُرورٌ على مذهب البصريين القائلين: إن جواب الشرط لا يتقدَّم عليه، وجوَّزه الكوفيون؛ وحينئذ: يكون تقدير الكلام: إن كان الله يُريد أن يُغويكم؛ فإن أردت أن أنصحَ لكم.. فلا ينفعكم نصحي، وذلك لأنَّ القاعدة: إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب.. يُجعل الجواب للثاني، والشرط الثاني وجوابه جواباً عن الأول.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ....

﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّار مَكَّة ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختَلَقَ مُحمَّدٌ القُرآنَ، ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾: إثمِي، أي: عُقُوبَتُه، ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ مِن إجرامِكُم في نِسبَة الافتِراء إليَّ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تَحزَنْ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ مِن الشِّركِ، فدَعا علَيهِم بِقَولِه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ... إلخ﴾ [نوح: ٢٦]، فأجابَ اللهُ تعالى دُعاءَه فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كفار مكة) هذا أحد قولَين، والثاني وعليه أكثر المفسرين: أنَّ هذه الآية من جملة قصة نوح، ويكون الضمير في ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ عائداً على الوحي الذي جاءهم به نوح.

قوله: (أي: عقوبته) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿وَأُوحِىَ﴾) الجمهور على أنه مبني للمفعول، و(أنه) بالفتح في تأويل مصدر نائب فاعل، وقرى شذوذاً بالبناء للفاعل، و(إنه) بالكسر؛ إما على إضمار القول؛ أي: أوحى الله إلى نوح قائلاً: إنه... إلخ، أو بتَضمين الإيحاء معنى القول[1].

قوله: (﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾) أي: لن يستمرَّ على الإيمان إلا مَنْ ثبت إيمانه وحصل، فاندَفع ما يقال: إن فيه تحصيلَ الحاصلِ.

قوله: (فدعا عليهم) أي: بعد اليأس من إيمانهم، وحصولِ غاية المشقة له منهم، فكانوا يضربونه حتى يسقط، فيلفُّونه في اللبد ويُلقونه في بيت يظنون موته، فيخرج في اليوم الثاني ويَدعوهم إلى الله، وكانوا يَخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق.. قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعملون. وكان الوالد منهم يوصي أولاده بعدم اتباعه ويقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً؛ فلا يَقبلون منه شيئاً، فلما أوحى الله إليه بعدم إيمانهم.. دعا عليهم كما قال المفسِّر.

(١) وهي قراءة أبي البَرَهْسَم. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٢١).

وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ....

﴿٣٧﴾ ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: السَّفِينةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرأًى مِنَّا وحِفظِنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرِنا، ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: كَفَرُوا بِتَركِ إهلاكِهِم، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حِكايَةُ حالٍ ماضِيَة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾) يطلق مفرداً وجمعاً، والمراد هنا: المفرد، وكان طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعاً، والذراع: إلى المنكب، وهذه أشهر الروايات، وقيل: كان طولها ألفاً ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وقيل غير ذلك، وجعلها ثلاث طبقات؛ فالسفلى للوحوش والسباع والهوام، وفي الوسطى الدوابُّ والأنعامُ، وركب هو ومن معه في العليا، وقيل: السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطير، وأوَّل ما حمله نوح الدُّرة، وآخر ما حمله الحمار؛ فلما أراد أن يدخل الحمار.. أدخل صدره، فتعلَّق إبليس بذَنَبه، فاستثقل رجلاه[1]، وجعل نوح يقول له: ويحك ادخل، فينهق فلا يستطيع؛ حتى قال له: ادخل ولو كان الشيطان معك، فدخل، فقال له نوح: ماذا أدخلك عليَّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقُل: ادخل وإن كان الشيطان معك؟! قال: اخرج عنِّي يا عدوَّ الله، قال: لا بدَّ من أن تحملني معك. هكذا قيل، وقيل: إنه لم يَحمله معه في السفينة، وهو الصحيح؛ لأنه لم يثبت في حمله خبر صحيح. ومكث في صُنع السفينة مئتي سنة: مئة في غرس الأشجار، ومئة في عملها، وهي من خشب الساج[2].

قوله: (بمرأى منَّا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال: إنَّ ظاهره مستحيلٌ؛ لاستحالة الأعين بمعنى: الجارحة المعلومة على الله، فأجيب: بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم؛ لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين: أنه مبالَغ في حفظه.

قوله: (﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾) أي: لا تُراجعني في شأنهم؛ فإنَّ الهلاك لا بدَّ لهم منه.

قوله: (حكاية حال ماضية) أي: فالمضارع بمعنى الماضي.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلَّها: (فاستثقلت رجلاه)، والخبر عند الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩٨)، وفيه: (فلم تستقل رجلاه).

(٢) وانظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٨٥)، وفيه: (فلم تنتقل رجلاه).

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ ....

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾: جماعةٌ ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ﴾: استهزَؤُوا بِه، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذَا نَجَوْنا وغَرِقتُم.

﴿٣٩﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ ـ مَوصُولة مَفعُولُ العِلم ـ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: يَنزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايَة لِلصُّنعِ ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإهلاكِهِم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ لِلخَبَّازِ بِالماءِ، وكانَ ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾) الجملة حالية، والتقدير: يصنع الفلك والحال أنه كلما مرَّ... إلخ.

قوله: (استهزؤوا به) أي: فقالوا: صرت نجاراً بعد أن كنت نبيًّا، وكان يعمل السفينة في برية لا ماء فيها، واستهزاؤهم إما لكونهم لا يَعرفون السفينة ولا الانتفاع بها، أو لكونهم يعرفونها غير أنهم تَعجبوا من صنعه لها في أرض لا ماء بها.

قوله: (﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾) أي: أنتم محل السخرية والاستهزاء؛ لأنَّ مَنْ كان على أمرٍ باطلٍ.. فهو أحقُّ بالاستهزاء والسخرية، ولا حاجةَ لكون الكلام من باب المشاكلة.

قوله: (موصولة) أي: و(علم) عرفانيَّة تنصب مفعولاً واحداً، ويصح أن تكون استفهاميَّة و(عَلم) على بابها من كونها متعديةً لاثنين، ويكون الثاني محذوفاً.

قوله: (﴿عَذَابٌ﴾) أي: وهو الغرق.

قوله: (غاية للصنع) أي: في قوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾.

قوله: (﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾) وكان من حجارة، ورثه من أمه حواء، والأشهر: أنه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يَلي باب كندة، والتنور: مما اتُّفق فيه لغة العرب والعجم؛ كالصابون.

قوله: (للخباز) أي: وهي امرأة نوح، وكان فوَرانه وقت طلوع الفجر.

قوله: (ذلك) أي: فوران التنور وغَليانه.

قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ....

عَلامةً لِنُوحٍ، ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السَّفِينةِ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذَكَرٍ وأُنثى، أي: مِن كُلِّ أنواعِهِما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكَراً وأُنثَى، ـ وهو مَفعُول ـ وفي القِصَّة أنَّ الله حَشَرَ لِنُوحٍ السِّباعَ والطَّير وغَيرَهما، فجَعَلَ يَضرِب بِيَدَيهِ في كُلِّ نَوع فتَقَع يَدُه اليُمنَى على الذَّكَر واليُسرَى على الأُنثَى، فيَحمِلُهُما في السَّفِينة، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زَوجَته ....

حاشية الصاوي

قوله: (علامةً لنوحٍ) أي: على الطوفان، وكان في الثالث والعشرين من أبيب في شدة القيظ[1].

قوله: (﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ[2]﴾) المراد بالزوجين: كلُّ اثنين لا يَستغني أحدهما عن الآخر كالذكر والأنثى، ويقال لكل منهما: زوج، والمعنى: من كل صنف زوجين ذكر وأنثى، قال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يَلد أو يبيض، وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبَق والبعوض.. فلم يحمل منه شيئاً[3].

وروى بعضهم: أن الحيَّة والعقرب أتيا نوحاً وقالا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء؛ فلا أحملكما، فقالا: احملنا ونحن نَضمن لك ألا نضرَّ أحداً ذكرك؛ فمن قرأ حين يخاف مضرَّتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. لم يُضَرَّ[4].

قوله: (وهو مفعول) أي: لفظ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، وقوله: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ حالٌ منه مقدَّمٌ عليه.

قوله: (أي: زوجته) أي: التي أسلمت؛ لأنه كان له زوجتان: إحداهما آمنَت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها.

---

(١) وهو الشهر الحادي عشر من السنة القبطية.

(٢) قرأ العامة بإضافة (كل) لـ(زوجين)، وقرأ حفص بتنوين (كل)، فأما العامة فقيل: إن مفعول (احمل) (اثنين)، و﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ في محل نصب على الحال من المفعول؛ لأنه كان صفة للنكرة، فلمَّا قُدِّم عليها نصب حالاً، وقيل: بل (مِن) زائدة، و(كل) مفعول به، و(اثنين) نعت لـ(زوجين) على التأكيد، وهذا إنما يتمُّ على قول من يرى زيادة (من) مطلقاً، أو في كلام موجب، وأما قراءة حفص.. فمعناها: من كل حيوان، و(زوجَين) مفعول به، و(اثنين) نعت على التأكيد، و(مِن كل) على هذه القراءة يجوز أن يتعلق بـ(احمل)، وهو الظاهر، وأن يتعلق بمحذوف على أنها حال من (زوجين). انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٢٣).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٨٥).

(٤) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٩).

إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ ....

وأولادَه، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: مِنهُم بِالإهلاكِ وهو زَوجَتُه ووَلَدُه كَنعان، بِخِلافِ سام وحام ويافِث، فحَمَلَهُم وزَوجاتِهم الثَّلاثةَ، ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قِيل: كانُوا سِتَّةَ رِجال ونِساءَهُم، وقِيل: جَمِيع مَن كان في السَّفِينة ثَمانُونَ؛ نِصفُهُم رِجالٌ ونِصفُهم نِساء.

﴿٤١﴾ ﴿وَقَالَ﴾ نُوح: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ - بِفَتحِ المِيمَينِ، وضَمِّهِما: مَصدَرانِ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (وأولاده) أي: الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: (﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾) أي: القضاء بالغرق.

قوله: (أي: منهم) هذا التقييد من (سورة المؤمنون).

قوله: (وهو زوجته) أي: التي لم تؤمن، واسمها: واعلة، وقيل: واعكة، ورد: أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أُصيبوا بالعقم، فلم يَلدوا في تلك المدة كي لا تصيبهم الرحمة؛ من أجل وجود الصغار بينهم.

قوله: (بخلاف سام) وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك.

قوله: (ثمانون) أي: اثنان وسبعون من الأمة، وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟﴾) خطابٌ لمن معه.

قوله: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾) حال من الواو في ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾، والتقدير: قائلين: باسم الله . . . إلخ، و﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، وقوله: ﴿مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ مبتدأ مؤخَّر، روي: (أنه كان إذا أراد أن تجري. . قال: باسم الله، فجرَت، وإذا أراد أن ترسُوَ. . قال: باسم الله، فرسَتْ)[1].

قوله: (بفتح الميمين) سبقُ قلمٍ؛ إذ فتح (مُرساها) شاذٌّ؛ فالصواب أن يقول: (بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضمِّ الثانية).

قوله: (مصدران) راجع لكلٍّ من الفتح والضم.

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٢).

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ....

أي: جَريُها ورُسُوُّها، أي: مُنتهَى سَيرِها، ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ لَم يُهلِكْنا.

﴿٤٢﴾ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتِفاع والعِظَم، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كَنعانَ، ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عنِ السَّفينةِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جريها) هذا يناسب الفتح، وأما الضم.. فيقال في تفسيره: (أي: إجراؤها وإرساؤها).

قوله: (﴿كَالْجِبَالِ﴾) روي: أن الله أرسل المطر أربعين يوماً وليلة، وخرج الماء من الأرض، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢]، وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوَله أربعين ذراعاً حتى أغرق كلَّ شيء[١].

وروي: أنه لما كثر الماء في السِّكك.. خافت أمُّ الصبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبُّه حبًّا شديداً، فخرجت به إلى الجبل حتى بلَغت ثلثه.. لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثَيه؛ فلما لحقها الماء.. ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء إلى رقبتها.. رفعت الصبي بيَديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما؛ فلو رحم الله منهم أحداً.. لرحم أمَّ الصبي[٢]. ولا ينافي ما تقدَّم من أنهم أصابهم العُقم أربعين سنة؛ لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين.

قوله: (﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾) أي: قبل سير السفينة.

قوله: (﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾) الجملة حاليَّة من ضمير ﴿ابْنَهُ﴾، وقوله: (﴿يَا بُنَيَّ﴾... إلخ) هذا هو المنادى به، و(بُني) بثلاث ياءات: الأولى: ياء التصغير، والثانية: لام الكلمة، والثالثةُ: ياء المتكلم؛ تحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها، قُلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت لالتقائهما، وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى؛ فيُقرأ بفتح الياء وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[٣]، وقوله: (﴿ارْكَب مَّعَنَا﴾) بإظهار الباء وإدغامها في الميم، سبعيَّتان[٤].

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٨٥).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤١٩).

(٣) قرأ عاصم بفتح الياء، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٩).

(٤) قرأ البزي وقالون وخلاد بإظهار باء «اركب» قبل ميم «معنا»، والباقون بالإدغام. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٣٠).

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾: يَمنعُني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: عَذابِه ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المَعصُومُ، قال تَعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: في البعد عن الركوب معنا.

إن قلتَ: لا يخلو الحال؛ إما أن يكون هذا الولد مسلماً أو كافراً؛ فإن كان مسلماً.. فيُبعده كونه في معزل، وإن كان كافراً.. فلم عطف عليه وناداه مع عِلمه بكفره؟

أجيب: بأنه ذكر العلماء أنه كان مُنافقاً يظهر الإسلام، ويخفي الكفر؛ فعند مجيء الطوفان ظهر ما كان يُخفيه، ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن، وبالعكس.

وهذا الولد؛ قيل: كان من صلبه وهو الراجح، وقيل: ابن زوجته من نكاح غيره، وقيل: كان ولد خبث ولدته زوجته على فِراشه ولم يَعلم به، وهذا القول غير وجيه؛ لقول ابن عباس: (ما بغت امرأة نبيٍّ قط)[1].

قوله: (﴿سَـَٔاوِىٓ﴾) أي: ألتجئ.

قوله: (﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾) عبّر المفسِّر بـ(لكن)؛ إشارةً إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ ما بعد (إلا) هو المعصوم، وما قبلها هو العاصم، ولا شكَّ أنه غيره.

قوله: (﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾) أي: بين نوح وابنِه.

قوله: (﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾) أي: الهالكين بالماء، وردَ: أنه أوى إلى جبل عالٍ، فدخل في غار منه، وسدَّ على نفسه من كل جهة، فغَرق في بَوله وغائطه[2].

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٨)، وهذا القول من بِدَع التفاسير، وهو قولٌ شنيعٌ يدلُّ على الجهل بمقام النبوة، ثم هو مردودٌ بنصِّ القرآن؛ فإنَّ الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾، فنَسب الابن إليه، وهذا دليلٌ قاطع على أنه ابنه لِصُلبه؛ إذ من المستحيل أن يكون ابن زناً وينسبهُ الله إليه، وأما قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فهو من حذف الصفة؛ للعلم بها؛ أي: الموعودِ بإنجائهم؛ لأنه كافر، ولا نجاةَ لكافر. انظر «بدع التفاسير» (ص٦٨).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٠).

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا ....

(٤٤) ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ الَّذي نَبَعَ مِنكِ، فشَرِبَتهُ دُون ما نَزَلَ مِن السَّماء، فصارَ أنهاراً وبِحاراً، ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾: أمسِكِي عن المَطَر فأمسَكَت، ﴿وَغِيضَ﴾: نَقَصَ ﴿ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: تَمَّ أمرُ هَلاك قَومِ نُوح، ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾: وَقَفَت السَّفِينةُ ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾: جَبَل بِالجَزِيرةِ بِقُربِ المَوصِل، ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾: هَلاكاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ﴾... إلخ) أي: أمر الله الأرض بذلك، والمراد: تعلَّقت قُدرته بزوال الماء؛ على حدِّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهذا القول وقع يوم عاشوراء، ونزول نوح السفينة لعشر خلَون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر، فلما نجَوا. صاموا جميعاً حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء؛ شكراً لله على النجاة، ومرَّت السفينة بالبيت الحرام، فطافت به سبع مرات، وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس. وورد: (أن نوحاً حمل أباه آدم معه في السفينة)[1].

قوله: (فصار أنهاراً وبحاراً) أي: فماء السماء بقي في أماكن من الأرض أنهاراً وبحاراً، وماء الأرض ابتلعته الأرض، فصار في باطِنها.

قوله: (نقص) أي: ولم يذهب بالكلِّيَّة؛ لما علمتَ من بقاء ماء السماء.

قوله: (جبل بالجزيرة) هي مدينة بالعراق، روي: أنَّ الله أوحى إلى الجبال أن السفينة تُرْسَى على واحد منها، فتَطاولت، وبقي الجوديُّ لم يتطاول؛ تواضعاً لله، فاستَوَت السفينة عليه، وبقيت على أعوادها، وفي الحديث: «لقد بقي منها شيءٌ أدركه أوائل هذه الأمة»[2]، وردَ: أنهم لما خرجوا من السفينة.. بنَوا قرية، وسمَّوها الثمانين؛ لأنهم كانُوا ثمانين[3].

قوله: (﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾) منصوبٌ على المصدر بفعل مقدَّر؛ أي: بعدوا بُعْداً، فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم.

---

(١) حمل جسد أبيه آدم عليهما السلام، ووضعه بين الرجال والنساء. انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤٢٥).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٤١).

(٣) انظر «الدر المنثور» (٤/ ٤٣١).

﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ....

﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين.

٤٥ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى﴾ كَنعانَ ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ وقد وعَدتَني بِنَجاتِهِم، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الَّذي لا خُلفَ فِيه، ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعلَمُهُم وأعدَلُهم.

٤٦ ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ النَّاجِينَ، أو مِن أهلِ دِينِك، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: سُؤالَك إيَّايَ بِنَجاتِه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾؛ فإنَّهُ كافِر ولا نَجاةَ لِلكافِرين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) أي: فهلكوا جميعاً حتى البَهائم والطيور والأطفال على القول بأنهم لم يعقموا، ولا يُسْأل عمَّا يفعل، وهذا الغرق عقوبةٌ للمكلَّفين، لا غَيرهم.

قال بعضهم: هذه الآية أبلَغ آية في القرآن؛ لاحتوائها على أحد وعشرين نوعاً من أنواع البديع، والحال أنَّ كلماتها تسعة عشر. وخُوطبت الأرض أوَّلاً بالبلع؛ لأنَّ الماء نبع منها أوَّلاً قبل أن تمطر السماء[1].

قوله: (﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾) أي: قبل مَسير السفينة.

قوله: (﴿فَقَالَ﴾) هذا تفصيلٌ للنداء.

قوله: (وقد وعدتني بنجاتهم) أي: المدلول عليها بقوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾.

قوله: (الناجين، أو من أهل دينك) أشار المفسِّر إلى أنَّ الكلام إما على حذف الصفة، أو على حذف المضاف.

قوله: (أي: سؤالك) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في (إنه) عائدٌ على نوح، على حذف مضاف، والمعنى: قال الله له: يا نوح؛ إنَّ سؤالك عملٌ غيرُ صالح؛ أي: غير مقبول؛ لأنَّ الله لا يقبل

---

(١) كذا في «الفتوحات» (٢/ ٤١٩) نقلاً عن شَيخه العلامة الأجهوري، وقد فصَّلها المفسِّر رحمه الله في كتابه «مُعترك الأقران» (١/ ٣١٨).

فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ . . . .

ـ وفي قِراءة بِكَسرِ مِيم (عَمِلَ) فِعل ونَصبِ (غير)، فالضَّمِيرُ لِابنه ـ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ ـ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف ـ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِن إنجاءِ ابنِك، ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بِسُؤالِك ما لَم تَعلَم.

حاشية الصاوي

الشفاعة إلا في المسلمين؛ فسؤالك خطأ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه، وهذا غيرُ قادحٍ في منصب النبوَّة؛ لأنَّ نوحاً كان يظنُّ إسلام ولده؛ لأنه كان يظهره، ومن المعلوم: أنَّ الرسل يحكمون بالظاهر، وقيل: إن الضمير عائد على الولد، ويقال في الإخبار عنه بـ(عمل) ما قيل في: (زيد عدل)، وهو الراجح[١].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٢].

قوله: (ونصب «غير») أي: على المفعولية لـ(عَمِل).

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فعلى التخفيف تسكَّن اللام، وعلى التشديد تُفتح اللام، وفي قراءة التخفيف وجهان: حذف الياء، وإثباتها، وفي قراءة التشديد ثلاث: فتح النون مع حذف الياء لا غير، وكسر النون مع حذف الياء، وإثباتها، وكل هذا في حال الوصل، وأما عند الوَقف.. فلا تثبت أصلاً[٣].

قوله: (﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾) أي: ما لا تَعلم أنه صوابٌ أم لا.

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾) هذا العقاب فيه رفقٌ وتلطُّفٌ، والمعنى: كأنَّ الله يقول له: إنَّ مقامك عظيمٌ، فشأنُكَ ألَّا تسأل ولا تشفع إلا فِيمن يرجى فيه النجاة، وأمَّا فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه.. فلا يَليق منك أن تُقْدِم على السؤال فيه.

---

(١) وهو أن المصادر يُخبر بها عن الذوات إذا لزم ذَلِك المعنى لتلك العين حَتَّى صَار كَأَنَّهُ هو؛ كما مثَّل المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) قرأ الكسائي: «عَمِلَ» فعلاً ماضياً، و«غير» نصباً، والباقون: «عَملٌ» بفتح الميم وتنوينه على أنه اسم. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٣٦).

(٣) قرأ نافع وابن عامر بتشديد النون مكسورةً من غير ياء، وابن كثير بتشديدها مع الفتح، وأبو عمرو والكوفيون بنونٍ مكسورة خفيفة. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٣٧).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ....

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ مِن ﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ما فَرَطَ مِنِّي ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾: انزل مِن السَّفينةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾) أي: أتحصَّن بك.

قوله: (﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾) أي: بعد ذلك.

قوله: (ما فرط مني) أي: تقدَّم وسلف، وهو الإقدام على سؤال ما ليس لي به عِلم، وهذا لا يقتضي صُدور ذنب من نوح؛ إذ هو معصومٌ من الذنوب كبيرِها وصغيرِها؛ لأنَّ الله وعد نوحاً عليه السلام بأن يُنجيه وأهله، فأخذ نوحٌ بظاهر اللفظ واتبع التأويل؛ حيث ظنَّ أن ولده من جملة أهله الناجين، فلما عاتبه ربُّه.. رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه، وسأله المغفرة والرحمة، وذلك كما وقع لآدم في الأكل من الشجرة، وليست هذه ذنوباً، بل هي من باب: حسَناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين.

قوله: (﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾) أي: سلامةٍ وأمنٍ، ودخل في هذا السلام كلُّ مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، وفيما بعده من المتاع والعذاب كلُّ كافر وكافرة إلى يوم القيامة.

قوله: (انزل من السفينة) ورَدَ: أنه لما نزل بها.. أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض، فقال الدجاج: أنا، فأخذه وخَتم على جناحه وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً، تنتفع بك أمَّتي، فبعث الغراب، فأصاب جيفةً، فوقع عليها فاحتبس، فلَعنه ودعا عليه بالخوف؛ فلذلك يقتل في الحل والحرم، ولا يَألف البيوت، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً، فوقعت على شجرة بأرض سبأ، فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح، فعلم أنها لم تتمكن من الأرض، ثم بَعثها بعد ذلك، فطارت حتى وقفت بوادي الحرم؛ فإذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة، وكانت طِينتها حمراء، فاختضبت رجلاها، ثم جاءت إلى نوح فقالت: بُشراي منك أن تهب لي الطوق في عُنقي، والخضاب في رجلي، وأن أسكن الحرم، فمسح يده على عُنقها وطوقها، ووهب لها الحمرة في رجلها، ودعا لها ولذرِّيتها بالبركة[1].

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/٤٢٧).

بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ....

﴿بِسَلَٰمٍ﴾: بِسَلامةٍ أو بِتَحِيَّةٍ ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾: خَيراتٍ ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ في السَّفِينةِ أي: مِن أولادِهم وذُرِّيَّتِهم وهُم المُؤمِنُون، ﴿وَأُمَمٌ﴾ - بِالرَّفعِ - مِمَّن مَعَك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرة وهُم الكُفَّار.

﴿٤٩﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذه الآياتُ المُتَضَمِّنةُ قِصَّةَ نُوح ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبارِ ما غابَ عَنك، ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القُرآنِ، ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على التَّبليغ وأذَى قَومِك كما صَبَرَ نوحٌ، ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ المَحمُودةَ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ مِن القَبيلةِ ﴿هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: من أولادهم... إلخ) أشار بذلك إلى أن (مِن) تبعيضيَّة، والكلام على حذف مضاف، والمعنى: وعلى أمم مِنْ ذرية مَنْ معك.

قوله: (﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾) يقال فيه ما قيل فيما قبله؛ أي: وأمم من ذرية من معك سنمتِّعهم... إلخ، والمعنى: أنَّ ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن؛ فعليه السلام، وبعضها كافر؛ فيُمتع في الدنيا، ثم يمسُّه العذاب الأليم في الآخرة، والذريَّة المذكورة لم تكن إلا مِن أولاده الثلاثة كما تقدَّم، فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم.

قوله: (﴿تِلْكَ﴾) مبتدأ، أخبر عنه بثلاثة أخبار.

قوله: (﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ﴾) أي: تفصيلاً.

قوله: (﴿فَٱصْبِرْ﴾) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة؛ أي: فتسلَّ ولا تحزنْ على عدم إيمان المشركين، ولا تنزعج من أذاهم.

قوله: (﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾) الجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ عطف قصة على قصة، وأخَّر هوداً؛ لأنه متأخر عن نوح في الزمن؛ إذ هو من أولاد سام بن نوح، وبين هود ونوح ثمان مئة سنة، و(عاد): اسم قبيلة تُنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح، وهودٌ ينسب له؛ لأنه من تلك القبيلة؛ لأنَّ عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد، وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ ....

وَحِّدُوه، ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾ - زائِدة - ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عِبادَتِكُم الأوثانَ ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: كاذِبُون على الله.

﴿٥١﴾ ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التَّوحِيدِ ﴿أَجْرًا إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خلَقَني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعةِ، ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المَطَر، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وحِّدوه) أي: وسمِّي التوحيدُ عبادةً؛ لأنه أساسها ورأسُها.

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾) ﴿مَا﴾: نافية، و﴿لَكُم﴾ خبر مقدم، و﴿إِلَٰهٍ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ صفته، و(مِن) زائدة كما قال المفسِّر.

قوله: (كاذبون على الله) أي: حيث ادَّعيتم أنَّ لله شركاء وعبَدتموهم.

قوله: (﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾) أي: ليس مَقصدي من تبليغ التوحيد والأحكام لكم: أنكم تعطوني[1] أجراً على ذلك من مالٍ أو غيره، والمقصودُ من ذلك الخطاب: إراحةُ قلوبهم، والتلطفُ بهم، عسى أن يَقبلوا ما جاء به بقلب سليم. وعبَّر هنا بـ﴿أَجْرًا﴾، وفي قصة نوح بـ﴿مَالًا﴾؛ تَفنناً.

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾) أي: لأنه هو المعطي المانع، الضار النافع، المقدِّم المؤخِّر؛ فلا أطلُب من غيره.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أجَهلتم وعميتم فلا تعقلون؟!

قوله: (﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾) أي: مِن كل ذنب مضى، وقوله: (﴿تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾) أي: أقلِعوا واعزموا على عدم الرجوع في المستقبل.

---

(١) كذا في الأصول، وهي لغة معروفة.

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ ....

وكانُوا قد مُنِعُوهُ ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كَثِيرَ الدُّرُور، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بِالمالِ والوَلَد، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مُشرِكِين.

﴿٥٣﴾ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرهانٍ على قَولِك، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: لِقَولِك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿إِن﴾: ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شَأنِك ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابَك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فخَبَلَك لِسَبِّك إيَّاها، فأنتَ تَهذِي، ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ عَلَيَّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكانوا قد مُنِعُوهُ) أي: ثلاث سنين.

قوله: (﴿مِّدْرَارًا﴾) حال من ﴿السَّمَاءَ﴾ أي: كثيرة النزول والتتابُع.

قوله: (كثير الدرور) أي: فيقال: درَّ يَدرُّ درًّا، ودُروراً، فهو مِدرار.

قوله: (بالمال والولد) أي: وكانت قد عَقِمت نساؤهم ثلاث سنين لم تلد.

قوله: (﴿قَالُوا يَا هُودُ﴾) أي: استهزاءً وعناداً.

قوله: (﴿بِبَيِّنَةٍ﴾) أي: معجزةٍ، وكانت مُعجزته التي قامت بها الحجةُ عليهم ما يأتي في قوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾؛ فعِصمته منهم هي معجزته، وكذا مُعجزة نوح التي قامت بها الحجة عليهم في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً...﴾ [يونس: ٧١] الآية، وأما الريح والطوفان وإن كان كلٌّ معجزةً فيها هَلاكهم.. لإقامة الحجة عليهم.

قوله: (برهان) أي: دليلٍ واضحٍ على صحته.

قوله: (أي: لقولك) أشار بذلك إلى أنَّ (عن) بمعنى لام التعليل.

قوله: (﴿إِن نَّقُولُ﴾) أي: في شأنك.

قوله: (فخبلك) أي: أفسد عقلك، قوله: (لسبِّك) علة لقوله: (فخبلك).

قوله: (فأنت تهذي) أي: تتكلم بالهذيان، وهو: الكلام السَّاقط الذي لا معنى له.

وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ....

﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ـهُ بِهِ ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾: احتالُوا في هَلاكِي ﴿جَمِيعٗا﴾ أنتُم وأوثانُكُم، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهِلُون.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿دَآبَّةٍ﴾: نَسَمَة تَدِبُّ على الأرضِ ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: مالِكُها وقاهِرُها، فلا نَفع ولا ضَرَر إلَّا بإذنِه، وخَصَّ الناصيةَ بِالذِّكرِ لِأنَّ مَن أُخِذَ بِناصِيَتِه يَكُون في غايَة الذُّلِّ، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: طَرِيق الحَقِّ والعَدل.

﴿٥٧﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ ـ فيه حذفُ إحدَى التاءَين ـ أي: تُعرِضُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾) أي: خالصٌ ومتبرئٌ من جميع ما تُشركون مع الله.

قوله: (﴿فَكِيدُونِي﴾) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً هنا لجميع القراء، والتي في (المرسلات) بحذفها لجميعهم، وأما التي في (الأعراف) فمن ياءات الزوائد؛ فتحذف وقفاً، ويَجوز حذفها وإثباتها في الوصل.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾) أي: لا تؤخِّرونِ[1] حتى آتي بشيءٍ يحفظني من قراءةٍ أو سلاحٍ أو غير ذلك، وهذا من شدَّة وُثوقه بربِّه، واعتماده عليه.

قوله: (﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ﴾) أي: فوَّضت أُموري إليه، واعتمدتُ عليه.

قوله: (﴿رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾) هذا تبكيتٌ عليهم.

قوله: (فلا نفعَ ولا ضررَ إلا بإذنه) أي: وأنتُم من جملة الدوابِّ، فليس لكم تأثيرٌ في شيءٍ أصلاً.

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة قوله: ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم...﴾ إلخ عليه، والتقدير: فلا عذر لكم، ولا مُؤاخذة عليَّ؛ فقد أبلغتكم... إلخ[2].

---

(١) كذا في الأصول؛ بحذف ياء الضمير تخفيفاً، ومُراعاة للفظ الآية.

(٢) كذا في «الفتوحات» (٢/ ٤٢٥) نقلاً عن العلامة الأجهوري، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٨٣): (فإن قلت: =

فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ....

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ بِإشراكِكُم، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: رَقِيب.

﴿٥٨﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عَذابُنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾: هِدايةٍ ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شَدِيد.

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارَة إلى آثارِهم، أي: فَسِيحُوا في الأرضِ وانظُرُوا إلَيها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى﴾... إلخ) هذا وعيدٌ شديدٌ مترتبٌ على إعراضهم، والمعنى: فإن تُعرضوا عن الإيمان.. فلا مؤاخذة عليَّ، بل يَقبلني ربي، ويهلككم ويستخلف غيركم، ولا تَضرونه شيئاً بإعراضكم، بل ما ضرَّ إلا أنفسكم.

قوله: (﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾) أي: فلا يخفى عليه أحوالكم، بل يجازي كلَّ أحدٍ بعمله.

قوله: (عذابنا) أي: وهو الريح الصَّرصر المذكور في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ...﴾ [الحاقة: ٧] الآية، فأصابهم صبيحة الأربعاء لِثمان بقين من شوال، وكان يدخل من أنف الواحد ويخرج من دُبره، فيرفعه في الجو، فيَسقط على الأرض، فتتقطع أعضاؤه، وقد تقدَّم بسطها في (الأعراف)[١].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾) أي: وكانوا أربعة آلاف.

قوله: (﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ على حذف مضاف كما أشار له المفسِّر؛ أي: آثار عاد.

قوله: (في الأرض) أي: أرضِهم.

قوله: (وانظروا إليها) أي: لِتَعتبروا، وهو خطابٌ للنبي ﷺ وأمَّته، ولكن المراد: الأمة.

= الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط؟ قلت: معناه: فإن تتولوا لم أعاتب على تَفريط على الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأن ما أرسلتُ به إليكم قد بلغكم فأبيتُم إلا التكذيب وعداوة الرسول).

(١) انظر (٢/ ٥٦٠).

جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ....

ثُمَّ وصَفَ أحوالَهم فقال: ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ جُمِعَ لِأنَّ مَن عَصَى رَسُولاً عَصَى جَمِيع الرُّسُل؛ لِاشتِراكِهِم في أصلِ ما جاؤُوا بِه وهو التَّوحِيد، ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ أي: السَّفَلَةُ ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعانِد لِلحَقِّ مِن رُؤَسائِهِم.

﴿٦٠﴾ ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ مِن النَّاس، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لَعنةً على رُؤُوس الخَلائِق، ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟﴾: جَحَدُوا ﴿رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا﴾ مِن رَحمةِ الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ مِن القَبِيلةِ ﴿صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنَّ من عصى رسولاً... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ جمع الرسل مع أنهم عَصَوْا رسولاً واحداً وهو هود؟!

قوله: (﴿عَنِيدٍ﴾) أي: مُعاندٍ متجاوزٍ في الظلم.

قوله: (﴿لَعْنَةً﴾) أي: طرداً وبُعْداً.

قوله: (﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة) أي: طرداً عن رحمة الله، وهي الجنة وما فيها؛ لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة لِلخلود في النار.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾) هذا بيان لِسَبب استحقاقهم للعنتين.

قوله: (﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾) هذا هو معنى قوله: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وذُكِرَ؛ تأكيداً وإشارةً إلى أنهم مُستحقون لذلك.

قوله: (﴿قَوْمِ هُودٍ﴾) بدل من (عاد)، واحترز به عن (عاد) الثانية، وهي المسماة بـ: ثمود، وهي قوم صالح الآتية قصَّتهم بعدُ.

قوله: (﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾) عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطف قِصة على قصة، وقدَّر المفسِّر (أرسلنا)؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الأوَّل مسلَّط عليه، فهو من عَطف الجمل، و(ثمود) هنا بمنع

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ....

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم﴾: ابتدَأ خَلْقَكُم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بِخَلقِ أبِيكُم آدم مِنها، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جَعَلَكُم عُمَّاراً تسكُنُون بِها، ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ مِن الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعةِ، ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ مِن خَلقِه بِعِلمِه، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لِمَن سَأَله.

حاشية الصاوي

الصرف باتفاق القراء العشرة، وقرئ شاذًّا بالصرف[1]، بخلاف ما يأتي في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] فبِالصرف وعدمه، قراءتان سبعيَّتان[2].

وثمود: اسم أبي القبيلة، سمِّيت باسمه لِشُهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداد، وبين صالح وهود مئة سنة، وعاش صالح مئتي سنة وثمانين سنة.

قوله: (﴿هُوَ أَنشَأَكُم﴾) هذا دليلٌ على كونه هو المستحقَّ للعبادة، دُون غيره.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾) أي: مباشرة، أو بِواسطة؛ فالأول: كخلق أبينا آدم منها، والثاني: كخلق مواد النُّطَف التي منها النوع الإنساني.

قوله: (جعلكم عمَّاراً تسكنون بها) أي: خُلفاء في الأرض، ويصح أن يكون المعنى: جعلكم مُعمِّرين لها بعد أن خَرِبت.

قوله: (﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾) أي: من الذنوب التي مضَت.

قوله: (﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾) أي: أقلِعوا عن الذنوب في المستقبل.

قوله: (بعلمه) أي: فالمراد: قربُ مكانةٍ ورفعةٍ، والمعنى: أنَّ الله قريبٌ من خلقه قرباً معنويًّا منزهاً عن الإحاطة والجهة، فهو أقربُ من نور العين لها، ومن سمع الأذن لها، ومن لمس الجسم له، ومن شمِّ الأنف له، سُبحانه وتعالى.

قوله: (﴿مُّجِيبٌ﴾) أي: فلا يخيِّب سائلاً.

---

(١) وبها قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب. انظر «الدر المصون» (٦/٣٤٦).

(٢) قرأ حفص وحمزة: (ألا إن ثمودَ) بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: (بعداً لثمودٍ) بتنوين (ثمود) مع الكسر، والباقون بغير تنوينٍ مع الفتح. انظر «السراج المنير» (٢/٦٨).

﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ ....

﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيِّداً ﴿قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ الَّذِي صدر منك، ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِن الأوثانِ، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ مِن التَّوحِيد ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرَّيب.

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيانٍ ﴿مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نُبُوَّةً، ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾: يَمنَعُني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَذابِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (نرجو أن تكون سيداً) أي: لأنه كان يُعين ضعيفهم، ويعطي فقيرهم، وكانوا يرجعون إليه في الأمور قبل تلك المقالة، فلمَّا حصَلت.. قالوا: قد انقطع رَجاؤنا فيك.

قوله: (الذي صدر منك) أي: وهو نهيُهم عن عبادة الأوثان.

قوله: (﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ﴾) أي: أتنهانا عن عبادة الذي كان يَعبده آباؤنا؟ وقوله: (من الأوثان) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَإِنَّنَا﴾) هذا هو الأصل، ويصح (وإنَّا) بنون واحدة مشدَّدة؛ ولذا قرئ به في (سورة إبراهيم)[1].

قوله: (﴿مُرِيبٍ﴾) وصف لـ﴿شَكٍّ﴾، والإسناد مجازيٌّ، وحقُّ الإسناد لصاحبه.

قوله: (مُوقِعٍ في الرَّيب) أي: الدائم.

قوله: (﴿أَرَءَيْتُمْ﴾) أي: أخبِروني.

قوله: (﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾) أتى بـ(إن) مشاكلةً لاعتقادهم فيه، ومُسايرةً لخطابهم.

قوله: (بيانٍ) أي: برهانٍ وحجَّةٍ واضحةٍ.

قوله: (أي: عذابه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حَذف مضاف.

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ....

﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ بِأمرِكُم لي بِذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: تَضلِيل.

﴿٦٤﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ - حال عامِلُه الإشارةُ -، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: عَقْرٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عَقَرتُمُوها.

﴿٦٥﴾ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَها قدار بِأمرِهِم، ﴿فَقَالَ﴾ صالِحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾: عِيشُوا ﴿فِى دَارِكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾) أي: على فرض وُقوع المعصية مني، وإلَّا.. فهي مستحيلةٌ عليه؛ كبيرها وصغيرها، قبل النبوَّة وبعدها.

قوله: (بأمركم لي بذلك) أي: بِعصيانه وموافقتكم.

قوله: (تضليلٍ) أي: لي إن اتَّبعتكم، والمعنى: أخبروني إن كنتُ على بينة ونبوَّة من ربي.. فلا أحد يمنعني من عذاب الله إن اتبعتكم وعصَيته؛ وحينئذ: أكون خاسراً مضيعاً لما أعطاني الله من الحق، وهل رأيتم نبيًّا صار كافراً؟! وكلُّ هذا تنزُّلٌ منه لهم.

قوله: (﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾) أي: وقد طلبُوا منه أن يخرج لهم ناقةً من صخرة عيَّنوها؛ حيث قالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً وَبْراءَ عُشَرَاءَ، فدعا الله، فتمخَّضت الصخرة كما تتمخَّض النساء عند الولادة، فخرجت منها ناقةٌ كما وصفوا، فولدت الناقة في الحال فصيلاً قدرها في الجثة يُشبهها، وأضيفت الناقة له تشريفاً؛ أي: لا اختِصاص لأحد بها[1].

قوله: (﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾) أي: من العشب والنبات، وفي الكلام اكتفاءٌ؛ أي: وتشرب من ماء الله، على حدِّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد.

قوله: (﴿قَرِيبٌ﴾) أي: عاجلٌ لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام.

قوله: (عقرها قُدَارُ) أي: ابن سالف؛ حيث ضربها في رِجليها، فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء.

قوله: (﴿فِى دَارِكُمْ﴾) أي: أرضكم.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٢٢٢). والوبراء: كثيرة الوبر.

ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ....

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ﴾ ثُمَّ تهلَكُون، ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ فِيه.

﴿٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكِهِم ﴿نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهُم أربعَةُ آلافٍ ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَ﴾ نَجَّيْناهُم ﴿مِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ بِكَسرِ المِيم إعراباً، وفَتحِها بِناءً لِإضافَتِه إلى مَبنِيٍّ، وهو الأكثَرُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالِبُ.

﴿٦٧﴾ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِين على الرُّكَب مَيِّتِين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ﴾) والحكمة في ذلك: بقاء الفَصيل ينوح على أمِّه ثلاثة أيام، ثم فُتحت له الصخرة ودخل فيها، قالوا: وما العلامة؟ قال: تُصبِحون في اليوم الأول وجوهكم مصفرَّة، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرَّة، وفي اليوم الثالث وجوهكم مُسودَّة.

قوله: (﴿غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ فيه) أشار المفسِّر بتقدير (فيه) إلى أنه من باب الحذف والإيصال[1].

قوله: (﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾) وهي: الإيمان.

قوله: (﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾) أي: يوم إهلاكهم بالصيحة.

قوله: (لإضافته إلى مبني) أي: فهي من أسباب البناء.

قوله: (وهو الأكثر) أي: عربيَّةً، وأمَّا في القراءة.. فمُستويان.

قوله: (﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾) حُذفت تاء التأنيث من الفعل؛ إما لِكون المؤنث مجازيًّا كما يقال: طلع الشمس، أو لِلفصل بالمفعول كـ: أتى القاضيَ بنتُ الواقف.

قوله: (﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾) أي: مع الزلزلة، فتَقطَّعت قلوبهم، والمراد: صيحة جبريل عليهم من السماء، فسمعوا فيها صوت كلِّ شيء، فماتوا جميعاً.

---

(١) أي: حذف الجارِّ وإيصال الفعل إلى المفعول بنفسه بلا واسطة.

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ....

﴿٦٨﴾ ﴿كَأَن﴾ ـ مُخفَّفة واسمُها مَحذُوف ـ أي: كأنَّهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَآ﴾: في دِيارِهم، ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ ـ بِالصَّرفِ وتَركِه على مَعنَى الحَيِّ والقَبِيلة ـ.

﴿٦٩﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَا بُعْدًا﴾) أي: طرداً دائماً عن رحمة الله؛ فقد نَزعوا من دائرة الحلم والرحمة.

قوله: (بالصرف وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (على معنى الحي) راجع للصرف، وقوله: (والقبيلة) راجع لِتركه، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وقد تقدَّم بَسط تلك القصة في (الأعراف)[٢].

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾) أتى هنا بقصة إبراهيم؛ توطئةً لقصة لوط، لا استقلالاً؛ لأنَّ الهلاك هنا لم يكن لِقوم إبراهيم؛ ولذا غاير الأسلوب؛ فلم يقُل: (وأرسلنا إبراهيم إلى قومه) مثلاً.

و(رسلنا): بضم السين وإسكانها، قراءتان سبعيَّتان في جميع القرآن متى أُضيفت (رسل) للضمير؛ فإن أضيفت للظاهر.. قُرئ بضمِّ السين لا غير[٣].

واختلف في عدَّة الرسل الذين جاؤُوه؛ فعن ابن عباس: ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وقيل: تسعة، وقيل: اثنا عشر، وقيل غير ذلك[٤].

وعاش إبراهيم من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألفَا سنةٍ وست مئة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مئة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مئة وسبعاً وأربعين سنة.

قوله: (﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾) هي الخبر السارُّ، سمِّيت بذلك؛ لانبساط البشرة عند حصولها.

---

(١) قرأ حفص وحمزة: (ألا إن ثمودَ) بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: (بعداً لثمودٍ) بتنوين (ثمود) مع الكسر، والباقون بغير تنوينٍ مع الفتح. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٨).

(٢) انظر (٢/ ٥٦١).

(٣) قرأ أبو عمرو بسكون السين، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٢).

(٤) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٤٩٢).

قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ....

بِإسحاق ويَعقُوب بَعدَه، ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ ـ مَصدَر ـ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ عَلَيكُم، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: مَشوِيٍّ.

﴿٧٠﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بِمَعنَى أنكَرَهُم، ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أضمَرَ في نَفسِه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإسحاق ويعقوب بعده) أفاد المفسِّر: أن المراد بالبشرى هنا: هي ما يأتي في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ...﴾ إلخ، ويحتمل أن المراد بقوله هنا: ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: ما هو أعمُّ من ذلك؛ فيَشمل بشراه بنجاة لوط، وهلاك الكافرين، وغير ذلك.

قوله: (﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾) هذه تحيَّتهم الواقعة منهم، وهو منصوب بفعله المحذوف، والتقدير: سلَّمنا عليك سلاماً.

قوله: (مصدر) أي: نائب عن لفظ الفعل.

قوله: (﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾) إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية في الردِّ؛ لِتُفيد الدوام والثبوت؛ فيكون الردُّ أحسنَ من الابتداء؛ لأنَّ الجملةَ الاسميَّةَ أشرفُ من الفعليَّة، وقوله: (عَلَيْكُمْ) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ، والمسوِّغ للابتداء بالنكرة: التعظيم؛ على حدِّ: شرٌّ أهرَّ ذا ناب، أو الدعاء.

قوله: (﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ﴾) (ما): نافية، و﴿لَبِثَ﴾: فعل ماض، و﴿أَن جَآءَ﴾: في تأويل مصدر فاعل، والمعنى: لم يتأخَّر مجيئه بعجل حنيذٍ.

قوله: (مشويٍّ) أي: على الحجارة المحمَّاة في حُفرة في الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يَسيل منه الودك كما في (الذاريات)، وكان عامَّة مال إبراهيم البقر.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾) هذا مرتبٌ على محذوف كما في الآية الأخرى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ﴿فَلَمَّا رَءَا...﴾ إلخ.

قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ ....

خَوفاً، ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لِنُهلِكَهُم.

﴿٧١﴾ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي: امرأَةُ إبراهِيمَ سارَّة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ تَخدُمُهُم، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استِبشاراً بِهَلاكِهِم، ....

حاشية الصاوي

في بعض الروايات قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإنَّ له ثمناً، قالوا: وما ثمنُه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوَّله، وتحمدون على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل، قال: وحُقَّ لهذا أن يتَّخذه ربُّه خليلاً(١).

قوله: (خوفاً) أي: من أجل امتِناعهم من طعامه، فخاف منهم الخيانة؛ على عادة الخائن أنه لا يأكل طَعام من أراد خِيانته.

إن قلتَ: كيف يخاف إبراهيم منهم مع كونِه خليل الرحمن وهم محصُورون في بيته؟

أجيب: بأنَّ خوفه لِما رأى فيهم من جَلال الله وهيبته؛ فخوفه من ربِّه، لا من ذواتهم.

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾) أي: جواباً لِقوله لهم كما في سورة (الحجر): ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

قوله: (﴿إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾) أي: وهو ابن أخي إبراهيم، وهو أوَّل مَنْ آمن به، وأبوه هاران أخو إبراهيم.

قوله: (لنهلكهم) أخذ هذا المقدَّر من قولِه في سورة (الذاريات): ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً...﴾ [الذاريات: ٣٣-٣٤] إلخ.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد، وهي بِنت عمِّه.

قوله: (تخدمهم) أي: على عادةِ نساء العرب لا يتحاشَون خدمة الضيوف.

قوله: (﴿فَضَحِكَتْ﴾) قيل: في سبب ذلك الضحك أقوال؛ قيل: البشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسِّر، وقيل: مِن خوف إبراهيم وهو في خدَمه وحشمه، وقيل: سروراً بالولد، وقيل: تعجباً من إتيان الولد على كبر، وقيل: لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لإبراهيم؛ فإنها قالت له قبل مجيء الملائكة: اضمُم إليك ابن أخيك لوطاً؛ فإنَّ العذاب نازلٌ بقومه، وقيل: غير ذلك(٢).

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٨) عن السُّدي.
(٢) ذكر هذه الأقوال الخازنُ في «تفسيره» (٤/ ٤٩٣).

فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ....

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾: بعدَ ﴿إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ وَلَده تَعِيشُ إلى أن تَراهُ.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كَلِمةٌ تُقالُ عِند أمرٍ عَظِيم، - والألِفُ مُبدَلةٌ مِن ياء الإضافةِ - ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لِي تِسع وتِسعُون سَنةً، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ لَهُ مِائة أو وعِشرُون سَنةً؟ - ونَصبه على الحال، والعامِل فِيه ما في (ذا) مِن الإشارة - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يُولَدَ ولَدٌ لِهَرِمَين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَبَشَّرْنَٰهَا﴾) إنما نُسبت البشارة لها دونه؛ لأنها كانت أشوقَ منه إلى الولد؛ لأنه لم يأتها ولدٌ قط، بخلافه هو؛ فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاث عشرة سنة.

قوله: (﴿بِإِسْحَٰقَ﴾) ولد بعد البشارة بسنة، فإسماعيل أسنُّ منه بأربعَ عشرة سنة.

قوله: (﴿يَعْقُوبَ﴾) بالرفع والنصب، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (كلمة تقال) أي: على سبيل التعجُّب من مخالفة العادة، لا مِن قدرة الله؛ فإنَّ ذلك كفرٌ، حاشاها منه.

قوله: (عند أمر عظيم) أي: خيراً كان أو شرًّا، ولكن المراد هنا: الخير.

قوله: (والألف مبدلة من ياء الإضافة) أي: فيقال في إعرابها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، منَع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة المناسبة للألف، و(ويلتى) مضاف، والألف مضاف إليه مبني على السكون في محل جرٍّ، وترسم بالياء، وتقرأ بالألف والإمالة.

قوله: (﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾) سمِّي الزوج بذلك؛ لأنَّ البعل هو: المستعلي على غيره، ولا شكَّ أن الزوج مُستعلٍ على المرأة، قائمٌ بأمورها.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بفتح الباء، والباقون برفعها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٥٥)، ونقل العلامة الجمَل توجيه القراءتين عن شيخه العلامة الأجهوري فقال: (فالرفع على الابتداء، والجار والمجرور قبله خبر عنه، والنصب على تقدير: ووهبنا يعقوب من وراء إسحاق، وأما كونه مجروراً بالفتحة عطفاً على «إسحاق». . فيُبعِده أنه لا بفصل بين العاطف والمعطوف). «فتوحات» (٢/ ٤٣٠).

قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ....

﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قُدرَتِه، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: بَيتِ إبراهِيمَ، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: مَحمُودٌ ﴿مَّجِيدٌ﴾: كَرِيم.

﴿٧٤﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: الخَوفُ ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِالوَلَدِ، أخَذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يُجادِلُ رُسُلَنا ﴿فِى﴾ شَأنِ ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كَثِيرُ الأَناةِ، ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾: رَجَّاعٌ، فقال لَهُم: أتُهلِكُون قَريةً فِيها ثَلاثُمِائةِ مُؤمِن؟ قالُوا: لا، قال: أفَتُهلِكُونَ قَريةً فِيها مائتَا مُؤمِن؟ قالُوا: لا، قال:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾) هذا دعاءٌ من الملائكة لهم.

قوله: (﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾) أشار المفسِّر بتقدير (يا) إلى أنَّ ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ مَنصوب على النداء، ويصحُّ أن يكون منصوباً على الاختصاص.

قوله: (﴿حَمِيدٌ﴾) أي: كثير الحمد، قوله: (﴿مَّجِيدٌ﴾) أي: عظيم شريف.

قوله: (﴿فَلَمَّا ذَهَبَ﴾) جوابها محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أخذ).

قوله: (﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾) أي: بعد الرَّوع.

قوله: (يجادل رسلنا... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾) أي: فالحامل له على المجادَلة حِلمه ورقَّة قلبه، فغرضه تأخير العذاب عنهم؛ لعلهم يؤمنون ويَرجعون عمَّا هم عليه من القبائح.

قوله: (كثير الأناة) أي: التَّأني في الأمور، وعدم العجلة.

قوله: (﴿أَوَّٰهٌ﴾) في تفسيره أقوال كثيرة، تقدَّم بعضها في سورة (براءة)[1].

قوله: (فقال لهم) هذه صورة المجادلة، والحاصل: أنه سألهم خمسة أسئلة، وأجابُوه عنها، قوله: (إلى آخره) أي: إلى آخر ما في سورة (العنكبوت).

---

(١) انظر (٣/١٥٦).

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ ....﴾

أفتُهلِكُون قَريةً فِيها أربَعُون مُؤمِناً؟ قالُوا: لا، قال: أفتُهلِكُون قَريةً فِيها أربَعةَ عَشَرَ مُؤمِناً؟ قالُوا: لا، قال: أفرَأَيتُم إن كان فِيها مُؤمِن واحِد؟ قالُوا: لا، قال: إنَّ فِيها لُوطاً، قالُوا: نَحنُ أعلَمُ بِمَن فيها... إلخ.

﴿٧٦﴾ فلَمَّا أطالَ مُجادَلَتَهُم قالُوا: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجِدالِ، ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ بِهَلاكِهِم، ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: حَزِنَ بِسَبَبِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾) أي: قضاؤه وحُكمه.

قوله: (﴿غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾) أي: غير مصروف عنهم؛ فإنه قضاءٌ مبرَمٌ، لا مَحيص عنه.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾) أي: الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى: أنهم ارتَحلوا من عند إبراهيم حتى أتَوا قرية لوط، وتسمى: (سَدوم)، بلد بينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار، فوجدوا لوطاً يعمل في أرض له، وقيل: كان يحتطب، وقد قال الله لِلملائكة: لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستَضافوه، فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة.. قال: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرُها؟ قال: أشهد بالله إنها لَشرُّ قرية في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرات، فمضَوا معه حتى دخلُوا منزله.

وقيل: إنه مرَّ مع الملائكة على جماعة من قومه، فتَغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إنَّ قومي شرُّ خَلق الله، فقال جبريل: هذه واحدة، فمرَّ على جماعة أخرى، فتَغامزوا، فقال مثله، ثم مرَّ على جماعة أخرى، ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً؛ حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لُوط هذا القول.. قال جبريل للملائكة: اشهَدوا.

وقيل: إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط، فوجَدوه في داره، فدخلوا عليه ولم يَعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته الخبيثة، فأخرجت قومَها وقالت: إنَّ في بيت لوط رجالاً ما رأيتُ مثل وجوههم قطّ، ولا أحسَن منهم[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مُصنفه» (٣١٨٣٥) بنحوه، وانظر الروايات في «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٠).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ﴾

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صَدراً؛ لِأنَّهُم حِسانُ الوُجُوه في صُورَةِ أضيافٍ، فخافَ علَيهِم قَومَه، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شَدِيد.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لَمَّا عَلِمُوا بِهِم ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسرِعُون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ قَبل مَجيئِهِم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيانُ الرِّجال في الأدبارِ، ﴿قَالَ﴾ لُوط: ﴿يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتَزَوَّجُوهُنَّ ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: تَفضَحُونِ ﴿فِي ضَيْفِي﴾: أضيافي،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾) الأصل فيه: أن البعير يَذرع بيديه في سيره ذرعاً على قَدر سعة خُطوته، فإذا حمل عليه.. ضعف، ومدَّ عُنقه، وضاق ذَرعه، فأطلق الذرع، وأريد منه: الصدر؛ فالمراد: ضاق صَدره؛ لعدم الخلاص من ذلك المكروه.

قوله: (فخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض؛ أي: مِن قومه.

قوله: (﴿عَصِيبٌ﴾) مأخوذ من العَصب، وهو الشدة، ومنه: العِصابة التي يُشدُّ بها الرأس.

قوله: (لمَّا علموا بهم) أي: إمَّا لأنهم رأَوهم مع لوط في الطريق، أو أعلمَتهم زوجته.

قوله: (﴿يُهْرَعُونَ﴾) أي: يَسوق بعضهم بعضاً.

قوله: (﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾) أي: فلا حياءَ عندهم منها؛ لاعتيادهم لها.

قوله: (﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾) هذا الخطاب وَقع من لوط وهم خارج البلد.

قوله: (﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوَّجوهنَّ) أي: وكان في شرعه يجوز تزوُّج الكافر بالمسلمة، وقيل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقيل: قال ذلك لِتَخليص أضيافه، لا إباحة لتزويجهم بهنَّ؛ لعلَّهم إذا رأَوه قد فدى أضيافه ببَناته.. ينزجروا ويرتدعوا ويتركوا هذا الأمر، وقيل: إن المراد ببناته: نِساء قومه، وأضافهنَّ إليه؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ لقومه كالأب لأولاده في الشَّفقة واللطف بهم.

قوله: (﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾) إن قلتَ: إن تلك الفَعلة لا طهارة فيها.. أجيب: بأن (أفعل) التفضيل ليس على بابه؛ نظير قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢].

قوله: (تفضحون) أي: تعيبوني، قوله: (﴿فِي ضَيْفِي﴾) أي: في شأنه.

أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ....

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يَأْمُرُ بِالمَعرُوفِ ويَنهَى عن المُنكَرِ؟

﴿٧٩﴾ ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجَةٍ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ مِن إتيانِ الرِّجالِ.

﴿٨٠﴾ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: طاقَةً، ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: عَشِيرةٍ تَنصُرنِي لَبَطَشتُ بِكُم.

﴿٨١﴾ فلَمَّا رَأَت المَلائِكَةُ ذلك ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بِسُوءٍ، ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ﴾) استفهام توبيخ.

قوله: (﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾) أي: لو ثبت أنَّ لي بكم قوَّةً، أو أني آوي، وجواب (لو) محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لَبَطشت بكم)، وإنما قال ذلك؛ لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم؛ لأنه كان أوَّلاً بالعراق مع إبراهيم بِبابل، فهاجر إلى الشام بأمر من الله، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لُوط بالأردن، فأرسله إلى أهل سَدوم، فمن ذلك الوقت لم يُرسل الله رسولاً إلَّا من قومه.

قوله: (﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾) أي: فافتح الباب، ودَعنا وإياهم، ففتح الباب ودَخلوا، فاستأذن جبريل ربَّه في عُقوبتهم، فأذن له، فتحوَّل إلى صورته التي يكون فيها، ونشَر جناحه، فضرب بها وجوههم، فأعماهم، وطمَس أعينهم حتى ساوَت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق، فانصرفوا وهم يقولون: النجاةَ النجاة، في بيت لوط سحرة قد سَحرونا، يا لوط سترى منَّا غداً ما ترى.

قوله: (﴿فَأَسْرِ﴾) بقطع الهمزة ووصلها، وفعله: أَسرى وسرى، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿بِأَهْلِكَ﴾) أي: وهم بِنتاه، فخرجوا، وطوى له الله الأرض حتى وصلوا إلى إبراهيم في وَقته.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بهمزة وصل، والباقون بهمزة قطع. انظر «السراج المنير» (٢/ ٧٢).

بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ....

﴿بِقِطْعٍ﴾: طائفةٍ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لِئَلَّا يَرى عَظِيمَ ما يَنزِل بِهِم، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ ـ بِالرَّفعِ بَدَل مِن ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قِراءةٍ بِالنَّصبِ استِثناء مِن (الأهل) ـ أي: فلا تُسْرِ بِها، ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾، فقِيل: لَم يَخرُج بِها، وقِيل: خَرَجَت والتَفَتَت فقالَت: وا قَوْماه، فجاءَها حَجَرٌ فقَتَلَها، وسَأَلَهُم عن وَقتِ هَلاكِهِم فقالُوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، فقال: أُرِيد أعجَلَ مِن ذلك، قالُوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإهلاكِهِم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قُراهُم ﴿سَافِلَهَا﴾ بِأن رَفَعَها جِبرِيلُ إلى السَّماءِ وأَسقَطَها مَقلُوبةً إلى الأرضِ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ طُبِخَ بِالنَّارِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِقِطْعٍ﴾) الباء للمصاحبة، والمعنى: نصف الليل.

قوله: (﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ﴾) خطابٌ له ولِبنتَيه.

قوله: (بالرفع بدل من ﴿أَحَدٌ﴾) أي: والمعنى: ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتُك فإنها تَلتفت.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (فقيل: لم يخرج بها) راجع لقراءة النصب.

قوله: (وقيل: خرجت والتفت) راجع لقراءة الرفع.

قوله: (بأن رفعها جبريل إلى السماء) أي: بأن أدخل جناحَيه تحتها، وهي خمس مَدائن، أكبرها سدوم، وهي: المؤتفكات المذكورة في سورة (براءة)، ويقال: كان فيها أربعة آلاف ألف، فرفع جبريل المدن كلَّها حتى سمع أهلُ السماء صياحَ الدِّيَكة ونباح الكلاب، ولم ينكب لهم إناء، ولم يَنتبه لهم نائم، ثم قلبها.

قوله: (﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾) أي: على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل:

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع «امرأتك»، والباقون بنَصبها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٦٥).

مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ....

﴿مَّنضُودٍ﴾: مُتتابع.

﴿٨٣﴾ ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمةٍ علَيها اسمُ مَن يُرمَى بِها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ - ظَرف لَها - ﴿وَمَا هِىَ﴾: الحِجارةُ أو بِلادُهُم ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿بِبَعِيدٍ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ، ....

حاشية الصاوي

على القرى بعد قلبها؛ فمن جملة ما وقع: أنَّ رجلاً منهم كان في الحرم، فجاءه حَجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر ذلك الرجل حتى خرَج من الحرم، فسقط عليه، فقَتله[1].

قوله: (متتابع) أي: في النزول.

قوله: (عليها اسم من يُرْمَى بها) أي: مكتوبٌ على كلِّ حجر اسم صاحبه الذي يُرْمَى به.

قوله: (الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران في مرجع الضمير؛ قيل: يَعود على الحجارة؛ لأنها أقرب مذكور، وقيل: يعود على القُرى المهلكة، وعلى الأول: فهو وعيدٌ عظيمٌ لكلِّ ظالمٍ من هذه الأمَّة؛ ففي الحديث: (سأل رسول الله ﷺ جبريل عن المراد بـ«الظالمين»، قال له جبريل: يعني ظالمي أمَّتك؛ ما من ظالمٍ منهم إلا وهو بعَرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة)[2].

قوله: (﴿بِبَعِيدٍ﴾) أي: بمكان بعيد، بل بمكان قريب يمرُّون عليها في أسفارهم.

قوله: (﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾) معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطف قِصة على قصة. و(مَدين): اسم قبيلة، سمِّيت باسم جدِّها مدين بن إبراهيم، ويسمَّى: خطيب الأنبياء؛ لِحُسن مراجعته قومه.

قوله: (﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾) أي: في النسب لا الدين؛ لأنه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم.

قوله: (﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أمرهم بالتوحيد أولاً؛ لأنه أهمُّ الأشياء وأصلها، وغيره فرع؛ فإذا صلح الأصل.. صلَح الفرع.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٣٢٦)، وانظر «الدر المنثور» (٤/ ٤٦٤).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه من غير سندٍ، وانظر «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٧٢٠).

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ....

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: نِعمَةٍ تُغنيكُم عن التَّطفِيف، ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لَم تُؤمِنُوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بِكُم يُهلِككُم، ووَصفُ اليوم بِه مَجاز لِوُقُوعِه فِيه.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: أَتِمُّوهُما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تُنقِصُوهُم مِن حَقِّهِم شَيئاً، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بِالقَتلِ وغَيره، مِن عَثِيَ بِكَسرِ المُثَلَّثة: أفسَدَ، و﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مُؤَكِّدة لِمَعنَى عامِلِها ﴿تَعْثَوْا۟﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾) (نقص): يتعدى لمفعولين؛ فالمفعولُ الأول قوله: ﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، والمفعول الثاني محذوفٌ، تقديره: شيئاً، والمعنى: لا تَنقصوهما شيئاً أصلاً؛ لا عند الأخذ، ولا عند الدفع، فنَقصهما عند الدفع ظاهرٌ، ونقصهما عند الأخذ؛ بأن يزيدَ على حقِّه في المبيع، وهو في الحقيقة نقصٌ من الثَّمن، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾) أي: فاقتَنِعوا بما أعطاكم الله، ولا تُطففوا الكيل ولا الميزان.

قوله: (ووَصْفُ اليوم به) أي: بقوله: ﴿مُّحِيطٍ﴾.

قوله: (مجازٌ) أي: عقليٌّ في الإسناد للزمان.

قوله: (﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾) كرَّر ذلك ثلاث مرات: أوَّلها قوله: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، وثانيها: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، وثالثها قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾؛ تأكيداً لكونهم مصرِّين على ذلك العمل القَبيح، منهمِكين فيه.

قوله: (﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾) أي: أموالهم، ودخل في ذلك مَنْ يَسومُ السِّلع وينقص قيمتها وهو مشهورٌ تَقتدي به الناس، فالواجب إعطاء كلِّ سلعة قيمتها، وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وحينئذٍ: فهو عطف عام على خاص.

قوله: (﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾) هذا أعمُّ مما قبله، والمعنى: لا تكونوا من المفسدين في الأرض بالمعاصي، بل كونوا مُصلِحين لدينكم ودنياكم.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ٨٦ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾ ....

٨٦ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: رِزقُه الباقِي لَكُم بَعد إيفاء الكَيل والوَزنِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِن البَخس، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: رَقِيب أُجازِيكُم بِأعمالِكُم، إنَّما بُعِثتُ نَذِيراً.

٨٧ ﴿قَالُوا۟﴾ لَهُ استِهزاءً: ﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بِتَكلِيفِ ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِن الأصنام، ﴿أَوْ﴾ نَترُكَ ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾؟ المَعنَى: هذا أمرٌ باطِلٌ لا يَدعُو إلَيه داعٍ بِخَيرٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾) يُرسم بالتاء المجرورة، وعند الوقف عليها لِلاضطرار؛ يجوز بالتاء المجرورة والمربوطة، وليس في القرآن غيرها.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: لوجود البركة فيه.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) أي: مصدِّقين بما أمرتُكم به ونهيتكم عنه، وهو شرطٌ حذف جوابُهُ؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فارضَوا بما قسم الله لكم من الحلال.

قوله: (﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾) أي: حافِظ لكم من القبائح، ولا حافظ عليكم النِّعمَ، إنما أنا مبلِّغٌ لكم الأحكام.

قوله: (﴿يَـٰشُعَيْبُ﴾) خاطبُوه باسمه من غير اقترانٍ بالتعظيم؛ لقَباحتهم وسوءِ فعلِهِم.

قوله: (﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾) أي: وكان كثير الصلاة، وقيل: المراد بها: الدِّين، وخصَّت بالذكر؛ لأنها أعظمُ الشَّعائر.

قوله: (بتكليف) قدَّره؛ دفعاً لما يُقال: إن الترك مِن وصفهم وفعلهم، لا فِعل شعيب، والإنسان يؤمر بفعل نفسه لا فعلِ غيره.

قوله: (من الأصنام) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾) قدَّر المفسِّر (نترك)؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾.

إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ ....

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قالُوا ذلك استِهزاءً.

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: حَلالاً أفَأَشُوبُه بِالحَرامِ مِن البَخس والتَّطفِيف؟ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهَب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتَكِبَه، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ لَكُم بِالعَدلِ ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾: قُدرَتِي على ذلك وغَيرِه مِن الطّاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجِعُ.

﴿٨٩﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يُكسِبَنَّكُم ﴿شِقَاقِىٓ﴾: خِلافي، فاعِل (يَجرِم)، والضَّمِير مَفعُول أوَّل، والثّانِي: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ مِن العَذاب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (قالوا ذلك استهزاءً) أي: أو أرادُوا: السفيه الغاوي؛ من باب: تَسمية الأضداد، والمراد: الحليم الرشيد في زَعمك.

قوله: (﴿أَرَءَيْتُمْ﴾) أي: أخبروني، قوله: (﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾) أي: نُبوَّة وصدق.

قوله: (أفأَشُوبه) أي: أخلطه، قوله: (مِن البَخس والتَّطفِيف) بيان لـ(الحرام).

قوله: (﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾) أي: فأنا آمُركم بما آمر به نفسي، وليس قَصدي أن أنهاكم عن شيء وأفعَله.

قوله: (﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾) أي: مُدَّة استطاعتي، قوله: (﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾) أي: وما كوني موفَّقاً، قوله: (﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾) أي: فوَّضتُ أموري إليه.

قوله: (يُكسِبَنَّكُم) أي: فهو متعدٍّ لمفعولين: الأول: الضمير، والثاني: (أنْ) وما دخلت عليه، والمعنى: لا يكن شقاقي مكسباً لكم إصابة مثل ما ذكر، فلا تَستمرُّوا على مخالفتي حتى يُصيبكم بسبب تلك المخالَفة مثل ما أصاب... إلخ.

وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ ....

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي: مَنازِلُهم أو زَمَنُ هَلاكِهِم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فاعتَبِرُوا.

﴿٩٠﴾ ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾ بِالمُؤمِنِين، ﴿وَدُودٌ﴾: مُحِبٌّ لَهُم.

﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ إيذاناً بِقِلَّةِ المُبالاةِ: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾: نَفهَم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: ذَليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عَشِيرَتك ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ بِالحِجارَةِ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: كَرِيم عن الرَّجم، وإنَّما رَهطك هُم الأعِزَّة.

﴿٩٢﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتَترُكُون قَتلِي لِأجلِهِم ولا تَحفَظُونِي لِلَّهِ؟ ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: منازلهم) أي: لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط، وبِلادهم قريبة من بلادهم، وقوله: (أو زمن هلاكهم) أي: فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريباً من قوم شعيب.

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾) أي: اطلبُوا منه المغفرة لِذنوبكم.

قوله: (﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾) أي: ارجعُوا إليه بفعل الطاعات.

قوله: (﴿وَدُودٌ﴾) صِيغة مبالغة إما بمعنى (فاعل) أي: محبٌّ لهم كما قال المفسِّر، أو بمعنى (مفعول) أي: أنَّ عباده يُحبُّونه، ويمتثلون أوامره، ويَجتنبون نَواهيه.

قوله: (﴿ضَعِيفًا﴾) أي: لا قوّة لك.

قوله: (﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾) أي: رَمَيناك بالحجارة، وقيل: المعنى: لَشتمناك وأغلَظنا عليك القول.

قوله: (هم الأعزة) أي: لموافقتهم لهم في الدين.

قوله: (﴿ظِهْرِيًّا﴾) منسوب للظَّهر، والكسر من تَغييرات النسب، والقياس: فتح الظاء، والهاء: مفعول أول، و﴿ظِهْرِيًّا﴾: مفعول ثان لـ(اتَّخذوا)، و﴿وَرَآءَكُمْ﴾: ظرف له.

إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا ....

مَنبُوذاً خَلف ظُهُورِكُم لا تُراقِبُونَهُ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عِلماً فيُجازِيكُم.

﴿٩٣﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالَتِكُم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالَتِي، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ - مَوصُولَة مَفعُول العِلم - ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: انتَظِرُوا عاقِبَةَ أمرِكُم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: مُنتَظِرٌ.

﴿٩٤﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإهلاكِهِم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاحَ بِهِم جِبرِيل ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِينَ على الرُّكَب مَيِّتِين.

﴿٩٥﴾ ﴿كَأَن﴾ - مُخفَّفة - أي: كأَنَّهُم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَآ أَلَا بُعْدًا ....

حاشية الصاوي

قوله: (منبوذاً خلف ظهوركم) أي: جعَلتموه نسياً منسيًّا.

قوله: (﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾) هذا وعيدٌ عظيمٌ، وتهديدٌ لهم.

قوله: (﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾) استئنافٌ بيانيٌّ، كأنَّ قائلاً قال: فماذا يكونُ بعد ذلك؟

قوله: (موصولة) أي: بمعنى (الذي).

قوله: (﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾) معطوف على قوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾، والمعنى: سوف تَعلمون الذي يأتيه عذاب يُخزيه، وتعلمون الكاذب.

قوله: (صاح بهم جبريل) أي: فخرجت أرواحهم جميعاً، وهذا في أهل قَريته، وأما أصحاب الأيكة.. فأُهلكوا بعذاب الظُّلَّة، وهي سحابة فيها ريح طَيبة باردة، فأظلَّتهم حتى اجتمعوا جميعاً، فألهبها الله عليهم ناراً، ورَجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا وصاروا رماداً.

قوله: (﴿أَلَا بُعْدًا﴾) أي: هلاكاً.

لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ....

﴿لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

(﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بُرهانٍ بَيِّنٍ ظاهِرٍ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: سَدِيد.

﴿٩٨﴾ ﴿يَقْدُمُ﴾: يَتَقَدَّم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيَتْبَعُونَهُ كما اتَّبَعُوهُ في الدُّنيا، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: أدخَلَهُم ﴿ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾) أي: كما هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إنَّ هلاك كلٍّ بالصيحة.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾) هذه هي القِصة السابعة.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾) أي: التسع، تقدَّم منها ثمانية في (الأعراف)، والتاسعة في (يونس)، وتقدَّم الكلام عليها[1].

قوله: (﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾) قيل: المراد به: العصا، وخُصَّت بالذكر؛ لِكونها أكبرَ الآيات وأعظمَها، وقيل: المراد به: المعجزات الباهِرة، والحجج الظاهرة، وسمِّيت الحجة سلطاناً؛ لأنَّ بها قهرَ الخصمِ؛ كما أنَّ السلطان به قهرُ غيرِهِ، فيكون عَطفَ عام.

قوله: (﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾) أي: جماعته وأتباعِه.

قوله: (﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾) أي: ما هو عليه من الكفر بتِلك الآيات العظيمة.

قوله: (سديدٍ) أي: صائبٍ محمودِ العاقبة، بل لا يَدعو إلى خير.

قوله: (﴿يَقْدُمُ﴾) مضارع (قَدَمَ) كـ: نصر، ومصدره: (قُدْم) كـ: قُفْل، و(قُدُوم)؛ بمعنى: يتقدَّم[2].

قوله: (كما اتَّبعوه في الدنيا) أي: في دخول البحر والكُفر والضلال.

قوله: (﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾) الوُرود في الأصل: يقال لِلمرور على الماء للاستقاء منه، فشبَّه النار

(١) انظر (٢/٥٧٨).

(٢) كذا في «المختار»، مادة: (ق د م).

وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ....

هي.

﴿٩٩﴾ ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدُّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لَعنةً، ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾: العَونُ ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ رِفدُهم.

﴿١٠٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مُبتدأ خَبَرُه: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ، ﴿مِنْهَا﴾ أي: القُرَى ﴿قَآئِمٌ﴾ هَلَكَ أهلُه دُونَه، ﴿وَ﴾ مِنها ﴿حَصِيدٌ﴾ هَلَكَ بِأهلِه فلا أثَرَ لَه، كالزَّرعِ المَحصُود بِالمَناجِل.

حاشية الصاوي

بماء يُورَد، وطوى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيءٍ من لوازمه وهو الوُرود، فإثباته تخييل، وشبَّه فرعون في تقدُّمه على قومه إلى النار بمن يتقدَّم على الوارِدِين إلى الماء لِيكسر العطش؛ على سبيل التهكم.

قوله: (هي) قدَّره؛ إشارةً إلى أن المخصوص بالذمِّ محذوفٌ.

قوله: (﴿لَعْنَةً﴾) أي: طرداً وبعداً عن الرحمة.

قوله: (﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾) هذا وقفٌ تامٌّ، وقدَّر المفسِّر (لعنة)؛ إشارةً إلى أنَّ فيه الحذفَ من الآخِرِ؛ لدلالة الأول عليه.

قوله: (﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾) المراد بالرفد: اللَّعنة الأولى، وقوله: (﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾) أي: المُعان باللَّعنة الثانية، والمعنى: أن اللعنة الأُولى أُرفدت بلعنة أخرى تُقويها وتعاونها، وتسميتُهَا: رفداً.. تهكُّمٌ.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما تقدَّم في هذه السورة من القَصص.

قوله: (﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾) أي: أخبار أهل القرى، وهُم: الأُمم الماضية.

قوله: (﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾) أي: لِتُخبر به قومك؛ ليعتبروا.

قوله: (﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾) أي: أثرٌ قائمٌ موجودٌ.

قوله: (﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله) أي: مُحِيَ فلم يبقَ له أثرٌ، وفيه: تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذي بعضُهُ قائمٌ على ساقه، وبعضُهُ قد حُصد وذهب أثره.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ....

﴿١٠١﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بِإهلاكِهِم بِغَيرِ ذَنب، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِالشِّرك، ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾: دَفَعَت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ﴿مِن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عَذابُه، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بِعِبادَتِهم لَها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: تَخسِير.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مِثلُ ذلك الأخذِ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أُرِيد أهلُها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بِالذُّنُوبِ، أي: فلا يُغنِي عَنهُم مِن أخذِه شَيءٌ، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، رَوى الشَّيخانِ عن أبي مُوسى الأشعَرِيِّ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله لَيُملِي لِلظَّالِمِ، حتَّى إذا أخَذَهُ لَم يُفلِتهُ**»، ثُمَّ قَرأ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ الآيَة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّمَّا جَآءَ﴾) أي: حين جاء.

قوله: (﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾) الضمير المرفوع للأصنام، والمنصوب لِعابديها، وعبَّر عنها بواو العقلاء؛ لِتنزيلهم منزلتهم.

قوله: (﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾) التَّباب: الخُسران، يقال: تبَّبته، وتبَّت يده؛ بمعنى: خَسرت.

قوله: (﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾) أي: غيرُ مَرجُوِّ الخلاصُ منه.

قوله: (إن الله ليملي للظالم) أي: يُمِدُّه بطول العمر، وسَعة الرزق، وبقوَّة الكلمة.

قوله: (ثم قرأ... إلخ) أي: فيؤخذ من ذلك: أنَّ من قَدم[1] على ظلم.. يجب عليه أن يتوب ويرجع عمَّا هو عليه، ويردَّ المظالم لأهلها؛ لئلَّا يقع في هذا الوعيد العظيم؛ فإنَّ هذه الآية ليست مخصوصةً بالأمم الماضية، بل هي عامَّةٌ في كلِّ ظالم غيرَ أنَّ هذه الأُمَّة المحمدية لا يَنزل بها عذابٌ على سبيل الاستئصال؛ إكراماً لِنبيِّها ﷺ.

---

(١) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» (٢/ ٤٤١): (أقدم)، ولعلها أولى مُراعاة للمعنى.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ....

﴿١٠٣﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ مِن القَصَص ﴿لَآيَةً﴾: لَعِبرةً ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ﴾ أي: يَومُ القِيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾: فِيه ﴿النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: يَشهَدُه جَميعُ الخَلائِق.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: لِوَقتٍ مَعلُوم عِند الله.

﴿١٠٥﴾ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذَلك اليَوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ ـ فِيه حَذفُ إحدَى التَّاءَينِ ـ ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تَعالى، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخَلقِ ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ مِنهُم ﴿سَعِيدٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من القصص) أي: السبعة.

قوله: (﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾) أي: لأنه إذا تأمَّل ما حَصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب.. كان ذلك باعثاً له على الخوف من ذلك اليَوم.

قوله: (فيه) أشار بذلك إلى أنَّ اللام بمعنى (في)، والمعنى: أن يوم القيامة تُجمع فيه الخلائق من الإنس والجنِّ وغيرهم.

قوله: (يشهده) أي: يَحضره.

قوله: (﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾) أي: ذلك اليوم، وهو يومُ القيامة.

قوله: (لوقت معلوم) أي: وهو مدَّة الدنيا.

قوله: (﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم) إن قلتَ: إنَّ اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم، وإلَّا.. لزم تَعيين الشيء بنفسه، وأجيب: بأنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: هَولُهُ وعذابه، أو المعنى: حين يأتي ذلك اليوم... إلخ.

قوله: (﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾) أي: فجميعُ الخلائق يسكتون في ذلك اليوم، فلا يتكلَّم أحدٌ إلا بإذنِه.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ....

كُتِبَ كُلٌّ في الأزَل.

﴿١٠٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ في عِلمِه تَعالى ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: صَوتٌ شَدِيد، ﴿وَشَهِيقٌ﴾: صَوتٌ ضَعِيفٌ.

﴿١٠٧﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مُدَّةَ دَوامِهِما في الدُّنيا، ﴿إِلَّا﴾: غَير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ مِن الزِّيادة على مُدَّتهما مِمَّا لا مُنتَهَى لَهُ، والمَعنَى: خالِدِينَ فِيها أبداً،

حاشية الصاوي

إن قلتَ: كيف يُجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، وقولِه تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟!

أجيب: بأنَّ القيامةَ مواطنُ مختلفةٌ؛ ففي بَعضها لا يَقدرون على الكلام؛ لشدَّة الهول، وفي بعضها يَتحاجُّون ويجادلون، أو المراد: لا تكلَّم نفسٌ بما ينفع ويُنجي، بل قد يتكلَّم الكفار بكلامٍ لا نفعَ به، بل لإظهار بُطلان حُجَجهم.

قوله: (كُتِبَ من الأزل) أي: وظهَرت الخاتمة على طبق ما كتب.

قوله: (في علمه) أي: وهم مَنْ ماتوا كُفاراً وإن تقدَّم منهم إيمانٌ.

قوله: (﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾) الزَّفير في الأصل: ترديد النَّفَسِ في الصدر حتى تَتفتح منه الأضلاع، والشهيق: ردُّ النَّفَسِ إلى الصدر، وهذا التفسير الذي ذكَره المفسِّر لابن عباس، وقيل: الزفير: أوَّل صوت الحمار، والشَّهيق: آخِره، وقيل: الزفير: صوت الحمار، والشهيق: صَوت البغل، وقيل غير ذلك[١].

قوله: (أي: مدَّة دوامهما) أشار بذلك إلى أن (ما) مَصدرية ظرفية، و(دام) تامَّة؛ لأنها بمعنى: بقيت؛ أي: مِقدار دوامهما.

قوله: (في الدنيا) أي: فالمراد: سماوات الدنيا وأَرضها.

قوله: (غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾) أفاد أنَّ (إلا) بمعنى (غير)، والمعنى: أنهم يَخلدون في النار مقدار

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٠٣).

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا ....

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ - بِفَتحِ السِّين وضَمِّها - ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾: غَيرَ ....

حاشية الصاوي

مكث الدنيا غير الزيادة التي شاء الله، وما شاءه الله قد بُيِّن في آيات أُخر؛ منها قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، ومنها: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ومنها قوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾) دفع بذلك ما يتوهَّم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلَّف، فأجاب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ فلا تَخلف لمشيئة الله بخلود الكافر؛ لأنه متى أراد شيئاً.. حصل ولا بدَّ، وما قيل: إنَّ وَعيده قد يتخلَّف.. فالمراد: وعيد العاصي، لا وَعيد الكافر.

قوله: (﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾) هذا مُقابل قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾، وفي هذه الآية من المحسنات البديعيَّة: الجمع والتفريق والتقسيم؛ فالجمعُ في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾، والتقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟...﴾ إلخ، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟...﴾ إلخ.

قوله: (بفتح السين وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]؛ فالفتح من قولهم: سَعِد الرجل بمعنى: قامت به السعادة، والضمُّ من قولهم: سَعَده الله؛ أي: أسعده؛ فالأول: قاصر، والثاني متعدٍّ، والمعنى: إن الذين سَبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الإيمان وإن سَبق منهم الكفر في الدنيا؛ فهم في الجنَّة، والمراد بالسعادة: رِضا الله على العبد، وعلامة ذلك: أن يكون العبد محبًّا لربِّه، ساعياً في مَرضاته، دائمَ الإقبالِ على طاعته، راضياً بأحكامه.

قوله: (﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾) المراد بها: دار النَّعيم بجميع دُورها؛ فيشمل جنة الفردوس وغيرها.

قوله: (﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾) أي: مُدة دَوامهما في الدنيا، والمعنى: قدر مكث السماوات والأرض مِن أول الدنيا إلى آخرها.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص: (سعدوا) بضم السين، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٨٨).

مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ....

﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كما تَقدَّمَ ودلَّ عليه فِيهِم قَوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: مَقطُوع، وما تقدَّم مِن التَّأوِيل هو الذِي ظَهَرَ، وهو خالٍ مِن التَّكلُّف، والله أعلَمُ بِمُراده.

حاشية الصاوي

قوله: (كما تقدَّم) أي: فيقال: غير ما شاء ربُّك من الزيادة التي لا منتهى لها؛ فالمعنى: خالدين فيها أبداً، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ فالزيادة التي شاءها الله فسِّرت في آيات أُخَرَ بالخلود المؤبَّد.

قوله: (ودلَّ عليه) أي: على الخلود المؤبَّد، وقوله: (فيهم) أي: السعداء.

قوله: (﴿عَطَآءً﴾) مفعول مطلق لِفعل محذوف، وتقديره: أعطاهم ذلك، و(عطاء): اسم مصدر (أعطى)، والمصدر: إعطاء.

قوله: (مقطوعٍ) أي: ولا ممنوعٍ، بل هو عطاءٌ دائمٌ؛ لا يزول ولا يَحول.

قوله: (هو الذي ظهر) أي: من نحو عشرين وجهاً في تفسير تلك الآية؛ منها: أن المراد بـ(السماوات والأرض): سَقف الجنة والنار وأرضهما، ويحتمل الاستثناء في جانِب أهل الشقاوة على عُصاة الأمة؛ فيكون المعنى: خالدين فيها أبداً إلا عُصاةَ المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد؛ فل يخلدون أبداً، بل يخرجون بِشفاعة النبي ﷺ، والاستثناءُ حينئذ: إمَّا منقطعٌ؛ لعدم دخول هؤلاء في الأشقياء، أو متصلٌ بجَعل هؤلاء أشقياءَ باعتبارٍ، وسعداءَ باعتبارٍ آخر، وفي جانب أهل السعادة على عُصاة المؤمنين أيضاً، لكن باعتبار تعذيبهم أولاً؛ فيتأخرُون في الدخول مع السابقين؛ فتحصَّل: أن الاستثناء في كلٍّ محمول على العصاة، لكن في جانب أهل الشقاوة مُستثنَون من الخلود، وفي جانب أهل السعادة مستثنَون من المبدأ، كأنه قال: وأما الذين سعدوا.. ففي الجنة من أوَّل الأمر إلا ما شاء ربُّك من العصاة؛ فليسوا في الجَنة من أول الأمر، بل هم في النار يعذَّبون ثم يخرجون.

ومنها: أن المراد بـ(الذين شقوا): الكفار، وبـ(الذين سعدوا): المؤمنون، والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد يُنقلون من النار لغيرها كالزمهرير، وبعض المؤمنين قد يُنقلون من النعيم فيما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين إلى أعلى منه، وهو رُؤية وجه الله الكريم ومخاطبته.

ومنها: أنَّ الاستثناء راجعٌ لمدَّة تأخرهم عن دُخول الجنة والنار كمُدة الدنيا والبرزخ؛ لأنهم لم يدخلوهما حين خُلقوا سعداء وأشقياء، ومنها: غير ذلك.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ ....

﴿١٠٩﴾ ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ من الأصنام، إنَّا نُعذِّبهُم كما عَذَّبنا مَن قَبلهم، وهذا تَسلِيَة لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ أي: كعِبادتِهِم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عَذَّبناهُم، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مِثلَهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حَظَّهم مِن العَذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: تامًّا.

حاشية الصاوي

وما تقدَّم من أنَّ نعيم الجنان وعذاب النار دائم.. هو ما دلَّت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبويَّة؛ ووَراء ذلك أقوال يجب تأويلها، والأخذُ بظاهرها كفرٌ؛ فمنها: ما قيل: إن الجنة والنار يَنقضِيان؛ بدليل ظاهر هذه الآية.

ومنها: أنَّ أهل النار تنقلب عليهم النار نعيماً حتى لو صبَّ عليهم ماء الجنة.. يتأذَّون.

ومنها: أن النار تخربُ حتى لا يصير فيها أحدٌ.

ومنها: غير ذلك، وهذه الأقوالُ باطلةٌ، ونِسبتها لمحيي الدين بن العربي.. كذبٌ، وعلى فرض صحة نَقلها عنه يجب تأويلها[1].

قوله: (﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾) هذا شروعٌ في ذكر أحوال المخالِفين من هذه الأمَّة إثْرَ بيان المخالفين من غيرهم، وهذا الخطاب لِلنبي، والمرادُ غيره.

قوله: (من الأصنام) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾) أي: فليس لهم في ذلك إلا محضُ تقليدِ آبائهم.

قوله: (وقد عذَّبناهم) أي: آباءهم.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾) أي: هؤلاء.

قوله: (تامًّا) أشار بذلك إلى أن قَوله: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حالٌ من (نصيبَ) مبيِّنةٌ له.

---

(١) وهو ما ذهب إليه الإمام الشعراني في كتابه «اليَواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، فجعل فصلاً منه لبيان الدسِّ على الشيخ ابن العربي، وفصلاً في تأويل بعض كلمات نسبت للشيخ على تقدير ثبوتها عنه، جهل أكثر الناس معانيها.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا ....

﴿١١٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بِالتَّصدِيقِ والتَّكذِيب كالقُرآنِ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتَأخِيرِ الحِساب والجَزاء لِلخَلائِق إلى يَوم القِيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنيا فِيما اختَلَفُوا فِيه، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المُكَذِّبين بِه ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبَة.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِنَّ﴾ ـ بِالتَّشدِيد والتَّخفيفِ ـ ﴿كُلًّا﴾ أي: كُلَّ الخَلائِق ﴿لَمَّا﴾ ـ (ما) زائِدة، .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ؛ أي: فلا تحزَن على ما وقع لك؛ فإنه قد وقع لِغيرك.

قوله: (﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: لجُوزِيَ المحسنُ على إحسانه، والمسيءُ على إساءته في الدنيا.

قوله: (أي: المكذِّبين به) أي: بالقرآن.

قوله: (مُوقِعٍ في الرِّيبةِ) أي: لأنهم إذا نظرُوا لآبائهم وما كانوا عليه.. قالوا: لو كان ما هم عليه ضلالاً.. ما اجتَمعوا عليه، وإذا نظروا إلى النبي ومُعجزاته الظاهرة.. قالوا: إنه لحقٌّ، وما جاء به صدقٌ، فهم في شكٍّ، ولا شكَّ أنه كفرٌ، وكلُّ هذا ناشئٌ من الطبع على قُلوبهم، وإلَّا.. فالحقُّ ظاهرٌ لمن تدبَّره.

قوله: (﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾) أي: من الطائعين والعاصين، وأتى بالجملة الاسميَّة المؤكَّدة بـ(إنَّ) ولام القسم؛ زيادةً في تأكيد بُشرى المطيع، ووعيد العاصي.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: و(لَما) كذلك، فتكون القراءات أربعاً، وكلُّها سبعيَّةٌ[1].

قوله: (أي: كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عِوضٌ عن المضاف إليه.

قوله: (ما: زائدة) أي: والأصل: (لليوفِّيَنَّهم)، فاستثقل اجتماع اللَّامين، فوسِّطت بينهما (ما)؛ لدفع ذلك الثقل.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «وإن» بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وأما «لما».. فقرأها مُشدَّدة ابن عامر وعاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٩٧).

واللَّام مُوَطِّئة لِقَسَمٍ مُقَدَّر أو فارِقة، وفي قِراءة بِتَشدِيد ﴿لَمَّا﴾ بِمَعنَى (إلَّا)، فـ(إنْ) نافِية ـ

حاشية الصاوي

قوله: (واللَّام موطئة) أي: والأخرى للتأكيد.

قوله: (أو فارقة) أي: أتى بها فرقاً بين المهملة والنافية، وفيه: أن (إن) عاملة على كلِّ حال، فليست حِينئذ فارقة، فكان المناسب حذف قوله: (أو فارقة)، إلا أن يقال: إنها مُهملة، و(كلًّا) منصوب بفعل مقدَّر، وتقديره: وإن يرى كلًّا، وفيه: أنَّ هذا تكلُّفٌ، وما لا كُلفة فيه خيرٌ ممَّا فيه كلفةٌ، وما ذكره المفسِّر من الإعراب مَبنيٌّ على قراءة تشديد (إن)، وتخفيفها مع تخفيف (لما)، وتَوضيحه أن يقال: (إن): حرف توكيد ونصب، و(كلًّا): اسمها، واللام: موطئة لقسم محذوف، و(ما) زائدة، واللام الثانية: للتأكيد، و(يُوفينهم): فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء: مفعول، و(ربك): فاعل، وجملة القسم في محل رفع خبر (إن).

قوله: (بمعنى «إلا»، فـ«إن» نافية) هذا ظاهرٌ على قراءة تخفيف (إن)، وحينئذٍ: فيقال: (إن): نافية، و(كلًّا) منصوب بفعل مقدَّر، والتقدير: وإن يرى كلًّا إلا ليوفينَّهم. . . إلخ، ولم يَتكلم على تشديدهما، هذا حاصل تقدير المفسِّر، ولا يخفى عليك ما فيه من المناقشة والكُلفة، والإعراب السالم من ذلك كلِّه أن يقال: إنَّ القراءات السبعيَّة أربعٌ: تخفيفهما، وتشديدهما، وتخفيف (إن) فقط، وتخفيف (لما) فقط، مع نصب (كلًّا) في الجميع؛ فعلى الأولى: (إن): مخففة من الثقيلة، و(كلًّا): اسمها، واللام الأولى: لام الابتداء، و(ما): اسم موصول، واللام الثانية: موطئة لقسم محذوف، و(يوفينهم): جواب القسم، وجملة القسم وجوابِه صلة الموصول، والموصول وصلته خبر (إن).

وعلى الثانية: (إنَّ): عاملة، و(لما): أصله: (لمن ما) بدخول اللام على (مِن) الجارة، قلبت النون ميماً؛ لتوالي الأمثال، حُذفت إحدى الميمات، وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى، فـ(ما): اسم موصول، وجملة (ليوفينهم): قسميَّة صلة الموصول، وهو وصِلته خبر (إنَّ).

وعلى الثالثة: فـ(إن) المخففة: عاملة، وأصل (لما): (لمن ما) فعل بها ما تقدَّم.

وعلى الرابعة: (أنَّ) المشددة: عاملة، واللام: لام الابتداء، و(ما): اسم موصول، و(لَيُوفينهم): جملة قسميَّة صلة الموصول، وهو وصلته خبر (إنَّ).

فتحصَّل: أن (إن): عاملة، و(ما): اسم موصول في جميع الأوجه كلِّها، واللام الثانية: موطئة للقسم، والأولى: لام الابتداء، فتأمَّل، وما قرَّرناه زُبدة كلام طويل في هذا المقام؛ فليُحفَظ.

لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ....

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ أي: جَزاءَها، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالِم بِبَواطِنِه كظَواهِره.

﴿١١٢﴾ ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ على العَمَل بِأمرِ ربِّك والدُّعاءِ إليه، ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ لِيَستَقِم ﴿مَن تَابَ﴾: آمَنَ ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ﴾: تُجاوِزُوا حُدُودَ الله، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ تَمِيلُوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بِمَوَدَّةٍ أو مُداهَنةٍ أو رِضاً بِأعمالِهِم،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جزاءها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿فَٱسْتَقِمْ﴾) أي: دُمْ على الاستقامة التي أُمرتَ بها في خاصَّة نفسك؛ كقيام الليل، وتبليغ ما أمرتَ بتبليغه للخلق، وعدم فِرارك من قتال الكفار ولو اجتَمعت أهل الدنيا، وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصةِ به.

قوله: (﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾) قدَّر المفسِّر قوله: (ليستقم) جواباً عمَّا يقال: إنَّ قوله: ﴿مَن تَابَ﴾ معطوفٌ على الضمير المستتر في ﴿استقم﴾، فيَلزم عليه أنَّ فعل الأمر قد رفع الظاهر، فأجاب المفسِّر: بأنَّ ذلك من عطف الجمل، والمحذور إنما يَلزم لو كان من عطف المفردات، ويجاب أيضاً: بأنه يغتفر في التابع ما لا يُغتفَر في المتبوع.

قوله: (﴿وَلَا تَطْغَوْاْۚ﴾) خطابٌ للنبي والأُمة، ولكن المراد: الأمة؛ فإنَّ الطغيان مستحيلٌ على النبي ﷺ، وهذه الآية صعبةُ التكليف؛ ولِذلك قال رسول الله ﷺ: «شيَّبتني هود»[1].

قوله: (﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾) أي: بالكُفر والمعاصي.

قوله: (بمُوادَّة) مصدر (وادَد) كـ(قاتل) أي: محبَّة.

قوله: (أو مداهنة) أي: مُصانعة، والمداهنة: بذلُ الدين لإصلاح الدنيا.

قوله: (أو رضاً بأعمالهم) أي: وتَزيينها لهم، ولا عذر في الاحتجاج بضَرورات الدنيا؛ فإنَّ الله هو الرزاق ذو القُوة المتين.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ....

﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تُصِيبكُم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يَحفَظُونكُم مِنهُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تُمنَعُون مِن عَذابه.

﴿١١٤﴾ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الغَداةَ والعَشِيَّ، أي: الصُّبحَ والظُّهر والعَصر، ﴿وَزُلَفًا﴾: جَمع (زُلفَة) أي: طائِفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: المَغرِب والعِشاء، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصَّلواتِ الخَمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذُّنُوبَ الصَّغائِر، نَزَلَت فِيمَن قَبَّلَ أجنَبِيَّة فأخبَرَهُ ﷺ فقال: ألِي هذا؟ فقالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهم» رَواهُ الشَّيخانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾) أي: لأنَّ المرء يُحشر مع من أحبَّ.

قوله: (يحفظونكم منه) أي: من عذاب النار.

قوله: (﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾) منصوبٌ على الظرفية؛ لإضافته إلى الظرف.

قوله: (الغداة والعشي) تفسير لـ(الطرفين).

قوله: (أي: الصبح) راجع لـ(الغداة)، وقوله: (والظهر والعصر) راجع لـ(العَشي).

قوله: (﴿وَزُلَفًا﴾) بضم ففتح كـ: غُرَف، وقوله: (جمع: زُلفة) أي: كـ: غُرفة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾) أي: الواجبةَ والمندوبةَ.

قوله: (نزلت فيمن قبَّل أجنبية) أي: وهو أبو اليَسَرِ، قال: (أتتني امرأة تبتاع تمراً، فقلت لها: إنَّ في البيت تمراً أطيبَ من هذا، فدخلَت معي البيت، فقبَّلتها، فأتيتُ أبا بكر، فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك، وتُب، ولا تخبر أحداً، فأتيتُ عمر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك، وتُب، ولا تخبر أحداً، فلم أصبِر حتى أتيت رسول الله ﷺ، فذكرتُ ذلك له فقال: «أخُنْتَ رجلاً غازياً في سبيل الله في أهلِه بِمثل هذا؟!»، وأطرَق طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلى ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ، فقلت: ألي هذا خاصَّة أم للناس عامة؟ فقال: «بل لِلناس عامة»)[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤١٨)، وأصله في «الصحيحين»: رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٧١٠٤).

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٥ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عِظَةٌ لِلمُتَّعِظِين.

١١٥ ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا مُحمَّد على أذى قَومِك أو على الصَّلاة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِالصَّبرِ على الطَّاعة.

١١٦ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَمِ الماضِية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أصحابُ دِينٍ وفَضلٍ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المُرادُ به النَّفي أي: ما كان فِيهِم ذلك، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنَّ ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهوا فنَجَوا، و(مِن) لِلبَيانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من الأمرِ بالاستقامة وما بعده.

قوله: (﴿وَٱصْبِرْ﴾) أي: لا تنزعج من قومِك.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: بل يُعطيهم فوق ما يطلبون.

قوله: (﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾... إلخ) لما بيَّن سبحانه وتعالى ما حلَّ بالأمم الماضية من عذاب الاستئصال.. بيَّن هنا أنَّ السبب في ذلك أمران: الأوَّل: عدمُ وجود مَنْ ينهى عن الفساد، الثاني: عدم رجوعهم عمَّا هم عليه.

قوله: (فهلَّا) أفاد المفسِّر أن (لولا) تحضيضيَّة، والمراد بها: النفي.

قوله: (﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿ٱلْقُرُونِ﴾، و﴿أُوْلُواْ﴾ فاعل ﴿كَانَ﴾، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ حالٌ من فاعل ﴿كَانَ﴾.

قوله: (أصحاب دين وفضل) أي: وسمُّوا أولو بقيَّة؛ لأنَّ أهل البقاء بربِّهم لا يتحوَّلون عمَّا هم عليه من الدين والصلاح، فلهم البقاءُ والنَّجاةُ من الهلاك.

قوله: (المراد به) أي: بالتحضيض المستفاد من (لولا).

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) هذا استثناءٌ منقطعٌ؛ ولذا عبَّر المفسِّر بـ(لكن)، فالمستثنى منه: القُرون المهلكة بالعذاب؛ لِعدم نهيهم عن المنكر، والمستثنى: مَنْ أنجاه الله من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ۝١١٧ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨﴾

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالفسادِ وتركِ النَّهي ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ﴾: نُعِّموا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾.

﴿١١٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ منهُ لها ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾: مُؤمِنون.

﴿١١٨﴾ ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾: أهلَ دِينٍ واحِد، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ في الدِّين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾) أي: داموا على شهواتهم، ولم يتذكروا عذاب الله.

قوله: (نُعِّمُوا) أي: من النعيم الذي يغضب الله تعالى، فالمعنى: أنَّ سبَب هلاكهم: انشغالهم بالشهوات المغضبة لله، وعدم رُجوعهم عنها.

قوله: (﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: والحال أنهم فاعلون الجرائم، مصرُّون عليها.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾) هذا كالدليل لما قبله، والمعنى: ما صحَّ أن يُهلك القرى بظلمٍ منه لها والحال أنَّ أهلها مصلحون، وسمَّى الأخذَ من غير ذنب ظلماً؛ تكرُّماً منه، وإلَّا.. فحقيقة الظلم: التَّصرف في ملك الغير من غير إذنِه، ولا ملك لأحدٍ معه، وهو بهذا المعنى مستحيلٌ عقلاً على الله، وأمَّا أخذُه بغير ذنب.. فهو وإن كان جائزاً عقلاً فمستحيلٌ شرعاً؛ لأنه سمَّاه ظلماً؛ تفضُّلاً منه، ونزَّه نفسه سبحانه عنه كما ألزم نفسه بالرحمة؛ تفضُّلاً منه.

قوله: (منه لهم) ويصح أن يكون المعنى: بظلمٍ منهم، ويُراد بالظلم: الترك، والمعنى: أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شِركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم؛ لِفَرط مسامحته تعالى في حقوقه؛ ولذلك تُقَدَّمُ حقوقُ العباد على حقوق خالِقهم.

قوله: (﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾) أي: لكنه لم يشأ ذلك، فلم يَجعلهم أمة واحدة؛ فـ(لو): امتناعية، والمعنى: امتنع ذلك لِعدم مشيئة الله له.

قوله: (أهل دين واحد) أي: وهو دين الإسلام.

قوله: (﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾) أي: على أديان شتى، واستُفيد من هذا: أنَّ الاختلاف كما كان حاصلاً في الأمم الماضية لا يزال مستمرًّا في هذه الأمة؛ فمنهم الكافر والمؤمن، والطائع

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ....

﴿١١٩﴾ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أراد لَهُم الخَير فلا يَختَلِفُون فِيه، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختِلاف لَهُ وأهل الرَّحمَة لَها، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهيَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾: الجِنِّ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ نَصب بـ﴿نَّقُصُّ﴾، وتَنوينُه عِوَضٌ عن المُضاف إلَيه، أي: كُلَّ ما يَحتاج إلَيه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

والعاصي؛ ولذلك ورد في الحديث: «**افترقت اليهود على إحدَى وسبعين فرقة، وستفترقون ثلاثاً وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة**»[١]، والمراد بالفرقة الواحدة: أهلُ السنة والجماعة.

قوله: (فلا يختلفون فيه) بل هم على دين واحد لا يتفرَّقون، قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قوله: (﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾) اللام: للعاقبة والصيرورة، والمعنى: خلق أهل الاختلاف ليكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف، وخلق أهل الرحمة ليكون عاقبةُ أمرهم الرحمة.

قوله: (﴿وَتَمَّتْ﴾) أي: حقَّت ووجبَت.

قوله: (﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾) أي: حتى تقول: (قَط قط) بمعنى: يكفي يكفي؛ كما في الحديث، وذلك بعد أن تمدَّ أعناقها وتَطلب الزيادة، فيتجلَّى الله عليها بصفة الجلال، فتخضع وتذلّ وتقول: (قط قط)[٢].

قوله: (﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾) أي: الكفَّار منهم؛ لأنَّ الامتلاء على سَبيل الخلود لا يكون إلَّا من الكفار.

قوله: (نصبٌ بـ﴿نَّقُصُّ﴾) أي: على أنه مفعولٌ له[٣].

---

(١) رواه أبو داوود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٧٢٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: للفعل (نقصُّ)، وقد ذكر السمين في «الدر المصون» (٦/ ٤٢٧) أوجهاً أخرى للنصب، فانظُرها.

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ....

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾ - بَدَل مِن (كُلًّا) - ﴿نُثَبِّتُ﴾: نُطَمِّنُ ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: قَلبَك، ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ الأنباء أو الآياتِ ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لِانتِفاعِهم بِها في الإيمان، بِخِلافِ الكُفَّار.

﴿١٢١﴾ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالَتِكُم، ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على حالَتِنا، تَهدِيد لَهُم.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقِبَةَ أمرِكُم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾) أي: أخبارهم.

قوله: (﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾) أي: القصص والأخبار التي يَزداد فؤادك ثباتاً على أداء الرسالة، وتحمُّل أذى قومك، وعلماً بفضل أُمتك وشرفها؛ حيث انقاد منها خلقٌ كثيرٌ في مدَّة يسيرة، بخلاف الأمم الماضية.

قوله: (الأنباء) أي: الأخبار، وقوله: (أو الآيات) تفسير ثان، والمراد بـ(الآيات): آيات هذه السورة، وخصَّت بالذكر وإن كان جاءه الحقُّ في جميع السور؛ تَشريفاً لها؛ لكونها جمعت من قِصَص الأمم الماضية ما لم يكن في غيرها.

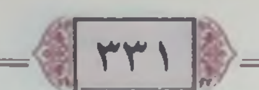
قوله: (﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾) أي: اتِّعاظٌ، وقوله: (﴿وَذِكْرَىٰ﴾) أي: تذكُّر وتدبُّر.

قوله: (حالتكم) أي: وهي الكفر.

قوله: (على حالتنا) أي: وهي الإيمان.

قوله: (تهديدٌ لهم) أي: تخويفٌ، وليس المراد: الأمر بِدَوامهم على الكفر، بل هو على حدِّ: إذا لم تستحِ.. فاصنع ما شئتَ.

قوله: (﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك) أي: عاقبةَ أمركم.



﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿١٢٣﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: عِلمُ ما غابَ فِيهِما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ - بِالبِناءِ لِلفاعِلِ: يَعُود، ولِلمَفعُولِ: يُرَدُّ - ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فيَنتَقِم مِمَّن عَصى، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: وَحِّدْه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِق بِه؛ فإنَّهُ كافِيك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإنَّما يُؤخِّرُهم لِوقتِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) قال كعب الأحبار: (خاتمة التوراة هي خاتمة «سورة هود»)[1].

قوله: (أي: علم ما غاب فيهما) أي: فلم يُكلِّفنا بمعرفته.

قوله: (للمفعول) فهما قراءتان سبعيَّتان، والمعنى واحد[2].

قوله: (﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾) أي: أمر الخلائق كلِّهم في الدنيا والآخرة؛ من خير وشرٍّ.

قوله: (فينتقم ممن عصى) أي: ويُثيب من أطاع.

قوله: (﴿فَٱعْبُدْهُ﴾) هذا مفرَّع على قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ؛ أي: فحيث كان هو العالم بما غاب في السماوات والأرض... إلخ، وإليه مرجع الأمور كلِّها.. فهو حقيقٌ بعبادته هو لا غيره، وحقيقٌ بالتَّوكل عليه، وتَفويض الأمور إليه.

قوله: (ثِقْ به) أي: اعتمد عليه، ولا تَلتفت لغيره؛ فإنه لا يضرُّ ولا ينفع، بل الضارُّ النافع المعطي المانع هو الله، وبهذا تعلم أنَّ التَّوكل: أمرٌ زائدٌ على التوحيد؛ فالتوحيد يَنفي الشرك، والتوكل ينفي الأوهام المعطِّلة عن مراتب الأخيار.

قوله: (﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) (ما): حجازية، و﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، و﴿بِغَٰفِلٍ﴾: خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره، مَنع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤١٠).

(٢) قرأ نافع وحفص بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل. انظر «السراج المنير» (٢/ ٨٧).

ـ وفي قِراءة بالفَوقانية ـ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[١].

قوله: (بالفوقانيَّة) أي: خطاباً للنبي والمؤمنين.

✿ ✿ ✿

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٨٧).

﴿الٓر تِلْكَ . . . .



مكيَّة، مائةٌ وإحدى عشرةَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓر﴾ الله أعلَم بِمُرادِهِ بذلك، ﴿تِلْكَ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

سُورَةُ يُوسُفَ (عليه السلام)

مناسبة هذه السورة لما قبلها: جمع قصص الأنبياء؛ فإنَّ ما قبلها ذُكِرَ فيها سبعُ قصص للأنبياء، وهذه من مَحاسن قصص الأنبياء، وأيضاً: ليتسلَّى النبي ﷺ بما وقع لِلأنبياء من أذى الأقارب والأباعد على ما وقع له من أذى قَومه الأقارب والأباعد.

وحكمة قصِّ القصص عليه: ليتأسَّى بهم، ويتخلَّق بأخلاقهم؛ فيكون جامعاً لكمالات الأنبياء.

وسببُ نزول هذه السورة: أنَّ اليهود سألت النبي ﷺ وقالوا: حدِّثنا عن أمر يعقوب ووَلده وشأن يوسف[١].

وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحِكم المُنيفة ما لا يدخل تحت حَصر؛ ولذا قال خالد بن معدان: سورة (يوسف) وسورة (مريم) تتفكَّه بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يَسمع سورةَ (يوسف) محزونٌ إلا استراح إليها[٢].

قوله: (مكيَّة) خبرٌ أول عن (سورة)، وقوله: (مئة... إلخ) خبرٌ ثانٍ.

قوله: (﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وأشير إليها بإشارة البعيد؛ إشارةً لبعد رتبتها عن كلام الحوادث، وعُلوِّ شأنها.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤١٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥١١).

ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ ....

هَذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ، والإضافةُ بِمَعنَى (مِن)، ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظهِرِ لِلحَقِّ مِن الباطِل.

﴿٢﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بِلُغةِ العرَب، ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهلَ مَكَّة ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تَفقَهُون مَعانِيَه.

﴿٣﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (هذه الآيات) أي: آيات هذه السورة.

قوله: (المظهر للحق) أي: فهو مأخوذ من (أبان) المتعدي، ويَصح أخذه من اللازم، ويكون المعنى: البيِّن حلاله وحرامُه.

قوله: (﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾) أي: نحن بعَظمتنا وجلالنا.

قوله: (﴿عَرَبِيًّا﴾) نعت لـ(القرآن)، والعربي: مَنسوب للعرب؛ لكونه نزل بلغتهم، والمعنى: أنَّ القرآن نزل بلغة العرب، فليس فيه شيءٌ غيرُ عربيٍّ.

إن قلتَ: إنه قد ورد فيه شيءٌ غير عربي كـ: (سِجيل)، و(مشكاة)، و(إستبرق)، وغير ذلك.

أجيب: أن هذا مما توافَقت فيه اللغات، أو المراد: أن تراكيبه وأساليبه عربيَّة، وإن ورد فيه غير عربي.. فهو على أسلُوب العرب، لا على أسلوب غيرهم. وإنما كان عربيًّا؛ لأنَّ تلك اللغة أفصَح اللغات، ولأنها لغة أهل الجنة في الجنة.

قوله: (﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾) علَّةٌ لكونه عربيًّا، والمعنى: لكي تفهموا مَعانيه، وتتأمَّلوا فيها؛ فتعلموا أنه من عند الله.

قوله: (﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾) صفة لمصدر محذوف، مفعول مطلق، والتقدير: قصصاً أحسن القصص، و(القصص) في اللغة: من: قصَّ الأثر: تتبَّعه، سمِّي الكلام الذي يُحكى عن الغير بذلك؛ لأنَّ المتكلم يقص الخبر شيئاً فشيئاً، والمعنى: نحن نبيِّن لك أخبار الأمم السابقة أحسَنَ البيان.

وقيل: المراد: خصوص قصة يوسف، وإنما كانت أحسنَ القصص؛ لما فيها من الحِكم والنكت، وسير الملوك والمماليك والعلماء، ومَكر النساء، والصبر على الأذى، والتجاوز عنه أحسنَ التجاوز، وغير ذلك من المحاسن.

إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ

بِإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾ - مُخفَّفة - أي: وإنَّه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

﴿٤﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يَعقُوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ - بِالكَسرِ دَلالةً على ياء الإضافة المَحذُوفةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإيحائنا) الباء سببيَّة، وأشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية، والجارُّ والمجرور: متعلق بـ(نقصُّ).

قوله: (﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾) اسم الإشارة: مفعول لـ﴿أَوْحَيْنَآ﴾، و﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان، أو نَعت.

قوله: (﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾) أي: لم تخطُر ببالك تلك القصة، ولم تَسمعها قط، بل كنت خاليَ الذهن منها، وهذا من مُعجزاته ﷺ؛ حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلَغ وجه؛ ولذا قال البوصيري[(١)]: [البسيط]

كَفَاكَ بِالعِلمِ فِي الأُمِّيِّ مُعجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأدِيبِ فِي اليُتُمِ

فأكبرُ دليلٍ على فضل الإنسان: غزارةُ علمِهِ، وسَعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم اللدنيَّة، والمعارف الربانيَّة.

قوله: (اذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن (إذ) ظرف لمحذوف، وقيل: معمول لقوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾، وهو الأَولى؛ لما فيه من عدم الحذف.

قوله: (﴿يُوسُفُ﴾) هو اسمٌ عبرانيٌّ ممنوع من الصرف، وعاش من العمر مئة وعشرين سنة، وعاش أبوه مئة وسبعاً وأربعين سنة، وعاش جدُّه إسحاق مئة وثمانين سنة، وعاش جدُّه إبراهيم مئة وخمساً وسبعين سنة.

قوله: (بالكسر) أي: وأصلها: (يا أبي) حذفت الياء، وعوض عنها تاء التأنيث، ونقلت كسرة

---

(١) كما في قصيدة البردة المشهورة.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ....

والفَتحِ دَلالةً على أَلِف مَحذُوفة قُلِبَت عن الياء ـ ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المَنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ ـ تَأكِيد ـ ....

حاشية الصاوي

ما قبلها لها، وفُتحت الياء لمناسبة تاء التأنيث، وتقول في إعرابها: (يا): حرف نداء، و(أبت): منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المعوَّض عنها تاء التأنيث.

قوله: (والفتح) أي: وأصلها: (أبِيَ) بكسر الباء وفتح الياء، ففتحت الباء، ثم تَحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، حذفت الألف، وعوِّض عنها تاء التأنيث، وفتحت؛ لِلدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختصٌّ بلفظَين: (أبت) و(أمت)، وهذان الوجهان زائدان على أوجُه المنادى المضاف لياء المتكلم، وهي خمسٌ جمعها ابن مالك في قوله[1]: [الرجز]

واجعَلْ منادًى صحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا … كعبْدِ عَبدِي عبْدَ عبْدَا عبْدِيَا

فيكون في (أبت) و(أمت) سبعة أوجُه، يجوز منها وجهان قراءة لا غير[2].

قوله: (﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾) هذه الرؤيا كانت ليلةَ الجمعة، ليلة القدر، وكان سنُّه إذ ذاك اثنتي عشرة سنة، وقيل: سبع سنين، وقيل: سبع عشرة سنة، وبين هذه الرؤيا واجتِماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: اثنان وعشرون، وقيل: ثمانية عشر، وسيأتي تحقيق ذلك. والمراد بالسجود: قيل: الخضوع والانحناء، وقيل: المراد: حقيقة السجود.

قوله: (﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾) أي: وهي جَريَّان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والصروخ، والفرع، ووثَّاب، وذو الكتفين؛ قد رأى الجميع نَزلنَ من السماء، وسَجدن له.

وجريان: بفتح الجيم وكسرِ الراء، وتشديد الياء التحتية، وقابس: بقاف ومُوحدة وسين مهملة، وعمودان: تثنية عَمود، والفليق: بفاء آخره قاف، والمصبَح: اسم مفعول، والفرع: بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة، ووثاب: بتشديد المثلثة، وذو الكتفين: تثنية كَتِف.

قوله: (تأكيد) أي: هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى، ويصح أن يكون قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ جواباً

---

(١) «الخلاصة»، باب (المنادى المضاف لياء المتكلم).

(٢) قرأ ابن عامر بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٣١).

لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ....

﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ جُمِعَ بِالياءِ والنُّون لِلوَصفِ بِالسُّجُودِ الذي هو مِن صِفات العُقَلاء.

﴿٥﴾ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾: يَحتالُوا في هَلاكِك حَسَداً لِعِلمِهم بِتأويلِها مِن أنَّهُم الكَواكِب والشَّمسَ أُمُّك والقَمَرَ أَبُوك، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهِرُ العَداوة.

حاشية الصاوي

لسؤال مقدَّر، نشأ من قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، كأنَّ قائلاً قال: وما كيفية رؤياك فيهم؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

قوله: (جمع بالياء والنون) أي: قوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾.

قوله: (﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾) إنما نهاه أبوه عن ذلك؛ لأنه فهم من رؤياه أنَّ الله يَصطفِيه لرسالته، ويَفوق إخوته، فخاف عليه حسَدهم، ويؤخذ من ذلك: أنَّ الإنسان إذا رأى خيراً في منامه.. فلا يخبر به إلا حبيباً أو لَبيباً غير حسود؛ لما قيل: (إن الرؤيا على رِجْلِ طائرٍ؛ متى قُصَّت.. وقعت)، بخلاف رؤيا المكروه فلا يَقصها؛ لما في الحديث: «**إذا رأى أحدكم ما يحب.. فلا يحدِّث بها إلا من يحبُّ، وإذا رأى ما يَكره.. فليتفُل عن يساره ثلاثاً، وليتعوَّذ بالله من الشيطان وشرِّها؛ فإنها لن تَضرَّه**»[1].

قوله: (والشمس أمُّك، والقمر أبوك) حكمة تأويل أمِّه بالشمس؛ لأنها يظهر منها الأقمار وهم الأنبياء، وأبِيه بالقمر؛ لأنَّ القمر يُهتدى به في الظُّلَم، فكذا الرسول يهتدى به في ظلمات الجهل والشرك، والإخوة بالكواكب؛ لأنَّ نورهم لا يَبلغ نور أبيهم؛ إمَّا لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل، أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء. وما مشى عليه المفسِّر من أن المراد بالشمس: أمُّه.. أحدُ قولين، وقيل: إنَّ أمَّه راحيل قد ماتت، والمراد بالشمس: خالته ليَا.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾) أي: فيُوقع الإنسان في المعاصي؛ لِفرط عداوته له. واعلَم أنَّ ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتي في القصة باقٍ على ظاهره، ولا تأويل فيه على القول

(١) رواه البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٥٩٦٥) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه.

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ....

﴿٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبيرِ الرُّؤيا، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنُّبوَّة، ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أولادِه، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنُّبوَّة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخَلقِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه بِهِم.

حاشية الصاوي

بعدم نبوَّتهم؛ لأنَّ الولي تَجوز عليه المعصية، ولكن لا يصرُّ عليها بل يتوب، وهؤلاء آلَ أمرهم لحسن التوبة، وأما على القول بنبوَّتهم.. فهو مشكلٌ غاية الإشكال؛ إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء؟!

فأجاب العلماء عن ذلك: بأنَّ هذا مبنيٌّ على أنَّ النبي معصوم بعد النبوَّة لا قبلها، أو كانوا لم يَبلغوا الحلم، وكلُّ هذا ليس بسديد، بل الحقُّ: أنَّ النبي معصومٌ ظاهراً وباطناً، قبل النبوَّة وبعدها، وإنما الجوابُ الذي يشفي الغليل ويُريح العليل أن يقال: إنَّ الله أطلعهم على أنَّ يوسف يُعطى النبوة والملك بمصر، ولا يتصور ذلك إلا بهذا الفعل، فهم مَأمورون به باطناً، مخالفون ظاهراً؛ إذ ليسوا مشرِّعين، فلا يكلَّفون إلا بخلوص بواطنهم مع ربِّهم، ونظير ذلك: قِصة الخضر مع موسى؛ حيث قال بعدما فعل ما فعل: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، فهم مأمورون بحكم الباطن، مُخالفون بحكم الظاهر، وقصة آدم في أكله من الشجرة، وتقدَّم ما يفيد ذلك في (البقرة) بأبلَغ وجه[١].

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾) أي: كما رفع مَنزلتك بهذه الرؤيا العظيمة.. يختارك ويَصطفيك ربك.

قوله: (تعبير الرؤيا) أي: تفسيرها.

قوله: (﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾) أي: يَصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة.

قوله: (﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾) لم يقل: (بالنبوة)؛ إشارةً للخلاف في نبوَّتهم.

قوله: (﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾) إما بدل من ﴿أَبَوَيْكَ﴾، أو عطف بيان عليه.

قوله: (﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه) أي: فيَصطفي من يشاء، وقوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: فيضع الأشياء في محلِّها.

---

(١) انظر (١/١٣٣-١٣٤).

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ....

﴿٧﴾ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي﴾ خَبَرِ ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ وهُم أحَدَ عَشَر ﴿ءَايَٰتٌ﴾: عِبَرٌ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خَبَرِهم.

﴿٨﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ أي: بَعضُ إخوَة يُوسُفَ لِبَعضِهِم: ﴿لَيُوسُفُ﴾ مُبتَدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾: شَقِيقُه بِنيامِين ﴿أَحَبُّ﴾ ـ خَبَرٌ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّقَدْ كَانَ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف، والتقدير: والله لقد كان... إلخ[١].

قوله: (وهم أحد عشر) أي: وهم يهودا، وروبيل، وشمعون، ولاوي، وزَبَالون[٢]، ويشجر، وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا، ثم بعد موتها تزوَّج أختها راحيل، وقيل: جمع بينهما، ولم يكن الجمع بين الأختين محرَّماً في شرعه، فوَلدت له بنيامين، ويوسف، وأما الأربعة الباقية: دان، ونفتالي، وجاد، وآشر. فمن سريَّتين: زلفة، وبلهة.

قوله: (﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾) أي: وغيرهم؛ ففيه اكتفاءٌ، وذلك: أنَّ اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف ـ وقيل: سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر ـ فذكر لهم تلك القصة، فوَجدوها مطابقة لما في التوراة، وحينئذٍ: فهي من دلائل نبوَّته ﷺ؛ حيث قصَّ عليهم تلك القصة بأبلغ وجه، مع كونه لم يَسبق له تعلُّم من أحد، ولا قرأ ولا كتب.

قوله: (﴿لَيُوسُفُ﴾) اللام: موطئة لقسم محذوف[٣].

قوله: (بنيامين) بكسر الباء وفتحها، وهو أصغَر من يوسف.

قوله: (﴿أَحَبُّ﴾ خبرٌ) أي: عن (يوسف وأخوه)، ولم تحصل المطابقة؛ لأنه اسم تفضيل مجرَّد، وهو يلزم التذكير والتوحيد، قال ابن مالك[٤]: [الرجز]

وإن لِمَنكورٍ يُضَفْ أو جُرِّدَا ... أُلْزِمَ تَذكيراً وأن يُوَحَّدَا

و(أحبُّ): مصوغ من: (حُبَّ) المبني للمجهول، وهو سماعي، ولو جاء على القياس.. لَتوصل إليه بـ(أشد)، قال ابن مالك[٥]: [الرجز]

---

(١) اللام واقعة في جواب قَسم مقدر؛ كما قدره المصنف رحمه الله.

(٢) في (ط٢): (ريالون).

(٣) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

(٤) «الخلاصة»، باب (أفعل التفضيل).

(٥) «الخلاصة»، باب (التعجب).

إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ....

﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جَماعةٌ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ﴾ خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ بإيثارِهما علينا.

﴿٩﴾ ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بِأرضٍ بَعِيدة، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بِأن يُقبِلَ عليكُم ولا يَلتَفِت لِغَيرِكُم، ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعدَ قَتل يُوسُفَ أو طَرحِه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ بِأن تَتُوبُوا.

حاشية الصاوي

وأَشْدِدْ اوْ أَشَدَّ أو شِبْهُهُما يخلُفُ ما بَعْضَ الشُّروطِ عَدِمَا

واعلم: أنَّ مادة الحب والبغض إذا بني (أفعل) التفضيل منها.. تعدَّى للفاعل بـ(إلى)، وللمفعول باللام، أو بـ(في)، والآية الكريمة من الأول؛ فإن الأب هو فاعل المحبة، وإذا قلتَ: زيد أحبُّ لي من عمرو، وأحبُّ فيَّ منه.. كان معناه: أنَّ زيداً يحبني أكثر من عمرو.

قوله: (﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾) الجملة حالية، و(العُصبة) قيل: من العشرة إلى الأربعين، وقيل: من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل غير ذلك.

قوله: (خطأ) أي: في أمر الدنيا وما يُصلحها؛ لأنَّا أشدُّ قوَّة، وأكبر سنًّا، وأكثر منفعة من يوسف، فلِمَ آثره علينا في المحبة؟ إنَّ هذا الخطأ بيِّن، وليس المراد: الخطأ في الدِّين؛ فإنَّ اعتقاده كفرٌ.

قوله: (بإيثارهما) أي: تقديمهما.

قوله: (﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾... إلخ) إنما قالوا ذلك؛ لأنَّ خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيده بين أحد أمرين: إما قتله، أو تغريبه بأرض بعيدة.

قوله: (أي: بأرض) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَرْضًا﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح نصبه على الظرفيَّة؛ لأنَّ المقصود: أيُّ أرض بَعيدة.

قوله: (﴿وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾) أي: قلبه، والمعنى: لا يكون لكم منازعٌ في محبَّته فيكم حينئذٍ.

قوله: (بأن تتوبوا) أي: تُصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾

(١٠) ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ هـو يَـهُـوذا: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ﴾: اطـرَحُـوه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾: مُظلِم البِئر، وفي قِراءة بِالجَمعِ، ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المُسافِرين، ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ما أرَدتُم مِن التَّفرِيق فاكتَفُوا بِذلك.

(١١) ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: لَقائِمُون بِمَصالِحِه.

(١٢) ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾ إلى الصَّحراءِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ قَآئِلٞ﴾) هذا رأيٌ ثالثٌ أرفَقُ بيوسف مما تقدَّم من الخصلتَين.

قوله: (هو يهودا) بدال مهملة، وأصله بالعبرانية: بالمعجمة، لكن لما استعملته العرب.. أهمَلته، وكان أكبرهم سنًّا، وأحسنهم رأياً، وقيل: القائل روبيل.

قوله: (﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾) الغيابة: الشيء المظلم، و(الجُبُّ): البئر التي لم تُطوَ، والمعنى: اطرَحوه في قعر البئر المظلم، وكان بأرض بيت المقدس، وقيل: بالأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.

قوله: (﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾) أي: لأنَّ هذا الجبَّ كان يَرِدُ عليه كثيرٌ من المسافرين.

قوله: (فاكتفوا بذلك) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: (﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا﴾) هذا مرتبٌ على محذوف، وذلك أنهم قالوا أوَّلاً ليوسف: اخرُج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا، فنَستبق ونصيد، وقالوا له: سَل أباك أن يرسلك معنا، فسأله، فتوقف يعقوب، فقالوا: ﴿مَا لَكَ...﴾ إلخ، والمعنى: أيُّ شيء ثبت لك في عدم أمنِنا؟

قوله: (﴿تَأۡمَ۬نَّا﴾) اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة، واتفقوا أيضاً على إدغامها مع الإشمام كما في «الخطيب»[١]، ومن الشواذ: ترك الإدغام كما في «أبي السعود»[٢].

قوله: (لقائمون بمصالحه) أي: لَعاطفون عليه، حافظون له.

قوله: (﴿غَدٗا﴾) منصوب على الظرفية، والغد: اليوم الذي بعد يومك.

---

(١) «السراج المنير» (٢/ ٩٣).

(٢) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (٤/ ٢٥٧).

يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ....

﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾ ـ بِالنُّون والياءِ فِيهما ـ: نَنشط ونَتَّسِع، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟﴾ أي: ذَهابُكُم ﴿بِهِۦ﴾ لِفِراقِه، ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ المُرادُ بِه الجِنسُ، وكانَت أرضُهم كَثِيرةَ الذِّئاب، ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: مَشغُولُون.

﴿١٤﴾ ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جَماعةٌ، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: عاجِزُون، فأَرسَلَهُ معَهم.

﴿١٥﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟﴾: عَزَمُوا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ ـ وجَواب (لَمَّا)

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون والياء فيهما) أي: في ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾، وهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والرَّتع: التمتع في أكل الفواكه ونحوها، واللعب: بالاستباق والانتضال تمريناً لقتال الأعداء، وهو غرضٌ صحيحٌ مباحٌ؛ لما فيه من تعلُّم المحاربة والإقدام على العَدو.

قوله: (﴿لَيَحْزُنُنِيٓ﴾) الحزن: ألم القلب بفراق المحبوب.

قوله: (﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾) بالهمز وتركه، قراءتان سبعيَّتان[2]، وسبب خوفه: أنه كان رأى في المنام أنَّ ذئباً تعرَّض ليوسف، فكان يخافُ عليه الذئب.

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾) هذا جوابٌ عن عُذره الثاني، وهو قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، وأما الأول وهو قوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ...﴾ إلخ.. فلم يُجيبوا عنه؛ لأنَّ غرضهم حصوله.

قوله: (﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (عاجزون) أي: فالخسران مجازٌ عن الضعف والعجز؛ لأنه يُشبهه.

قوله: (﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾) تقدَّم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة، لم تجفَّ فيها عين يعقوب.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيهما، والباقون بالياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٩٣).

(٢) قرأ السوسي والكسائي وورش بعدم الهمز، والباقون بالهمز. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٥٢).

وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ....

مَحذُوف ـ أي: فَعَلُوا ذلك، بِأن نَزَعُوا قَمِيصَه بَعد ضَربه وإهانَتِه وإرادةِ قَتلِه، وأَدلَوهُ، فلَمَّا وصَلَ إلى نِصف البِئر ألقَوْهُ لِيَمُوتَ، فسَقَطَ في الماء، ثُمَّ أوَى إلى صَخرةٍ فنادَوهُ فأجابَهُم يَظُنُّ رَحمَتَهم، فأَرادُوا رَضخَه بِصَخرةٍ فمَنَعَهُم يَهُوذَا، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجُبِّ وحيَ حَقِيقة ولَهُ سَبع عَشرَةَ سَنةً ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن نزعوا قميصه. . . إلخ) روي: أنهم لما بَرزوا به إلى الصحراء. . أخذوا يؤذونه ويَضربونه حتى كادوا يقتلونه، فصار يصيح ويستغيث، فقال يهودا: أما عاهَدتموني على ألَّا تقتلوه، فأتوا به إلى البئر، فدلَّوه فيها، فتعلَّق بشفيرها، ونزعوا قَميصه؛ ليلطخوه بالدم، ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه؛ ردُّوا عليَّ قميصي أتوارَى به، فقالوا له: ادْعُ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يُلبسوك ويؤنسوك[1].

وفي القصص: أنَّ إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرِّد عن ثِيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنَّة، فألبسه إياه، فدَفعه إبراهيم إلى إسحاق، ودفعه إسحاق إلى يعقوب، فجعله في عنق يوسف، فألبَسه الملك إياه حين أُلقي في الجب، فأضاء له الجبُّ[2]، وسيأتي أنه القميص الذي أرسَله مع البشير بأمر جبريل، وأخبره: أنه لا يُلْقَى على مبتلًى إلَّا عُوفي.

قوله: (ثم أوى إلى الصخرة) أي: جاء له بها الملك، فأجلسه عليها، قال الحسن: لما ألقي يوسف في الجبِّ. . عَذُب ماؤه؛ فكان يُغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى. . نهض ليَذهب، فقال: إنك إذا خرجت. . استَوحشتُ، فقال: إذا رهبت من شيء. . فقل: يا صريخ المستصرخِين، ويا غوثَ المستغيثين، ويا مفرِّج كرب المكروبين؛ قد ترى مكاني، وتَعلم حالي، ولا يخفى عليك شيءٌ من أمري؛ فلما قالها يوسف. . حفَّته الملائكة، واستأنس في الجبِّ، وفرَّج الله عنه بخروجه من ليلته ـ وقيل: إنه مكث في الجبِّ ثلاثة أيام ـ فكان إخوته يرعَون حوله، وكان يهودا يأتيه بالطعام[3].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١).
(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥١٦).
(٣) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤١٩).

لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ....

أو دُونها تطميناً لِقَلبِه، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعدَ اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بِصَنِيعِهِم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِك حالَ الإنباء.

﴿١٦﴾ ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: وقتَ المَساءِ ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نَرمِي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾: ثِيابِنا، ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بِمُصَدِّقٍ ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ عِندَك لاتَّهمتَنا في هذه القِصَّة؛ لِمَحبَّةِ يُوسُف، فكيفَ وأنتَ تُسِيء الظَّنَّ بِنا؟

﴿١٨﴾ ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ ـ مَحَلُّه نَصب على الظَّرفِيَّة ـ أي: فَوقَه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذِي كَذِب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو دونها) قيل: خمسة عشر، وقيل: اثني عشر، وقيل: سبعة.

قوله: (﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾) أي: كما سيأتي في قوله: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ...﴾ [يوسف: ٥٨] الآية.

قوله: (﴿عِشَآءً﴾) أي: ليكونوا في الظُّلمة؛ ليقبل اعتذارهم، فلما بلغوا منزل يعقوب.. جعلوا يَبكون ويصرخون، فسمع أصواتهم، ففزع من ذلك وسألهم، فأجابوه بما ذكر.

قوله: (﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾... إلخ) في هذا الكلام فتحُ باب اتِّهامٍ لهم كما لا يخفى.

قوله: (لاتَّهَمْتَنا... إلخ) قدَّره المفسِّر؛ إشارة إلى أن (لو) شرطيَّة، وجوابها محذوف، والأسهل من هذا جعل الواو حالية، و(لو) زائدة، والتقدير: وما أنتَ بمؤمن لنا والحال أنا كنَّا صادقين في نفس الأمر.

قوله: (محله: نصب) أي: فـ(على) ظرفٌ بمعنى (فوق).

قوله: (أي: ذي كذب) أشار بذلك إلى أنَّ وصف الدم بالكذب على حذفِ مضاف، ويصح أن يكون مبالغةً على حدِّ: زيدٌ عدلٌ.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ . . . .

بِأن ذَبَحُوا سَخلةً ولَطَّخُوهُ بِدَمِها، وذَهِلُوا عن شَقِّه وقالُوا: إنَّهُ دَمُه، ﴿قَالَ﴾ يَعقُوب لَمَّا رَآهُ صَحِيحاً وعَلِمَ كَذِبَهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففَعَلتُمُوه بِه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جَزَع فِيه، وهو خَبَر مُبتَدأ مَحذُوف أي: أمرِي، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: المَطلُوبُ مِنهُ العَونُ ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تَذكُرُون مِن أمرِ يُوسُف.

حاشية الصاوي

قوله: (سخلة) هي: الصغيرة من الغنَم.

قوله: (وذهلوا عن شَقِّهِ) أي: عن تمزيقه؛ لأنَّ العادة أنَّ الذئب إذا أكل الإنسان.. يشقُّ قميصه، وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لا تتمَّ لهم.

قوله: (لما رآه صحيحاً) روي: أنه قال: (ما أحلمَ هذا الذئب يأكل ابني، ولا يقدُّ قميصَه!)[1]، وقيل: إنهم أتَوه بذئب وقالوا: هذا أكله، فقال يعقوب: أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادِي؟! فأنطقه الله وقال: والله ما أكلتُ ولدك ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكلُ لحوم الأنبياء، فقال له يعقوب: فكيف وقَعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصِلة الرحم، فأخذوني وأتوا بي إليك، فأطلقه يعقوب[2].

قوله: (﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾) أي: سهَّلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فعَمِلتموه بيوسف، وهوَّنتموه في أعينكم.

قوله: (لا جزع فيه) فسَّر المفسِّر الصبر الجميل: بأنه الذي لا جزع فيه، والأولى: أن يفسِّره بما في الحديث: (بأنه الذي لا شكوى فيه لغير الله)[3]، وأما الهجر الجميل.. فهو الذي لا إيذاءَ معه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب بعده، وقد تحقَّق بجميعها كلٌّ من يوسف ويعقوب.

قوله: (المطلوب منه العون) أي: فالسين والتاء للطلب.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾) أي: على تحمُّل المكاره التي تذكرونها في أمر يوسف.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٢/ ٩٥).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٢٣)، وهو من الأخبار الإسرائيلية الغريبة.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٥٨٥).

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ ....

(١٩) ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مُسافِرُون مِن مَدينَ إلى مِصر، فنزَلُوا قَرِيباً مِن جُبِّ يُوسف، ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ الَّذِي يَرِدُ الماء لِيَستَقِيَ مِنهُ، ﴿فَأَدْلَىٰ﴾: أرسَلَ ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البِئر، فتَعَلَّقَ بِها يُوسُف فأخرَجَه، فلَمَّا رَآهُ ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ﴾ - وفي قِراءَة: (بُشرَى) - ونِداؤُها مَجاز، أي: احضُرِي فهذا وَقتُك، ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾) جمع سائر؛ أي: مسافرٍ، سمُّوا بذلك؛ لسيرهم في الأرض.

قوله: (من مدين إلى مصر) أي: فأخطؤوا الطريق ونزَلوا بأرض قفراء قريباً من الجبِّ.

قوله: (﴿فَأَرْسَلُوا۟﴾) ذكَّر باعتبار المعنى، ولو راعى اللفظ.. لقال: (فأرسلَت واردها).

قوله: (﴿وَارِدَهُمْ﴾) وهو مالك بن ذعر الخزاعي، وهو من أهل مَدين.

قوله: (﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾) يقال: أدلى بالهمز: إذا أرسل الدلو في البئر، ودلَّاه بالتضعيف: إذا نزَعه، والدلو: مؤنث، وقد يذكَّر.

قوله: (فأخرجه) أي: بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل، ولما أخرج.. صارت جُدران البئر تبكي عليه.

قوله: (﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ﴾) أي: منادى مضاف لياء المتكلم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (ونداؤها مجازٌ) أي: لتنزيلها مَنزلة العاقل.

قوله: (﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾) التنكير للتعظيم؛ لأنه كان عليه السلام حسنَ الوجهِ، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، خميص البطن، صغير السرة، وكان إذا ابتسم.. ظهَر النور من ضواحكه، وإذا تكلَّم.. ظهر من ثناياه، وبالجملة: لم يكن أحسَن منه إلا سيدنا محمداً ﷺ؛ فإنَّ يوسف أُعطِيَ شطرَ الحسن، ورسول الله أعطِيَ الحسن كاملاً، قال البوصيري[2]: [البسيط]

---

(١) قرأ حمزة وعاصم والكسائي بحذف الياء بعد الألف، والباقون بإثبات الياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٩٧).

(٢) كما في قصيدة البردة المشهورة.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ . . . .

فعَلِمَ بِه إخوَته فأتَوهُ، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: أخفَوا أمرَه جاعِلِيه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بِأن قالُوا: هذا عَبدُنا أبَقَ، وسَكَتَ يُوسُف خَوفاً أن يَقتُلُوه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

مُنَـزَّهٌ عـن شـريـكٍ فـي مَـحـاسِـنِـهِ ... فـجَـوهَـرُ الـحسنِ فـيـهِ غَـيـرُ مُـنـقَـسِـمِ

إن قلتَ: إذا كان كذلك.. فلِمَ لم تُفْتَنِ النساءُ بجمال محمد ﷺ كما افتتنَّ بجمال يوسف؟

أجيبَ: بأنَّ جمال محمد ﷺ قد ستره الله بالجلال؛ كالشمس لا يَستطيع أحدٌ أن يتأمَّل فيها إذا قرب منها؛ ولِذا لم تُرْوَ الشمائلُ الشريفةُ إلا عن صغار الصحابة كالحسن والحُسين وعبد الله بن عمر وغيرهم، لا عن كبارهم؛ لِقيام الجلال بقلوبهم، فيَمنعهم من وصفه، وأما جمال يوسف.. فهو ظاهرٌ لم يستتر بجلال كالبدر؛ فحينئذ: يتأمَّل فيه المتأمِّل، ويَصفه الواصف، غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه، ومِن هذا المعنى قول ابن الفارض[1]: [الكامل]

لـو أسـمَـعـوا يَـعـقُـوبَ ذِكْـرَ مَـلاحَـةٍ ... فـي وَجـهِـهِ نَـسِـيَ الـجـمـالَ الـيـوسُـفـي

قوله: (فعلم به إخوته) أي: حين نظروا إلى القافلة واجتماعها على البئر، فأتَوهم وقد ظنُّوا موت يوسف، فرأوه أخرج حيًّا، فضربوه وشتموه وقالوا: هذا عبد أبَقَ منَّا؛ فإن أردتم.. بِعناه لكم، ثم قالوا له بالعبرانية: لا تنكر العبودية نَقتلك، فأقرَّ بها، فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي.

قوله: (﴿وَأَسَرُّوهُ﴾) الضمير عائد على (السيارة) بمعنى: بعضهم، وهو مالك بن ذعر، والمعنى: أن البائع والمشتري أخفَوا أمره وجعلوه بضاعةً؛ أي: قالوا: إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء؛ لِنَبيعه لهم بمصر، وإنما قالوا ذلك؛ خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه، وقوله: (جاعليه) حال من فاعل (أسرُّوه)، وقوله: (﴿بِضَٰعَةً﴾) معمولٌ لتلك الحال، وهذا في الحقيقة، وأما بحسَب الظاهر.. فهو حالٌ من الواو في (أسرُّوه)، ومعنى قوله: ﴿بِضَٰعَةً﴾: أنه ملكٌ للغير، أعطوه له؛ ليبيعه لهم، ويصحُّ أن يعود الضمير على الإخوة، ويكون معنى البضاعة: الشيء المتموَّل الذي يُباع ويشرى، وعليه درج المفسِّر.

قوله: (﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾) أي: من العمل الذي ظاهره قبيحٌ، وباطنه حسنٌ؛ حيث ترتَّب عليه من الأسرار والفوائد العظيمة ما لا يَدخل تحت حصرٍ، وهذا تعليمٌ من الله لعباده التفويضَ والتسليمَ له في شأن إخوة يوسف، والمعنى: لا تَخُضْ أيُّها السامع في شأنهم بسوءٍ؛ فإنَّ الله عليمٌ بما يعملون.

---

(١) كما في «ديوانه» (ص١٥٤).

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ....

﴿٢٠﴾ ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه مِنهُم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: ناقِص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عِشرِينَ أو اثنَينِ وعِشرِينَ، ﴿وَكَانُوا۟﴾ أي: إخوَتُه ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾، فجاءَت بِه السَّيَّارةُ إلى مِصر، فباعَهُ الَّذِي اشتَراهُ بِعِشرِينَ دِيناراً وزَوجَي نَعل وثَوبَينِ.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العَزِيزُ ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زَلِيخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: مُقامَه عِندَنا، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (باعوه) أي: إخوته، وقوله: (منهم) أي: السيَّارة، والمعنى: باعه إخوته للسيارة؛ أي: بعضهم، وهو مالك بن ذعر الخزاعي.

قوله: (ناقص) أي: عن قيمته لو كان رقيقاً، وقيل: إنَّ البخس معناه: الحرام؛ لأنه ثمن حرٍّ، وهو حرام.

قوله: (﴿مَعْدُودَةٍ﴾) أشار بذلك إلى أنها قليلة؛ لأنهم كانوا لا يَزِنون ما قلَّ عن أربعين درهماً، ويأخذونها عدًّا، ويزنون ما بلغها وهو أوقيَّة.

قوله: (أي: إخوته) ويصح أن يعود الضمير على (السيارة)، وإنما زهدُوا فيه؛ لخوفهم منه حيث وُصِفَ لهم بالإباق.

قوله: (﴿ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾) أي: وهو مالك بن ذعر الخزاعي.

قوله: (بعشرين ديناراً... إلخ) وقيل: لما عرض للبيع.. ترافع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهباً، وقيل: فضة، وقيل: مسكاً، وقيل: حريراً، وكان وزنه أربع مئة رطل.

قوله: (وهو قطفير العزيز) أي: وكان وزيراً للريان ملك مصر، وقد آمن بيوسف، ومات في حياته، وقد اشترى العزيز يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعِلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مئة وعشرين سنة.

قوله: (زليخا) بفتح الزاي وكسر اللام والمدِّ، وبضمِّ الزاي وفتح اللام.

قوله: (﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾) أي: يَكفينا بعض أمورنا إذا قوي وبلغ، أو يربح إذا أردنا بيعه.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ....﴾

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ وكان حَصُوراً، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نَجَّيناهُ مِن القَتل والجُبِّ وعَطَّفنا علَيهِ قَلب العَزيز، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصر حتَّى بَلَغَ ما بَلَغَ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾: تَعبِير الرُّؤيا، عُطِفَ على مُقدَّر مُتعلِّق بـ﴿مَكَّنَّا﴾، أي: لِنُمَلِّكهُ، أو الواو زائِدة، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تَعالَى لا يُعجِزهُ شَيء، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلك.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثَلاثُون سَنةً أو ثَلاث، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حِكمةً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾) أي: نتبنّاه، و(أو): مانعة خلوٍّ تجوِّز الجمع، وهو المقصود لهما.

قوله: (وكان حصوراً) أي: لا يأتي النساء، أو عقيماً.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) إلى قوله: ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ معترضٌ بين وصيَّة العزيز وما وقع من زوجته.

قوله: (من القتل) أي: الذي عزم عليه إخوته، وقوله: (والجُبِّ) أي: الذي رمَوه فيه.

قوله: (وعطَّفنا عليه قلب العزيز) أي: خلقنا فيه الميل والمحبة؛ حيث دفع فيه المال الكثير، وأوصى زوجته عليه.

قوله: (﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾) أي: أعطيناه مكانةً ورتبةً عاليةً في الأرض.

قوله: (حتى بلغ ما بلغ) أي: من السَّلطنة والعزِّ.

قوله: (لنملِّكه) إما من: المِلك بكسر الميم؛ أي: نجعله مالكاً لما فيها، أو من: المُلك بضمِّها؛ أي: نجعله سلطاناً على أهلها.

قوله: (أو: الواو زائدة) أي: والمعنى: مكنَّا ليوسف في الأرض لِنعلمه... إلخ.

قوله: (لا يعجزه شيءٌ) أي: لأنه يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد؛ فلا رادَّ لما قضاه.

قوله: (﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾) جمع (شِدَّةٍ) كـ(نِعْمَة) و(أَنْعُم)، ولم يقل هنا: ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ كما قال في حقِّ موسى؛ لأنَّ موسى بلغ الأربعين، وهي سنُّ النبوَّة؛ فقد استوى وتهيَّأ لحمل أسرار النبوَّة، وأمَّا يوسف.. فلم يكن إذ ذاك بلغ هذا السنَّ.

قوله: (حكمةً) هي: العلم مع العمل.

وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ....

﴿وَعِلْمًا﴾: فِقهاً في الدِّين قبلَ أن يُبعَثَ نَبِيًّا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جَزَيناهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لِأنفُسِهِم.

﴿٢٣﴾ ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زُلَيخا ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: طَلَبَت مِنهُ أن يُواقِعَها، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ لِلبَيتِ، ﴿وَقَالَتْ﴾ لَهُ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ، واللَّامُ لِلتَّبيينِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعِلْمًا﴾) عطف عام.

قوله: (كما جزيناه) أي: بكلِّ خيرٍ.

قوله: (﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾) أي: فاعلين الإحسان، والمعنى: لا خصوصيَّة ليوسف بذلك، بل سنَّةُ الله في خلقه: أنَّ كلَّ محسنٍ له من الله الجزاءُ الحسَنُ.

قوله: (﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾) هذه الآية مرتبطةٌ بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ...﴾ إلخ، وما بينهما اعتراضٌ قُصِدَ به بيانُ عواقبِ صبرِ يوسفَ من السيَّادة والخير العظيم.

والمراودة: مفاعلةٌ، وهي في الأصل تكون من الجانبَين، ولكنَّها هنا من جانب واحد، ولما كان الجانب الآخر سبباً في حصول الفعل.. نزِّل منزلته فقيل فيه: مُفاعلة؛ وذلك أنَّ جمال يوسف سببٌ لميلها وطلبها له؛ فالمفاعلة ليست على بابها، نظير مداواة المريض؛ فإنَّ سبب المداواة: المرض القائم بالمريض.

قوله: (هي زليخا) أي: ولم يصرِّح باسمها استهجاناً له، وستراً، وتعليماً للأدب؛ كأن الله يقول: من الآداب ألَّا يذكر أحدٌ زوجته باسمها، بل يُكنِّي عنها، ولم يذكر القرآن اسمَ امرأةٍ إلا مريم، وتقدَّم الجواب عنه: أن النصارى زعمُوا أنها زوجة الله، فذكرها باسمها؛ ردًّا عليهم، كأنه يقول: إنَّ أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زَوجته بين الناس؛ فلو كانت زوجةً له كما تزعمون.. لكنَّى عنها كما يكنِّي الرجل عن زَوجته.

قوله: (أي: طلبت منه) أشار بذلك إلى أنَّ المراودة من جانبِها فقط.

قوله: (﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾) أي: وكانَت سبعة.

قوله: (﴿هَيْتَ لَكَ﴾) أي: بفتح الهاء والتاء؛ كـ: كَيْفَ.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا

وفي قِراءة بِكَسرِ الهاء، وأُخرَى بِضَمِّ التَّاء، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعُوذ بِالله مِن ذلك، ﴿إِنَّهُۥ﴾: أي: الَّذِي اشتَرانِي ﴿رَبِّىٓ﴾: سَيِّدِي، ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾: مُقامِي فلا أخُونُه في أهلِه، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الزُّناة.

﴿٢٤﴾ ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾: قَصَدَت مِنهُ الجِماعَ، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قَصَدَ ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءةٍ: بكسر الهاء) أي: مع فتح التاء؛ كـ: (قِيْلَ)، وقوله: (وأخرى بضمِّ التاء) أي: مع فتح الهاء؛ كـ: (حَيْثُ)، فهذه ثلاث قراءات، وبقي قراءتان وهما: (هِئْت) بكسر الهاء، وبالهمزة الساكنة، وفتح التاء أو ضمِّها، وكلُّها سبعيَّة[1].

قوله: (واللام للتبيين) أي: تبيينِ المفعول الذي هو المخاطب؛ كأنها تقول: الخطابُ لك؛ نظير: سقياً لك، ورعياً لك.

قوله: (﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾) منصوبٌ على أنه مصدر نائب من الفعل، والأصل: أعوذُ بالله معاذاً؛ كـ: سبحان الله؛ بمعنى: أسبِّح الله.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾) الهاء: اسم (إنَّ)، و﴿رَبِّىٓ﴾: خبرها، و﴿أَحۡسَنَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ، أو خبرٌ ثانٍ. وما درج عليه المفسِّر من أنَّ الضمير للحال والشأن، ومراده بربِّه: الذي اشتراه.. أحدُ تفسيرين، والآخر: أنَّ الضمير يعود على الله تعالى، وهو الأقربُ والأظهرُ[2].

قوله: (﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾) أي: تعهُّدي حيثُ أمركِ بإكرامي؛ فلا يَليق منِّي أن أخونه، وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيز بلطفٍ.

قوله: (قصدَتْ منه الجماع) أي: مع العزم والتَّصميم.

قوله: (قصد ذلك) أي: بمقتضى الطَّبع البشريِّ من غير رضاً ولا تصميمٍ؛ كميلِ الصائم للماء

---

(١) قرأ نافع وابن ذكوان: (هِيْتَ) بكسر الهاء، وياء ساكنة، وتاء مفتوحة، وقرأ ابن كثير: (هَيْتُ) بفتح الهاء، وياء ساكنة، وتاء مضمومة، وقرأ هشام: (هِئْتَ) بكسر الهاء، وهمزة ساكنة، وتاء مفتوحة أو مضمومة، وقرأ الباقون: (هَيْتَ) بفتح الهاء، وياء ساكنة، وتاء مفتوحة. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٦٣).

(٢) وقد أنكر جماعةٌ الأول، قال مجاهد والسدي وابن إسحاق: يبعد جدًّا أن يطلق نبيٌّ كريمٌ على مخلوق أنه ربُّه، ولا بمعنى السيِّد؛ لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٦٦).

لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ ....

﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال ابنُ عبَّاس: مُثِّلَ لَهُ يَعقُوبُ فضَرَبَ صَدرَه فخَرَجت شَهوَتُه مِن أنامِلِه، وجَواب (لَولا): لَجامَعَها، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناهُ البُرهان ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾:

حاشية الصاوي

البارد، ولكنه يمنعه دينُهُ عنه، وهذا لا يُؤاخذ به الإنسان، بل في مدافعته الثوابُ الجزيلُ، والأجرُ الجميلُ، فمخالفةُ النَّفس عن شهواتها مع وجودِ ميلِ الطَّبع.. أعلى وأجلُّ من تركها لعدم الميل لها؛ ولذا يباهي الله بالشاب التَّارك لشهواته الملائكةَ الكرامَ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قوله: (قال ابن عباس... إلخ) أي: وفي رواية: (أنه انفرج سَقف البيت، فرأى يعقوب عاضًا على أصبعه)، وفي رواية: (أنه نودي: يا يوسف؛ أتواقعها، إنما مثلك ما لم تُواقعها مثلُ الطير في جوِّ السماء لا يطاق عليه، وإنما مثلك إن واقعتَها مثل الطير إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفعَ عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إذا واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه، لا يَستطيع أن يدفع عن نفسه)[1]، وبالجملة: فقد كثرت عليه الواردات في هذا الشأن.

قوله: (وجواب «لولا»: «لجامعها») أي: فيكون المعنى: امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربِّه، وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب[2]، والمعنى: ولولا أن رأى برهان ربه.. لهمَّ بها؛ أي: امتنع همُّه لها؛ لرؤيته برهان ربِّه، فلم يقع منه همٌّ أصلاً، وحينئذ: فالوقف على قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، وهذا هو الأحسَن في هذا المقام؛ لخلوِّه من الكُلفة والشبهة.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه... إلخ) أشار بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها في محل نصب معمول لمحذوف، وقوله: ﴿لِنَصۡرِفَ﴾ متعلِّق بذلك المحذوف.

---

(١) انظر الروايتين في «تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٢)، وهذه الروايات من بدع التفاسير التي لا تَليق بمقام النبوة؛ كما بيَّن العلامة الغماري في كتابه «بدع التفاسير» (ص٧١).

(٢) لعل الأولى أن يقول: (دليل الجواب)؛ لأن (لولا) لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في حيِّزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وأما حذف بعضها إذا دلَّ عليه الدليل.. فهو جائز. انظر «الكشاف» (٢/ ٤٣٠).

﴿وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٥﴾ . . .

الخِيانةَ، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَۚ﴾: الزِّنى، ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ في الطَّاعة. - وفي قِراءة بِفَتح اللَّام أي: المُختارِينَ -.

﴿٢٥﴾ ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: بادَرَ إلَيهِ يُوسُف لِلفِرارِ، وهي لِلتَّشَبُّثِ بِه، فأمسَكَت ثَوبَه وجَذَبَتهُ إلَيها، ﴿وَقَدَّتْ﴾: شَقَّتْ ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾: وَجَدَا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زَوجَها ﴿لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾، فنَزَّهَت نَفسَها ثُمَّ ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾: زِناً ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾: يُحبَسَ، أي: سَجنٌ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم، بِأن يُضرَبَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ في الطاعة) أي: الذين لا يشركون في طاعتِه غيره.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (بفتح اللام) أي: اسم مفعول من (أخلَص) أي: اجتباه واختاره.

قوله: (﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾) حكمة إفراد الباب هنا، وجمعه فيما تقدَّم: أنها لم تتمكَّن من المراودة إلا بعد غَلق تلك الأبواب، وأمَّا فِراره وتسابقها.. فلم يكن إلَّا عند بابٍ من تلك الأبواب.

إن قلتَ: مقتضى قوَّة الرجولية: أنه يَسبقها، ولم يَعقه عائق.

أجيب: بأنَّ الذي عاقه عن السبق إنما هو الاشتغال بِفتح الأبواب.

قوله: (المتشبُّث) أي: التعلُّق.

قوله: (فأمسكت ثوبه) أي: وقَطعت منه قطعة بقيت في يَدها.

قوله: (﴿لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾) أي: البراني الأقصى.

قوله: (فنزَّهت نفسها) أي: بادرت بذلك.

قوله: (﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ﴾... إلخ) (ما): يحتمل أن تكون نافية، أو استفهاميَّة، و(مَن): إما موصولة، أو نكرة موصوفة.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) في ذلك إشارةٌ لطيفةٌ إلى أنَّ زليخا لشدَّة حبِّها ليوسف

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالكسر، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٧٠).

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ

(٢٦) ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابنُ عَمِّها، رُوِيَ أَنَّهُ كان في المَهد فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾: قُدَّام، .....

حاشية الصاوي

بدأت بذكر السجن؛ لخفَّته، وأخَّرت العذاب؛ لِشدَّته؛ لأنَّ المحبَّ لا يسعى في إيلام المحبوب، وأيضاً: فإن قولها: ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ فيه إشارةٌ إلى أنها أرادت تخفيف السجن، وإلَّا؛ فلو أرادت التطويل والتعذيب بالسجن.. لَقالت: إلَّا جَعْلَهُ من المسجونين؛ كما قال فرعون لموسى: ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

قوله: (﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي﴾... إلخ) إنما قال ذلك لِكونها اتَّهمتْهُ، وإلَّا؛ فلو سكَتت.. لما كان يوسف متكلِّماً بشيءٍ من ذلك.

قوله: (﴿مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾) أي: ليكونَ أقوى في نفي التهمة عن يوسف، وهي منفيَّةٌ عنه بأمور: منها: أنه خرج هارباً، والطالب لا يَهرب، ومنها: كونها متزيِّنةً بأكمل الوجوه، ومنها: شقُّها للقميص من خلف.

قوله: (ابن عمها) وقيل: ابن خالها.

قوله: (روي: أنه كان في المهد) أي: في الأحاديث الصحيحة[1]، وهو أحدُ قولين، وقيل: كان كبيراً حكيماً، وكان في ذلك الوقت جالساً مع الملك، فلمَّا رآهما خارج الباب وحَصل منهما ما حصل.. قال: ﴿إِن كَانَ...إلخ﴾، فكان ذلك على سبيل الفُتيا[2].

قوله: (﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ﴾... إلخ) إن قلتَ: إن قدَّ القميصِ أمرٌ ثابت من قبلُ؛ فلا معنى للتعليق عليه.

والجواب أن يقال: إن المعنى: إن ثبَت أنَّ قميصه قد قُدَّ من قبل... إلخ.

---

(١) روى الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: (تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون)، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر الأقوال في الشاهد في «تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٥).

فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ . . . .

﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: خلفٍ، ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زَوجُهـا ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: قـولَـك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ. . .﴾ إلخ ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أيُّها النِّساء ﴿عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٩﴾ ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ الأمرِ ولا تَذكُرهُ لِئَلَّا يَشِيعَ، ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ يا زُلَيخا ﴿لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: الآثِمِين. واشتَهَرَ الخَبَرُ وشاعَ.

حاشية الصاوي

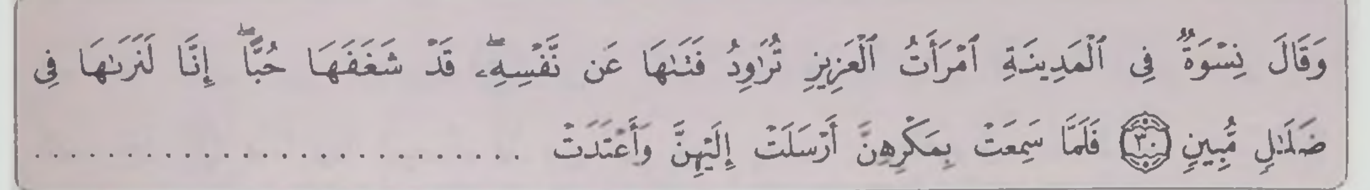
قوله: (﴿فَصَدَقَتْ﴾) أي: الكلامَ، على تقدير (قد)؛ لتصحيح دخول الفاء في الجواب؛ لأنَّ جواب الشرط لا يُقرن بالفاء إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة، وهذا ماضٍ متصرِّف يصلح لمباشرتها.

قوله: (﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾) أي: فيما يتعلَّق بأمر الجماع والشهوة، وإلَّا.. فالرجال أعظمُ في الحِيَل والمكايد، وإنما وصف كيد النساء بالعظم، وكيدُ الشيطان بالضعف؛ لأنَّ كيد النساء أقوى بسبب أنهنَّ حبائل الشيطان، فكَيدهنَّ مقرونٌ بكيد الشيطان، فهما كيدان، بخلاف كيد الشيطان دونهنَّ فكيدٌ واحدٌ؛ ولذا قال بعضهم: إني أخاف من النِّساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال في حقِّ النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾) إن قلتَ: إنهم قومٌ مشركون؛ فلا يعرفون ذنباً مع خالقهم، فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه؟

أُجيب: بأنَّ المراد بالذنب: خِيانتها لزوجها، ورمي يوسف وهو بريءٌ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ العزيز قليلُ الغيرة؛ ولذا قال بعضهم: إن تُربة مصر تقتضي ذلك؛ ولِذا لا ينشأ فيها الأسد، ولو دخل فيها.. لا يَبقى.

قوله: (واشتهر الخبر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ مرتَّبٌ على محذوف، وهذا الاشتهار منها؛ وذلك أنها أَخبرت بعض النساء بذلك، وأمرتهنَّ بِالكتم، فلم يَكتُمْنَ.



﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مَدِينةِ مِصر: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: عَبدَها ﴿عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تَمييز، أي: دَخَلَ حُبُّه شِغافَ قَلبِها أي: غِلافَه، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ﴾: خَطأ ﴿مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٍ بِحُبِّها إيَّاهُ.

﴿٣١﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غِيبَتِهِنَّ لَها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾: أَعَدَّت ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾) اختُلف في عدَّتهنَّ؛ فقيل: خمس، وقيل: أربعون، وجمع بينهما: بأنَّ أصل الإشاعة كان من خمس، وهنَّ: امرأة صاحب الملك، وامرأة صاحب دَوابِّه، وامرأة خبَّازه، وامرأة ساقيه، وامرأة صاحب سجنه. و(نسوة): اسمُ جمعٍ لا واحد له من لفظه.

قوله: (﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾) مبتدأ، وقوله: (﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾) خبر أول، وقوله: (﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾) خبر ثان، و(حُبًّا): تمييز محوَّل عن الفاعل، والأصل: قد شَغف حبُّه قلبها.

قوله: (﴿فَتَىٰهَا﴾) الفتى هو: الشاب القوي.

قوله: (أي: دخل حبُّه شغاف قلبها) الشِّغاف: جِلدة رقيقة على القلب، تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب، وحينئذ يكون المعنى: إن حبَّه خرَق تلك الجلدة، ووصل للقلب وسكنه، وقيل: إنَّ معنى ﴿شَغَفَهَا﴾: صار محيطاً بقلبها؛ كما يُحيط الشغاف بالقلب حتى لا يكاد ينظر لغيره.

قوله: (خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾) أي: حيث تركت ما يَليق بها من العفَّة والسَّتر، وأحبَّت غير زوجها.

قوله: (﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾) أي: حديثهنَّ، وسمِّي مكراً؛ لأنهنَّ طلَبن بذلك رؤية يوسف؛ لأنهنَّ قد وصف لهنَّ حُسنه وجماله، فتعلَّقن به، وأحببن أن يَرَينه.

قوله: (غِيبَتِهِنَّ) إنما سمِّيت الغيبة مكراً؛ لاختفائها عن المغتاب كما يخفى المكر.

قوله: (﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾) أي: وكنَّ أربعين امرأةً من أشراف المدينة، فصَنعت لهنَّ ضيافةً عظيمةً.

قوله: (﴿وَأَعْتَدَتْ﴾) أي: هيَّأت وأحضرت.

لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ....

﴿لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾: طَعاماً يُقَطَّع بِالسِّكِّينِ لِلاتِّكاءِ عِنده، وهو الأُتْرُجُّ، ﴿وَءَاتَتْ﴾: أعطَت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾ لِيُوسُفَ: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أعظَمنَهُ ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بِالسَّكاكِينِ ولَم يَشعُرنَ بِالأَلَمِ لِشَغلِ قُلُوبِهنَّ بِيُوسف، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تَنزِيهاً لَه، ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي: يُوسف ﴿بَشَرًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُتَّكَئًا﴾) سمِّي الطعامُ بذلك؛ لأنه يُتكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.

قوله: (وهو الأترج) بضمِّ الهمزة، وسكون التاء، وضم الراء، وتشديد الجيم: جمع أُترجة، ويقال فيه: ترنج، والأولى هي الفصحى.

قوله: (﴿سِكِّينًا﴾) أي: خنجراً، وكان من عادتهنَّ أكلُ الفواكهِ واللحمِ بالسكين.

قوله: (﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾) أي: وقد زيَّنته بأحسَن الزينة، وحبَسته في مكان آخر.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ﴾) مرتَّبٌ على محذوف، تقديره: فخرج، فلمَّا رأينه... إلخ.

قوله: (أعظمنه) أي: هِبْنَهُ ودهشن عند رؤيته من شدَّة حُسنه وجماله؛ يقال: إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزَّ وجلَّ قبل أن يخرج من الجنة[1]، وقيل: إنهنَّ أعظَمنه؛ لأنهنَّ رأين عليه آثارَ النبوة والمهابة، وعدمَ الالتفاتِ إليهنَّ، فوقع الرعب في قلوبهنَّ، وتَنَحَّيْن عنه.

قوله: (﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾) أي: جرَحنها حتى سال الدم، قال وهبٌ: مات منهنَّ جماعة[2].

قوله: (﴿وَقُلْنَ حَٰشَ﴾) بإثبات ألف بعد الشين وحذفها، قراءتان سبعيَّتان[3]، وهذا بالنظر للنُّطق، وأمَّا في الرسم.. فلا تُكتب فيه ألف بعد الشين.

قوله: (﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾) أي: معاذ الله أن يكون هذا بشراً، إنما هو ملكٌ كريمٌ على ربِّه.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٢٥).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٢٦).

(٣) قرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين، والباقون بغير ألف وقفاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٠٦).

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ .....

إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لِما حَواهُ مِن الحُسنِ الَّذي لا يَكُون عادةً في النَّسَمة البَشرِيَّة، وفي الحَدِيث أَنَّهُ أُعطِيَ شَطرَ الحُسْن.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العَزيز لَمَّا رأت ما حَلَّ بِهِنَّ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: فهذا هو ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: في حُبِّه، بَيانٌ لِعُذرِها، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: امتَنَعَ، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ بِهِ ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذَّليلِينَ، فقُلنَ لَهُ: أَطِع مَولاتَك.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾) المقصودُ من هذا: إثباتُ الحسن العظيم ليوسف؛ لسماعهم أنه لا شيء أحسن من الملك، ولأنه لما كان الملك مطهَّراً من بواعث الشهوة، مُهاباً، لا تحكم عليه الصورة.. شُبِّه به.

قوله: (شطر الحسن) أي: نِصفه، والمعنى: أنَّ الله خلق حسناً، فأعطى يوسف نِصفه، وقسم نِصفه بين الخلائق.

قوله: (﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾) (ذا): اسم إشارة القريب؛ لحضوره بالمجلس، وقُرن باللام المفيدة للبعد؛ إشارةً لبعد رتبته عن غيره؛ ولذا فسَّرها المفسِّر بـ(هذا) التي للقريب.

قوله: (﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾) خبرُ محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (هو).

قوله: (امتنع) أشار بذلك إلى أنَّ السين والتاء زائدتان.

قوله: (﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾) اللام: موطئةٌ لقسمٍ محذوف، و(إنْ): شرطية، وقوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾: جواب القسم، وحُذف جواب الشرط؛ لدلالة جواب القسم عليه؛ على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم: أنه يحذف جوابُ المتأخِّر منهما.

قوله: (فقلن: له أَطِع مولاتك) ورد: أنه ما من امرأةٍ إلَّا دَعته لنفسها[1].

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ﴾) لما اشتد به الكربُ.. توجَّه لربِّه في الفرج.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٢٦).

مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ....

﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾: أَصِرْ ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: المُذنِبِين، والقَصدُ بِذلك الدُّعاء، فلِذا قال تَعالى:

﴿٣٤﴾ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دُعاءَهُ، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفِعل.

﴿٣٥﴾ ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّالَّات على بَراءة يُوسفَ أن يَسجُنُوه، دلَّ على هذا: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: هو مجاب الدعوة، فلِمَ طلب النَّجاة بالسجن ولم يَطلب النَّجاة العامَّة؟

أجيب: بأنه اطَّلع على أنَّ السجن محتَّمٌ عليه، فدعا به؛ لأنَّ النبي لا يَنطق عن الهوى.

قوله: (﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ﴾) فعل مضارع مبني على سكون الواو، والنون الأُولى للنسوة فاعل، والثانية نون الوقاية، وهو مثل: النسوة يَعفُون؛ فالواو ليست ضميراً، بل هي لام الكلمة.

قوله: **(والقصد بذلك)** أي: بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي...﴾ إلخ، كأنه قال: اللهمَّ؛ اصرف عني كيدهنَّ؛ لأجل ألَّا أصيرَ من الجاهلين؛ لأنك إن لم تَصرفه عني.. صرتُ منهم؛ إذ لا قدرةَ لي على الامتناعِ إلَّا بإعانتك لي.

قوله: (﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾) أي: لِلعزيز وأصحابه؛ وذلك: أن زليخا قالت لزوجها: إنَّ هذا العبد العبراني قد فضَحني عند الناس يخبرهم أني قد راوَدتُه عن نفسه؛ فإمَّا أن تأذن لي، فأخرجَ وأعتذر إليهم، وإمَّا أن تسجنه، فظهر لهم سجنُهُ؛ لما فيه من المصلحة بحسَب رأيهم، مع عِلمهم ببراءته ونزاهته.

قوله: **(أن يسجنوه)** «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر فاعل ﴿بَدَا﴾.

قوله: (﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾) اللام: موطئة لقسم محذوف[1]، والجملة في محل نصب مَقول لقول محذوف، والتقدير: ثم ظهَر لهم سجنه، قائلين: والله لَيَسجننه[2].

---

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، كما قدره المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) أو أن القسم وجوابه تفسير للضمير في (بدَا) الراجع إلى البداء المفهوم منه، ويجوز أن تكون جملة (ليسجننه) جواباً =

حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ....

﴿حَتَّىٰ﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾ يَنقَطِعُ فِيه كَلام النَّاس، فسُجِنَ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: غُلامانِ لِلمَلِكِ؛ أحَدُهما ساقِيه والآخر صاحِبُ طَعامه، فرأياهُ يَعبُر الرُّؤيا فقالا: لِنَختَبِرَنَّه، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو السَّاقِي: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾) أي: وهو سبع سنين، أو اثنتَا عشرةَ سنة، وسيأتي ذلك.

قوله: (﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾) أي: بِصُحبته، والمعنى: كانا مقارنين له في الدخول، وهذا مرتَّبٌ على قول المفسِّر: (فسُجِنَ).

قوله: (غلامان) تثنية غلام، وهو اسم لِلشخص من حين ولادته إلى أن يَشِبَّ، وقوله: (للملك) أي: لملك مصر، وهو الريان بن وليد العمليقي.

قوله: (أحدهما ساقيه) أي: واسمه سرهم، وقوله: (والآخر صاحب طعامه) أي: واسمه برهم، وسبب سَجنهم: أنَّ جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك، فجعلوا لهما رشوةً على أن يُسمِّما الملك في طعامه وشرابه، فأجابا، ثمَّ إنَّ السَّاقي ندم ورجع، والخبَّاز قَبِلَ الرشوةَ وسمَّ الطعام؛ فلمَّا حضر الطعامُ بين يدي الملك.. قال الساقي: لا تأكل أيُّها الملك؛ فإنَّ الطعام مسمومٌ، فقال الملك للساقي: اشرب من الشراب فشَرِب، وقال للخباز: كُلْ من الطعام، فأبى، فأَطعم دابَّة، فهلكت، فأمر بِحَبسهما، فاتفق أنهما دَخلا مع يوسف[1].

قوله: (فرأياه يعبُر الرؤيا) أي: يَنشر علمه ويقول: إني أعبر الأحلام.

قوله: (لنختبرنَّه) أي: لَنَمتحنَّنه؛ ليظهر لنا حاله.

قوله: (﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾) أي: بعد مضيِّ خمس سنين من دخولهم السجن.

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾) تنصب مفعولين: الياء مفعول أول، وجملة ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ مفعولٌ ثانٍ.

= لـ (بدَا)؛ لأنَّ أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم؛ كما قال الشاعر:

ولقد علمت لتأتين منيَّتي

انظر «مغني اللبيب» (ص٥٢٤).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٢٧).

﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ....﴾

أي: عِنباً، ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾ وهو صاحِب الطَّعام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا﴾: خَبِّرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: بِتَعبيره؛ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُما مُخبِراً أنَّهُ عالِم بِتَعبِيرِ الرُّؤيا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في مَنامِكُما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ في اليَقَظة، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ تَأويلُه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: عنباً) أي: فتَسميته خمراً من باب: مجاز الأَوْلِ؛ أي: عنباً يؤول إلى كونه خمراً، وفي القِصَّة: أنه قال: رأيتُ في المنام كأني في بستان، وفيه شجرةٌ، وعليها ثلاثة عناقيد من العنب، وكان كأس الملك في يَدي، فعصرتها فيه، وسَقيت الملك.

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾) أي: رأيتُني، فالتعبير بالمضارع استحضارٌ للحال الماضية.

قوله: (﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾) وذلك أنه قال: رأيتُ في المنام كأنَّ فوق رأسي ثلاث سِلال، وفيها الخبز وألوان الأطعمة، وسِباع الطير تَنهش منها.

قوله: (﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: العالِمين بتعبير الرؤيا، وإنما قالا ذلك؛ لأنهما رأياه في السجن يعود المرضى، ويَقوم الليل، ويصوم النهار، ويُصبِّر أهل السجن، ويبشِّرهم، ويُواسي فقيرهم، فكان يقول: اصبروا وأبشِروا، فيقولون: بارك الله لنا فيك يا فتى، ما أحسَن وجهك وخُلقك وحديثك! لقد بُورك لنا في جوارك؛ فمِن أين أنت؟ قال: أنا يوسف ابن صفيِّ الله يَعقوبَ ابنِ ذَبيح الله إسحاق ابنِ خَليلِ الله إبراهيم، قال له صاحبُ السجن: يا فتى؛ والله لو استطعتُ.. لخلَّيت سبيلك، ولكن سأرفق بك، وأُحسِن جوارك، واختر أيَّ بيوت السجن شئتَ[1].

قوله: (مخبراً أنه عالم) أي: لأجل أن يُقبلوا عليه ويؤمنوا به، وهكذا ينبغي للعالم الخامل أن يُظهر نفسه؛ لِيُقتدى به، ويؤخذ عنه، وإنما أخبرهما بذلك؛ توطئةً لدعائهما إلى الإيمان.

قوله: (في منامكما) أي: فالمعنى: أيُّ طعامٍ رأيتما في المنام وأخبرتماني به إلَّا فسَّرته لكما

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٤١)، والخبر دليل لقول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل ﷺ في أن الذبيح سيدنا إسحاق عليه السلام، والصحيح: أن الذبيح سيدنا إسماعيل كما سيأتي في (الصافات). وانظر «تفسير الرازي» (٢٦/ ٣٤٦).

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن ....

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾، فِيه حَثٌّ على إيمانِهما، ثُمَّ قَوَّاهُ بِقَوله: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ﴾ ـ تأكيدٌ ـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

٣٨ ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ﴾ يَـنـبَـغِـي ﴿لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ ـ زائِدة ـ ....

حاشية الصاوي

قبل أن يقع في الخارج. وخَصَّ رؤية الطعام؛ لأنهما من أهل الطعام والشراب، والشأن أنَّ رؤيا المنام تتعلق باشتِغال الشخص في اليَقظة.

وقيل: المراد: إتيان الطعام لهما في اليقظة، والمعنى: لا يَأتيكما طعام تُرزقانه من منازلكما إلا أخبرتكما بقَدره وكيفيَّته والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يَصلكما، فهو إشارةٌ إلى أنَّ من معجزاته الإخبارَ بالمغيَّبات، وهذا مثل معجزة عيسى حين قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فقالا ليوسف: هذا من عِلم العرَّافين والكهنة؛ فمِن أين لك هذا العلم؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ...﴾ إلخ.

قوله: (فيه حثٌّ) أي: تعريضٌ لطلب الإيمان.

قوله: (﴿إِنِّي تَرَكۡتُ﴾) المراد بالترك: عدمُ التَّلبس بالشيء من أوَّل الأمر.

قوله: (﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾) لما بيَّن أنه ادَّعى النبوَّة وأظهر المعجزة.. بيَّن هنا أنه لا غَرابة في ذلك؛ لأنَّه من بيت النبوَّة؛ وذلك لأنَّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا مَشهورين بالرسالة، وذكر الفخر الرازي: أنه نبِّئ في السجن[1]، ولا مانع أنه نُبِّئ قبل الأربعين كيحيى وعيسى؛ وذلك لأنَّ إخوته رمَوه في الجبِّ وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جُملتها مدة السجن، فتكون الجملة ثلاثين سنة.

قوله: (﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾) أي: لا يصحُّ ولا يَليق منَّا معشرَ الأنبياء أن نُشرك بالله شيئاً مع اصطفائه لنا وإنعامِه علينا بأنواع النعم، وفي هذا تعريضٌ لهم بترك ما هم عليه من الشرك؛ كأنه قال: لا يَصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غيرَ مَنْ هو مفتقرٌ إليه، ومُنعمٌ عليه.

---

(١) «تفسير الرازي» (١٨/ ٤٥٥).

شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ....

﴿شَيْءٍ﴾ لِعِصمَتِنا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّوحِيدُ ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ فيُشرِكُون، ثُمَّ صَرَّحَ بِدُعائِهِما إلى الإيمانِ فقال:

﴿٣٩﴾ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾: ساكِنَي ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ خيرٌ؟ استِفهام تَقرِير.

﴿٤٠﴾ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سَمَّيتُم بِها أصناماً ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بِعِبادَتِها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجَّةٍ وبُرهان، ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: القَضاءُ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وَحدَه، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ﴾ التَّوحِيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المُستَقِيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُون إلَيهِ مِن العَذاب فيُشرِكُون.

حاشية الصاوي

قوله: (لعصمتنا) أي: فليس المراد: أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد: أنه طهَّرهم عن الكفر.

قوله: (﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾) أي: بالوحي، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بإرشادهم.

قوله: (﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾) قدَّر المفسِّر (ساكني)؛ إشارةً إلى أنَّ الإضافة لأدنى مُلابسة، ويصح أن يكون المعنى: يا صاحبَيَّ في السجن؛ فالإضافة للظرف.

قوله: (﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾) أي: من ذهب وفضة، وحديد وخشب وحجارة، وغير ذلك.

قوله: (﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾) خطابٌ لأهل السجن جميعاً.

قوله: (﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾) أي: فكأنكم لا تَعبدون إلا الأسماء المجردة، والمعنى: إنكم سمَّيتم ما لم يدلَّ على استحقاقه للألوهيَّة عقلٌ ولا نقلٌ، ثمَّ أخذتُم تعبدونها.

قوله: (المستقيم) أي: الذي لا اعوجاج فيه.

قوله: (ما يصيرون) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ....

﴿٤١﴾ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي: السَّاقِي فيَخرُج بَعد ثَلاثٍ، ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾: سَيِّدَه ﴿خَمۡرٗا﴾ على عادَته، ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ فيَخرُج بَعد ثَلاث ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾، هذا تَأوِيل رُؤياكُما، فقالَا: ما رَأينا شَيئاً، فقال: ﴿قُضِيَ﴾: تَمَّ ﴿ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾: سَأَلتُما عَنهُ، صَدَقتُما أم كَذَبتُما.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقَنَ ﴿أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ وهو السَّاقِي: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سَيِّدِك، فقُل لَه: إنَّ في السِّجن غُلاماً مَحبُوساً ظُلماً، فخَرَجَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾) هذا شروعٌ في تعبير رؤياهما.

قوله: (فيخرج بعد ثلاث) أي: من الأيام، وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها.

قوله: (سيِّده) أي: وهو الملك.

قوله: (﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾.. فيخرج بعد ثلاث) أي: من الأيام، وهي السلال الثلاث.

قوله: (فقالا: ما رأينا شيئاً) هذا أحد قولَين، وقيل: إنهما رأيا ذلك حقيقة، فرآهما مَهمومين، فسألهما عن شأنهما، فذكر كلٌّ واحدٍ له رؤياه.

قوله: (﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾) المراد به: الجنس؛ أي: قُضِيَ أمر كلِّ واحد وما يؤول إليه شأنه، كذب أو صدَق.

قوله: (سألتما) تفسير لـ﴿تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾، فالمراد من المضارع: الماضي.

قوله: (﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ﴾) إن كان الظن واقعاً من الساقي.. فالأمرُ ظاهرٌ، وإن كان من يوسف.. فهو بمعنى اليقين كما قال المفسّر، على حدِّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦].

قوله: (سيِّدِكَ) أي: وهو الملك.

قوله: (محبوساً) أي: طال حبسه ظلماً خمس سنين.

فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ....

﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي: السَّاقِيَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾ يُوسفَ عِندَ ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾: مَكَثَ يُوسُفُ ﴿فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قِيل: سَبعاً، وقِيل: اثنَتي عَشرةَ.

﴿٤٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: مَلِكُ مِصر الرَّيَّان بن الوَلِيد: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الساقيَ) أي: والمعنى: أنسى الشيطانُ الساقيَ أن يذكر يوسف عند الملك؛ وذلك للحكم الباهرة التي ستَظهر، وهو أحدُ قولين.

وقيل: إنَّ الضمير عائدٌ على يوسف، والمعنى: أنَّ الشيطان أنسى يوسف ذكر ربِّه عزَّ وجلَّ حين استغاث بمخلوق، وإسناد الإنساء للشيطان؛ لأنه يَفرح به ويحبُّه ظانًّا أنَّ يوسف يطرد بذلك، وإلَّا.. فالذي أنساه ذلك ربُّه، لا الشيطان؛ فإنه لا تسلُّط له على المرسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فلمَّا وقع من يوسف ذلك.. عُوتب ببقائه في السِّجن تلك المدة، من باب: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (قيل: سبعاً) أي: وهي مدَّة مكث أيوب في البلاء، وقوله: (وقيل: اثنتي عشرة) هذا قول ثان في مُدة السجن، وقيل: خمساً ونصفاً قبل قوله: ﴿ٱذْكُرْنِى﴾، وسبعاً بعده، وقيل: أربع عشرة سنة: خمس قبل القول، وتِسع بعده.

وحكمةُ مكثه تلك المدَّة في السجن: ليؤمن أهل السجن، وليَصل أمره للملك، فيخرج والحال أنه مطلوبٌ لا طالب، فيتحقَّق له العزُّ الذي بُشِّر به سابقاً، فترتَّب على طلبه السجن وإبقائه فيه الزمن الطويل من الحِكَم العظيمة والأسرار الفخيمة والعزِّ والسؤدد ما لا تُحيط به العبارة، ولا تحصيه الإشارة؛ فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذلٌّ، وباطنها غايةُ العزِّ؛ على حدِّ قول البوصيري[1]: [الخفيف]

لـو يَمَـسُّ النُّـضَارَ هُونٌ مـنَ النَّـا رِ لَـمَا اخْـتِيـرَ لِـلنُّضَارِ الـصِّلَاءُ

فبلايا الأنبياء والمقربين لا تَزيدهم إلا رفعةً وعزًّا.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾... إلخ) أي: لما أراد الله الفرج عن يوسف وإخراجَه من السجن..

(١) كما في قصيدته المشهورة: الهمزية.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ....

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: رَأيتُ ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ﴾: يبتلعهنَّ ﴿سَبۡعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٞ﴾: جمع عَجْفاء، ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ﴾ أي: سَبع سُنبُلات ﴿يَابِسَٰتٖۖ﴾ قد التوَت على الخُضْر وعَلَت عليها، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾: بيِّنوا لي تَعبيرَها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ فاعبُرُوها.

حاشية الصاوي

رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالَتْهُ، فجمع سحَرته وكهنته ومعبِّريه، وأخبرهم بما رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها، فأعجزهم الله جميعاً؛ ليكون ذلك سبباً لخلاص يوسفَ من السجن.

قوله: (أي: رأيت) أشار بذلك إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي؛ استحضاراً للحال الماضية، وحاصل رؤياه: أنه رأى في منامه سبعَ بقراتٍ سمان قد خرجت من البحر، ثم خرج بعدهنَّ سبعُ بقراتٍ عجاف في غاية الهزال والضعف، فابتلَعت العجافُ السِّمانَ، ودخلت في بطونها، ولم يُرَ منهنَّ شيءٌ، ولم يتبيَّن على العجاف شيءٌ منها، ورأى سبعَ سُنبلات خضرٍ قد انعقد حبُّها، وسبعاً أُخرَ يابسات قد احتصدن، فَالْتَوَتِ اليابسات على الخُضر حتى علَون عليهنَّ ولم يبقَ من خُضرتهنَّ شيءٌ.

قوله: (جمع عجفاء) أي: جمع سماعي، والقياسي: (عُجف)، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

فُــعْــلٌ لِـنَـحْـوِ أحـمَـرٍ وحَـمْـرَا

قوله: (﴿خُضۡرٖ﴾) أي: انعقد حبُّها.

وقوله: (﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾) أي: بلغَت أوان الحصد، وهو معطوف على (سبع)، ويكون قد حذف اسم العدد منه؛ لِدلالة ما قبله عليه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾) أي: السحرة والمعبِّرون.

قوله: (﴿تَعۡبُرُونَ﴾) من (عبَر) بالتخفيف، يقال: عبَر البحر: جاوزه، وعبر الرؤيا: فسَّرها، كأن المعبِّر لما فسَّر الرؤيا.. خَلص من ورَطتها؛ كالذي يجاوز البحر. وزيدت اللام في (للرؤيا) تقوية للعامل؛ لتأخُّره عن معموله.

قوله: (فاعبروها لي) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب الشرط محذوفٌ، دلَّ عليه ما قبله.

---

(١) «الخلاصة»، باب (جمع التكسير).

قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ....

﴿٤٤﴾ ﴿قَالُوٓاْ﴾: هذهِ ﴿أَضْغَٰثُ﴾: أخلاطُ ﴿أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي: مِن الفَتَيَيْنِ وهو السَّاقِي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ فِيه إبدالُ التَّاء في الأصل دالاً وإدغامُها في الدَّال، أي: تَذَكَّرَ ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: حِينٍ حالَ يُوسفَ: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ فأرسَلُوه، فأتَى يُوسفَ فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾) أي: تَخاليطها، جمع: ضِغث، وأصله: ما جُمِعَ وحُزم من النبات كالحزمة من الحشيش، استعير للرؤيا الكاذبة، والمعنى: أنهم قالوا: إنَّ هذه الرؤيا أخلاطُ أحلامٍ من الشيطان؛ فلا تُعبر، وهذا لِفَرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها، على العادة: أنَّ من جهل شيئاً.. عاداه.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾... إلخ) أي: بَعد أن جلس بين يدَي الملك، وقال له: إنَّ في السجن رجلاً عالماً بتعبير الرؤيا.

قوله: (﴿وَٱدَّكَرَ﴾) إمَّا حال من ﴿ٱلَّذِى﴾، أو عطف على ﴿نَجَا﴾.

قوله: (فيه إبدال التاء) أي: تاء الافتعال، والأصل: (اذتكر) بتاء بعد الذال، قلبت التاء دالاً، فاجتمع مُتقاربان، أبدل الأول من جِنس الثاني، وأدغم.

قوله: (وإدغامها في الذال) المناسب قَلب العبارة؛ بأن يقول: (وإدغام الذال في الدال؛ أي: بعد قلبها دالاً).

قوله: (﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾) بضمِّ الهمزة، وتشديد الميم: هي في الأصل: الجماعة من الناس، ثم أُطلق على الجماعة من الأيام.

قوله: (حين) أي: وهو سَنتان، أو سبع، أو تسع.

قوله: (حالَ يوسف) أي: من كونه عالماً بتعبير الرؤيا.

قوله: (﴿فَأَرْسِلُونِ﴾) إنما جَمع وإن كان الخطاب لواحدٍ؛ لأجل التعظيم.

قوله: (فأرسلوه) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام حذف ثلاث جمل، وجملة مجيءِ الرسول ليوسف في السجن أربع مرات: الأُولى في قوله: ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ...﴾، والثانية في قوله:

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ......

﴿٤٦﴾ يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصِّدق ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: المَلِك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعبيرَها.

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعُوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: مُتتابِعة وهي تأويلُ السَّبع السِّمانِ، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركُوهُ ﴿فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لِئَلَّا يفسُدَ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرُسُوه.

﴿٤٨﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السَّبعِ المُخصِبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: مُجدِبات صِعاب، ....

حاشية الصاوي

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، والثالثة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ..﴾ إلخ، والرابعة في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾.

قوله: (الكثير الصدق) وصَفه بذلك؛ لأنه جرَّبه في السجن في تعبير الرؤيا وغيره.

قوله: (أي: الملك) أي: ومَن عنده.

قوله: (أي: ازرعوا) إنما حمله على الأمر؛ لمناسبة قوله: ﴿فَذَرُوهُ﴾، وإلَّا.. فالمناسب: إبقاؤه على حاله من الإخبار؛ لأنه تفسير للرؤيا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الله أمر بذلك؛ لتحتُّم حُصوله في علمه تعالى.

قوله: (﴿دَأَبًا﴾) بفتح الهمزة وسكونها، قراءتان سبعيتَّان[1]، وهو مصدرٌ واقعٌ موقع الحال.

قوله: (وهي تأويل السبع السمان) أي: والسبع الخُضر.

قوله: (لئلَّا يفسد) أي: بأكل السُّوس كما هو شأنُ غِلال مصر ونواحيها، ومنعه من الفساد ببقائه في سُنبله من خصوصيَّات يوسف، وإلَّا.. ففي زَمَننا؛ بقاؤه في سنبله لا يَدفع عنه الفساد.

---

(١) قرأ حفص بفتح الهمزة، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٥٠٩).

يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ....

وهي تَأوِيل السَّبع العِجافِ، ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ مِن الحَبِّ المَزرُوع في السِّنِينَ المُخصِبات، أي: تَأكُلُونَه فِيهِنَّ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تَدَّخِرُون.

﴿٤٩﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السَّبع المُجدِباتِ ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بِالمَطَرِ، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الأعنابَ وغَيرَها لِخِصبِه.

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ لَمَّا جاءَهُ الرَّسولُ وأخبَرَهُ بِتَأوِيلِها: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ أي: بِالذِي عَبَّرَها، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: يُوسفَ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطَلَبَهُ لِلخُرُوجِ ﴿قَالَ﴾ قاصِداً إظهارَ بَراءتِه:

حاشية الصاوي

قوله: (وهي تأويل السبع العجاف) أي: والسَّبع اليابسات.

قوله: (أي: تأكلونه فيهنَّ) أشار بذلك إلى أنَّ الإسناد مجازيٌّ من الإسناد للظرف؛ كما في: نهاره صائم.

قوله: (تدَّخرون) أي: لِلبذر.

قوله: (﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾... إلخ) هذه بشارةٌ لهم زيادةً على تعبير الرؤيا.

قوله: (﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾) إمَّا من الغَوث، وهو: الفرج وزوال الكرب، أو من الغَيث، وهو: المطر، والمعنى: فيه يَزول كرب الناس ويُفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم.

قوله: (الأعناب) أي: يعصرونها خمراً، وقوله: (وغيرها) أي: كالزيتون والسمسم والكتَّان والقصب وغير ذلك.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾) مرتَّبةٌ على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لما جاءه الرسول... إلخ)، وذلك أنَّ السَّاقيَ لما رجع إلى الملك وأخبره بما عَبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك، وعرف أنَّ الذي قاله كائنٌ لا محالة.. قال: ائتوني به حتى أُبصره، فرجع السَّاقي وقال له: أَجِب الملك، فقال له: ارجع... إلخ.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾) مرتَّبٌ على محذوف؛ أي: فذهَب الرسول إلى طلبه، فلمَّا جاءه... إلخ.

قوله: (إظهار براءته) أي: لِتَظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سُجِنَ ظلماً.

ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ....

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾: حال ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾: سَيِّدِي ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾، فرَجَعَ فأخبرَ المَلِك فجمَعَهُنَّ.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾: شَأْنُكُنَّ ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ هل وَجَدتُنَّ مِنهُ مَيلاً إلَيكُنَّ؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ﴾: وَضَحَ ﴿ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قَولِه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾، فأُخبِرَ يُوسفُ بِذلك فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾) أي: وهو الملك.

قوله: (﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي) أي: فالمراد به: العزيز، وهو استشهادٌ بكونه يَعلم مكرهنَّ وكيدهنَّ، ويصح أن يكون المراد بالرب: الله تعالى، وحينئذ: يكون في كلامه التَّفويض لله، وهو الأقرب.

قوله: (فجمعهنَّ) أي: وكانت زليخا معهنَّ، وخاطَبهنَّ جميعاً، ولم يخصَّ زليخا بالخطاب؛ ستراً عليها.

قوله: (﴿مِن سُوٓءٖۚ﴾) أي: خيانة.

قوله: (﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾) هذا إقرارٌ منها بالحق، والحاملُ لها على ذلك كونُ يوسف راعى جانبَها حيث قال: (ما بال النسوة... إلخ)، ولم يَذكرها مع أنَّ الفتن كلَّها إنما نشأت من جِهَتها، فكافأته بأن اعترفت بأنَّ الذنب منها.

قوله: (وضح) أي: اتَّضح.

قوله: (فأخبر يوسف بذلك) أي: بجواب النِّسوة المذكور.

قوله: (فقال) أي: يوسف، وهذا أحدُ قولين، وقيل: إنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ...﴾ إلخ من كلام زليخا، ويكون المعنى: ذلك الذي قلتُه؛ لِيَعلم يوسف أني لم أخُنه، ولم أكذب عليه، وجئتُ بما هو الحق الواقع، وما أبرئ نفسي من الخيانة؛ إنَّ النفس لأمَّارةٌ بالسوء إلا نفساً رحمها الله بالعفَّة كنفس يوسف.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ ....

﴿٥٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طَلَبُ البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العَزِيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهلِه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ـ حالٌ ـ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾. ثُمَّ تواضعَ للهِ فقال:

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ مِن الزَّلَلِ، ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنسَ ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: كَثِيرةُ الأمرِ ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا﴾ ـ بمعنَى: مَن ـ ﴿رَحِمَ رَبِّي﴾ فعَصَمَه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز) أي: زوجُ زليخا.

قوله: (حال) أي: إمَّا من الفاعل؛ أي: وأنا غائب عنه، أو من المفعول؛ أي: وهو غائب عني.

قوله: (﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾) أي: لا يُسدِّده.

قوله: (ثم تواضع لله) أي: فوقع منه هذا القول على سَبيل التواضع، وإلَّا.. فيستحيل في حقِّه أن تأمره نفسُه بالسوء؛ لِعِصمته.

قوله: (﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾) هذه الجملة حاليَّة من محذوف، والتقدير: طلبت البراءة؛ لِيَعلم... إلخ، والحال أني لم أقصد بذلك تنزيهَ نفسي ولا براءتها.

قوله: (الجنس) أي: جنس النفوس.

قوله: (كثيرة الأمر) أي: لِصاحبها.

واعلم: أنَّ النفس واحدةٌ، ولها صفات؛ فأوَّل أمرها تكون أمَّارة بالسوءِ؛ تدعو إلى الشهوات، وتميل لها، ولا تُبالي، وهذه نفس الكفار والعُصاة المصرِّين؛ فإذا أراد الله لها بالهدى.. جعل لها واعظاً يأمرها وينهاها؛ فحينئذٍ تصير لوَّامةً تَلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل، فينشأ عن ذلك مجاهدتُه وتوبته ورجوعه لخالقه؛ فإذا أكثر عليها ذلك واستمرَّ.. صارت مُطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقَدَره، راضية بأحكامه، فتستحق من الله العطايا والتُّحف؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وهذا مقام الواصِلين، وقيل: ذلك يسمَّى مقام السائرين.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ .....

﴿٥٤﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾: أجعَلْهُ خالِصاً لِي دُون شَرِيك، فجاءَهُ الرَّسُول وقال: أَجِب المَلِكَ، فقامَ ووَدَّعَ أهلَ السِّجن ودَعا لهم، ثُم اغتَسَل ولَبِس ثِياباً حِساناً ودَخَل علَيهِ، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ لَه: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: ذُو مَكانة وأمانةٍ على أمرِنا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾) أي: وهو الريان بن الوليد، وذلك: أنه لما ظهَر له في يوسف من المزايا التي لم تُوجد في غيره.. قال ما ذكر.

قوله: (فجاء الرسول... إلخ) قدَّر المفسِّر هذه الجمل، وهي ثمانية؛ إشارةً إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (ودعا لهم) أي: بقوله: اللهمَّ عطِّفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تعمِّ عنهم الأخبار.

قوله: (ثم اغتسل) أي: فلمَّا خرج من السجن.. كتب على بابه: (هذا بيت البَلوى، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء)[1].

قوله: (ولبس ثياباً حساناً) يُؤخذ من هذا: أنَّ مما ينبغي عند الدُّخول على السلاطين الطهارةَ، وتحسينَ الهيئة، وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عِنده، أو أرسلها له الملك.

قوله: (ودخل عليه) ورَدَ: أنه لما دخل.. سلَّم عليه بالعَربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمِّي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانيَّة، فقال له: ما هذا اللسان أيضاً؟ قال: هذا لِسان آبائي، وكان الملك يتكلَّم بسبعين لساناً، ولم يَعرف هذين اللسانين، وكان كُلما تكلم بلسان.. أجابه يوسف به، فتَعجب الملك من أمرِه مع صغر سنِّه؛ لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة: ثلاثة عشر منها مُدة إقامته مع زليخا والسجن، وسبع عشرة قبلها[2]، وعلى هذا: فدَعواه لعبادة الله في السجن؛ إما نبوَّة قبل الأربعين، أو نصيحة منه لِدين آبائه على عادة العلماء، وتأسيساً لِنُبوَّته.

قوله: (﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾) أي: قريبُ المنزلةِ، ورفيعُ الرتبة، مؤتمنٌ على سرِّنا.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٣٤).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٠).

فماذا تَرَى أن نَفعلَ؟ قال: اجمَع الطَّعام وازْرَعْ زَرعاً كَثِيراً في هذه السِّنِينَ المُخصِبة، وادَّخِر الطَّعام في سُنبُله، فيَأتِي إلَيك الخَلقُ لِيَمتارُوا مِنك، فقال: ومَن لِي بهذا؟

حاشية الصاوي

قوله: (قال: فماذا ترى أن نفعل... إلخ) رُوي: أنَّ الملك قال ليوسف عليه السلام: أُحبُّ أن أسمع تأويل رؤياي منك شِفاهاً، قال: نعم أيها الملك، رأيتَ سبعَ بقراتٍ سمانٍ شهبٍ حِسَانٍ غيرِ عجافٍ، كشف لك عنهنَّ النيل، فطَلعن من شاطئه تشخب أخلافهنَّ لبناً، فبينا أنت تنظر إليهنَّ وقد أعجبك حُسنهنَّ؛ إذ نضب النيل، فغار ماؤه، وبدا يُبسه، فخرج من حمئه سبع بقراتٍ عجاف شعث غير ملصقات البطون، ليس لهنَّ ضرعٌ ولا أخلافٌ، ولهنَّ أنياب وأضراس وأكفٌّ كأكفِّ الكلاب، وخراطيم كخراطيم السِّباع، فاختلطن بالسِّمان، فافترسن السِّمان افتراسَ السَّبع، فأكلن لحومهنَّ، ومزَّقن جُلودهنَّ، وحطَّمن عظامهنَّ، ومَشْمَشْنَ مخَّهنَّ[1]؛ فبينا أنت تنظرُ وتتعجب كيف غلبنهنَّ وهنَّ مهازيل ثم لم يَظهر فيهنَّ سمنٌ ولا زيادةٌ بعد أكلهنَّ؛ وإذا سبعُ سنبلاتٍ خضرٍ، وسبعُ سنبلاتٍ أُخرَ سودٍ يابساتٍ في منبتٍ واحدٍ، عروقهنَّ في الثرى والماء، فبينا أنت تقولُ في نفسك: أيُّ شيءٍ هذا هؤلاء خضرٌ مثمراتٌ، وهؤلاء سودٌ يابساتٌ، والمنبت واحد، أصولهنَّ في الثرى والماء؟! إذ هبَّت ريحٌ فردَّت أوراق اليابسات السود على الخُضر المثمرات، فاشتعلت فيهنَّ النار، فاحترقنَ، فصرن سوداً، فهذا ما رأيت أيها الملك، ثم انتبهتَ مذعوراً، فقال الملك: واللهِ ما أخطأت فيها شيئاً؛ فما شأنُ هذه الرؤيا؟ وإن كانت عجباً.. فما هي بأعجبَ مما سمعتُ منك، وما ترى من تأويل رؤياي أيها الصدِّيق؟.

قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمعَ الطعام، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصِبة، وتجعل ما يتحصَّل من ذلك الطعام في الخزائن بقَصبه وسنبله؛ فإنه أبقى له، فيكون ذلك القصب والسنبل عَلفاً للدوابِّ، وتأمر الناس أن يَدفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيَكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومَن حولها، وتأتيك الخَلق من سائر النواحي للمِيرة، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لا يَجتمع لأحد من قبلك.

فقال الملك: ومَن لي بهذا، ومن يجمعه ويَبيعه لي؟ ولو جمعتُ أهل مصر.. ما طاقوا ذلك ولم يكونوا أُمَناء، فقال يوسف عند ذلك: اجعلني... إلخ[2].

---

(١) مَشْمَشْنَ مخَّهنَّ: مَصَصْنَها ممضوغة.

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤٤٩).

قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ ....

﴿٥٥﴾ ﴿قَالَ﴾ يُوسفُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أرضِ مِصر، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾: ذُو حِفظٍ وعِلم بِأمرِها، وقِيل: كاتِبٌ حاسِب.

﴿٥٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامِنا علَيهِ بِالخَلاصِ مِن السِّجن، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مِصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: يَنزِلُ ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بَعد الضِّيق والحَبس، وفي القِصَّة أنَّ المَلِك

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾) إن قلت: إنَّ في ذلك القول طلبَ التقدُّم والإمارة، وهو لا يَليق بالأخيار؟

أجيب: بأنَّ محل هذا: ما لم تتعيَّن عليهم، وإلَّا.. فحينئذٍ: يجب طلبُها، وأيضاً: ذلك بوحيٍ من الله. وكان بين ذلك القول وتَوليته على الخزائن سنة، وإنما أخَّره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رَغبته فيه؛ ليشتهرَ قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القصر، ويصيرَ معروفاً للعامِّ والخاصِّ، وأنه ذو الأمانة والمكانة عند الملك.

قوله: (﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾) تعليلٌ لما قبله، ومفعول (اجعَل) الثاني محذوف، والتقدير: اجعلني أميناً على خزائن الأرض؛ فإني حَفيظ عليم.

إن قلت: إنَّ في هذا تزكيةَ النَّفس، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: ٣٢].

أجيب: بأنَّ محل النهي: حيث قُصد بها الفخر والكبر على خَلق الله، بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير، والإخبار بالواقع.. فلا ضررَ في ذلك، بل ذلك من باب: التحدُّث بالنِّعم، وهو مأمور به شرعاً.

قوله: (﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) أي: ملَّكناه إيَّاها[1].

قوله: (بعد الضيق والحبس) أي: بعد صبره على الضيق؛ حين وُضِعَ في الجبِّ، وحين حُبِسَ.

قوله: (وفي القصة: أن الملك... إلخ) قال ابن عباس وغيره: لما انقضت السنة من يومِ سأل يوسف الإمارة.. دعاه الملك، فتوَّجه، وقلَّده بسيفه، وحلَّاه بخاتمه، ووضع له سريراً من ذهب

---

(١) في (ط٢): (مكَّنّاه إياها).

تَوَّجَهُ وخَتَّمَهُ ووَلَّاهُ مَكان العَزِيز، . . . .

حاشية الصاوي

مكلَّلاً بالدُّر والياقوت، طُوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، ووضع له ثلاثين فراشاً، وستين مَأدبة، وضرب له عليه حلَّةً من إستبرقٍ، وأمره أن يخرُجَ، فخرج متوَّجاً لونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظرُ وجهَهُ فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جَلس على ذلك السرير، ودانت لِيُوسف الملوك، وفوَّض الملك الأكبر إليه مُلكه، وعزل قطفير عمَّا كان عليه، وجعل يُوسف مكانه[1].

قال الزمخشري: إنَّ يوسف قال للملك: أمَّا السرير.. فأشدُّ به مُلكك، وأما الخاتم.. فأدَبِّر به أمرك، وأما التاج.. فليس من لِباسي، ولا لباس آبائي، فقال الملك: قد وضعتُه إجلالاً لك، وإقراراً بفضلك، وكان لملك مصر خزائن كثيرة، فسلَّمها ليوسف، وسلَّم له سُلطانه، وجعل أمره وقضاءه نافذاً حتى بمَملكته.

ثم هلك قطفيرُ عزيزُ مصرَ في تلك الليالي، فزوَّج الملكُ يوسفَ امرأةَ العزيز بعد هلاكه، فلمَّا دخل عليها يوسف.. قال لها: أليس هذا خيراً مما كنتِ تُريدين؟ قالت له: أيها الصدِّيق؛ لا تَلُمني؛ فإني كنت امرأةً ناعمةً كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنتَ كما جعلك الله في حسنك، فغلبَتني نفسي، وعصَمك الله، قالوا: فوجدها يوسف عذراءَ، فأصابها، فولدت له ولدَين ذكرين: أفرائيم، وميشا، وبنتاً واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام ـ وميشا هو: جد يوشع بن نون ـ وأقام في مصر العدل، وأحبَّه الرجال والنساء، فلما اطمأنَّ يوسفَ في ملكه.. دبَّر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحُصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام لِلسنين المجدبة، وأنفق المال بالمعروف حتى خلَت السنون المخصبة، ودخلت السنون المجدبة بهولٍ وشِدة لم يرَ الناس مثله[2].

وقيل: إنه دبَّر في طعام الملك وحاشيته؛ كل يَوم أكلة واحدة نصف النهار، فلمَّا دخلت سنة القحط.. كان أول من أصابه الجوع الملك، فجاع نصفَ الليل، فنادى: يا يوسف؛ الجوعَ الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القَحط، فهلك في السنة الأولى من سني القحط كلُّ ما أعدُّوه في السنين المخصِبة، فجعل أهل مصر يَبتاعون الطعام من يوسف، فباعهم في السنة الأُولى بالنقود حتى لم يبقَ بمصر دينارٌ ولا درهمٌ إلا أخذه منهم، وباعَهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبقَ بمصر في أيدي الناس منهما شيءٌ، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام حتى لم يبقَ دابَّة

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٢١٣).

(٢) «الكشاف» (٢/ ٤٨٣).

وعَزَلَهُ وماتَ بعدُ، فزَوَّجَهُ امرأته فوَجَدَها عَذراء، ووَلَدَت له ولَدَينِ، وأقامَ العَدل بِمِصرَ،

حاشية الصاوي

ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبقَ بأيدي الناس عبدٌ ولا أمَةٌ، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلِّها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقَّهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبقَ بمصر حرٌّ ولا حرَّة إلا ملَكه، فصاروا جميعاً عبيداً ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كاليوم ملكاً أجلَّ ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للمَلك: كيف رأيتَ صُنع الله بي فيما خوَّلني؛ فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك: الرأي رأيُك ونحن لك تبعٌ، قال: فإني أشهد الله وأُشهدك أني قد أعتقتهم عن آخرهم، ورَدَدتُ عليهم أملاكهم[1].

ولم يزَل يوسف يدعو الملك إلى الإسلام ويَتلطف به حتى أسلَم هو وكثيرٌ من الناس، ومات في حياة يوسف، وأمَّا العزيز.. فلم يَثبُت إسلامه.

قوله: (ومات بعدُ) أي: مات العزيز بعد عَزله.

قوله: (فزوَّجه امرأته) أي: بعد أن ذهب مالها، وعَمي بصرها من بكائها على يوسف، فصارت تتكفَّف الناس، وكان يوسف يركَب في كلِّ أسبوع في مركب زُهاء مئة ألف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرَّضتِ له.. لعلَّه يُسعفك بشيءٍ، فلمَّا ركب في موكبه.. قامت فنادَت بأعلى صوتها: سبحان مَنْ جعل الملوك عبيداً بمَعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فقُدِّمت إليه، فعرفها، فرقَّ لها وبكى بكاءً شديداً، ثم دعاها للزواج، وأمر بها، فهيِّئت ثم زُفَّت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله، وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يُعِيد لها شبابها وجمالها وبصَرها، فردَّ الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يومَ راودته؛ إكراماً له عليه السلام لمَّا عفَّ عن محارم الله، فأصابها؛ فإذا هي عذراء، فعاشا في أرغَدِ عيش[2].

روي: أنَّ الله ألقى في قلب يوسف محبَّتها أضعافَ ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تُحبينني كما كنتِ أوَّل مرة؟! فقالت: لما ذقتُ محبة الله.. شغَلني ذلك عن كلِّ شيء[3].

قوله: (ولدَيْن) أي: وبنتاً.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٣٧).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٢١٥).

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ....

ودانَت له الرِّقاب، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ مِن أجرِ الدُّنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

﴿٥٨﴾ ودَخلَت سِنُو القَحط وأصابَ أرضَ كَنعانَ والشَّام، ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلَّا بِنيامِينَ لِيَمتارُوا لِما بَلَغَهُم أنَّ عَزِيزَ مِصر يُعطِي الطَّعام بِثَمَنِه، ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنَّهُم إخوَتُه ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لا يَعرِفُونه؛ لِبُعدِ عَهدِهم بِه، وظَنِّهم هَلاكَه، فكَلَّمُوهُ

حاشية الصاوي

قوله: (ودانت له الرقاب) أي: خضَعت له الناس.

قوله: (﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾) أي: نَخصُّ بنِعمتنا مَنْ أردنا.

قوله: (﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: بل نُضاعفه لهم.

قوله: (﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف[1].

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: اتَّصفوا بالإيمان، وقوله: (﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾) أي: يَمتثلون الأوامر، ويجتنبون النواهي.

قوله: (ودخلت سنو القحط.. إلخ) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ مرتَّبٌ على محذوف؛ أي: سببُ مجيئهم: أنه لما فرَغت سِنو الخصب وأتت سنو القحط والجدب، واحتاجت الناس للطعام.. بلَغ يعقوبَ أنَّ بمصر ملكاً يبيع الطعام لِلمحتاجين، فبعثَهم لِيَبتاعوا منه.

قوله: (﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾) أي: وكانوا عشرة، وكان مَسكنهم بالعربات من أرض فلسطين، وهي ثغور الشام، وكانوا أهلَ باديةٍ وإبلٍ وشياهٍ.

وحِكمة ذهاب العشرة جميعاً: أنه بلَغهم أنَّ الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير؛ قصداً للعَدل بين الناس، فغرضهم بذلك: أن تكون الأحمالُ عشرة.

قوله: (ليمتاروا) أي: ليَحملوا الميرة، وهي: الطعام المجلوب من بلد أخرى.

قوله: (لبُعْدِ عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس: كان بين أن ألقَوه في الجبِّ وبين

---

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ....

بِالعبرانية فقال كالمُنكِرِ علَيهِم: ما أقدَمَكُم بِلادِي؟ فقالُوا: لِلمِيرة، فقال: لَعَلَّكُم عُيُونٌ، قالُوا: مَعاذَ الله، قال: فمِن أينَ أنتُم؟ قالُوا: مِن بِلاد كَنعان وأبُونا يَعقُوبُ نَبيُّ الله، قال: ولَهُ أولاد غَيرُكُم؟ قالُوا: نَعَم، كُنَّا اثني عَشَر فذَهَبَ أصغَرنا هَلَكَ في البَرِّيَّة، وكان أحَبَّنا إلَيه، وبَقِيَ شَقِيقُه فاحتَبَسَهُ لِيَتَسلَّى بِه عَنه، فأمَرَ بِإنزالِهِم وإكرامِهِم.

﴿٥٩﴾ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: وفَّى لَهُم كَيلَهُم، ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي: بِنيامِين لِأعلَمَ صِدقَكُم فِيما قُلتُم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾: أُتِمُّه مِن غيرِ بَخسٍ، ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾؟

حاشية الصاوي

دخولهم عليه اثنَتان وعشرون سنة؛ فلِذا أنكروه؛ لأنه كان على سرير الملك، وكان على رأسه تاج الملوك، وزيُّ الملوك[1].

قوله: (فقالوا: للميرة) أي: لأخذِها.

قوله: (لعلكم عيونٌ) أي: جواسيسُ تطَّلعون على عَوراتنا، وتخبرون بها أعداءنا.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾) أي: هيَّأ لهم الطعام، وأكرمهم في النزول، وأحسن ضِيافتهم، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سَفرهم.

قوله: (﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم﴾) أي: إن كنتُم صادقين في ذلك.. فأنا أكتفي منكم بذلك، قالوا: إن أبانا يَحزن لفراقه، قال: فاتركوا بعضَكم عندي رهينة حتى تأتوني به، فاقترَعوا فيما بينهم، فأصابت القرعة شمعون، فخلَّفوه عنده، وقوله: ﴿بِأَخٍ لَّكُم﴾ إنما لم يقُل: (بأخيكم)؛ زيادةً في الإبهام عليهم، وذلك للفرق بين قولك: رأيتُ غلامك، وغلاماً لك؛ فإنَّ الأول يقتضي أنَّ عندك به نوعَ معرفةٍ، دون الثاني.

قوله: (﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾... إلخ) غرضُه بذلك: الترغيب في العَود مرة أخرى.

قوله: (﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾) أي: خيرُ مَنْ يكرم الضِّيفان.

(١) أحد أقوال سبعة في المدة بين رؤياه وتأويلها، ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٧٤).

فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ

﴿٦٠﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ أي: مِيرةَ، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ـ نَهي أو عَطف على مَحلِّ ﴿فَلَا كَيْلَ﴾ ـ أي: تُحرَمُوا ولا تَقربُوا.

﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنَجتَهِدُ في طَلَبه مِنهُ، ﴿وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ﴾ ذلك.

﴿٦٢﴾ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ ـ: غِلمانِه: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ﴾ الَّتي أتَوا بِها ثَمَن المِيرةِ ـ وكانَت دَراهِم ـ ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾: أوعِيَتِهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفَرَّغُوا أوعِيَتَهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾) إذا عدتُم مرَّةً أخرى.

قوله: (أي: ميرة) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الكيل): المَكِيلُ.

قوله: (نهيٌ) أي: والفعل مجزوم بحذف النون، وحُذفت ياء المتكلم؛ تخفيفاً، وهذه النون للوقاية.

قوله: (أو عطف على محلِّ ﴿فَلَا كَيْلَ﴾) أي: وهو الجزم؛ لأنه جواب الشرط؛ وحينئذ: فـ(لا): نافية، ونُون الرفع محذوفة؛ للجازم على كلِّ حال، وعليه: فيكون المعنى: فلا كيل ولا قرب.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ﴾ ذلك) أي: المراوَدة والاجتهاد.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[١]، وكلٌّ من (فتية) و(فِتيان) جمع لـ(فتى)، لكن الأول: جمع قِلة، والثاني: جمع كثرة.

قوله: (﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾) أي: فقد وكَّل بكلِّ رحلٍ واحداً من غلمانه يضعُ فيه ثمنَ الطعام الذي في هذا الرحل.

قوله: (وكانت دراهم) وقيل: كانت نعالاً وجُلوداً، والأقرب: الأول؛ لأنَّ شأن الدراهم أن تخفى، ولا شكَّ أنهم لم يَعلموا بها إلا عند تفريغ أوعِيَتهم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص: «لِفِتيانِهِ»، والباقون: «لِفِتيَتِهِ». انظر «الدر المصون» (٦/ ٥١٧).

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا؛ لأنَّهم لا يَستَحِلُّون إمساكَها.

﴿٦٣﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إن لَم تُرسِل أخانا إلَيه، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ - بِالنُّون والياء -، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ هَلْ﴾: ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يُوسفَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنهم لا يستحلُّون إمساكها) أي: لأنَّ دِيانتهم وأمانتهم تحملهم على ردِّ البضاعة إليه إذا وجدوها؛ لأنهم مُطهَّرون من أكل ما لا يحلُّ لهم، وقيل: قصد يوسف بذلك مُواساة أبيه وإخوته؛ خوفاً ألَّا يكون عندهم شيءٌ من المال، وقيل: أراد أن يُريَهم برَّه وكرمه؛ ليكون ذلك باعثاً لهم على الرجوع، وقيل: رأى أنَّ أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً[1]، وقيل: أراد أن يُحسن إليهم على وجه لا يَلحقهم فيه منَّةٌ ولا عيبٌ.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟﴾) أي: التسعةُ؛ لما تقدَّم أنه أخذ شمعون رهينةً على أن يأتوه ببنيامين.

قوله: (﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾) أي: بعد هذه المرة.

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، وأصل (نكتَل): (نَكْتَيِل)، تحركت الياء وانفتح ما قبلها؛ قلبت ألفاً، ثم حذفت؛ لالتقاء الساكنين.

قوله: (﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾) الاستفهام إنكاري؛ ولذا فسَّر (هل) بـ(ما)، والمعنى: كيف آمنُكم على ولدي بنيامين وقد فَعلتُم بأخيه يوسف ما فعلتم، وإنكم ذكرتُم مثل هذا في شأن يوسف؛ حيث قلتم: وإنا له لحافظون؟! فلمَّا لم يحصُل الحفظ هناك.. فكيف آمنُكم هنا؟!.

قوله: (﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ﴾) الكاف: بمعنى (مثل) صفة لمصدر محذوف، والتقدير: إلا ائتماناً مثلَ ائتماني لكم على أخيه... إلخ.

---

(١) كذا في الأصول، ولعله سبق قلم، والأولى: إسقاط (أن)، أو رفع (لؤماً)، وعبارة «الفتوحات» (٢/ ٤٨٧): (رأى أنَّ في أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً)، وهي ظاهرة.

(٢) قرأ الأخوان: حمزة، والكسائي: «يَكتَل» بالياء، والباقون بالنون. انظر «الدر المصون» (٦/ ٥١٧).

مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ....

﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فَعلتُم بِه ما فَعلتُم، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ - وفي قراءةٍ: ﴿حَافِظًا﴾ تَميِيز، كقَولِهِم: لله دَرُّه فارِساً -، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجُو أن يَمُنَّ بِحِفظِه.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ - (مـــا) استِفهاميَّة - أي: أيَّ شَيء نَطلُب مِن إكرام المَلِك أعظَم مِن هذا؟ - وقُرِئ بالفَوقانية خِطاباً لِيَعقوبَ، وكانُوا ذَكروا له إكرامَه لَهُـم - ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نَأتِي بالمِيرة لَهُم وهي الطَّعامُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) وهي: سبعيَّة أيضاً[١].

قوله: (تمييز) أي: على كلٍّ من القراءتين.

قوله: (فأرجو أن يمنَّ بحفظه) أي: ولا يجمع عليَّ مصيبتَين، قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب ذلك.. قال الله له: لأردنَّ عليك كليهما؛ حيث توكَّلتَ عليَّ واستحفظتَني عليه[٢].

قوله: (﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾) بحضرة أبيهم.

قوله: (﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾) أي: وهي ثمنُ الميرة.

قوله: (أعظم من هذا) ورَد: أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوبَ إحسان ملك مصر إليهم، وحثُّوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم، فلمَّا وجدوا بضاعتهم ردَّت إليهم.. قالوا: أيَّ شيء نَطلب بعد هذا الإكرام؟! أوفى لنا الكيل، وردَّ لنا الثمن؛ لو كان رجلاً من أولاد يعقوب.. ما أكرَمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا رجعتُم إلى مصر.. فأقرِئوه منِّي السلام، وقولوا له: إنَّ أبانا يُصلي عليك، ويدعو لك بما أولَيتَنا[٣].

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي: بفتح الحاء وألف بعدها، وكسر الفاء، والباقون بكسر الحاء، وسكون الفاء. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٢١).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٤٠).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٦).

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم﴾

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لِأخِينا، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: سَهلٌ على المَلِك لِسَخائِه.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾: عَهداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بِأن تَحلِفُوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بِأن تَمُوتُوا أو تُغلَبُوا فَلا تُطِيقُوا الإتيانَ بِه، فأجابُوهُ إلى ذلك، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحنُ وأنتُم ﴿وَكِيلٌ﴾: شَهِيدٌ، وأرسَلَه مَعَهم.

﴿٦٧﴾ ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾ مِصرَ ﴿مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لِئلَّا تُصِيبَكُم العَين، ﴿وَمَا أُغْنِي﴾: أدفَعُ ﴿عَنكُم﴾ بِقَولِي ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾) على أحمالنا.

قوله: (﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾) هذا هو جواب القسم.

قوله: (﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾) استثناء من عُموم الأحوال، والتقدير: لَتأتُنَّني به في كل حال إلا حال الإحاطة بكم.

قوله: (﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾) أي: بقولهم: بالله ربِّ محمد؛ لَنأتينَّك به، و(الموثق): العهد المؤكَّد باليمين.

قوله: (﴿مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾) أي: وكانت أبواب مِصر إذ ذاك أربعة.

قوله: (لئلا تُصيبكم العين) إنما خاف عليهم العين؛ لكمالهم وجمالهم وقوَّتهم واشتِهارهم من أهل مصر بإكرام الملك لهم واحتِرامهم، فأمرهم بالتفرق؛ لِيَسلموا من إصابة العين؛ فإنها كما قال أهل السنة: سببٌ عادي للضرر كالسم والسيف، يُوجد الضرر عندها لا بها، وقالت الفلاسفة: إن العائن يَنبعث من عينه قوة سمِّية بالمعيون، فيَهلك أو يفسد؛ فأثبتوا لِلعين تأثيراً بنفسها، وهو كلامٌ باطلٌ، واعتقادُهُ كفرٌ. وأعظم نافع في الرقى من العين: سُورتا (المعوِّذتين).

مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا ....

﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾ - زائِدة - ﴿شَىْءٍ﴾ قَدَّرَهُ عليكُم، وإنَّما ذلك شَفَقة، ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحدَه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وَثِقتُ، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿٦٨﴾ قال تَعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: مُتَفرِّقِين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قَضائِه ﴿مِن﴾ - زائدة - ﴿شَىْءٍ إِلَّا﴾: لَكِن ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾) أي: مِن قضائه.

قوله: (وإنما ذلك) أي: القول.

قوله: (شفقة) أي: رَأفة بكم.

إن قلتَ: لِمَ أمرهم بذلك في هذه المرة ولم يَأمرهم في المرة الأولى؟

أجيب بجوابين: الأول: لكون معهم بنيامين، وهو عزيزٌ عليه، فخاف عليهم لِكَونه معهم، والثاني: أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجلٍ واحد، وفيهم نُور النبوة والشهامة والجمال، سيَّما وقد كانوا عند الملك بمنزلة، بخِلاف المرة الأولى.

قوله: (﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾) أي: فوَّضت أُموري واعتمدت عليه، لا على ما أمرتُكم به؛ لأنَّ الأخذ في الأسباب مع التوكل أفضلُ من ترك الأسباب.

قوله: (﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾) اختُلف في جواب (لما)؛ فقيل: هو قوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى...﴾ إلخ، والمعنى: أنَّ دخولهم من أبواب مُتفرقة لا يدفع عنهم ممَّا قدره الله شيئاً، بل الدخول متفرقاً كالدخول مجتمعاً بالنسبة لقضاء الله.

وقيل: هو قوله: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، وهو جواب (لما) الثانية أيضاً؛ لأنَّ المقصود بدخول المدينة: الدخول على يوسف، والمقصود به: إيواءُ الأخ، فـ(لما) الثانية مرتَّبةٌ على الأولى، فصلح أن يكون جوابهما واحداً.

قوله: (﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾) أي: من أبواب متفرِّقة.

قوله: (﴿مَّا كَانَ يُغْنِى﴾) أي: يَدفع عنهم التفرُّق، ففاعل ﴿يُغْنِى﴾: ضمير يعود على التفرُّق.

حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ....

﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ وهيَ إرادةُ دَفعِ العَينِ شَفَقةً، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لِتَعلِيمِنا إيَّاهُ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهامَ الله لِأصفيائِه.

﴿٦٩﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾: ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تَحزَنْ ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ مِن الحَسَد لَنا، وأمَرَهُ أن لا يُخبِرَهُم وتَواطَأ مَعه على أنَّهُ سَيَحتالُ على أن يُبقِيَه عِندَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا حَاجَةً﴾) الاستثناء منقطع؛ ولذا فسَّره بـ(لكن)، والمعنى: لم يكن تفرُّقهم دافعاً عنهم من قدر الله شيئاً، لكن حاجة في نفس يعقوب قَضاها، وهي دفع العين عنهم التي كانت تُصيبهم عند دخولهم مجتمعين؛ فإنَّ التفرُّق في الدخول دفعها بإرادة الله.

قوله: (لتعليمنا إياه) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية.

قوله: (﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾) أي: مَنزله ومحلَّ حكمه، وهذا الدخول غير الدخول السابق؛ فإن المراد به: دخول المدينة.

قال المفسِّرون: لما دخلُوا عليه.. قالوا: أيها الملك؛ هذا أخونا الذي أمرتَنا أن نأتيك به، فقد جئناك به، فقال: أحسَنتم وأصبتم، ستَجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم منزلهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًّا.. لأجلَسني معه، فقال لهم يوسف: لقد بقي هذا وحده، فقالوا: كان له أخٌ، فهلك، قال لهم: فأنا أُجلسه معي، فأخذه وأجلسه معه على مائدة، وجَعل يؤاكله، فلمَّا دخل الليل.. أمر لهم بمثل ذلك من الفراش، وقال: كل اثنَين ينامان على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا يَنام عندي على فراشي، فقام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمُّه إليه ويَشمُّ ريح أبيه منه حتى أصبح، فلمَّا أصبح.. قال لهم: إني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثان، فأنا أضمُّه إليَّ، فيكون معي في مَنزلي، ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا، فلمَّا خلى به.. قال له يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: فهل لك من وَلد؟ قال: عشرة بنين،

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ....

﴿٧٠﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاعٌ مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعٌ بالجَوهَر ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بِنيامِينَ، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادَى مُنادٍ بَعد انفِصالِهم عن مَجلِس يُوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: القافِلةُ ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قال: فهل لك من أخ لأم؟ قال: كان لي أخٌ فهلك، قال يوسف: أتحب أن أكونَ أنا أخاك بدلَ أخيك الهالك؟ قال بنيامين: ومَن يجد أخاً مثلك أيها الملك؟! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانَقه وقال: إني أنا أخوك... إلخ.

وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا أخوك.. قال بنيامين: لا أُفارِقك، فقال يوسف: قد علمتَ اغتمام والدي بي؛ فإذا حَبَستك عندي.. ازداد غمُّه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرَك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يُحمَد، فقال: لا أبالي، افعل ما بدَا لك؛ فإني لا أفارقك، قال يوسف: فإني أدسُّ صاعي في رَحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة؛ لأحتالَ في ردِّك بعد إطلاقك، قال: فافعَل ما شئت؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم...﴾ إلخ[1].

قوله: (﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾) عبَّر هنا بالفاء؛ إشارةً إلى طلب سُرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم، بخلاف المرة الأولى، كان المطلوب طُول إقامتهم؛ ليتعرف حالهم.

قوله: (هي صاع من ذهب) وكان يَشرب فيه الملك، فيسمَّى: سقايةً باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخِر أمره؛ لأنَّ الصاع آلة الكيل.

قوله: (مرصَّع بالجواهر) أي: مزيَّن ومحلًّى بها.

قوله: (بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) أي: خُروجهم وسيرهم، بل قيل: إنهم وصلوا إلى بلبيس، وردُّوا من عندها.

قوله: (﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾) هي في الأصل: كلُّ ما يُحمل عليه من إبل وحمير، ويقال: أُطلقت وأريد أصحابها، فهو مجازٌ علاقته المجاورة.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٤٢).

قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ....

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا۟ وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾: ما الَّذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ه؟

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صاعَ ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِن الطَّعام، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بِالحِملِ ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيل.

﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ - قَسَم فِيه مَعنَى التَّعَجُّب - ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: ما سَرَقنا قَطُّ.

﴿٧٤﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المُؤَذِّنُ وأصحابُه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السَّارِقِ ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في قَولِكُم: (ما كُنَّا سارِقِينَ) ووُجِد فِيكُم؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَقْبَلُوا۟﴾) قدَّر المفسِّر (قد)؛ إشارةً إلى أنَّ الجملة حالية، والمعنى: أنهم التفتُوا إليهم، وخاطبوهم بما ذكر.

قوله: (﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾) أي: أيُّ شيء ضاع منكم؟

قوله: (﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾) أي: آلة كَيله، وإنما اتخذ آلة كيل؛ لِعزة ما يُكال به في ذلك الوقت، وفيه قراءات كثيرة؛ السبعيَّة منها واحدةٌ، وهي (صُواع)، وما عداها شاذٌّ[1].

قوله: (﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾) أي: جعلاً له.

قوله: (﴿تَٱللَّهِ﴾... إلخ) إنما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدلُّ على صدقهم؛ حيث كانوا مواظبِين على الطاعات والخيرات، حتى بلغ من أمرهم أنهم سَدُّوا أفواه دوابهم؛ لئلا تأكل شيئاً من أموال الناس.

قوله: (﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف، تأكيدٌ لما قبله[2].

قوله: (ووُجِدَ فيكم) الجملة حاليَّة، والمعنى: فما جزاؤه إن كنتُم صادقين في قولكم والحال أنه ظهر خلاف ما قلتُم.

---

(١) انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (١/ ٣٤٦).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ ......

﴿٧٥﴾ ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ ـ مُبتَدأ خَبَره: ـ ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ يُستَرَقُّ، ثُمَّ أُكِّدَ بِقَولِه: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السَّارِق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: المَسرُوقُ لا غَير، وكانَت سُنَّةَ آل يَعقوبَ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجَزاءِ ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِالسَّرِقة، فصَرَّحُوا لِيُوسف بِتَفتيشِ أوعِيَتِهم.

﴿٧٦﴾ ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ ففتَّشَها ﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لِئَلَّا يُتَّهَم، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ أي: السِّقايةَ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكَيدِ ﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾: عَلَّمناهُ الاحتِيالَ في أخذ أخِيهِ، ﴿مَا كَانَ﴾ يُوسفُ ﴿لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ﴾ رَقِيقاً عن السَّرِقة ....

حاشية الصاوي

قوله: (خبره: ﴿مَن وُجِدَ﴾) أي: فـ﴿مَن﴾: اسم موصول، و﴿وُجِدَ﴾: صلتها، والكلام على حذف مضاف؛ أي: استرقاق من وجد، أشار له المفسِّر بقوله: (يُسْتَرَقُّ).

قوله: (وكانت سنَّة آل يعقوب) أي: طريقتهم وشَريعتهم، يُسترقُّ السارق سنةً.

قوله: (فصُرِفُوا) أي: ردُّوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعةُ الملك.

قوله: (﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾) أي: فكان يفتح وعاءً وعاءً ويفتِّشه، ثم بعد فراغه منه يَستغفر الله مما قذَفهم به إلى أن وصل إلى رحل بنيامين، فقال: ما أظنُّ هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نَتركك حتى تنظر في رَحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلمَّا فتحُوا متاعه.. وجدوا الصواع فيه.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾) أي: فلمَّا أخرجها منه.. نكَّس الإخوة رُؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يَلُومونه ويقولون له: فضحتَنا وسوَّدت وجوهنا يا بني راحيل، ما زال لنا منكم بلاءٌ، فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء؛ ذهبتُم بأخي فأهلكتموه في البرية، إنَّ الذي وضع هذا الصواع في رحلي هو الذي وَضع البضاعة في رِحالكم.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد) أي: الحيلة، وهي: استفتاء يوسف من إخوته.

قوله: (﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾) أي: ألهمناه أن يَضع الصواع في رحل أخيه؛ لِيَضُمَّه إليه على ما حكم به إخوته.

قوله: (علَّمناه الاحتيال... إلخ) أي: فما وقع من يوسف في تلك الواقعة بوحي من الله تعالى، وحينئذٍ: فلا يقال: كيف نادى على إخوته بالسرقة واتهمهم بها مع أنهم بَريئون؟!

﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ ....﴾

﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: حُكم مَلِك مِصر؛ لأنَّ جَزاءَهُ عِنده الضَّرب وتَغريم مِثلَي المَسرُوق لا الاستِرقاق، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أخذَه بِحُكمِ أبِيه، أي: لَم يَتمَكَّن مِن أخذِه إلَّا بِمَشِيئة الله تعالى بِإلهامِه سُؤالَ إخوَته وجَوابِهم بِسُنَّتِهم، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ ـ بالإضافة والتَّنوين ـ في العِلم كيُوسفَ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ مِن المَخلُوقِين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلَم مِنهُ، حتَّى يَنتَهِي إلى الله تَعالى.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ﴾ أي: يُوسفُ، وكان سَرَقَ لأبِي أُمِّه صَنَماً مِن ذَهَب فكَسَرَهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنَّ جزاءه عنده الضرب... إلخ) أي: وهذه الطريقة لا تُوصله إلى أخذ أخيه.

قوله: (مِثْلَي المسروق) أي: مثلَي قِيمته.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾) استثناء منقطع، والمعنى: ما كان ليأخُذ أخاه في دين الملك، ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه؛ إذ لو شاء عدم أخذه.. لما علَّمه تلك الحيلة.

قوله: (بحكم أبيه) أي: شَريعته.

قوله: (بالإضافة والتنوين) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَفَوْقَ﴾) خبر مقدَّم، و﴿عَلِيمٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والمعنى: إنَّ إخوة يوسف وإن كانوا علماء إلا أن الله جعل يوسف فوقهم في العِلم، بل فضَّله عليهم بمزايا عظيمة؛ منها: الرسالة، والملك، والإنعام عليهم، وغير ذلك.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ﴾... إلخ) سبب هذه المقالة: أنه لما أخرج الصاع من رحل بنيامين.. افتضح الإخوة، ونكسوا رؤوسهم، فقالوا تبرئة لساحتهم: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾.. إلخ، وأتوا بـ(إن) المفيدة للشكِّ؛ لأنه ليس عندهم تحقُّق سَرقته بمجرَّد إخراج الصاع من رحله، وبالمضارع؛ لحكاية الحال الماضية.

قوله: (وكان سرق لأبي أمِّه صنماً... إلخ) هذا أحد أقوال في السرقة التي نَسَبوها له، وقيل:

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتنوين التاء، والباقون بغير تنوين. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٢٧).

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧﴾ ....

لِئَلَّا يَعبُدَه، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾: يُظهِرْها ﴿لَهُمْ﴾ والضَّميرُ لِلكلمة التي في قَولِه: ﴿قَالَ﴾ في نَفسِه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مِن يُوسفَ وأخِيهِ لِسَرِقَتِكُم أخاكُم مِن أبِيكُم وظُلمِكُم لَه، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: عالِم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾: تَذكُرُون مِن أمرِه.

حاشية الصاوي

جاء سائل يوماً، فأخذ بَيضة من البيت، فناولها للسائل، وقيل: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوبَ، فأعطاها سائلاً، وقيل: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء.

وقيل: لم يسرق أصلاً؛ لا ظاهراً ولا باطناً، وإنما كانت تهمةً فقط؛ وذلك: أنَّ عمَّته حضَنته بعد موت أمه، فأحبَّته حبًّا شديداً، فلمَّا ترعرع.. وقَعت محبة يعقوب عليه، فأحبَّه، فقال لأختِه: يا أختاه؛ سلِّمي إليَّ يوسف؛ فوالله؛ ما أَقدر أن يغيب عني ساعة واحدة، فقالت: لا أُعطيكه، فقال: والله؛ ما أنا بتاركه عندك، فقالَت: دعه عندي أياماً.. أنظر إليه؛ لعلَّ ذلك يُسلِّيني عنه، ففعل ذلك، فعمَدت إلى منطقة كانت لإسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، وكانت أكبرَ أولاد إسحاق، وكانت عندها، فشدَّت المنطقة على وَسط يوسف تحت ثيابه، وهو صغير لا يَشعر، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، ففَتشوا أهل البيت، فوَجدوها مع يوسف، فقال يعقوب: إن كان فعَل ذلك.. فهو سَلَمٌ لك، فأمسكَته عندها حتى ماتت[1].

قوله: (لئلَّا يعبده) أي: يَدوم على عبادته.

قوله: (والضمير للكلمة) أي: فهو عائدٌ على متأخِّر لفظاً ورتبةً، وحينئذٍ: يكون في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: (قال أنتم شرٌّ مكاناً، وأسرَّها في نفسه)، وهذا أحد قولين، وقيل: إنه عائد على قوله: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، ومعنى قوله: (أسَرَّها): لم يردَّ لها جواباً.

قوله: (﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾) أي: منزلةً، والمعنى: إنَّ ما ظَهرتم به شرٌّ مما ظهر به يوسف وأخُوه؛ فإنهما اتُّهما بالسرقة ظاهراً، وأنتُم سرَقتم يوسف من أبيه، وفعلتُم به ما فعلتم.

قوله: (لسرقتكم أخاكم من أبيكم) أي: وهو يوسف.

قوله: (عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه؛ إذ لا مُشاركة بين الحادث والقديم.

---

(١) عزاه البغوي في «تفسيره» إلى محمد بن إسحاق (٤/٥٦٣)، والسَّلَمُ: الأسير.

قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٧٨) ....

(٧٨) ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يُحِبُّهُ أكثَرَ مِنَّا ويَتسَلَّى بِه عن ولَده الهالِك، ويُحزِنهُ فِراقُه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾: استعبِدْهُ ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾: بَدَلاً مِنه، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالِك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾... إلخ) سبب هذه المقالة: أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين.. غَضب روبيل لذلك، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا.. لم يُطاقوا، وكان روبيل إذا غضب.. لم يقُم لغضبه شيءٌ، وكان إذا صاح.. ألقت كلُّ حاملٍ حملَها إذا سمعَت صوته، وكان مع ذلك إذا مسَّه أحدٌ من ولد يعقوب.. يَسكن غضبه، وكان أقوى الإخوة وأشدَّهم ـ وقيل: كان هذا صفة شمعون بن يعقوب ـ فسأل إخوته: كم عَدد الأسواق بمصر؟ قالوا: عشرة، قال: اكفُوني أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك، أو: اكفُوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف، فقال روبيل: أيها الملك؛ لتردَّن علينا أخانا أو لأَصيحنَّ صيحة لا يبقى بمصر امرأةٌ حاملٌ إلا وَضعت حملها، وقامت كلُّ شعرة في جسد روبيل حتى خرَجت من ثيابه، فقال يوسف لابنٍ صغير له: قُم إلى جنب هذا فمسَّه أو خُذ بيده، فأتى فلمَّا مسَّه.. سكن غضبُه، فقال لإخوته: مَنْ مسَّني منكم؟ قالوا: لم يُصِبك منا أحدٌ، فقال روبيل: إنَّ هذا بذر من بذر يَعقوب، فغضب ثانياً، فقام يوسف إليه، فوكَزه برجله، وأخذ يداً من يده، فوقع على الأرض، وقال لهم: أنتم يا مَعشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشدُّ منكم، فلمَّا رأَوا ما نزل بهم، ورأوا أن لا سبيلَ إلى الخلاص.. خضعوا وذلُّوا وقالوا: يا أيها العزيز... إلخ[1].

قوله: (﴿كَبِيرًا﴾) أي: في السنِّ، أو القدر؛ لأنه نبيٌّ من أولاد الأنبياء.

قوله: (استعبِدْهُ) أي: استرِقَّه.

قوله: (﴿مَكَانَهُۥٓ﴾) منصوبٌ على الظرفية، أو ضمَّن (خُذ) معنى (اجعَل)؛ فـ﴿مَكَانَهُۥ﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: في أفعالك، وإلينا في تَوفية الكيل، وحُسن الضيافة، وغير ذلك.

(١) انظر الخبر بطوله عند الطبري في «تاريخه» (١/ ٣٥٦)، وهو من الأخبار الإسرائيلية.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ....

﴿٧٩﴾ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ـ نصب على المَصدَر حُذِفَ فِعلُه وأُضِيفَ إلى المَفعُول ـ أي: نَعُوذُ بِالله مِن ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ لَم يَقُل: (مَن سَرَقَ) تَحَرُّزاً مِنَ الكذبِ، ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إنْ أَخَذْنا غيرَه ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾.

﴿٨٠﴾ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: يَئِسُوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾: اعتَزَلُوا ﴿نَجِيًّا﴾ مَصدَر يَصلُح لِلواحِدِ وغَيرِه، أي: يُناجِي بَعضُهم بَعضاً، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سِنًّا روبيل، أو رَأياً يَهُوذَا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾: عَهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أخِيكُم، ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾ ـ زائِدة ـ ﴿فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾، ـ وقِيل: (ما) مَصدريَّة مُبتدأ خَبرُه: (مِن قَبل) ـ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أُفارِقَ ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ مِصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بِالعَودِ إلَيه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾) أي: في أخذ أحدكم مَكانه.

قوله: (يئسوا) أشار بذلك إلى أنَّ السين والتاء زائدتان.

قوله: (اعتزلوا) أي: مجلسَ الملك.

قوله: (﴿نَجِيًّا﴾) هو حال، والمعنى: خلصُوا حال كونهم مُتناجين ومتشاورين في أمر هذه القضية.

قوله: (في أخيكم) أي: في رَدِّه.

قوله: (﴿مَا﴾ زائدة) أي: والجار والمجرور متعلق بـ﴿فَرَّطتُمْ﴾.

قوله: (وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية مبتدأ) أي: وهي وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، مبتدأ، فالمبتدأ في الحقيقة المصدر المنسبك، والمعنى: وتفريطكم كائنٌ من قبل تَفريطكم في بنيامين. واعترض هذا الإعراب: بأنَّ الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً، ويجاب: بأنَّ محلَّ ذلك: ما لم يَتعيَّن المضاف إليه كما هنا.

قوله: (﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿أَبْرَحَ﴾ ضمِّنت معنى (أُفارق)؛ فـ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به، و﴿أَبْرَحَ﴾: تامَّة.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ....

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاصِ أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أعدلُهم.

﴿٨١﴾ ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: تَيَقَّنَّا مِن مُشاهَدةِ الصَّاع في رَحلِه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لِما غابَ عَنَّا حِينَ إعطاء المَوثِق ﴿حَافِظِينَ﴾، ولَو عَلِمنا أنَّهُ يَسرِقُ لم نَأخُذْه.

﴿٨٢﴾ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مِصر، أي: أرسِلْ إلى أهلِها فاسأَلْهُم، ﴿وَالْعِيرَ﴾: أي: أصحابَ العِير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهُم قَومٌ مِن كَنعانَ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قَولنا، فرَجَعُوا إلَيه وقالُوا لَه ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾) إما: معطوف على ﴿يَأْذَنَ﴾، أو منصوب بـ(أن) مضمرة في جواب النفي؛ كأنه قال: فلن أبرَح الأرض إلا أن يحكُمَ الله؛ كقولهم: لألزمنَّك أو تَقضيَني حقِّي؛ أي: إلا أن تَقضيني حقِّي.

قوله: (﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا﴾... إلخ) إنما أمرهم بذلك؛ لِتَزول التهمة عنهم عند أبيهم.

قوله: (﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾) إنما نسَبوه للسرقة؛ لأنهم شاهدوا الصواع قد أُخرج من متاعه، فغلب على ظنِّهم أنه سرق؛ فلِذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الحال، لا في الحقيقة.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾) أي: وما كُنا للعواقب عالمين، فلم نَدْرِ حين أعطيناك الموثق أنه سيَسرق وتصاب به كما أُصبت بيوسف.

قوله: (أي: أرسل إلى أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، وكذا في قوله: ﴿وَالْعِيرَ﴾.

قوله: (وهو قوم كنعان) أي: وكانوا جيراناً ليعقوب.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾) سواءٌ نسَبتنا إلى التهمة أم لا، وليس غرضهم: أن يثبتوا صِدْقَ أنفسِهم بهذه المقالة؛ لأنَّ دعوى الخصم لا تَثبت بنفسها.

قوله: (فرجعوا) أي: التسعة، وقدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ....

﴿٨٣﴾ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زيَّنت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه، اتَّهمهم لِما سبق منهم مِن أمرِ يُوسفَ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صَبري ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيُوسفَ وأخَوَيهِ ﴿جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿٨٤﴾ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تارِكاً خِطابَهُم ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ﴾ ـ الألفُ بَدَل مِن ياءِ الإضافةِ ـ أي: يا حُزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾) خبر لمبتدأ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (صبري)، وتقدَّم: أن الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه لمخلوق، ولا جزعَ من فعل الخالق؛ ولذلك فوَّض أمره لله، ولم يسأل العير، ولم يُرسل يستخبر من القرية التي كانوا فيها، بل استسلم للقضاء، ولم يقطع الرجاء.

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾) إنما قال ذلك؛ لأنه لما طال حزنه، واشتدَّ كربه.. علم أنَّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً؛ لأنه إذا اشتدَّ الكرب.. كان إلى الفرج أسرَعَ.

وقيل: إنَّ يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر، وأنَّ أولاده أحياءٌ لم يُصابوا بشيء، وأنه سيجتمع عليهم غير أنه أمر بكتم ذلك، فلوَّح بتلك الإشارة إلى عِلمه.

قوله: (وأخوَيه) بنيامين وكبيرهم.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعته) أي: لأنه يضع الأشياء في محلِّها.

قوله: (﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾) مرتَّبٌ على ما ذكروه له.

قوله: (الألف بدل من ياء الإضافة) أي: والأصل: (يا أسفِيَ) بكسر الفاء، وفتح الياء، قلبت الكسرة فتحة، ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قُلبت الفاء؛ فيقال في إعرابها: (أسفَى): منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً.

قوله: (﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾) إنما تجدَّد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين؛ لأنَّ الحزن القديم إذا صادفَه حزنٌ آخرُ.. كان أوجعَ للقلب، وأعظمَ لهيجان الحزن، وليس في هذا إظهارُ جزعٍ، بل هو شكوى لله، لا لِلخلق؛ فمعنى ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ﴾: أشكو إلى الله شِدة حزني؛ فلا ينافي قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ....

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: انمَحَق سَوادُهما وبُدِّلَ بَياضاً مِن بُكائِه، ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ علَيهِ، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مَغمُومٌ مَكرُوب لا يُظهِرُ كَربَه.

﴿٨٥﴾ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا۟﴾: تَزالُ ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مُشرِفاً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾) وقيل: معناه: عمي فلَم يُبصر شيئاً ست سنين، وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التَّبليغ واشتهاره.

وقيل: معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعضِه ببعض، ولم يكن عمًى حقيقةً، بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين[1] غشاوةٌ مانعةٌ له من النظر، ولم يَذهب أصلاً، وهذا هو الأقرب.

قوله: (﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾) أي: مكظوم، ممتلئ من الحزن، ممسِك عليه، لا يذكره لأحد، قال قتادة: الكظيم: الذي يردُّ حزنَهُ في جَوفه ولم يقل إلا خيراً[2].

قوله: (﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾) تسليةٌ له على ما نزَل به من الحزن العظيم.

إن قلتَ: كيف حلَفوا على شيء لا يعلمون حقيقته؟

أجيب: بأنهم حلَفوا على غلبة الظن، وهي بمنزلة اليقين، فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد.

قوله: (﴿تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾... إلخ) إنما قدَّر المفسِّر (لا)؛ لأنَّ القسم المثبتَ جوابُهُ مؤكَّدٌ بالنون أو اللام عند الكوفيين، أو بهما عند البصريين، فلمَّا رأينا الجواب هنا خالياً منهما.. عَلمنا أنَّ القسم على النفي؛ بمعنى: أنَّ جوابه منفيٌّ لا مُثبت؛ فلو قيل: والله أحبك.. كان المراد: لا أحبك، وهو من قبيل التورية، ومن ذلك: إذا قال: والله أجيئك غداً.. فيَحنث بالمجيء، بخلاف ما إذا قال: لأجيئنَّك.. فيَحنث بعدمه.

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾) هو من باب (تعب)؛ يقال: حَرِضَ حَرَضاً: أشرف على الهلاك.

---

(١) إنسان العين: حدَقتها، والجمع فيها: أناسي.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٨٦) عنه في تفسير الآية.

أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ....

على الهَلاكِ لِطُولِ مَرَضِك، وهو مَصدَر يَستَوِي فِيه الواحِد وغَيرُه، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾: المَوتَى.

﴿٨٦﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى﴾ هو عَظِيمُ الحُزن الَّذِي لا يُصبَرُ عليه حتَّى يُبَثَّ إلى النَّاس، ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غَيره، فهو الَّذي تَنفَع الشَّكوَى إلَيه، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن أنَّ رُؤيا يُوسفَ صِدقٌ وهو حيٌّ، ثُمَّ قال:

حاشية الصاوي

قوله: (وغيره) أي: المثنى والمجموع، والمذكر والمؤنث.

قوله: (﴿قَالَ﴾ لهم) أي: جواباً لقولهم.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى﴾) البثُّ: تفريق الحزن وإظهاره؛ لأنَّ الإنسان إذا ستر الحزن وكتَمه.. كان همًّا، وإذا ذكره لغيره.. كان بثًّا؛ فالبثُّ: أشدُّ الحزن، وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام؛ لما ورد: (أنه كان ليعقوب شخصٌ مُواخ له، فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرَك؟ وما الذي قوَّس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري.. فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوَّس ظَهري.. فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له: يا يعقوب؛ إنَّ الله يُقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكُوَ إلى غيري، فقال: إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلَم بما تشكو).[1] وإنما عوتب يعقوب بهذا؛ لأنَّ حسَنات الأبرار سيئات المقربين؛ لأنَّ العِتاب على قدر المرتبة.

قوله: (﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: من رحمته وإحسانه.

قوله: (وهو حي) أي: لما روي: (أن ملَك الموت زار يعقوب، فقال له يعقوب: أيها الملك الطيب ريحه، الحسَن صورته، الكريم على ربه؛ هل قبضتَ روح ابني يوسف؟ قال: لا)[2]، فطابَت نفس يعقوب، وطمع في رؤيته.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣١٣١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤٦٦).

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ....

٨٧ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: اطلُبوا خبرَهما، ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ﴾: تقنَطُوا ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾: رَحمتِه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ﴾... إلخ) سبب تلك المقالة: أنَّ أولاده لما أخبَروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله.. أحسَّت نفس يعقوب، وطَمع أن يكون هو يوسف؛ فعند ذلك قال: يا بني... إلخ.

قوله: (﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾) هو بالحاء المهملة: طلب الخير بالحاسة، والتجسس: بمعناه، روي: (أن يعقوب حين أمَر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه.. كتب لهم كتاباً إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذَبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر؛ أما بعد: فإنَّا أهل بيت وكِّل بنا البلاء؛ أما جدِّي إبراهيم.. فشُدَّت يداه ورجلاه، وألقي في النار، فصبر لأمر الله، وأما عمي إسماعيل.. فابتُلي بالغربة في صغره، فصبر لأمر الله، وأما أبي إسحاق.. فابتلي بالذبح ووَضع السكين على قفاه، ففَداه الله، وأما أنا.. فكان لي ابن، وكان أحبَّ أولادي إليَّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتَوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب، فذَهبت عيناي، ثم كان لي ابن آخر، وكان أخاه من أمه، فكنتُ أتسلى به، وإنك حبَسته وزعمت أنه سرق، وإنَّا أهل بيت لا نَسرق، ولا نلد سارقاً؛ فإن ردَدتَه إليَّ، وإلَّا.. دعوت عليك دعوةً تدرك السابع من ولَدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه.. اشتد بكاؤه، وقلَّ صبره، وأظهر نفسه لإخوَته)[1].

قوله: (وأخيه) لم يقل: (وأخوَيه)؛ لأنه كان يَعلم أن الثالث مقيمٌ بمصر، فلم يَخْفَ عليه حاله.

قوله: (اطلبوا خبرهما) أي: بالحاسَّة؛ كما أن التجسس: طلب الخبر بالحاسَّة أيضاً، فهما بمعنى واحد؛ ولِذا قرئ هنا بالجيم شذوذاً[2].

قوله: (﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾) بالفتح: مصدر بمعنى: الرحمة، وهو في الأصل: استراحة القلب من غَمِّه، والمعنى: لا تَقنطوا من راحة تأتيكم من الله.

---

(١) رواه بهذا السياق الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٧٦)، والخبر دليل لقول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل رضي الله عنهم في أن الذبيح سيدنا إسحاق عليه السلام، والصحيح: أن الذبيح سيدنا إسماعيل كما سيأتي في (الصافات). انظر «تفسير الرازي» (٢٦/ ٣٤٦).

(٢) انظر «الدر المصون» (٦/ ٥٤٩).

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فانطَلَقُوا نحوَ مِصر لِيُوسف.

٨٨ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: الـجُـوعُ، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ مَدفُوعة يَدفَعها كُلُّ مَن رَآها لِرَداءَتِها، وكانَت دَراهِمَ زُيُوفاً أو غَيرَها، ﴿فَأَوْفِ﴾: أتِمَّ ﴿لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بِالمُسامَحة عن رَداءة بِضاعَتِنا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: يُثِيبُهُم، فرَقَّ لَهُم وأدرَكَتهُ الرَّحمةُ ورَفَعَ الحِجابَ بَينه وبَينَهم.

٨٩ ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لَهُم تَوبِيخاً: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ مِن الضَّرب والبَيعِ وغَير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فانطلقوا نحو مصر) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (مدفوعة) أي: مَردودة.

قوله: (وكانت دراهم زيوفاً) أي: معيبةً.

قوله: (أو غيرها) (أو): لِتنويع الخلاف؛ فقيل: كانت نعالاً، وقيل: صوفاً.

قوله: (﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾) أي: أعطِنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد؛ فإنا نريد أن تقيم لنا الناقص مُقام الزائد.

قوله: (بالمسامحة) وقيل: بردِّ أخينا بنيامين.

إن قلتَ: إنَّ ما فعَلوه خلاف ما أمرَهم به أبوهم من التحسس من يوسف وأخيه؟!

أجيب: بأنَّ أبواب التحسس كثيرةٌ، وهذا منها؛ لأنَّ الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدَّة الحاجة ممَّا يرقِّق القلبَ؛ فإن كان يوسفَ.. فسيَظهر لهم حاله؛ لحصول الرقة والعطف منه لهم، وإن كان غيرَهُ.. فلا يرقُّ ولا يعطف.

قوله: (ورفع الحجاب... إلخ) قيل: هو اللثام الذي كان يَتلثم به، وقيل: هو الستر الذي كان يُكلمهم من خلفه، وقيل: هو تاج الملك الذي كان يَضعه على رأسه، وكان له في قَرنه علامة تشبه الشامة، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولِسارة مثلها، فعرفوه بها.

قوله: (﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾) أي: هل عَلمتم عاقبة ما فعلتُم بهما من تسليم الله إيَّاهما من كل مكروه، وإنعام الله عليهما بتلك النعمة العظيمة؟

إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ....

مِن هَضمِكُم له بَعد فِراق أخِيهِ ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ ما يَؤُولُ إليه أمرُ يُوسف؟

﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوٓا۟﴾ بَعد أن عَرَفُوهُ لِما ظَهَرَ مِن شمائِله مُتَثبِّتِين: ﴿أَءِنَّكَ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَين وتَسهِيل الثَّانية وإدخالِ ألِفٍ بَينَهما على الوَجهَينِ ـ: ﴿لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ﴾: أنعَمَ ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بِالاجتِماعِ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: يَخَفِ الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يَنالُهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من هضمكم له) أي: ظلمكم وإِذايَتِكُمْ له.

قوله: (﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾) أي: وقتَ جهلكم بعاقبة أمرهما.

قوله: (من شمائله) أي: أخلاقه.

قوله: (وإدخال ألف بينهما... إلخ) أي: فالقراءات أربعٌ: التحقيق، والتسهيل للهمزتين مع الألف بينهما، وبدونها، وبقي قراءة خامسة سبعيَّة أيضاً وهي: (إنك) بهمزة واحدة[١].

قوله: (﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾) إنما عرَّض باسمه[٢]؛ تعظيماً لما نزل به من ظُلم إخوته، ولما عوَّضه الله من النصر والملك.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وبحذفها فيهما، قراءتان سبعيَّتان[٣]؛ فعلى الإثبات: تكون (مَن) موصولة، والفعل صلتها[٤]، وعلى الحذف: تكون شرطيَّة، والفعل مجزوم بحذفها.

---

(١) قرأ قالون و أبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام، وقرأ ورش بغير ألف بينهما، والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضاً، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر، وقرأ المكي و أبو جعفر بهمزة واحدة مكسورة. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٣٣)، «البدور الزاهرة» (ص١٦٦).

(٢) أي: ولم يقل: أنا هو، بل عدل إلى الظاهر.

(٣) قرأ قنبل بإثبات الياء بعد القاف وقفاً ووصلاً، وقرأ الباقون بالحذف. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٣٣).

(٤) والقول الثاني: وهو أجود ـ كما قاله السمين في «الدر المصون» (٦/ ٥٥٢) ـ: أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب، وأنشدُوا على ذلك قول قيس ابن زهير:

ألم يأتِيكَ والأنباءُ تَنمي ... بِما لاقَت لَبُونُ بني زِيادِ؟

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ ....

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ـ فِيه وَضعُ الظَّاهر مَوضِعَ المُضمَر ـ.

﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾: فَضَّلَك ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالمُلكِ وغَيرِه، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: إنَّا ﴿كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾: آثِمِين في أمرِك فأذلَلْناك.

﴿٩٢﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: عَتبَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ خَصَّهُ بِالذكر لأَنَّه مَظِنَّة التَّثريب فغَيرُه أَولى، ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. وسَأَلَهُم عن أَبِيهِ فقالُوا: ذَهَبَت عَيناهُ، فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (فيه وضع الظاهر... إلخ) أي: والأصل: لا يُضيع أجرهم.

قوله: (وغيره) أي: كالصبر والصفح والحلم.

قوله: (﴿لَخَـٰطِـِٔينَ﴾) يقال: (خطئ): إذا كان عن عمد، و(أخطأ): إذا لم يكن عن عَمد؛ ولذا عبَّر بـ(خاطئين)، دون (مخطئين).

قوله: (﴿لَا تَثْرِيبَ﴾) أي: لا توبيخ، ولا لومَ عليكم.

قوله: (﴿ٱلْيَوْمَ﴾) خبرٌ ثانٍ، أو متعلِّق بالخبر، فالوقف عليه، وهو الأقربُ؛ ولذا مشى عليه المفسِّر، وقوله: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ استئنافٌ، ويصحُّ أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿يَغْفِرُ﴾، فالوقف على قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

قوله: (﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾) الجملة دعائيَّة.

قوله: (﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾) أي: يقبل التوبة، ويَعفو عن المذنبين، ومن كرم يوسف عليه السلام: أنهم لما عرَفوه.. قالوا له: إنك تدعونا بكرةً وعشيًّا إلى الطعام ونحن نَستحيي منك؛ لما تقدَّم منَّا، فقال: إن أهل مصر كانوا يَنظرون إليَّ بعين العبودية ويقولون: سبحان مَنْ بلَّغ عبداً بِيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرُفت بكم، وعظُمتُ في عيونهم؛ حيث علمُوا أنكم إخوتي، وأني من حفَدة إبراهيم عليه السلام[1].

قوله: (وسألهم عن أبيه) أي: حين وقع التعارف، وهو تمهيدٌ لقوله: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾.

---

(١) انظر «تفسير الرازي» (١٨/٥٠٦).

ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ....

﴿٩٣﴾ ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ وهو قَمِيص إبراهِيم الَّذِي لَبِسَهُ حِين أُلقِيَ في النَّار، كانَ في عُنُقه في الجُبِّ، وهو مِن الجَنَّة، أَمَرَهُ جِبرِيل بِإرسالِه وقال: إنَّ فِيهِ رِيحها ولا يُلقَى على مُبتَلًى إلَّا عُوفِيَ، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾: يَصِرْ ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٩٤﴾ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: خَرَجَت مِن عَرِيشِ مِصر ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار) أي: لأنه لما ألقي فيها عرياناً.. أتاه جبريل بقَميص من حرير الجنة، فألبَسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلمَّا مات.. وَرِثه إسحاق، فلمَّا مات.. وَرِثه يعقوب وجعله في قصبة من فضة، وسدَّ رأسها، وعلَّقها في عُنق يوسف؛ حفظاً من العين، فلما ألقي في الجب عرياناً.. أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة، وألبسه إيَّاه[1].

قوله: (وقال) أي: جبريل.

قوله: (﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾) يحتمل أن ﴿يَأْتِ﴾ بمعنى (يصير)؛ فـ﴿بَصِيرًا﴾ مفعول ثان[2]، وهو الذي درج عليه المفسِّر، ويحتمل أنها بمعنى (يجيء)؛ فـ﴿بَصِيرًا﴾ حال.

قوله: (﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾) أي: وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة، وقيل: ثلاثاً وسبعين، فأرسل لهم مئتي راحلة، وكانوا حين خرجُوا من مصر مع موسى ست مئة ألف وخمس مئة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذَّراري والضعفاء، وكانت الذرية إذ ذاك ألفَ ألف ومئتي ألف؛ فقد بُورك فيهم حتى بلغُوا هذا العدد في تلك المدة اليسيرة؛ لأنه كان بين يعقوب وموسى أربع مئة سنة.

قوله: (خرجت من عريش مصر) أي: مُتوجهة إلى أرض كنعان، والعريش: بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام، وما ذكره المفسِّر أحدُ قولين، والآخر: أنَّ المراد: خرجت من نفس مصر.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٥٤).

(٢) كذا في الأصول، ولعل المصنف رحمه جرى على قول من يسمي ثاني معمولي (كان) وأخواتها مفعولاً، وإلا لقال: (خبرٌ)، والله أعلم.

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ....

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لِمَن حَضَرَ مِن بَنِيهِ وأولادِهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصَلَته إلَيهِ الصَّبا بإذنِه تَعالى مِن مَسِيرِ ثلاثة أيَّام أو ثَمانيةٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لمن حضر من بنيه وأولادهم... إلخ) مقتضى هذا: أنَّ الأولاد لم يذهبوا جميعاً لمصر، بل بقي بعضهم، وقال غيره: إنَّ الأولاد ذهبوا جميعاً، وهذا الخطابُ لأولادهم.

قوله: (﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾) أي: ريح الجنَّة من قميص يوسف؛ فالإضافة لأدنى مُلابسة، وفي هذا دليلٌ على أنَّ كلَّ سهل فهو في مُدَّة المحنة صعبٌ، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهلٌ؛ حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مُدة الفراق، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى الباديتَين من الأخرى في تلك المدة العظيمة، ومن ذلك قول ابن الفارض[1]: [البسيط]

أعـوامُ إقـبـالِـهِ كـالـيَـومِ فـي قِـصَـرٍ ويـومُ إعـراضِـهِ فـي الـطُّول كـالـحـجَجِ

قوله: (أوصلته إليه الصَّبا) هي ريحٌ تهبُّ من مَطلع الشمس.

إن قلتَ: إنَّ ريح الصبا تُقابل الذاهب من مصر إلى الشام؛ فإذا كانت تُقابله.. فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمُقتضى العادة: أن التي حملت هي الدَّبور؛ لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام؟!

أُجيب: بأنَّ هذا خَرق عادة، أو يقال: إنَّ هذا ظاهرٌ إذا كانت حملته لمقابلها فقط، وأمَّا ما حصل.. فقد فاح شَذاه على جميع الدنيا؛ ولِذا قال مجاهد: هبَّت ريحٌ فصَفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا، واتصلت بيَعقوب، فوجد ريح الجنة من ذلك القَميص[2]؛ وحينئذٍ: فحمل الصبا لريحه ظاهرٌ؛ لأنها لم تحمل ريحَه ليعقوب فقط، بل حمَلته لأهل الدنيا.

وقد بالغ الناس في مَدح الصبا حتى قال بعض الحكماء: لو توالَت على الأرض سبعة أيام.. لأنبتت الزَّعفران، وقال بعضُهم مادحاً لها: [الطويل]

أيـا جـبَـلَـيْ نَـعـمـانَ بِـالله خَـلِّـيَـا نَـسيمَ الـصَّـبـا يَـصبُـو إلـيَّ نَـسِـيـمُـهَـا

(١) كما في «ديوانه» (ص١٠).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٣).

لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ....

أو أكثَر، ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تُسَفِّهُونِ لَصَدَّقتُموني.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾: خَطَئِك ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ مِن إفراطِك في مَحبَّته ورَجاءِ لِقائِه على بُعد العَهد.

﴿٩٦﴾ ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يَهُوذا بِالقَمِيصِ، وكان قد حَمَلَ قَمِيصَ الدَّم فأَحَبَّ أن يُفرِحَهُ كما أحزَنَهُ، ﴿أَلْقَىٰهُ﴾: طَرَحَ القَمِيص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾: رَجَعَ ﴿بَصِيرًا﴾

حاشية الصاوي

فـإنَّ الـصَّـبـا ريـحٌ إذا مـا تَـنـسَّـمَـتْ على نَفْسِ مَـهـمـومٍ تَـجلَّـت هُـمـومُـهَـا

أَجِـدْ بَـردَهَـا أو تَـشْـفِ مـنِّـي حَـرارةً عـلـى كَـبـدٍ لـم يَـبْـقَ إلَّا رُسـومُـهَـا

قوله: (أو أكثر) قيل: عشرة، وقيل: شهر.

قوله: (﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾) «أنْ» وما دخَلت عليه: في تأويل مصدر مبتدأ، خبره محذوف وجوباً، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ أيضاً، وتقديرُ الكلام: لولا تَفنيدكم لي موجود.. لَصَدقتموني. والتَّفنيد هو: تضعيف الرأي.

قوله: (﴿قَالُواْ﴾) أي: مَنْ حضر عنده مِنْ أولاد بَنيه.

قوله: (﴿لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾) أي: من ذكر يوسف، وعدمِ نسيانك إياه؛ لأنه كان عندهم قد مات وهَلك.

قوله: (فأحبَّ أن يفرحه) أي: فقال لإخوته: إني ذهبتُ بالقميص ملطخاً بالدم، فأنا أذهب بهذا القميص، فأُفرحه كما أحزنته، فحَمله وخرج به حافياً حاسراً، ومعه سبعة أرغِفة لم يستوفِ أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً، فلمَّا وصل إليه.. علَّمه في نظير تلك البشارة كلمات كان وَرِثها عن أبيه إسحاق، وهو عن إبراهيم، وهي: (يا لطيفاً فوق كلِّ لطيف؛ الطُف بي في أموري كلِّها كما أحبُّ، ورضِّني في دُنياي وآخرتي)[1].

قوله: (﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾) أي: رجع بَصره لحالته الأولى.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٢/ ١٣٥).

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ....

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَخَّرَ ذلك إلى السَّحَر لِيَكُونَ أقربَ إلى الإجابة، وقيل: إلى لَيلة الجُمُعة. ثُمَّ تَوَجَّهُوا إلى مِصر، وخَرَجَ يُوسفُ والأكابِر لِتَلَقِّيهم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: من أُمور باطنيَّة لا تعلمونها؛ فأنتم تنظرون للظاهر، وأنا أنظُر للباطن.

قوله: (﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا﴾... إلخ) أي: لما ظهر الحقُّ وتبيَّن.. اعتذَروا لأبيهم ممَّا وقع منهم.

قوله: (﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾) أي: اطلُب لنا من ربِّنا غفران ذنوبنا.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾) أي: آثِمين.

قوله: (أخَّر ذلك إلى السَّحر) أي: فلمَّا انتهى إلى وقت السَّحر.. قام إلى الصلاة متوجهاً إلى الله، فلمَّا فرغ منها.. رفع يدَيه وقال: اللهمَّ اغفر لي جزَعي على يوسف، وقِلَّة صبري عنه، واغفر لأولادي ما أتَوا إليَّ وإلى أخيهم يوسف، فأوحى الله إليه: إني قد غفرتُ لك ولهم أجمعين.

قوله: (وقيل: ليلة الجمعة) أي: وقيل: إلى الاجتماع بيوسف؛ لِيَجتمعَ معه على الاستغفار والدعاء لهم، ويؤيِّده: ما روي: (أنه استقبل القبلة قائماً يدعُو، وقام يوسف خلفَه يؤمِّن، وقاموا خلفهما أذلَّة خاشعين، حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: إنَّ الله قد أجاب دعوتك في وَلدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النُّبوة)[1]، وهذا إن صحَّ.. فهو دليلٌ على نبوَّتهم، ويجاب حينئذ عمَّا وقع منهم بما مرَّ.

قوله: (ثم توجهوا إلى مصر) قال أصحاب الأخبار: لما دنَا يعقوب من مصر.. كلَّم يوسف الملك الأكبر، وعرَّفه بمجيءِ أبيه وأهله، فخرج يوسفُ في أربعة آلاف من الجند، وركب أهلُ مصر معهم يتلقَّون يعقوب عليه السلام، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنِه يهودا، فلما نظر

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤٧٢).

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ ....﴾

(٩٩) ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مَضرِبه ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أباهُ وأُمَّه أو خالتَه، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ ....

حاشية الصاوي

إلى الخيل والناس.. قال: يا يهودا؛ هذا فرعونُ مصر؟ قال: لا، بل هذا ابنُك يوسف، فلمَّا دنا كلٌّ واحدٍ من صاحبه.. أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خَلِّ يعقوب يَبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مُذهب الأحزان، وقيل: إنهما نزلا وتعانَقا وفَعلا كما يفعل الوالد بولده، والولد بوالِده وبَكيا، وقيل: إن يوسف قال لأبيه: يا أبتِ؛ بكيتَ عليَّ حتى ذهب بصرك، ألم تَعلم أنَّ القيامة تجمَعُنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يُسلَب دينك، فيُحال بيني وبينك[1].

وخرج يوسف لِلقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند؛ لكلٍّ واحدٍ منهم جبَّةٌ من فضة ورايةُ قزٍّ وقصبٍ، فتزيَّنت الصحراء بهم، واصطفُّوا صفوفاً، ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفَدَته.. نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مُزينة بالألوان، فنظر إليهم متعجباً، فقال جبريل: انظر إلى الهواء؛ فإنَّ الملائكة قد حضَرَت سروراً بحالك، كانوا باكين محزونِين مدَّة لأجلك، وهاجت الفرسان بعضهم في بعض، وصهَلت الخيول، وسبَّحت الملائكة، وضُرِبت الطبول والبوقات، فصار كأنه يوم القيامة، قيل: وكان دخولهم يوم عاشوراء.

قوله: (﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾) أي: يعقوبُ وأولاده.

قوله: (في مضربه) أي: خَيمته، وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك.

قوله: (﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾) أي: قرَّبهما منه.

قوله: (وأمَّه) أي: على القول بحياتها حينئذٍ، وقوله: (أو خالته) واسمها: ليا، وهذا على القول بموت أمِّه راحيل، وقيل: المراد بخالتِه: امرأةٌ أخرى غير ليا، تزوَّجها يعقوب بعدهما، وقيل: أحيا الله أمَّه بعد موتها، وسَجدت له؛ تحقيقاً لرؤياه، والله أعلَم بِحقيقة الحال.

قوله: (﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾) هذا الدخول غيرُ الدخول الأول؛ لأنَّ المراد هنا: دخول نفس المدينة، وأمَّا الأول.. فالمراد به: دخول خَيمته خارج البلد.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٥٦).

إن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ....

إن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، فدَخَلُوا وجَلَسَ يُوسُفُ على سَرِيرِه.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ﴾: أجلَسَهُما مَعَهُ ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: السَّرِير، ﴿وَخَرُّواْ﴾ أي: أبَواهُ وإخوَتُه ﴿لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ سُجُودَ انحِناء لا وضعَ جَبهة، وكان تَحِيَّتَهم في ذلك الزمان، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾: إلَيَّ ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ لَم يَقُل: (مِن الجُبِّ) تَكَرُّماً لِئَلَّا تَخجَل إخوَته، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾) أي: مِن كل مكروه؛ لأنَّ الناس كانوا يخافون من مُلوك مصر، فلا يدخلها أحدٌ إلا بِجِوارهم، فقال لهم يوسف: ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم؛ لأنكم أنتم ملوكها، فلا تَخافون من أحد.

قوله: (فدخلوا) قدَّر ذلك؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾) يحتمل أن يكون ذلك السجود خارجَ البلد عند أول اللقاء، ويحتمل أنه بعد الدخول وجُلوسِ يوسف وأبوَيه على السرير.

قوله: (سجود انحناء) أي: على عادة تحيَّة الملوك، وهذا أحدُ قولين، وقيل: المراد بالسجود: حقيقته، وهو: وَضع الجبهة على الأرض، ولا يُشكل على هذا: أنَّ حقيقة السجود لا تكون إلا لله؛ لأنه يقال: إن يوسف جُعِلَ كالقبلة لذلك السجود، وما قيل في سُجود الملائكة لآدم.. يقال هنا.

إن قلتَ: كيف رضي يوسف بسُجود أبيه له مع كونه أكبر منه وكان الواجب مُراعاة الأدب؟

أُجيب: بأنَّ هذا بأمرٍ من الله؛ تحقيقاً لرؤيا يوسف؛ لأنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ.

قوله: (﴿هَٰذَا﴾) أي: السجود.

قوله: (﴿حَقّٗا﴾) أي: صدقاً؛ حيث وجدت وتحقَّقت في الخارج على طِبق ما في النوم.

قوله: (﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾) أي: أنعَم عليَّ.

قوله: (لئلا تخجل إخوته) أي: ولأنَّ نعمة الله عليه في الخروج من السجن كانت سبباً لِوُصوله إلى الملك، بخلاف إخراجه من الجبِّ؛ فإنه أعقَبها الرق والتهمة والسجن، وليس في ذلك إدخالُ سرورٍ على أبوَيه.

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ....

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: الباديةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسدَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِخلقِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه. وأقامَ عِنده أَبُوهُ أربعاً وعِشرِينَ سنةً أو سبع عشرةَ سنة، وكان مُدَّةُ فِراقه ثَمانِي عَشرة أو أربَعِينَ أو ثَمانِينَ سَنة، وحَضَرَهُ المَوت فوَصَّى يُوسُفَ أن يَحمِلهُ ويَدفِنهُ عِند أبِيه، فمَضَى بِنَفسِهِ ودَفَنَهُ ثَمَّةَ، ثُمَّ عادَ إلى مِصر وأقامَ بَعده ثَلاثاً وعِشرِينَ سَنة، ولَمَّا تَمَّ أمرُه وعَلِمَ أنَّهُ لا يَدُوم، تاقَت نَفسه إلى المُلك الدائم، فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾) عطف على ﴿أَخْرَجَنِى﴾، والمعنى: وقد أنعم عليَّ وقت إخراجي من السجن، ووقت مَجيئكم من البدو.

قوله: (﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ﴾) ضمَّنه معنى (مدبِّر) فعدَّاه باللام، واللطيف معناه: الرفيق المحسِن.

قوله: (وكانت مدة فراقه ثماني عشرة... إلخ) حاصله: أنه اختُلف في مُدة فراق يوسف لأبيه؛ فذكر المفسِّر ثلاثة أقوال، وقيل: اثنان وعشرون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: سبعون، ولا يَعلم الحقيقة إلا الله، واتفقوا على أنَّ عمر يوسف مئة وعِشرون سنة.

قوله: (فوصى يوسف أن يحمله... إلخ) وقد فعل، فحَمله في تابوت من ساج حتى قَدم به الشام، فوافق ذلك موت عيصو أخي يعقوب، وكانا قد وُلدا في بطن واحد، فدُفنا في قبر واحد.

قوله: (ولما تمَّ أمره) أي: في مُلكه.

قوله: (وعلم أنه) أي: الملك.

قوله: (إلى الملك الدائم) أي: وهو نعيم الآخرة.

قوله: (فقال) أي: طلب الملكَ الدَّائمَ بوفاته على الإسلام، وما قبل ذلك فهو ثناءٌ على الله، قدَّم على الدعاء لِمُراعاة الأدب؛ إشارةً إلى أنَّ الإنسان ينبغي له إذا أراد أن يدعُوَ.. يقدِّم الثناء على الله؛ اعترافاً بالنِّعم، ثمَّ بعد ذلك يسأل مَطلوبه.

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ....

﴿١٠١﴾ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تَعبيرِ الرُّؤيا، ﴿فَاطِرَ﴾: خالِقَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: مُتَولِّي مَصالِحِي ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مِن آبائِي، فعاشَ بَعد ذلك أُسبُوعاً أو أكثَرَ، ومات ولَهُ مِائةٌ وعِشرُونَ سَنةً، وتَشاحَّ المِصريُّونَ في قَبره، فجَعَلُوهُ في صُندُوق مِن مَرمَر ودَفَنُوهُ في أعلَى النِّيل لِتَعُمَّ البَرَكة جانِبَيهِ، فسُبحانَ مَن لا انقِضاء لِمُلكِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾) أي: بَعضه، وهو ملك مصر؛ إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة: اثنان مسلمان: إسكندر ذو القرنين، وسليمان بن داوود، واثنانِ كافران: بُختَ نَصَّر[1]، وشدَّاد بن عاد.

قوله: (﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) يصح أن يكون نعتاً لـ﴿رَبِّ﴾، أو بدلاً، أو عطف بيان، أو نداءً ثانياً.

قوله: (﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾) إن قلتَ: كيف يطلب الموت مع أنَّ تمنِّيه لا يجوز؟

أجيب: بأنه عَلم بالوحي قُربَ أجله، فطلب ما يكون عند الموت، وهو اللحوق بالصالحين، فمَحطُّ طلب الموت على ما بعده.

إن قلتَ: إنَّ كلَّ نبيٍّ مقطوعٌ بموتِه على الإسلام؛ فلِمَ طلب ذلك؟

أجيب: بأنَّ الله تجلَّى على يوسف بخَوف الإجلال، فطلب ذلك؛ لأنَّ المعصوم عند ذلك يَنسى العصمة.

قوله: (من آبائي) أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فالمراد: لحوقاً خاصًّا الذي هو أعلى المراتب.

قوله: (ومات) أي: وقد تَوارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر، ولم يَزَل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بَقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وقَومه، فقطع الله الفَراعنة منها، وأورثها الله بني إسرائيل.

قوله: (وتشاحَّ المصريون في قبره) أي: حتى همُّوا أن يَقتتلوا، ثم اصطلحوا على أن يَدفنوه

(١) بخت نصَّر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصولاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصَّر: اسمُ صنم وجد مطروحاً عنده، فنسب إليه.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ١٠٢﴾ ....

١٠٢ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن أمر يُوسفَ ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبارِ ما غابَ عَنك يا مُحمَّد، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لَدَى إخوةِ يُوسفَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ في كَيدِه أي: عَزَمُوا عَلَيهِ ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، أي: لَم تَحضرهُم فتَعرِفَ قِصَّتهم فَتُخبِر بِها، وإنَّما حَصَلَ لَك عِلمُها مِن جِهة الوَحي.

حاشية الصاوي

في أعلى النيل من جهة الصعيد؛ لِتَعمَّ بركته الجميع، فجعلوه في صُندوق من مَرمر. وهو نوعٌ من أجود الرخام. ودَفنوه في الجانب الأيمن، فأخصب، وأجدَب الجانب الأيسر، فنُقل له، فأخصب، وأجدب الجانب الأيمن، فدَفنوه في وسط النيل، ورَبطوه بسلسلة، فأخصب الجانبان، فبقي أربع مئة سنة، فلمَّا أمر الله موسى بالخروج من مصر.. أمَرَه بأخذ يوسف معه، ودَفنِه في الأرض المقدَّسة بقُرب آبائه، فلم يَهتد إلى مكانه، فدلَّته عليه عجوز. قيل: إنها من أولاد يعقوب. وشرَطت عليه أن تكون معه في الجنة، فضمن لها ذلك، وشرَطت عليه أيضاً أن يدعو لها أن ترجع شابَّة كلَّما هَرِمت، فدعا لها، فكانت كلَّما وَصلت في السنِّ خمسين سنة.. رَجعت بنت ثلاثين، فعاشت ألفاً وست مئة سنة، فحمله موسى ودفَنه بالأرض المقدَّسة، فهو الآن هناك. وأمَّا إخوته.. فلم يَثبت في محلِّ دفنهم شيءٌ، وما قيل من أنهم مدفونُون في المحل المعروف بالقرافة الكبرى.. فهو بالظنِّ فقَط[1].

قوله: (المذكور) أي: من أمر يوسف وقِصَّته.

قوله: (﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾) أي: الأخبار المغيَّبة التي لم تكن تَعلمها قبل الوحي.

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾) كالعلة لقوله: ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، ولقوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

قوله: (﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾) أي: يحتالُون فيما دبَّروه.

قوله: (وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي) أي: فيكون إخباره بها معجزةً؛ لأنه لم يطالع الكتب القديمة، ولم يَأخذ عن أحدٍ من البشر، فإتيانُهُ بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجهٍ من غير غَلط ولا تحريف.. غايةُ الإعجاز.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٥٨)، وحديث العجوز رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣)، وليس فيهما شرط أن تعود شابَّةً.

وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ....

﴿١٠٣﴾ ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ تأخُذه، ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكَم ﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ دالَّةٍ على وَحدانِيَّة الله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾: يُشاهِدُونها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ لا يَتفكَّرُون فِيها.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيثُ يُقِرُّونَ بِأنَّهُ الخالقُ الرازِقُ ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ به بِعِبادةِ الأصنام، ولِذا كانُوا يَقُولُونَ في تَلبِيَتِهم: لَبَّيكَ لا شَرِيك لَك، إلَّا شَرِيكاً هو لَك، تَملِكهُ وما مَلَك، يَعنونَها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾) هذه الجملة مُعترضة بين (ما) وخبرها.

قوله: (﴿وَكَأَيِّن﴾) مبتدأ، و﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾: تمييز، وهو تسليةٌ أخرى له ﷺ، والمعنى: لا تتعجب من إعراضهم عنك؛ فإنَّ إعراضَهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقُدرته وإرادته.. أغرَب وأعجب.

قوله: (كم) أشار بذلك إلى أن (كأيِّن) بمعنى (كم) الخبريَّة التي للتكثير.

قوله: (﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) صفة لـ﴿ءَايَةٖ﴾، وقوله: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ خبر المبتدأ.

قوله: (﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾) أي: وما يَعترف أكثرهم بالتوحيد؛ حيث يقولُون: الله هو الخالق الرازق المعطي المانع، وغير ذلك.

قوله: (يعنونها) أي: الأصنام بقولهم: (إلا شريكاً هو لك).

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ ....

﴿١٠٧﴾ ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾: نِقمةٌ تَغشاهُم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأةً، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقتِ إتيانها قَبله.

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفَسَّرَها بِقَولِه: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى﴾ دِين ﴿ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: حُجَّةٍ واضِحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾: آمَنَ بِي، ـ عُطِفَ على ﴿أَنَا۠﴾ المُبتَدأ المُخبَرِ عنهُ بِما قَبله ـ ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تَنزيهاً لَهُ عن الشُّرَكاء، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مِن جُملة سَبِيله أيضاً.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٓ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (نقمةٌ تغشاهم) أي: عُقوبة تَشملهم وتحيط بهم.

قوله: (﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾) أي: طريقي وشَريعتي.

قوله: (﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾) أي: أدلُّ الناس على طاعَته ودينه.

قوله: (حجة واضحة) أي: بها يتميَّز الحقُّ من الباطل.

قوله: (عطف على ﴿أَنَا۠﴾ المبتدأ... إلخ) أي: فـ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ، و(مَن اتبعني): عطف عليه، وقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف، خبر مقدَّم، فالوقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، ويكون في المقام جملتان: الأولى: تنتهي لقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، والثانية: مبدؤها قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ...﴾ إلخ، وهذ ما جرى عليه المفسِّر في الإعراب[1].

قوله: (من جملة سبيله) راجع لقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، فهما مَعطوفان على قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، كأنه قال: شريعتي أدعُو إلى الله، وأسبِّح الله، وكوني لستُ من المشركين، على بصيرة أنا ومن اتبعني.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾) ردٌّ على أهل مكة؛ حيث قالوا: هلَّا بعث الله لنا

---

(١) ويجوز أن يكون قوله: (ومن اتبعني) عطفاً على فاعل (أدعو)؛ ولذلك أكد بالضمير المنفصل في قوله: (أنا)، ويجوز أن يكون مبتدأً والخبر محذوف؛ أي: ومَن اتبعني يدعو أيضاً، ويجوز أن يكون (على بصيرة) وحده حالاً، و(أنا) فاعل به، (ومن اتبعني) عطف عليه أيضاً. انظر «الدر المصون» (٦/ ٥٦١).

إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ....

ـ وفي قِراءة بِالنُّونِ وكَسر الحاء ـ ﴿إِلَيْهِم﴾ لا مَلائكةً، ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: الأمصارِ؛ لِأنَّهُم أعلَمُ وأحلَمُ، بِخِلافِ أهل البَوادِي لِجَفائِهِم وجَهلِهِم، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أهل مَكَّة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخِر أمرِهِم مِن إهلاكِهِم بِتَكذِيبِهِم رُسُلَهُم، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ـ بِالياءِ، والتَّاء ـ أي: يا أهل مَكَّة هذا فتُؤمِنُون؟

حاشية الصاوي

ملكاً؟ والمعنى: كيف يَتعجبون من ذلك مع أنَّ جميع رُسل الله الذين كانوا من قبلك بشرٌ مثلك؟!

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (لجفائهم) أي: غِلَظ طبعهم، وهو مقابل لقوله: (أحلم)، وقوله: (وجهلهم) مقابل لقوله: (أعلم)، فهو لفٌّ ونشرٌ مشوَّش.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أَعَمُوا فلم يَسيروا...؟ إلخ، والاستفهام لِلتوبيخ.

قوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: في أسفارهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي: كقَوم هودٍ وصالحٍ ولوطٍ وغيرهم ممَّن هلكوا.

قوله: (من إهلاكهم) بيان لـ(آخِر أمرهم).

قوله: (﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾) أي: الدار الآخرة.

قوله: (﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾) أي: وأمَّا لغيرهم.. فليست خيراً لهم؛ لحِرمانهم من نَعيمها.

قوله: (الله) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾ محذوفٌ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (يا أهل مكة) راجع لقراءة التاء، فيكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون إخباراً عنهم.

---

(١) قرأ حفص بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء. انظر «السراج المنير» (٢/١٤٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مَكة، والباقون بالياء على الغيبة لهم وللمشركين المكذِّبين. انظر «السراج المنير» (٢/١٤٢).

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ ....

﴿١١٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لِما دلَّ عليه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾، أي: فتَراخى نَصرُهُم حتى ﴿إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾: يَئِسَ ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقَن الرُّسل ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ﴾ ـ بالتَّشديدِ ـ تَكذِيباً لا إيمانَ بَعده ـ والتَّخفيفِ ـ أي: ظَنَّ الأُمَم أنَّ الرُّسُل أُخلِفُوا ما وُعِدُوا به مِن النَّصر، ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُنۡجِي﴾ ـ بِنُونَينِ مُشدَّداً ومُخفَّفاً، وبِنُونٍ مُشدَّداً ماضٍ ـ ﴿مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: المُشرِكين.

﴿١١١﴾ ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾ أي: الرُّسُلِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (غاية لما دلَّ عليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾... إلخ) أي: وحينئذٍ: فيكون المعنى: وما أرسَلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم، فكذبوا أُمَمهم، فتراخى نَصرهم حتى... إلخ.

قوله: (أيقن الرسل) هذا راجعٌ لقراءة التشديد، والمعنى: أيقَن الرسل بالوحي من الله بأنَّ قومهم يكذِّبونهم تكذيباً لا إيمان بعده، وأما قِراءة التخفيف.. فالظنُّ على بابه.

قوله: (من النصر) بيان لـ(ما).

قوله: (بنونين مشدَّداً... إلخ) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات: التشديد والتخفيف مع النونين، والتشديد مع النون الواحدة، وظاهِرُ كلامه: أنَّ جميعها سبعيٌّ، وليس كذلك، بل التشديد مع النونين قراءةٌ شاذَّة[1].

قوله: (ماض) أي: مبني للمفعول، و﴿مَن نَّشَآءُ﴾: نائب فاعل.

قوله: (﴿فِي قَصَصِهِمۡ﴾) القَصَص: مصدر (قصَّ): إذا تتبَّع الأثر والخبر، والمراد: الأخبار.

قوله: (الرسل) كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم، ويحتمل أنَّ الضمير عائدٌ على يوسف وإخوته؛ بدليل قوله تعالى في أول السورة: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾، والمعنى: إنَّ الذي قدر على إخراج يُوسف من الجبِّ والسجن، ومنَّ عليه بالعزِّ والملك، وجمع شملَه بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة.. قادرٌ على إعزاز محمد ﷺ، وإعلاء كلمتِه، وإظهار دينه، رغماً على أنف كلِّ معارض.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعدها جيم مشدَّدة، والباقون بنُونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم، وقرأ الحسن: «فننجِّي» بنونين والجيم مشددة. انظر «الدر المصون» (٥٦٧/٦).

عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٖ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾: أصحابِ العُقُول، ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القُرآنُ ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختَلَق، ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبله مِن الكُتُب، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تَبيينَ ﴿كُلِّ شَيْءٖ﴾ يُحتاج إلَيهِ في الدِّين، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالة، ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لِانتِفاعِهِم بِهِ دُون غَيرِهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عِبْرَةٌ﴾) أي: تفكُّرٌ واتِّعاظٌ.

قوله: (﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾) تعريضٌ بأنهم ليسُوا بأولي ألباب.

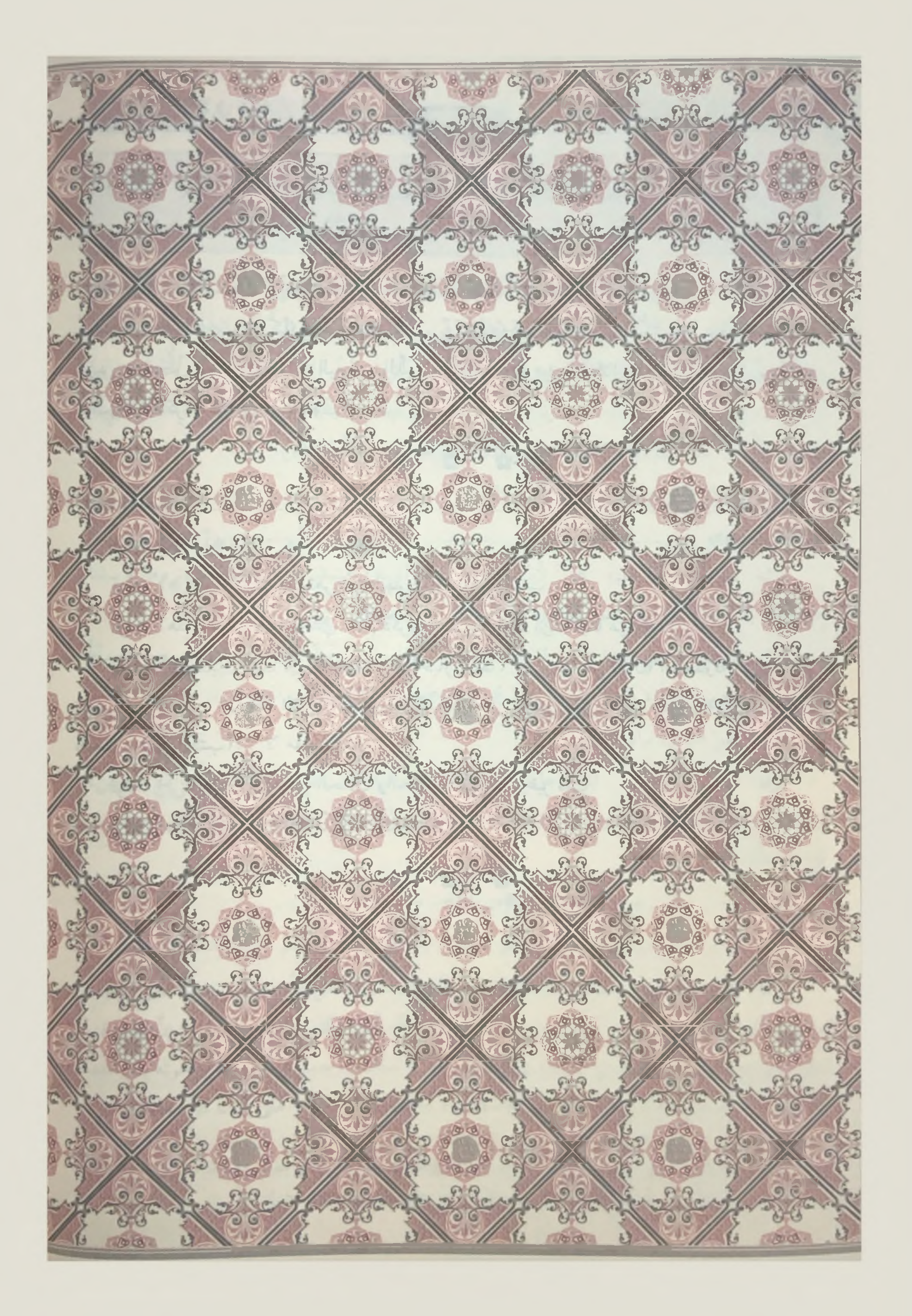
قوله: (هذا القرآن) أي: الذي تقدَّم ذكره في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

قوله: (﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) هذه أخبارٌ أربعةٌ، أخبر بها عن (كان) المحذوفة التي قدَّرها المفسِّر، والمعنى: أنَّ هذا القرآن مصدِّقٌ لما تقدَّم قبله من الرُّسل ومِن الكتب التي جاؤوا بها، فقول المفسِّر: (من الكتب). . لا مفهومَ له.

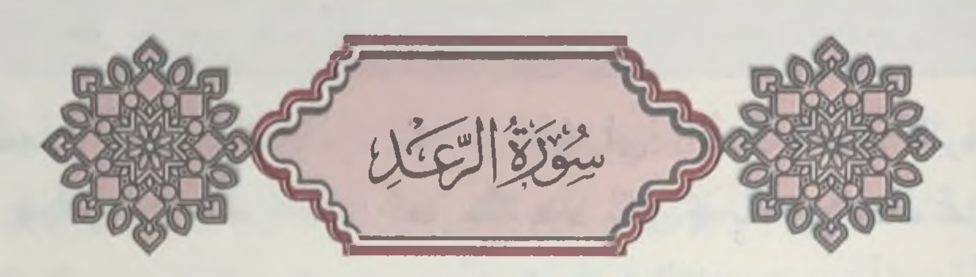
قوله: (في الدِّين) أي: من الحلال والحرام والمواعِظ وغير ذلك.

قوله: (﴿وَرَحْمَةً﴾) أي: إنعاماً وإحساناً.

✿ ✿ ✿



﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية، و﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ...﴾ الآية، أو مَدنيَّة إلَّا ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ الآيتين. ثلاثٌ أو أربعٌ أو خمسٌ أو سِتٌّ وأربعونَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓمٓرۚ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بذلك، ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾: القُرآنِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الرَّعْدِ

مبتدأ، وقوله: (مكيَّة) خبرٌ أول، وقوله: (ثلاث... إلخ) خبرٌ ثانٍ.

قوله: (مكيَّة إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية) وقيل: المدنيُّ منها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ﴾.

قوله: (أو مدنيَّة إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ الآية) وقيل: مدنيَّة كلُّها، وقيل: مكيَّة كلُّها؛ فتحصَّل: أنَّ فيها خمسةَ أقوالٍ.

وسمِّيت بـ(الرعد)؛ لذكره فيها، ومن فَضائلها: أنَّ قراءتها عند المحتضَر تسهِّل خروج الروح.

قوله: (ثلاثٌ أو أربعٌ... إلخ) حاصِل ما ذكره من الخلاف في عدد آياتها: أربعةُ أقوالٍ.

قوله: (الله أعلَم بمراده بذلك) تقدَّم: أنَّ هذا القولَ هو الأسلَمُ في تفسير تلك الأحرُف المقطَّعة.

قوله: (هذه الآيات) أي: آيات السورة، وأشير لها باعتبار عِلم الله بها، أو باعتبار وجودها في اللوح المحفوظ؛ فلا يقال: إنَّ اسم الإشارة لا بدَّ أن يكون لحاضرٍ وهي لم توجد في الخارج. ويصحُّ أن يعود اسم الإشارة على ما مضى من أوَّل القرآن إلى هنا.

وَالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ....

ـ والإضافة بِمَعنَى (مِن) ـ ﴿وَالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآن ـ مُبتَدأ خَبَره: ـ ﴿الْحَقُّ﴾ لا شَكَّ فِيه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِأنَّهُ مِن عِنده تَعالى.

﴿٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَدَ جَمع عِماد، وهو الأُسطُوانة، وهو صادِق بِأن لا عَمَد أصلاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾) اسم الموصول: مبتدأ، و﴿أُنزِلَ﴾: صلته، و﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلّق به، أو حال، وقوله: (﴿الْحَقُّ﴾) خبرٌ كما قال المفسِّر، والمعنى: إنَّ القرآن الذي أُنزل عليك من ربك هو الحقُّ الذي لا شكَّ فيه.

قوله: (أي: أهل مكة) هذا تفسيرٌ لـ﴿النَّاسِ﴾ باعتبار النزول، وإلَّا.. فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فأكثر الناس لا يُؤمنون في كلِّ زمان.

قوله: (﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾) أي: لا يصدِّقون بذلك، والمعنى: لا تَعتبرهم؛ فإنهم لا يُعوَّل عليهم.

قوله: (﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ﴾... إلخ) هذا شروعٌ في ذكر الأدلَّة على وجوب وُجوده تعالى، واتصافه بالكمالات، وبَدأ بأدلة من العالم العُلوي، وأَعقبها بأدلة من العالم السفلي بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ...﴾ إلخ.

قوله: (جمع: عماد) أي: على غير قِياس، وقياسه: أن يُجمع على (عُمُد) بضمتين، وقد قرئ به شاذًّا[١]، وقيل: جمع: عَمود.

قوله: (وهو: الأسطوانة) ويقال له: سارِية.

قوله: (وهو صادق بأن لا عمد أصلاً) أي: وهو المراد، فالنفي منصبٌّ على المقيَّد بقَيده؛ أي: لم تروها لِعدم وجودها، وقيل: إنَّ لها عمداً على جبل قاف، وهو: جبل من زُمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة؛ فالنفي منصبٌّ على القيد دون المقيَّد، وعلى ذلك: فجملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾، والضمير عائد عليها، وقيل: إن ﴿تَرَوْنَهَا﴾ حال من ﴿السَّمَٰوَٰتِ﴾،

---

(١) وبها قرأ أبو حيوة ويحيى بن وَثاب. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٤).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ ....

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استِواءً يَلِيق بِه، ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذَلَّلَ ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ مِنهُما ﴿يَجْرِى﴾ في فَلَكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يَوم القِيامة، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يَقضِي أمر مُلكِه، ﴿يُفَصِّلُ﴾: يُبَيِّن ﴿ٱلْآيَـٰتِ﴾: دَلالاتِ قُدرَته، ....

حاشية الصاوي

والتقدير: رفع السماوات حال كونها مرئيَّة لكم بغير عَمد، وقيل: إنها جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب، وعلى هذين القولين: فالضمير عائد على السماوات.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) ﴿ثُمَّ﴾: لمجرد العطف، لا للترتيب؛ إذ لا ترتيبَ بين رفع السماوات والاستواء على العرش.

والاستواء في الأصل: الركوب والتمكُّن، وذلك مستحيلٌ عليه تعالى؛ لاستلزامه الجِسمية والجهة، والمراد به هنا: القَهر والغلبة؛ لأنَّ شأن مَنْ ركب على شيءٍ أن يكون قاهراً له، ومن ذلك قول الشاعر[1]: [الرجز]

قَدِ استَوى بِشرٌ على العِراقِ ... مِن غَيْرِ سَيفٍ ودَمٍ مُهْراقِ

وهذه طريقة الخلف، وما مشى عليه المفسِّرون طريقة السلف، وكلٌّ من الطريقتَين صحيح[2].

قوله: (﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾) أي: لِنفع العالم بهما.

قوله: (يوم القيامة) أي: وحينئذٍ: فيُلْقَيَانِ في النار بعد ذهاب نورهما؛ لِيُعذَّب بهما عبادُهما، وما درج عليه المفسِّر من أنَّ المراد بـ(الأجل المسمى) هو: يوم القيامة.. أحدُ تفسيرين، والآخر: أنَّ المراد به: الوقت المعيَّن لِقطع الفلك؛ فإنَّ الشمس تَقطعه في سنة، والقمر في شهر، لا يختلف جري واحد منهما، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا...﴾ إلخ، وكلٌّ صحيح.

قوله: (﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾) أي: أمرَ العالم العُلوي والسفلي؛ وذلك بالإحياء والإماتة، والإعزاز والإذلال، وغير ذلك من أنواع التصرفات.

---

(١) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٠٦).

(٢) وإليهما أشار صاحبُ «الجوهرة» بقوله:

وكلُّ نصٍّ أوْهَمَ التَّشبِيهَا ... أوِّلْهُ أو فَوِّضْ ورُمْ تنزِيهَا

لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ....

﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهلَ مَكَّة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾ بِالبَعثِ ﴿تُوقِنُونَ﴾.

﴿٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾: بَسَطَ ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾: خَلَقَ ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالاً ثَوابِت، ﴿وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ مِن كُلِّ نَوع، ﴿يُغْشِى﴾: يُغَطِّي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بِظُلمَتِه ﴿ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾: دِلالاتٍ على وَحدانِيَّته تَعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعِ الله.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾) أي: لأنَّ مَنْ قدَر على ذلك كلِّه.. فهو قادرٌ على إحياء الإنسان بعد مَوته.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾) شُروعٌ في ذكر أدلَّة من العالم السفلي.

قوله: (بسط الأرض) أي: طولاً وعرضاً؛ لِيرتاح الحيوان عليها.

قوله: (ثوابت) أي: لتمسكها عن الاضطراب بأهلها، وفي الحديث: «**أول بُقعة وضعت من الأرض مَوضع البيت، ثم مُدَّت منها الأرض، وأول جبل وضَعه الله على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مُدَّت منه الجبال**»(١).

قوله: (﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾، ومفعولها الثاني محذوف تقديره: (الكم).

قوله: (﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾) بيانٌ لأقل مَراتب العدد، وإلَّا.. فقد يكون أكثر من نوعَين كما هو بالمشاهدة، والمراد بالثمر: ما يَشمل الحبَّ. وتعدادُ الأصناف المذكورة؛ إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد، أو الطُّعوم كالحلاوة والمُلوحة والحموضة والمزوزة، أو القدر كالكبر والصغر، أو الكيفيَّة كالحرارة والبُرودة والنعومة والخُشونة وغير ذلك.

قوله: (يغطي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَ﴾) أي: ويزيل ظلمة الليل بضياء النهار، فيُعْدِمُ كلًّا بوجود الآخَر؛ ففي الآية اكتفاءٌ.

قوله: (﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾) أي: يتأمَّلون فيَستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها، ويعرفون أنَّ لها

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٣٦٩٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ....

(٤) ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بِقاعٌ مُختَلِفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: مُتَلاصِقات، فمِنها طَيِّب وسَبخ وقَلِيلُ الرِّيع وكَثِيره، وهو مِن دَلائِل قُدرَته تَعالى، ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: بَساتِين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ ـ بِالرَّفعِ عَطفاً على (جَنَّات)، والجَرِّ على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾ ـ، وكَذا قَوله: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾: جَمع (صِنو) وهِيَ النَّخَلات يَجمَعُها أصلٌ واحِد وتَتشعَّب فُرُوعُها، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: مُنفَرِدة، ﴿تُسْقَىٰ﴾ ـ بِالتَّاءِ ـ أي: الجَنَّاتُ وما فِيها، ـ والياء ـ أي: المَذكُور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ ـ بِالنُّونِ والياء ـ ﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ ....

حاشية الصاوي

صانعاً حكيماً قادراً مُتصفاً بالكمالات، وخُصَّ المتفكرون بالذكر؛ لأنهم هم الذين يَحصل لهم الاعتبار والإيمان.

قوله: (طيِّب) أي: يُنْبِتُ، وقوله: (وسَبَخٌ) أي: لا ينبت شيئاً.

قوله: (وهو) أي: هذا الاختلافُ.

قوله: (بالرفع) أي: له وللثلاثة بعده، وقوله: (والجرِّ) أي: كذلك، فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وهي: النخلات) أي: الصِّنوان.

قوله: (بالتاء) أي: وحينئذٍ فيقرأ (نفضل) بالنون والياء، وقوله: (والياء) أي: حينئذٍ: يقرأ (نفضل) بالنون لا غير، فالقراءات ثلاثٌ، وكلُّها سبعيَّة، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر من أنها أربع[2].

قوله: (﴿فِى ٱلْأُكُلِ﴾) وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك، وهذا كمثل بني آدم؛ منهم الصالح الهيِّن الليِّن، والخبيث الغَليظ الطبع، خُلقوا من آدم، وفضَّل الله مَنْ شاء على مَنْ شاء؛ ولِذا قال الحسن: (هذا مثلٌ ضرَبه الله لقلوب بني آدم، كانت الأرض طِينة واحدة في يد الرحمن، فسَطحها، فصارت قطعاً متجاورات، وأنزل على وَجهها ماء السماء، فتخرج هذه زَهرتها وثمرتها، وتخرج هذه نباتها، وتخرج هذه سَبَخها ومِلْحها وخَبيثها، وكلٌّ يسقى بماء واحد؛

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بالرفع، والباقون بالخفض. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٦).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي: (يسقى) بالياء، وباقي السبعة بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي: (يفضل) بالياء، والباقون بالنون. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٦).

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ....

ـ بِضَمِّ الكاف وسُكُونها ـ فمِن حُلوٍ وحامِضٍ وهو مِن دَلائِل قُدرَته تَعالى، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتدبَّرون.

﴿٥﴾ ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا مُحمَّد مِن تَكذِيب الكُفَّار لَك، ﴿فَعَجَبٌ﴾ حَقيقٌ بِالعجَب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ مُنكرين لِلبعثِ: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

كذلك الناس خُلقوا من آدم، فينزل الله عليهم من السماء تذكرةً، فتَرق قلوبُ قومٍ وتخشع وتَخضع، وتقسُو قُلوب قوم فتلهُو ولا تسمع)[١].

قوله: (بضم الكاف وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢]، بمعنى: مأكول.

قوله: (﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾) بإدغام الباء في الفاء، وبتحقيقها، قراءتان سبعيَّتان[٣]، والعجبُ: استعظامُ أمرٍ خَفِيَ سببُهُ.

قوله: (من تكذيب الكفار لك) أي: مع كونك كنتَ مشهوراً بالأمانة والصدق، فلمَّا جئت بالرسالة.. كذَّبوك.

قوله: (﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾) لا بدَّ هنا من صفة محذوفة؛ لِتتم الفائدة، والتقدير: (فعجبٌ عظيمٌ)، أو (أيُّ عجب)، و(عجبٌ): خبرٌ مقدَّم، و﴿قَوْلُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخَّر[٤].

قوله: (منكرين للبعث) حال من الضمير في ﴿قَوْلُهُمْ﴾.

قوله: (﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾) هذه الجملة في محلِّ نصب مَقول القول، وهو أحسَن ما يقال[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٤٠).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٧).

(٣) قرأ أبو عمرو وخَلاد والكسائي بإدغام الباء في الفاء، والباقون بالإظهار. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٧).

(٤) ويجوز أن يكون (عجبٌ) مبتدأ، وسوَّغ الابتداء ما ذكره المصنف من الوصف المقدَّر، ولا يضرُّ حينئذ كون خبره معرفةً. «فتوحات» (٢/ ٥١٥).

(٥) ويجوز أن تكون في محل رفع بدلاً من (قولهم)، وبه بدأ الزمخشري، ويكون بدل كل من كل، لأنَّ هذا هو نفس قولهم. انظر «الدر المصون» (٧/ ١٦).

لِأنَّ القادِرَ على إنشاء الخَلق وما تَقدَّمَ على غَير مِثال قادِرٌ على إعادَتهم. - وفي الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ التَّحقِيقُ، وتَحقِيق الأُولَى وتَسهِيلُ الثَّانِية، وإدخالُ أَلِف بَينهما على الوَجهَينِ، وتَركُها، وفي قِراءة بِالاستِفهامِ في الأول والخبرِ في الثاني، وأُخرى عكسُه - . .

حاشية الصاوي

قوله: (لأن القادر. . . إلخ) تعليلٌ لقوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

قوله: (وما تقدَّم) أي: من رفع السماوات بغير عمدٍ، وتسخيرِ الشمس والقمر، وغيرِ ذلك من الأمور المتقدِّمة.

قوله: (قادرٌ على إعادتهم) أي: لأنه إذا تعلَّقت قُدرته بشيءٍ. . كان؛ فلا فرق بين الابتداءِ والإعادةِ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. . فذلك باعتبار عادةِ المخلوقات: أنَّ القادر على الابتداء تَسهل عليه الإعادة بالأَولى، وإلَّا. . فالكلُّ في قدرته تعالى سواءٌ.

قوله: (وفي الهمزتين في الموضعين. . . إلخ) من هنا إلى قوله: (وتركها) أربعُ قراءاتٍ.

قوله: (وفي قراءة بالاستفهام في الأول. . . إلخ) وفي ذلك ثلاث قراءات: تخفيف الهمزتين من غير إدخال ألف بينَهما، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما، وبدونها، وقوله: (وأخرى عكسه) فيه قِراءتان: التحقيق مع الألف، ودونها، ولا يجوز تسهيل الثانية، فتكون القراءات تسعاً، وكلها سبعيَّة(١).

واختلف القراء في هذا الاستفهام المكسور اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً في تِسع سورٍ من القرآن؛ فأولها: ما في هذه السورة.

والثاني والثالث: في سورة (الإسراء) بلفظ واحد: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

---

(١) قرأ قالون بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية، ويدخل بينهما ألفاً على الاستفهام، وفي الآية الثانية بهمزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر، وورش كذلك إلا أنه لا يدخل بين الهمزتين في (أئذا) ألفاً، وينقل في الثاني على أصله، وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير إدخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فيهما، وأبو عمرو كذلك مع إدخال ألف بينهما، وابن عامر في الأول بهمزة مكسورة بعدها ذال مفتوحة على الخبر، وفي الثاني بهمزة مفتوحة محققة وهمزة مكسورة محققة على الاستفهام، وأدخل هشام بينهما ألفاً بخلاف عنه، والباقون بهمزتين محققتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ولا ألف بينهما في الموضعين. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٧).

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ ....

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٦﴾ ونَزَلَ في استِعجالِهم العَذابَ استِهزاءً: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: العذابِ ......

حاشية الصاوي

والرابع: في (المؤمنون): ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

والخامس: في (النمل): ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧].

والسادس: في (العنكبوت): ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩].

والسابع: في (ألم السجدة): ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٖ جَدِيدِۢ﴾ [السجدة: ١٠].

والثامن والتاسع: في (الصافات): ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

والعاشر: في (الواقعة): ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧].

والحادي عشر: في (النازعات): ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ [النازعات: ١٠-١١].

والوجه في الاستفهام في الموضعين: أنَّ الأول للإنكار، والثاني تأكيدٌ له، والوجه في كونه في موضع واحد: حُصولُ الإنكارِ به، وإحدى الجملتين مرتبطةٌ بالأخرى، فإذا أنكر في أحدهما.. حَصل الإنكار في الأخرى.

قوله: (﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾) جمع غُلٍّ، وهو: طوقٌ من حديدٍ يُجعل في أعناقهم.

قوله: (﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾) أي: لا محيصَ لهم عنها، فهم مُلازمون لها؛ كالصاحب الملازم لصاحبه.

قوله: (ونزل في استعجالهم العذاب) وذلك: أنَّ مُشركي مكة كانوا يَطلبون تعجيل العذاب استهزاءً؛ حيث يَقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢][1].

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٤٨٣).

قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ

﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: الرَّحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: جَمع المَثُلة بِوَزنِ السَّمُرة، أي: عُقُوبات أمثالِهم مِن المُكَذِّبين، أفلَا يَعتبِرُون بِها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾: مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾، وإلَّا لَم يَترُك على ظَهرِها دابَّة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَن عَصاهُ.

﴿٧﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحمَّد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ كالعَصا واليَد والناقةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُخوِّف الكافِرين وليسَ عَلَيك إتيانُ الآيات، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾) أي: وهي تأخيرُ العذاب عنهم.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (جمع المَثُلَة) بفتح الميم وضمِّ المثلَّثة، وهي: الفِتَن تنزل بالشخص، فيجعل مثالاً يَرتدع به غيره.

قوله: (بوزن: السَّمُرَة) أي: وهو شجر الطَّلْح؛ أي: الموز.

قوله: (﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾) المراد بها: ستر الذنوب، وعدم المؤاخذة بها حالاً، بل يؤخِّر الأخذ بها؛ فإن تاب الشخص ورجَع.. دام ذلك الستر عليه، وإلَّا.. أخذه أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ.

قوله: (﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصي.

قوله: (لمن عصاه) أي: وداوَم على ذلك؛ فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنِهم وكافرِهم، وأمَّا في الآخرة.. فقد انفرَدت رحمته للمؤمنين خاصَّة.

قوله: (﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: تعنُّتاً.

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَوْلَآ﴾ للتحضيض.

قوله: (كالعصا واليد) أي: وغير ذلك مما اقترحُوا؛ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾) أي: ليس عليك إلا الإنذارُ بما أوحي إليك؛ لأنهم معاندون كفَّار ليس قصدُهم بذلك الإيمانَ، بل التعنُّت في الكفر.

وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ....

﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ نبيٌّ يَدعُوهُم إلى رَبِّهم بِما يُعطِيه مِن الآيات لا بِما يَقتَرِحون.

﴿٨﴾ ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ مِن ذَكَر وأُنثَى وواحِد ومُتَعدِّد وغَير ذلك، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تَنقُص ﴿ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ مِن مُدَّة الحَمل ﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ مِنهُ، ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾) الجملة مستأنفة، و﴿هَادٍ﴾ بإثبات الياء وحذفها في الوقف، وبِحذفها في الوصل لا غير، ثلاثُ قراءات سبعيَّات، وأما في الرسم.. فهي مَحذوفة[1].

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾) أي: لأنه الخالق المصوِّر؛ فلا تخفى عليه خافية. و﴿يَعۡلَمُ﴾: عرفانيَّة متعدِّية لواحد، و﴿مَا﴾: اسم موصول مفعوله، والعائد محذوف.

قوله: (وغير ذلك) أي: من أوصاف الحمل؛ من كونه أبيض أو أسود، قصيراً أو طويلاً، سعيداً أو شقيًّا، قويًّا أو ضعيفاً.

قوله: (تنقص الأرحام من مُدة الحمل) أي: المعتادة، وهي تِسعة أشهر، فهو يَعلم الحمل الناقص على تِلك المدة، وقوله: (﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾) أي: وما تزيد، فهو يَعلم الناقص من تلك المدة والزائد عليها، لا يخفى عليه شيءٌ من أوقات الحمل، ولا مِن أحواله.

وقيل: النقصان: السقط، والزيادة: زيادتها على تسعة أشهر، وأقل مُدة الحمل ستة أشهر، وقد يُولد لهذه المدة ويعيش.

قوله: (﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾) هذا أعمُّ ممَّا قبله؛ فـ(الشيء): يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخَواطرهم؛ فقد دبَّر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلَّقت به قُدرته وإرادته، ولا يُعجزه شيءٌ، ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ، قال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾؛ فينبغي للإنسان ألَّا يدبِّر لنفسه شيئاً، ولا يشتغل بشيء تكفَّل به غيره، بل يعتمد على مَنْ يدبِّر الأمور، ويفوِّض له أحواله، ويترك الأوهام التي حَجبت القلوب عن مُطالعة الغيوب.

---

(١) قرأ ابن كثير في الوقف بياء بعد الدال، وفي الوصل بغير ياء وتنوين الدال، والباقون بغير ياء في الوقف والوصل مع تنوين الدال. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٤٩).

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ

بِقَدْرٍ وحَدٍّ لا يَتجاوَزهُ.

(٩) ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ، ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: العظيمُ ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ على خَلقِه بِالقَهرِ، بِياءٍ ودُونها.

(١٠) ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم﴾ في عِلمه تَعالى ﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بقدر وحدٍّ لا يتجاوزه) أي: لا يتخلَّف شيءٌ عن الحدِّ الذي قدَّره الله له؛ من سعادة وشَقاوة، ورزق وغير ذلك.

قوله: (ما غاب وما شوهد) أي: ما غاب عنَّا، وما شُوهد لنا، وإلَّا.. فكلُّ شيءٍ بالنسبة له مشاهد، فلا فرقَ بين ما في أعلى السماوات، وما في تُخُوم الأرضين.

قوله: (﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾) أي: الذي يَصغر كلُّ شيءٍ عند ذكره، وليس المراد به: كبر الجثَّة؛ إذ هو مستحيلٌ عليه تعالى، فالمراد بـ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: المتَّصف بكلِّ كمالٍ أزلاً وأبداً.

قوله: (﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾) أي: المنزَّه عن كلِّ نَقص.

قوله: (بياء ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان في الوصل والوقف، وأما في الرسم.. فالياءُ محذوفة لا غير[1].

قوله: (﴿سَوَآءٞ مِّنكُم﴾... إلخ) ﴿سَوَآءٞ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، ولم يُثَنَّ الخبر؛ لأنه في الأصل مصدر، وهو لا يثنَّى ولا يجمع، و﴿مِّنكُم﴾: حال من الضمير المستتر في ﴿سَوَآءٞ﴾؛ لأنه بمعنى: مُستوٍ.

قوله: (في علمه تعالى) أي: فهو يَعلم الجميع على حدٍّ سواءٍ، لا يتفاوت مَنْ جهر على مَنْ أسرَّ.

قوله: (﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ﴾) أي: في نَفسه فلم يسمعه غيره.

قوله: (﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾) أي: سمعه غيره، والمعنى: سواءٌ ما أضمَرته القلوب وما نَطقت به الألسِنة.

---

(١) قرأ ابن كثير في الوقف والوصل بياء بعد اللام، والباقون بغير ياء وقفاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (٢/١٤٩).

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ....

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مُستتِرٌ ﴿بِالَّيْلِ﴾ بِظَلامِه ﴿وَسَارِبٌ﴾: ظاهِر بِذَهابِه في سَربِه أي: طَرِيقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

﴿١١﴾ ﴿لَهُۥ﴾: لِلإنسانِ ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: مَلائكةٌ تعتَقِبُهُ ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قُدَّامِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ﴾) أي: وسواءٌ مَنِ استخفى في ظلام الليل ومَنْ هو ظاهرٌ في النهار؛ لأنه الخالق لِليل وظلمته، والنهار ونُوره، وما تفعله العبيد فيها من خير وشرٍّ، وهذه الآية مَنْ تدبَّرها وعمل بمقتضاها.. ورَّثته الإخلاصَ في أعماله؛ فيَستوي عنده إسرار العبادة وإظهارها، ليلاً أو نهاراً، والمراقبةَ؛ لأنه إذا عَلم أنَّ هذه الأشياءَ مستويةٌ عنده لا يخفى عليه شيء منها.. فلا يستطيع أن يُقْدِمَ على ما نُهِيَ عنه؛ لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: (في سَرْبِهِ) بفتح السين وسكون الراء؛ يقال: سَرَبَ في الأرض سُرُوباً: ذهب فيها ذهاباً، والسَّرَبُ بفتحتين: بيتٌ في الأرض لا مَنفذَ له، وهو الوكر، وليس مراداً هنا، بل المراد: الطريق الظاهرة، وهي بفتح السين وسكون الراء.

قوله: (ملائكة) قيل: خمسةٌ بالليل، وخمسةٌ بالنهار؛ واحدٌ على اليمين يَكتب الحسنات، وواحدٌ على الشمال يكتب السيئات، وواحدٌ موكَّلٌ بِناصيته؛ فإذا تواضع.. رفعه، وإذا تكبَّر.. وَضعه، وواحدٌ موكَّل بعَينيه يحفظهما من الأذى، وواحدٌ موكَّل بفمه يمنع عنه الهوامَّ، والصحيح: أنهم عشرة بالليل، وعشرة بالنهار؛ كما في شُراح «الجوهرة» نقلاً عن حديث البخاري: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صَلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعرج الذين كانوا من قبل، فيسألهم الله ويقول: كيف تركتُم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون**»[1]، ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات؛ فإذا مات.. فقد فرَغ حفظهم له؛ وهم واحدٌ على يَمنيه، وآخر على شماله، وآخر أمامه، وآخر خَلفه، واثنان على عَينيه، وواحد على شفته، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ، وواحد آخذ بِناصيته؛ فإن تواضع.. رفعه، وإن تكبَّر.. خفَضه، وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبي الحسنات والسيئات على المعتمَد.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٣٥١)، و«شرح عبد السلام على الجوهرة» (ص٢١٥).

﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ ....﴾

﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: ورائِه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: بِأمره مِن الجنِّ وغيرِهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: لا يَسلُبُهُم نِعمَتَه ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ مِن الحالة الجَمِيلة بِالمَعصِية، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾: عَذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ مِن المُعَقِّبات ولا غَيرها، ....

حاشية الصاوي

وحكمة هذا السؤال وإن كان الله عالماً بكلِّ شيء: تشريفُ بني آدم بين أهل الملأ الأعلى، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم: (تركناهم وهم يصلُّون) ولم يَذكروا الكافر والتارك للصلاة: أنَّ العمل الصالح يرفع لأهل السماء، فيَتشرف بنو آدم على العموم، وتَنزل عليهم الرحمة، وتكثر أرزاقهم؛ لأنَّ الرحمة تعمُّ الطائعَ والعاصيَ، فإخبارُ الملائكة بطاعة بني آدم على العموم؛ لاستِجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب.

قوله: (﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾) اختَلف المفسرون في (مِن)؛ فقيل: بمعنى الباء، والمحفوظ منه محذوف، والتقدير: يحفظونه بأمر الله مِن الحوادث.

وقيل: إن (مِن) على حقيقتها، والمحفوظ منه مذكور بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: يَحفظونه من الجنِّ والحوادث وغير ذلك؛ إذا علمتَ ذلك.. فالمفسِّر قد أفاد القول الأول.

قوله: (من الحالة الجميلة) أي: وهي الطاعة، والمعنى: إنه جرَت عادة الله أنه لا يَقطع نعمه عن قوم إلا إذا بدَّلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قَبيحة، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتَ قسوةً في قلبك، وحِرماناً في رزقك، ووهناً في بدَنك.. فاعلَم أنك قد تكلَّمت بما لا يَعنيك»(١)، فالنعم تأتي من الله بلا سبب، وسلبُها يكون بسبب المعاصي.

قوله: (﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾) (إذا): شرطيَّة، وجوابها قوله: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، والعامل فيها محذوف؛ لدلالة الجواب عليه، تقديره: لم يُرَدَّ، أو واقع، والمعنى: متى سبَق في علم الله نزولُ بلاءٍ بقومٍ.. فلا يَقدر على دفعه أحدٌ من الملائكة ولا من غيرهم، إذا علمتَ ذلك.. تعلَم جهلَ مَنْ يقول: لو كانت الأولياء موجودين.. لما نزَل علينا البلاء.

---

(١) أورده السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص٢٢٠).

وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ....

﴿وَمَا لَهُم﴾ إنْ أرادَ الله بِهِم سُوءاً ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غَير الله ﴿مِن﴾ - زائدة - ﴿وَالٍ﴾ يَمنَعهُ عَنهُم.

﴿١٢﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لِلمُسافِرين مِن الصَّواعِق، ﴿وَطَمَعًا﴾ لِلمُقِيم في المَطَر، ﴿وَيُنشِئُ﴾: يَخلُقُ ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ بِالمَطَرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾) أي: ناصر يَدفعه، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، فلا دافع لما قضاه، ولا رادَّ لما قدَّره.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾) لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾.. رتَّب عليه قولَه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ...﴾ إلخ؛ إشارةً إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرَّحمة والعقاب.

قوله: (﴿ٱلْبَرْقَ﴾) هو: لَمعانٌ يظهر من خلال السحاب، وقيل: لمعانُ المِطراق الذي يُزْجَرُ به السحابُ.

قوله: (﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾) منصوبان على الحال من الكاف في ﴿يُرِيكُمُ﴾، وليس مفعولاً لأجله؛ لعدم اتحاد الفاعل؛ فإنَّ فاعلَ الإراءةِ اللهُ، وفاعل الخوف والطمع العبيدُ، وبَعضهم جعله مفعولاً لأجله بتأويل ﴿يُرِيكُمُ﴾ بـ: يجعلكم رائين، فتخافون وتَطمعون.

قوله: (للمسافرين) لا مفهوم له، بل المقيمون الذين يَضرُّهم المطر؛ كمَن يجفِّف الثمار والحبوب.. كذلك، وقوله: (وطمعاً للمقيم... إلخ) لا مفهوم له أيضاً، بل المسافر المحتاج لِلمطر للشرب مثلاً.. كذلك، فالبرقُ تارةً يكون خيراً، وتارة يكون شرًّا، لِلمسافرين والمقيمين؛ فينبغي للإنسان أن يكون دائماً خائفاً راجياً؛ لأنَّ الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شرٌّ، ويأتي بالشرِّ فيما ظاهِره خيرٌ.

قوله: (﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾) هو: ثمر شَجرة في الجنة يَخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء، فالسحاب من الجنة، وماؤه من الجَنة، تهبُّ الريح من تحت ساق العرش، فتُخرج الحامل والمحمول من الجنة، وهذا مذهب أهل السنة[1].

---

(١) قال العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص٧٨): (وفي بعض الآثار ما يدلُّ على أنه من الجنة)، وقد روى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٧٠٨) عن خالد بن معدان، والسحاب: مشتق من السَّحْب؛ لجرِّ بعضه بعضاً.

وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ

(١٣) ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ هو مَلَك مُوَكَّل بِالسَّحابِ يَسُوقهُ مُلْتَبِساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: يَقُولُ: سُبحان الله وبِحَمْدِه، ﴿وَ﴾ يُسَبِّح ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: اللهِ، ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ وهيَ نار تَخرُج مِن السَّحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فَتُحرِقهُ، نَزَلَ في رَجُل بَعَثَ إلَيهِ

حاشية الصاوي

وقالت المعتزلة: إنَّ السحاب له خَراطيم كالإبل، فينزل فيَشرب من البحر المالح، ويرتفع في الجو، فتَنسفه الرياح، فيحلُو، فينزله الله على من أراد من خَلقه[1].

قوله: (هو ملك موكل بالسحاب. . . إلخ) هذا هو المشهور بين المفسِّرين، وعليه: فما نَسمعه هو صوتُ تسبيح الملك الموكَّل بالسحاب، فإذا سمعَته الملائكة. . ضجَّت معه بالتسبيح، فعندها يَنزل المطر، وقيل: هو صَوت الآلة التي يضرب بها السحاب.

قوله: (أي: يقول سبحان الله وبحمده) أي: تنزيهاً له عن النقائص، واتصافاً له بالكمالات.

قوله: (ملتبساً) أشار بذلك إلى أنَّ الباء للملابسة.

قوله: (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) قيل: المراد بهم: إخوان ملَك السحاب، وقيل: المراد: جميع الملائكة.

قوله: (﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾) أي: هَيبته وجلالِه.

قوله: (وهي نارٌ. . . إلخ) وقيل: هي الصوت الشديد النازل من الجَوّ، ثم يكون فيه نار.

قوله: (تخرج من السحاب) أي: فإذا نزَلت من السماء. . فربما تَغوص في البحر، فتَقتل الحيتان.

قوله: (نزل في رجل) أي: من طَواغيت العرب، وقد اختَصرها المفسِّر، وحاصلها: أنَّ رسول الله ﷺ بعث إليه نفراً من أصحابه يَدعونه إلى الله تعالى ورَسوله، فقال لهم أخبِرونا مَنْ ربُّ محمد الذي يَدعوني إليه؟ فهل هو مِن ذهب، أم فضة، أم حديد، أم نحاس؟! فاستَعظم القوم كلامه، فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا أكفَر قلباً، ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل، قال: «ارجعوا إليه»، فرجعُوا، فبينما هم عنده يَدعونه ارتفعت سحابةٌ، فكانت فوق رؤوسهم، فرَعدت وبرقت ورمَت بصاعقة وأحرقت الكافر وهم جُلوسٌ عنده، فرجعوا لِيُخبروا

---

(١) هذه التفسيرات بناء على النظريات الشائعة في أيامِهم، وليس في القرآن أو السنة الصحيحة شيء من ذلك، والله أعلم.

وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ....

النَّبيُّ ﷺ مَن يَدعُوهُ فقالَ: مَن رَسُولُ الله، وما الله؟ أمِن ذَهَب هو أم فِضَّةٍ أم نُحاسٍ؟ فنزَلَت بِه صاعِقة فذَهَبَت بِقِحْفِ رَأسِه، ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: يُخاصِمُون النَّبيَّ ﷺ ﴿فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: القُوَّة أو الأَخْذِ.

﴿١٤﴾ ﴿لَهُۥ﴾ تَعالى ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كَلِمَتُه، وهيَ: لا إلَه إلَّا الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ـ بالياءِ والتَّاء ـ: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيره وهُم الأصنامُ ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مِمَّا يَطلُبُونَه ﴿إِلَّا﴾ استِجابةً ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي: كاستِجابة باسِط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ على شَفِيرِ

حاشية الصاوي

النبي ﷺ، فبادَرهم وقال لهم: «احترق صاحِبُكم»، فقالوا: مِن أين علمت؟ قال: قد أوحي إليَّ ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[1].

قوله: (بِقِحْفِ رأسه) بكسر القاف: عَظمُ الرأس الذي فوق الدماغ.

قوله: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾) بكسر الميم، من المُماحلة، وهي: المكايَدة، وقيل: من المَحْلِ، وهو: القوَّة والأخذ، وهو الأولى؛ ولِذا مشى عليه المفسِّر.

قوله: (﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾) أي: شَرَعَهَا وأَمَرَ بِهَا.

قوله: (وهي: لا إله إلا الله) أي: مع عَديلتها وهي: محمد رسوله الله، فهي كلمة الحق، جُعلت مفتاحاً للإسلام، فلا يُقبل من أحد إلا بالإقرار بها.

قوله: (بالياء والتاء) أما الياء.. فمُتواترة، وأما التاء.. فشاذَّة[2]، وكان المناسب للمفسِّر التَّنبيهَ عليها.

قوله: (﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم﴾) أي: لا يُجيبونهم.

قوله: (﴿إِلَّا﴾ استجابة) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على تقدير مَصدر مضاف إلى المفعول، والمعنى: أنَّ الأصنام التي يَعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تُبصر، فلا تجيب عابِدِيها بشيء

---

(١) رواه بنحوه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٥٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٤).

(٢) وبها قرأ اليزيدي عن أبي عمرو. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٥).

لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ....

البِئر يَدعُوهُ ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتِفاعِه مِن البِئر إلَيه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ أي: فاهُ أبداً، فَكَذلك ما هُم بِمُستَجِيبِينَ لَهُم، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عِبادَتُهم الأصنامَ أو حَقِيقةُ الدُّعاء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: ضَياعٍ.

﴿١٥﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمُؤمِنِين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمُنافِقِينَ،

حاشية الصاوي

أصلاً، وقد ضرب الله مثلاً لعدم إجابتها لهم بقوله: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ...﴾ إلخ، والمعنى: أنَّ مَنْ بسط كفَّيه للماء ليدخل في فِيه.. لا يجيبه الماء؛ لعدم إشعاره ببَسط كفَّيه وعَطشه وعدم قُدرته على ذلك، فكذلك مَنْ يدعو الأصنام لِتَدفع عنه كربةً أو تُوليه نعمةً.. لا تجيبه بشيء؛ لعدم قدرتها على ذلك لِنَفسها، فضلاً عن غيرها.

قوله: (﴿وَمَا هُوَ﴾) أي: الماء.

قوله: (عبادتهم الأصنام، أو حقيقة... إلخ) هذان قَولان في تفسير الدعاء، والأقرب: الأوَّل؛ بدليل قوله أولاً: (﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون).

قوله: (ضياع) إنما كان دعاؤهم ضائعاً؛ لأنه طلبٌ مِنْ غير مَنْ لا يملك لِنفسه نفعاً ولا ضرًّا[1]، وأما دعاؤهم لله.. فليس بضائع، بل يَستجيب لهم إن شاء؛ فإن كان بأمور الدنيا.. فظاهرٌ، وإن كان بالجنة.. فيَهديهم للإيمان، هذا هو الذي يجب المصير إليه، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ فإنها في مُشركي مكة، وجملة ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ نتيجة ما قبلها.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) أي: وهم الملائكة، ولا يكون إلا طوعاً، وقوله: (﴿وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: من الإنس والجنِّ، وقوله: (﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾) حالان من الفاعل؛ أي: طائعين ومُكرهين، والكره في المنافقين كما قال المفسِّر، وأما باقي الكفار.. فلم يكن منهم سجودٌ، وهذا إن حمل السجود على حقيقته، وهو: وضع الجبهة على الأرض بالفعل، وإن أُريد من السجود: الأمرُ به.. بقيت (مَنْ) على عمومها، فيندرج تحتها الإنس والجنُّ والملك.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب حذف (غير)؛ ليستقيم المعنى.

﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ ....

ومَن أُكرِهَ بِالسَّيفِ، ﴿وَ﴾ يَسجُد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ﴾: البُكَرِ ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾: العَشايَا.

﴿١٦﴾ ﴿قُلۡ﴾ يا مُحمَّد لِقَومِك: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ﴾ إن لَم يَقُولُوهُ لا جَواب غَيره، ﴿قُلۡ﴾ لَهُم: ﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غَيره ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾: أصناماً تَعبُدُونَها ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

ويصح حمله على معناه المجازيِّ، وهو: الخضوع والانقياد، والمعنى: لله خَضع وانقاد وذلَّ من في السماوات والأرض جميعاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]، وعلى هذا: فالمراد بـ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: السماوات والأرض ومن فيهنَّ، وغلِّب العاقل؛ لِشرفه، ولأنه المكلَّف بالسجود الحقيقي واللغوي؛ فالعارفُ بربِّه المسلِّم لأحكامه ولو غير عاقل؛ بدليل: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].. خَضع طوعاً إجلالاً لهيبة الله وجلاله، والجاهلُ خَضع كرهاً، بمعنى: جرَت المقادير عليه رغماً على أنفِه.

قوله: (﴿وَظِلَٰلُهُم﴾) معطوف على (مَنْ) مسلَّط عليه ﴿يَسۡجُدُ﴾ كما قدَّره المفسِّر، ومعنى سجود الظلِّ: سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقتُهُ، وخضوعُه وانقياده إن أريد به المعنى المجازيُّ، وسجود الظلال كلِّها طوعاً؛ لخلوِّها عن النفس التي تحمل الإنسان على عدم الرضا؛ ففي الحقيقة: الكاره إنما هو النفس التي حَواها الجسم، وأما الجسم والظل.. فخضوعهما طوعاً؛ ولذا قيل: إنَّ الكافر إذا سجد لِلصنم.. سجد ظلُّه لله.

قوله: (البُكَر) جمع بُكرة، وهي: أوَّل النهار.

قوله: (﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾) جمع أصيل، وهو: من بعد العصر إلى الغروب، فالمراد: جميع الأوقات إن أريد بالسجود الخضوعُ والانقيادُ، وأوقاتُ الصلوات إن أريد بالسجود حقيقتُهُ.

قوله: (﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) هذا مرتَّبٌ على ما قبله.

قوله: (لا جواب غيره) أي: لتعيُّنه عليهم؛ لاعترافهم به، وإنما يتركون هذا الجواب عناداً.

قوله: (﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم﴾... إلخ) المعنى: أَبَعْدَ إقراركم أنه ربُّ السماوات والأرض واعترافِكُم به يَليق بكم أن تتخذوا مِنْ دونه مَنْ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً؟!

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ....

وتَرَكتُم مالِكَهما؟ استِفهام تَوبِيخ، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافِرُ والمُؤمِن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكُفرُ ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمانُ؟ لا، ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي: خَلقُ الشُّرَكاء بِخَلقِ الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتَقَدُوا استِحقاقَ عِبادَتِهم بِخَلقِهم؟ - استِفهامُ إنكار - أي: ليسَ الأمرُ كذلك، ولا يَستَحِقُّ العِبادةَ إلَّا الخالقُ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وتركتم مالكها[1]) أي: وهو الله.

قوله: (استفهام توبيخ) أي: الثاني، وأمَّا الأوَّل.. فهو للتقرير.

قوله: (﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾) هذا تَرقٍّ في الرَّد عليهم.

قوله: (الكافر والمؤمن) أي: فالمراد بالأعمى: أعمى القلب، والبصير: بصيرُهُ.

قوله: (الكفر) أي: وعبَّر عنه بـ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾؛ جمعاً لِتعدد أنواعه، بخلاف الإيمان فهو متَّحد؛ فلذا عبَّر عنه بالنور مفرداً، وسمِّي الكفر ظلماتٍ؛ لأنه موصلٌ لدار الظلمات، وهي النار، وسمِّي الإيمان بالنور؛ لأنه موصلٌ لدار النور، وهي الجنة.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ [النور: ٣٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ...﴾ [النور: ٤٠] الآية.

قوله: (﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾) أي: بل أجَعلوا، فـ﴿أم﴾ منقطعةٌ تفسَّر بـ(بلى) والهمزة.

قوله: (﴿شُرَكَآءَ﴾) أي: الأصنام.

قوله: (﴿خَلَقُوا۟﴾) أي: الأصنام، وقوله: (﴿كَخَلْقِهِۦ﴾) أي: اللهِ، والمعنى: هل لهذه الأصنام خلقٌ كخَلق الله فاشتبه بخلقه فاستَحقت العبادة لذلك؟! وهو إنكارٌ عليهم؛ أي: لم يخلقوا أصلاً، بل ولا يَستطيعون دفع ما يَنزل بهم، فكيف العاجز يُعْبَد؟!

قوله: (أي: ليس الأمر كذلك) أي: لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله، بل الكفار

(١) أي: الأصنام، وفي نسخة: (مالكهما) أي: النفع والضر، واختارها في «الفتوحات» (٢/ ٥٢٢).

وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ....

لا شَرِيك لَه فِيه، فلا شَرِيك لَهُ في العِبادة، ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لِعِبادِه.

﴿١٧﴾ ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلاً لِلحَقِّ والباطِل فقال: ﴿أَنزَلَ﴾ تَعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطَراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: بِمِقدارِ مِلئِها، ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: عالِياً عَلَيهِ، هو ما على وَجهِه مِن قَذَر ونَحوه، ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياء ـ ....

حاشية الصاوي

يعلمون بالضرورة أنَّ هذه الأصنام لم يَصدر عنها فعلٌ ولا خلقٌ ولا أثرٌ أصلاً، وإذا كان كذلك.. فجعلُهم إيَّاها شركاء لله في الألوهيَّة محضُ جهلٍ وعنادٍ.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾) أي: المنفرد بالإيجاد والإعدام، القاهر لِعباده، المختار في أفعاله؛ فلا يُسْأَلُ عمَّا يفعل.

قوله: (ثم ضرب مثلاً) أي: بيَّنه، والمراد بالمَثَل: الجنس؛ لأنَّ المذكور للحقِّ مثلان، وللباطل كذلك.

قوله: (﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾) أي: أنهارٌ، جمع وادٍ، وهو: الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة، وحينئذٍ: فهو مجاز عقليٌّ من إسناد الشيء لمكانه، والأصل: فسال الماءُ في الأودية.

قوله: (﴿بِقَدَرِهَا﴾) بفتح الدال باتفاق السَّبعة، وقرئ شذوذاً بسكونها[1].

قوله: (بمقدار ملئها) أي: ما يملأ كلَّ واحدٍ بحسبه صغراً وكبراً.

قوله: (﴿زَبَدًا﴾) الزَّبَدُ: ما يظهر على وجه الماء من الرَّغوة، أو على وجه القِدْرِ عند غليانه، وقد تمَّ المثل الأول.

قوله: (﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾) الجارُّ والمجرورُ: خبرٌ مقدَّم، و﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

قوله: (بالتاء والياء) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) وهي قراءة زيد بن علي والأشهب العقيلي وأبي عمرو في رواية. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء من تحت؛ أي: الناس، والباقون بالتاء من فوق على الخطاب. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٠).

عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ ....

﴿عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ مِن جَواهِرِ الأرض كالذَّهَبِ والفِضَّة والنُّحاس، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿حِلْيَةٍ﴾: زِينةٍ ﴿أَوْ مَتَٰعٖ﴾ يُنتَفَع بِهِ كالأواني إذا أُذِيبَت ﴿زَبَدٞ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: مِثلُ زَبَد السَّيل، وهو خَبَثه الَّذي يَنفِيه الكِير، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: مَثَلَهما؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ مِن السَّيل وما أُوقِدَ عَلَيهِ مِن الجَواهِر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: باطِلاً مَرمِيًّا بِه، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِن الماءِ والجَواهِر ﴿فَيَمْكُثُ﴾: يَبقَى ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ زماناً، كذَلك الباطلُ يَضمَحِلُّ ويَنمَحِقُ وإن عَلا على الحَقِّ في بَعض الأوقاتِ، والحَقُّ ثابِتٌ باقٍ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي ٱلنَّارِ﴾) متعلق بـ﴿تُوقِدُونَ﴾، وقوله: (﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾) علة لـ﴿تُوقِدُونَ﴾.

قوله: (كالأواني) أي: والمسكوك[1] الذي ينتفع به الناس في مَعاشهم.

قوله: (﴿زَبَدٞ مِّثْلُهُۥ﴾) أي: في كونه يصعد ويَعلو على أصله.

قوله: (الكير) هو: منفاخ الحداد، وأما الكور.. فهو الموضع الذي توقد فيه النار كالكانون.

قوله: (المذكور) أي: من الأمور الأربعة التي لِلحق والباطل.

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾) لفٌّ ونشرٌ مشوَّشٌ.

قوله: (مرميًّا به) أي: يرميه الماء إلى الساحل، ويَرميه الكير فلا ينتفع به.

قوله: (والحقُّ ثابتٌ) أي: ماكثٌ كما أن الماء والجوهر ثابتان، وإنما يرمى زبدهما، والمعنى: أنَّ مثل الباطل كمثل الرَّغوة التي تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذي يَصعد على وجهه عند نفخ النار عليه، ومثل الحق كمثل الماء الصافي والجوهر الصافي، فكما أن الرغوة في كلٍّ لا قرارَ لها ولا ينتفع بها بل تُرمى.. كذلك الباطل يَضمحل ولا يبقى، والحقُّ ثابتٌ ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين.

وفي هذه الآية بشرى للأمة المحمدية بأنها ثابتةٌ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم في العقائد، بل وإن علا وارتفع لا بدَّ من اضمحلاله وزواله.

---

(١) السَّك: ضرب النقود المعدنيَّة؛ سواء كانت ذهباً أو فضة أو غيرهما، ومُراده بالمسكوك: النقود المتداوَلة.

يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ....

﴿يَضْرِبُ﴾: يُبيِّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: أجابُوهُ بالطَّاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجَنَّةُ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ مِن العَذاب، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المُؤاخَذة بِكُلِّ ما عَمِلُوهُ، لا يُغفَر مِنهُ شَيء، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراشُ هيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾) أي: لإرشاد عَبيده باللطف والرفق؛ فإنَّ مِنْ جملة ما جاء به القرآن الأمثالَ.

قوله: (﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾) خبرٌ مقدَّم، وقوله: (﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾) مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

قوله: (الجنة) أي: وزيادة؛ بدليل الآية الأخرى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ﴾) مبتدأٌ أخبر عنه بثلاثة أمور: الأول: قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾، الثاني: قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ...﴾ إلخ، الثالث: قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ...﴾ إلخ، والمعنى: أنَّ الكفار يتمنَّون أنْ لو كان لهم قدرُ ما في الأرض جميعاً مرتين ويَفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة.

قوله: (﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾) أي: الحساب السيئ، فهو من إضافة الصفة للموصوف، والمراد: أنهم يُناقشون الحساب، ويسألون عن النقير والقطمير؛ ولِذا ورد في الحديث: «**مَنْ نُوقش الحساب.. هَلك**»[1].

قوله: (﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾) أي: منزلهم المُعدُّ لهم.

قوله: (﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾) هو: ما يُمهد؛ أي: يُفرش، وقدَّر (هي)؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالذمِّ محذوفٌ.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (٢٨٧٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ....

﴿١٩﴾ ونَزَلَ في حَمزةَ وأبِي جَهل: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فآمَنَ بِه ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ لا يَعلَمهُ ولا يُؤمِنُ بِه؟ لا، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ المَأخُوذ علَيهِم وهُم في عالَم الذَّرِّ، أو كُلِّ عَهد، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في حمزة وأبي جهل) أي: سبب نزول هذه الآيات: مَدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير، وذمُّ أبي جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشرِّ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فآيات الوعد لحمزة ومَنْ كان على قدمه وخُلُقِهِ إلى يوم القيامة، وآيات الوعيد لأبي جهل ومَنْ كان على قدمه وخلقِهِ إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيستوي المؤمن والكافر فمَن يعلم...؟ إلخ.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (أصحاب العقول) أي: السليمة الكاملة.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾) بدل من (مَنْ)، وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية: أوَّلها: قوله: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾، وآخرها: قوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

قوله: (المأخوذ عليهم) وهم في عالم الذَّرِّ؛ أي: بالتوحيد، وهو قول الله لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله: (أو كلُّ عهد) أي: كلُّ ميثاق أُخِذَ عليهم، كان للخالق أو للمخلوق ولو كافراً؛ فيجب الوفاء بالعهد، ولا تَجوز الخيانة. ولما كانت الأوصاف الآتية لازمةً للمُوفي بالعهد.. قدَّم عليها، وجعل ما بعده تفصيلاً له، وحينئذٍ: فالمراد بالوفاء بالعهد: امتثال المأمورات على حسَب الطاقة، واجتناب المنهيَّات.

قوله: (﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾) تأكيدٌ لما قبله ولازمٌ له؛ لأنَّ الموفيَ بالعهد غيرُ ناقضٍ للميثاق؛ فالعهد هو: الميثاق، وقيل: الميثاق: التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق، والعهد هو: أمر الله.

وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟

بِتَركِ الإيمان أو الفَرائِض.

﴿٢١﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ مِنَ الإيمان والرَّحِم وغَير ذلك، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعِيدَه، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ تَقَدَّمَ مثله.

﴿٢٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الطَّاعة والبَلاء وعن المَعصِية ....

حاشية الصاوي

قوله: (بترك الإيمان) راجعٌ للأول، وقوله: (أو الفرائض) راجع للثاني في تفسير العهد.

قوله: (من الإيمان) بيانٌ لـ(ما)، والمعنى: أنهم يَأتون بالإيمان بشروطه وأركانه وآدابه.

قوله: (والرحم) أي: القرابة؛ لما في الحديث: «يقول الله تعالى: أنا الرحمن، خَلقتُ الرحم، وشقَقت لها اسماً من اسمي؛ فمَنْ وصلها.. وَصلته، ومن قطعها.. قَطَعتُه»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الرحم مُعلَّقة بالعرش تقول: مَن وصلني.. وَصله الله، ومَن قَطعني.. قطعه الله»[2]، وصلة الرحم تكون ببَذل المعروف، والإنفاق بحسب الاستطاعة.

قوله: (وغير ذلك) أي: كالتَّوادد للناس، وعيادة المريض، وغير ذلك؛ لما في الحديث: «التوادد مع الناس نِصف العقل»[3]، وفي الحديث: «وخالِقِ الناس بخلقٍ حسنٍ»[4]، والتَّوادد: بإعطاءِ مَنْ حرمك، ووصلِ مَنْ قطعك، والعفوِ عمَّن ظلمك.

قوله: (﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾) أي: يهابونه إجلالاً وتعظيماً، فلا يخشون غيره، ولا يَلتفتون لما سواه.

قوله: (﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾) أي: يخافون الحسابَ السيئَ المؤدِّيَ لدخول النار.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الطاعة... إلخ) أشار المفسِّر إلى أنَّ مراتب الصبر ثلاثةٌ: أعلاها:

---

(١) رواه أبو داوود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧) عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأصله في «البخاري» (٥٩٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٦٦١١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٦١٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٤٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وفيهما: (التودُّد) بدل (التوادد).

(٤) رواه الترمذي (١٩٨٧) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غَيره مِن أعراض الدُّنيا، ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟﴾ في الطَّاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾: يَدفعُون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجَهلِ بِالحِلمِ والأذَى بِالصَّبرِ، ....

حاشية الصاوي

الصبرُ عن المعصية، وهو: عدمُ فعلها رأساً، ويَليها الصبر على الطاعات؛ أي: دَوام فعلها على حسب الطاقة، ويليها الصبر على البلايا، وأعلى الجميع: الصبرُ عن الشهوات؛ لأنه مرتبةُ الأولياء والصِّدِّيقين.

قوله: (﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾) أي: طلباً لمرضاته.

قوله: (لا غيره من أغراض الدنيا) أي: كالصبر ليقال: ما أكملَ صبره وأشدَّ قوته، أو لئلا يعاب على الجزع، أو لئلا تَشمت به الأعداء، وغير ذلك من الأمور التي تكون لغير وجه الله، وفَضْلُ الصبر لوجه الله عظيمٌ جدًّا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ...﴾ [البقرة: ١٥٥] الآية، وورد: «**إذا كان يوم القيامة.. نادى منادٍ: لِيَقم أهل الصبر، فيقوم ناسٌ من الناس، فيقال لهم: انطَلقوا إلى الجنة، فتتلقَّاهم الملائكة فتقول: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قال: نَعم، فيقولون: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبَّرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلاء والمِحَن في الدنيا، فتقول الملائكة لهم:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾»(١).

قوله: (﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أي: فرضاً أو نفلاً بالإتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: (﴿وَأَنفَقُوا۟﴾ في الطاعة) أي: إنفاقاً واجباً كالزكاة والنفقات الواجبة، أو مَندوباً كالتطوعات.

قوله: (﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾) أي: لم يَعلم به أحدٌ، أو عَلم؛ فالمدار على الإخلاص في النفقة، أسرَّ بها أو أعلَن.

قوله: (كالجهل بالحلم) أي: فيدفع السَّفَهَ والتَّعدِّيَ بالحلمِ وعدمِ المؤاخذة.

قوله: (والأذى بالصبر) أي: فلا يكافئون الشَّر بالشَّر، بل يدفعون الشَّر بالخير والصبر.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٥)، وانظر «المطالب العالية» لابن حجر (٦١٨/١٨).

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ....

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقِبةُ المَحمُودة في الدَّار الآخِرة.

﴿٢٣﴾ هي ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هُم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾: آمنَ ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وإن لَم يَعملُوا بِعَمَلِهِم، يكُونُونَ في دَرَجاتهم تكرِمةً لَهُم، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ مِن أبواب الجَنَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ مبتدأٌ مؤخَّر، والجملة خبر المبتدأ الأول، وهي مستأنفةٌ لبيان جزاء مَنْ ذُكِرَ.

قوله: (أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة) أشار بذلك إلى أنَّ النعت محذوف، والإضافة على معنى (في)، فالعقبى المحمودة هي: الجنة.

قوله: (﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾) قدَّر المفسِّر (هي)؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، والمراد بـ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: الجنة بجميع دُورها، لا خصوص الدار المسمَّاة بذلك.

قوله: (هم ﴿وَمَن﴾ . . . إلخ) قدَّر الضمير؛ للإيضاح، وإلَّا . . فالفصل حاصلٌ بالضمير المنصوب.

قوله: (﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾) أي: أصولهم وإن علَوْا، ذكوراً وإناثاً.

قوله: (﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾) أي: اللاتي مُتْنَ في عِصمتهم.

قوله: (﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾) أي: فُروعهم وإن سفلوا.

قوله: (وإن لم يعملوا) أي: الآباء والأزواج والذرِّيَّات.

قوله: (تكرمةً لهم) أي: لأنَّ الله جعل مِنْ ثوابِ المطيع سرورَهُ بما يراه في أهله، ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة . . لم تكُن في ذلك كرامةٌ للمطيع؛ إذ كلُّ مَنْ كان صالحاً في عمله . . فلَه الدرجات العليَّة استقلالاً.

سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ....

أو القُصور أوَّلَ دُخُولهم لِلتَّهنِئة.

﴿٢٤﴾ يَقُولُونَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ هذا الثَّواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: بِصَبرِكُم في الدُّنيا، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عُقبَاكُم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو القصور) جمع قصر، وهو كما ورد: «خيمة من دُرَّة مجوَّفة، طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها ألفُ بابٍ، مَصارعها من ذهب، يدخلون عليهم من كلِّ باب بالتحف والهدايا، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾»[١].

قوله: (أول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم يُرَ لغيره، بل في كلام غيره ما يدلُّ على خلاف ذلك، قال مقاتل: (إنَّ الملائكة يدخلون في مقدار كلِّ يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات مَعهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولُون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾)[٢].

قوله: (يقولون) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في محلِّ نصبٍ، مقول لقول محذوف.

قوله: (﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾) أي: سلَّمكم الله من آفات الدنيا، فهو دعاءٌ لهم وتحيَّةٌ.

قوله: (﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾) الجارُّ والمجرورُ متعلق بمحذوف خبرٍ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هذا الثواب... إلخ).

قوله: (بصبركم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر.

قوله: (﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾) المراد بالدار: قيل: الدنيا، وقيل: الآخرة.

قوله: (عقباكم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوفٌ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾) جرَت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة.. أتبَعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة، وهذه أوصاف أبي جهل ومَنْ حذا حذْوَهُ إلى يوم القيامة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٠٤) موقوفاً من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «السراج المنير» (٢/ ١٥٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٩٥) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «الدر المنثور» (٤/ ٦٣٩).

مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ....

مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالكُفرِ والمَعاصِي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾: البُعدُ مِن رَحمة الله، ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: العاقِبةُ السَّيِّئة في الدَّار الآخِرة وهِيَ جهنم.

﴿٢٦﴾ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يُوسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾: يُضَيِّقهُ لِمَن يَشاء، ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أي: أهلُ مَكَّة فَرَح بَطَرٍ ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بِما نالُوهُ فِيها، ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جَنْبِ حَياة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾: شَيء قَلِيل ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾) أي: مِن بعد الاعتراف والقبول.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) أي: مَنْ هذه صفاتُهُ.

قوله: (وهي جهنم) تفسيرٌ للعاقبة السيئة.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾... إلخ) هذا جوابٌ عن شُبهة الكفار حيث قالوا: لو كان الله غضباناً[1] علينا كما زعَمتم أيها المؤمنون.. لما بسَط لنا الأرزاق ونعَّمنا في الدنيا، فردَّ الله عليهم شُبهتهم بذلك، والمعنى: أنَّ بسط الرزق في الدنيا ليس تابعاً للإيمان، بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء؛ فقد يَبسط الرزق للكافر استدراجاً، ويضيِّقه على المؤمن امتحاناً.

قوله: (يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾) أي: مؤمنٍ أو كافرٍ، وقوله: (يضيِّقه لمن يشاء) أي: مؤمنٍ أو كافرٍ.

قوله: (﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾) هذا بيانٌ لقبح أحوالهم، فهو مستأنفٌ.

قوله: (فَرَحَ بطَرٍ) أي: لا فرح سُرورٍ وشكرٍ لنعم الله.

قوله: (﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾) أي: منسوبة للآخرة، والمعنى: وما الحياة الدنيا منسوبةً في جنب الحياة الآخرة إلا مَتاع.

---

(١) كذا في (أ) بالتنوين، وجرى المصنف رحمه الله على لغة بني أسد؛ لأنهم يؤنثون باب (سكران) بالتاء، فيستغنون فيه بـ(فعلانة) عن (فَعلَى)، بخلاف غيرهم من العرب، ولما ألحقوا التاء.. فقد الشبه بـ(حمراء)، فلم يَسعهم إلا أن يصرفوا فيقولون: رأيت رجلاً سكراناً، وصبيًّا غضباناً، وغُصناً ريّاناً، وإناء ملآناً، وأشباه ذلك. انظر «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/١٤٤١)، وفي (ط٢): (غضبان) وهي ظاهرة.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ....

يُتمتَّع به ويذهب.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِن أهل مكَّة: ﴿لَوۡلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾: على مُحمَّد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالعَصا واليَد والنَّاقة، ﴿قُلۡ﴾ لهُم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلالَه، فلا تُغني عَنهُ الآيات شَيئاً ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾: يُرشِد ﴿إِلَيۡهِ﴾: إلى دِينه ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾: رَجَعَ إِلَيهِ. ـ ويُبدَلُ مِن ﴿مَنۡ﴾ ـ:

﴿٢٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ﴾: تَسكُنُ ﴿قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: وَعدِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يُتمتَّع به ويذهب) أي: فلا بقاء لها، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَوۡلَآ﴾ تحضيضيَّة.

قوله: (﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾) أي: غير ما جاء به؛ من نَبع الماء، وتسبيح الحصى، وغير ذلك.

قوله: (فلا تغني عنه الآيات شيئاً) أي: فمجيئها لا يُفيدهم شيئاً؛ إذ ما جاز على أحد المثلَين.. يجوز على الآخر؛ فما قالوه في حقِّ ما جاء به من كونه سحراً وكهانة.. يقولونه في حقِّ ما لم يأت به على فرض إتيانه به، قال تعالى: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قوله: (﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾) أي: يُوصله لمرضاته ولما يحبه.

قوله: (ويبدل مِنْ ﴿مَنۡ﴾) أي: بدل كلٍّ، ويصح جعله مبتدأً، خبرُهُ الموصولُ الثاني، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أي: اتَّصفوا بالتصديق الباطنيِّ الناشئِ عن إذعان وقبول.

قوله: (﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾) هذه علامةُ المؤمن الكامل، والطمأنينة بذكر الله هي ثقة القلب بالله، والاشتغال به عمَّن سِواه.

ثم اعلم أنَّ هذه الآية تفيد أنَّ ذكر الله تَطمئن به القلوب، وآية (الأنفال) تفيد أنَّ ذكر الله يحصل به الوجل والخوف، فمُقتضى ذلك: أنه بين الآيتين تنافٍ؟

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ ....

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: قُلُوبُ المُؤمِنِين.

﴿٢٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ مُبتَدأ خَبَره: ـ ﴿طُوبَىٰ﴾: مَصدَر مِن الطِّيب أو شَجرةٌ في الجَنَّة يَسِير الرَّاكِب في ظِلِّها مِائةَ عام ما يَقطَعها، ....

حاشية الصاوي

وأجيب: بأن الطمأنينة هنا معناها: السكونُ إلى الله، والوثوقُ به، فينشأ عن ذلك عدمُ خوفِ غيرِهِ، وعدمُ الرجاء في غيره؛ فلا يُنافي حصول الخوف من الله والوجل منه، وهذا معنى آية (الأنفال)، وحينئذٍ: فصار الغير عِنده هباءً منثوراً، ليس مُعدًّا لدفع ضرٍّ، ولا لجلب نفع، وبمعنى الآيتين قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فتحصَّل: أنَّ المؤمن الكامل هو: المطمَئِن بالله، الواثق به، الخائف من هيبته وجلاله؛ فلا يُشاهد غيره لا في جلب نفعٍ ولا دفع ضرٍّ؛ لأنَّ الله هو المالك المتصرف في الأمور كلِّها، خيرِها وشرِّها؛ فحيث شاهد المؤمن وحدانيَّة الله في الوجود.. أعرض عمَّا سواه واكتفى به؛ فلا يعرِّج على غيره أصلاً، وهذا أتمُّ مما ذكره المفسِّر؛ حيث دَفع التنافي بأنَّ: معنى الطمأنينة: سكونُ القلب بذكر الوعد والبشارات، والوجل بذكر الوعيد والنذارات.

قوله: (﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾) أي: الكاملة في الإيمان.

قوله: (﴿طُوبَىٰ﴾) أصله: (طُيْبَى) وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واواً، والمعنى: عيشة طيِّبة لهم، وقد فسِّرت في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣].

قوله: (أو شجرة في الجنة) أي: وأصلها في دار النبي ﷺ، وفي كلِّ دارٍ وغرفةٍ في الجنة منها غصنٌ لم يَخلق الله لوناً ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يَخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عينان: الكافور، والسلسبيل، كلُّ ورقةٍ منها تُظلُّ أمَّة، ثياب أهل الجنة من أكمامها، فتُنبت الحلل والحلي، ويخرج منها الخيل المسرجة الملجمة، والإبل برحالها وأزمَّتها[1].

---

(١) سياق المصنف عند البغوي في «تفسيره» (٤/٣١٦)، وبيَّن ابن عطية رحمه الله في «المحرَّر الوجيز» (٣/٣١٢) اختلاف المفسرين في مَعناها، وأنَّ هذه الروايات الإسرائيلية مما لم يثبت، فقال: (طوبى: اسم شجرة في الجنة، وبهذا تواترت الأحاديث، قال رسول الله ﷺ: «طوبى شجرة في الجنة، يسير الراكب المجدُّ في ظِلها مئة عام =

لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ . . . .

﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: مَرجع.

﴿٣٠﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما أرسَلنا الأنبياءَ قَبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟﴾: تَقرأَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيثُ قالُوا لَمَّا أُمِرُوا بِالسُّجُودِ لَه: وما الرَّحمَن؟ . . . .

حاشية الصاوي

وما ذكره المفسِّر في تفسير (طوبى) قولان من أقوال كثيرة، وقيل: إنه دعاءٌ من الله لهم، والتقدير: طيَّب الله عَيشكم، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾) أي: ولهم حُسن مَرجع ومنقلب في الآخرة، وهي الجنة.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾) هذا تسلية له ﷺ؛ أي: فلا تحزن على عدم إيمان قومك؛ فإننا أرسلنا الأنبياء إلى قَومهم، فكفروا ولم يُطيعوا، فليس مَنْ كذَّبك بأوَّل مكذِّب.

قوله: (﴿فِىٓ أُمَّةٍ﴾) أي: إلى أمة.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾) أي: سبقت ومضت.

قوله: (﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (لما أمروا بالسجود له) أي: كما ذكر في سورة (الفرقان) بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، وهذا القول منهم على سبيل العناد، ويسمَّى عند أرباب المعاني تجاهُل العارف[١]؛ فإنَّ الرحمن هو المنعِم على عباده، وهم يُشاهدون نعمه عليهم، ومع ذلك قالوا: وما الرحمن؟ وهذا كقول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

= لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»، وحكى الطبري عن أبي هريرة وعن مغيث بن سمي وعتبة بن عبد يرفعه أخباراً مقتضاها أن هذه الشجرة ليس دار في الجنة إلا وفيها مِن أغصانها، وأنها تثمر بثِياب أهل الجنة، وأنه يخرج منها الخيل بسروجها ولجمها ونحو هذا ممَّا لم يثبت سندُه).

(١) وهو سؤال المتكلِّم عمَّا يَعلمه حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذمِّ، أو ليدلَّ على شدَّة التدلُّه في الحبِّ، أو لقصد التعجُّب أو التوبيخ أو التقرير؛ ولكثرة وُروده في كلام الله تعالى سمَّاه السكاكيُّ (سَوقَ المعلوم مَساق غيره لنكتة). انظر «عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح» (٢/ ٢٧٥).

قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ....

﴿قُلْ﴾ لَهُم يا مُحمدُ: ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

﴿٣١﴾ ونَزَلَ لَمَّا قَالُوا لَه: إنْ كُنتَ نَبِيًّا فسَيِّرْ عنَّا جِبالَ مكَّةَ واجعَل لَنا فيها أنهاراً وعُيُوناً لِنَغرِسَ ونَزرعَ، وابعَثْ لَنا آباءَنا المَوتَى يُكَلِّمُونا أنَّك نَبيٌّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ نُقِّلَت عن أماكِنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شُقِّقَت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِأن يُحيَوا لَمَا آمَنُوا، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لِغَيرِه فلا يُؤمِنُ إلَّا مَن شاء إيمانَهُ دُون غَيرِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ رَبِّي﴾) أي: الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي.

قوله: (﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾) أي: فوَّضت أُموري إليه.

قوله: (﴿مَتَابِ﴾) أي: توبتي ومَرجعي.

قوله: (ونزل لما قالوا) أي: كفار مكة؛ منهم: أبو جهل، وعبد الله بن أُمية، جلسوا خلف الكعبة، وأرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم ـ وقيل: إنه مرَّ بهم وهم جلوس ـ فدعاهم إلى الله، فقال عبد الله بن أمية: إن سَرَّك أن نتَّبعك.. فسيِّر جبال مكةَ بالقرآن فادفعها عنا حتى تَنفسح؛ فإنها أرضٌ ضيِّقةٌ لمزارِعنا، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً؛ لِنَغرس الأشجار ونزرع ونتَّخذ البساتين؛ فلستَ كما زعمت بأهون على ربك من داوود؛ حيث سخَّر له الجبال تَسير معه، أو سخِّر لنا الريح؛ لنركبها إلى الشام لِميرتنا وحوائجنا ونَرجع في يومنا؛ كما سُخِّرَتْ لسليمان الريح كما زعمتَ؛ فلست أهونَ على ربك من سليمان، وأحيِ لنا جدَّك قصيًّا؛ فإنَّ عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهوَنَ على الله منه، فنزَلت هذه الآية[1].

قوله: (﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾) أي: من خشية الله عند قِراءته، فجعلت أنهاراً أو عيوناً.

قوله: (لما آمنوا) جواب (لو)، والمعنى: لو فعل الله ما ذكر وأجابهم.. لم يَحصل منهم إيمانٌ؛ لأنَّ الله عَلِم عدمَ هداهم.

قوله: (﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾) أي: القدرةُ على كلِّ شيءٍ، وهو إضرابٌ عمَّا تضَمَّنته الجملة

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤/٣١٩).

أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ ....

وإنْ أُوتُوا ما اقتَرَحُوا. ونَزل لَمَّا أرادَ الصَّحابةُ إظهار ما اقتَرَحُوا طَمَعاً في إيمانِهم: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: يَعلَم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: أنَّهُ ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ إلى الإيمان مِن غَير آية؟ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِن أهل مَكَّة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: ....

حاشية الصاوي

الشرطية من معنى النفي، والمعنى: بل الله قادرٌ على الإتيان بما اقترحوه إلا أنَّ إرادته لم تتعلَّق بذلك؛ لعلمه بأنهم لا يُؤمنون.

قوله: (وإن أُوتُوا ما اقترحوا) أي: أُعْطُوا ما طلَبوه.

قوله: (لما أراد الصحابة... إلخ) أي: فقالوا: يا رسول الله؛ إنك مُجابُ الدعوة، فاطلب لهم ما اقترحوه عسى أن يؤمنوا.

قوله: (يعلم) يُطلق اليأس على العلم في لغة هَوازن ونخع؛ لتضمُّنه معناه؛ فإنَّ الآيس من الشيء عالمٌ بأنه لا يكون.

قوله: (﴿أَن﴾ مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾.. .إلخ﴾ خبر (أن).

قوله: (﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾) أي: ولكن لم يَفعل ذلك؛ لعدم تعلُّق مشيئته باهتدائِهم.

إن قلتَ: لِمَ لَمْ يجب الله نبيَّه بعين ما طلَبوه كما أجاب صالحاً في الناقة، وعيسى في المائدة مع علمه بأنهم لا يؤمنون؟

أجيب: بأنه جرَت عادة الله في عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئاً من المعجزات وعاهدوا نبيَّهم على الإيمان عند مجيئها ولم يُؤمنوا.. أنه يهلكهم، ويَقطع دابرهم عن آخرهم، وقد أراد إبقاءَ هذه الأمَّة المحمدية، وعدمَ استيعابها بالهلاك؛ إكراماً لنبيِّها، فلم تَحصل الإجابة بعين ما طلبوا؛ رحمةً بهم، وإكراماً لنبيِّهم.

قوله: (﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) إخبارٌ من الله لنبيِّه بالنصر القريب على صبره، وقوله: (﴿تُصِيبُهُم﴾) خبر (يزال).

قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ....

بِصُنعِهِم أي: كُفرِهِم ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهِيَةٌ تَقرَعهُم بِصُنُوفِ البَلاء مِن القَتل والأسرِ والحَرب والجَدب، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا مُحمَّد بِجَيشِك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: مَكَّة، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بالنَّصرِ عليهِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾، وقد حَلَّ بِالحُدَيبِية حتَّى أتى فتحُ مكَّة.

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهزِئَ بِك، وهذا تَسلِيةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهَلتُ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعُقُوبة، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقِع

حاشية الصاوي

قوله: (بصنعهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر، والباء: سببيَّة؛ أي: بسبب صُنعهم.

قوله: (﴿قَارِعَةٌ﴾) التنوين للتنكير؛ إشارةً إلى أنها ليست مخصوصة بشيء معيَّن، بل هي عامَّة في كل ما يُهلكهم.

قوله: (تقرعهم) أي: تهلكهم.

قوله: (﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا﴾) معطوف على ﴿قَارِعَةٌ﴾، والمعنى: تصيبهم بما صنعوا قارعة، أو حُلولك قريباً من دارهم، والعطف يقتضي المغايرة، فالمراد بـ(القارعة) غيرُ حُلوله وإن كان من أعظم القوارع، وهذا تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: اصبر فإنك منصورٌ ومؤيَّدٌ، وهم مَخذولون؛ فإنَّ الدَّواهيَ مسلَّطة عليهم.

قوله: (﴿قَرِيبًا﴾) أي: مكاناً قريباً، وهو الحُديبية.

قوله: (بالنصر عليهم) أي: بفتح مكة.

قوله: (وقد حلَّ بالحديبية) أي: مرَّتَين: الأولى سنة ست حين أراد العمرة وبَعث عثمان، وقد صدُّوا النبيَّ ﷺ والمؤمنين عن البيت، فصالح الكفار النبي على أن يمكِّنوه من الدخول في السنة السابعة، فدخلها واعتَمر.

والثانية: سنة ثمان حين أراد فتح مكة؛ فإنه حلَّ بها هو وجيشُه، وأمرهم أن يتفرقوا ويُوقد كل شخص ناراً على حِدة؛ إرهاباً للعدو؛ ففي صبيحتها حصَل الفتح العظيم، ودخلوا مكة.

قوله: (﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) هذا تنزُّلٌ من الله سبحانه وتعالى؛ حيث عامل عباده معاملةَ ملك

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ....

مَوقِعَه فكذلك أفعَلُ بِمَن استَهزَأَ بِك.

(٣٣) ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: رَقِيبٌ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَت مِن خَير وشَرّ وهو الله كمَن ليسَ كذلك مِن الأصنام؟ لا، دلَّ على هذا: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ لَه مَن هُم؟ ﴿أَمْ﴾: بَل أ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾: تُخبِرُون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بِشَرِيكٍ ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ـهُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ـ استِفهامُ إنكار ـ أي: لا شَرِيكَ لَه إذ لو كان لَعَلِمَه تَعالى عن ذلك، ....

حاشية الصاوي

عَدل في رعيَّته؛ حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة، وأغدَق عليهم النعم، وكلَّما عصَوه.. سترهم وأمدهم بالعطايا، فلما تكرَّر منهم العصيان وعدم الخوف.. أخذَهم بالعقاب، فهل هذا ظُلم منه أو عدل؟ وجواب الاستفهام: أنه عدلٌ ولو كان صادراً من سلطان في رعيَّته؛ فكيف من الخالق الذي يستحيل عليه الظلم عقلاً؟!

قوله: (فكذلك أفعل بمن استهزأ بك) أي: لا على العموم؛ إكراماً لنبيِّه ﷺ.

قوله: (﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والتقدير: أعمِيتم وسوَّيتم بين الله وبين خَلقه فمن هو قائم.. .إلخ؟! والمعنى: أفمن كان حافظاً للنفوس ورازقها وعالماً بها كمن ليس بقائم بل هو عاجِز عن القيام بنفسه فضلاً عن غيره؟!

قوله: (لا) هذا هو جواب الاستفهام.

قوله: (دلَّ على هذا) أي: على الجواب المحذوف، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ أي: كمَن قسا قلبه، يَدل عليه قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾، ونظير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، ولكنه صرح فيها بالمقابل.

قوله: (﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾) أي: صِفوهم وانظروا هل بتلك الأوصاف تُستَحقُّ العبادة؟

قوله: (من هم؟) أي: بيِّنوا حقيقَتهم من أيِّ جنس ومن أيِّ نوع؟

قوله: (﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾... إلخ) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة؛ فلذا فسَّرها بـ(بل) والهمزة، والمعنى: أتخبِرون الله بشريك لا يَعلمه في الأرض؛ لعدم وجوده؟ إذ لو وُجد.. لعلمه، وخصَّ الأرض؛ لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كائنين فيها.

أَمْ بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ....

﴿أَمْ﴾: بل تُسَمُّونَهُم شُرَكاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾: بِظَنٍّ باطِل لا حَقِيقةَ لَهُ في الباطِن، ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: كُفرُهم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: طَريقِ الهدَى، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ بِظَٰهِرٍ﴾) ﴿أَمْ﴾: هنا للإضراب الإبطالي؛ ولِذا فسَّرها بـ(بل) فقط، والمعنى: أنَّ تسميتهم شركاء ظنٌّ باطلٌ فاسدٌ لا يعتبر، وإنما هو اسمٌ من غير مسمًّى.

قوله: (﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) إضرابٌ عن محاجَجتهم؛ كأنه قال: لا تَلتفت لهم ولا تعتبر بهم؛ فإنهم لا فائدة فيهم؛ لأنهم زيِّن لهم ما هم عليه من المكر والكفر.

قوله: (﴿وَصُدُّوا۟﴾) بضم الصاد وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى: مُنِعُوا عن طريق الهدى، أو مَنَعُوا الناس عنه.

فائدة

قال الطيبي: في هذه الآية احتجاجٌ بليغٌ مبنيٌّ على فُنون من علم البيان، أوَّلها: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ كمَن ليس كذلك: احتجاجٌ عليهم وتوبيخٌ لهم على القياس الفاسد؛ لِفَقد الجهة الجامعة لهما.

ثانيها: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: من وضع الظاهر مَوضع المضمر؛ للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فردٌ واحدٌ لا يشاركه أحدٌ في اسمه.

ثالثها: قوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾ أي: عيِّنوا أسماءهم فقُولوا: فلان وفلان، فهو إنكارٌ لوجودها على وجهٌ برهانيٍّ، كما تقول: إن كان الذي تدَّعيه موجوداً.. فسمِّه؛ لأنَّ المراد بالاسم: العلم.

رابعها: قوله: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: احتجاجٌ من باب: نفي الشيء بنفي لازمِه، وهو المعلوم، وهو كناية.

خامسها: قوله: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾: احتجاجٌ من باب الاستدراج، والهمزة للتقرير؛ لِيبعثهم على التفكر، المعنى: أتقولون بأفواهكم من غير رؤية؟! فتَفكَّروا فيه؛ لِتَقفوا على بطلانه.

---

(١) قرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الصاد، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٧).

لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا

﴿٣٤﴾ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والأسرِ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشدُّ منه، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابِه ﴿مِن وَاقٍ﴾: مانِع.

﴿٣٥﴾ ﴿مَّثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ـ مُبتدأ خبره محذوفٌ ـ أي: فيما نَقُصُّ عليكم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾: ما يُؤكَل فِيها ﴿دَائِمٌ﴾: لا يَفنى، ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائِمٌ لا تَنسَخهُ شَمسٌ لِعَدَمِها فِيها، ﴿تِلْكَ﴾ أي: الجَنَّة ﴿عُقْبَى﴾: عاقِبةُ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾

حاشية الصاوي

سادسها: التدريج في كلٍّ من الإضرابات على ألطَفِ وجه. وحيث كانت الآية تشتمل على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها.. كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز، وأنه ليس من كلام البَشر. انتهى [(١)].

قوله: (﴿وَمَا لَهُم﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿وَاقٍ﴾ مبتدأٌ مؤخَّرٌ، و﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ مُتعلق به؛ أي: ليس لهم مانعٌ من عذاب الله إذا جاءهم.

قوله: (﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾) مبتدأ، و﴿الَّتِي﴾ صفته، و﴿وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صِلة الموصول، والخبر محذوف، والتقدير: كائن فيما نقصُّ عليك كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾) أي: من تحت قُصورها وغُرَفها.

قوله: (﴿الْأَنْهَارُ﴾) فسِّرت في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾) أي: كل شيء يؤكل يَتجدَّد غيره، فلا تنقطع أنواع مأكولاتها، فليست كثمار الدنيا تَنقطع في بعض الأحيان.

قوله: (﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم) المراد بالظل فيها: عدم الشمس، فلا يُنافي أنها نورٌ، ونورها حاصل من نور العرش؛ لأنه سَقفُها، ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء الشمس.

قوله: (﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾) أي: مآلهم ومُنتهاهم.

(١) انظر «حاشية الطيبي على الكشاف» (٨/ ٥٢٥).

وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ ....

الشِّرْكَ، ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كعَبدِ الله بن سَلام وغَيرِه مِن مُؤمِني اليَهُود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لِمُوافَقَتِه ما عِندَهم، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الَّذِينَ تَحزَّبُوا علَيك بِالمُعاداةِ مِن المُشرِكِينَ واليَهُود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ كذِكرِ الرَّحمَن وما عَدَا القَصَص، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ فِيما أُنزِل إلَيَّ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأن ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك) تقدَّم أنَّ هذا أدنى مراتب التقوى.

قوله: (﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾) أي: مآلهم ومُنتهاهُم.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: التوراةَ والإنجيل؛ فـ(أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للجنس.

قوله: (من مؤمني اليهود) أي: ومؤمني النصارى كأهل نجران والحبشة واليمن؛ فإنهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول.. فاضَت أعينهم دموعاً كما تقدَّم في (المائدة).

قوله: (لموافقته ما عندهم) أي: في التوراة والإنجيل.

قوله: (﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾) أي: فكانوا إذا سمعوا شيئاً يُوافق هواهم.. سلَّموه وأقرُّوا به، وإذا خالف هواهم.. أنكَروه؛ فمثل القصص لا ينكرونها، ومثل الدعاء إلى التوحيد يُنكرونه.

قوله: (كذكر الرحمن) أي: بالنسبة إلى مشركي العرب، وذلك: أنَّ رسول الله ﷺ لما كتب لهم كتاب الصُّلح يوم الحُديبية.. قال فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: وما نَعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، يَصفون مسيلمة الكذاب[1]؛ لقول بعضهم مادحاً له: [البسيط]

سُميتَ[2] بالمجدِ يا ابنَ الأكرمِين أباً ... وأنتَ غَيثُ الورَى لا زِلتَ رَحمانَا

(١) انظر «شرح الزرقاني على المواهب» (٥/ ١٤٧).

(٢) كذا في الأصول في الموضعين، ورواية البيت في كتب التفسير: (سموت)، وهذا من تعنُّتهم في كفرهم؛ إذ سمَّوا المخلوق باسم الخالق كما سمَّوا الحجارة آلهة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٦٨)، و«حاشية الطيبي على الكشاف» (١/ ٧١٢).

أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن

﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: مَرجِعي.

﴿٣٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإنزالِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾ بِلُغة العَرَب تَحكُم بِه بَين النَّاس، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: الكُفَّار فِيما يَدعُونَك إِلَيهِ من مِلَّتِهم فَرضاً ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بِالتَّوحِيدِ، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾ - زائدة - ﴿وَلِيٍّ﴾: ناصِر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: مانِع مِن عَذابِه.

﴿٣٨﴾ ونَزَلَ لَمَّا عَيَّرُوهُ بِكَثرةِ النِّساء: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن ....

حاشية الصاوي

وقد هَجاه بعض الصحابة بقوله: [البسيط]

سُميت بِالخُبثِ يا ابنَ الأَخبَثِين أباً ... وأنتَ شَرُّ الوَرى لا زِلتَ شَيطانَا

قوله: (﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾) أي: أوحِّده.

قوله: (﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾) أي: إلى عِبادته وشريعته.

قوله: (مرجعي) أي: في الآخرة.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي: مثل إنزال الكُتب السابقة.

قوله: (﴿حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾) حالان من الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والمعنى: أنزلناه حاكماً بين الناس بلُغة العرب، وأسند الحكم له؛ لأنه ترجمانٌ عن الله، فطاعتُه طاعة لله.

قوله: (فيما يدعونك إليه من مِلتهم) أي: كقَولهم له: اعبُد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنةً، وكالصلاة إلى بيت المقدس بعدما حُوِّلت عنه.

قوله: (فرضاً) أي: على سبيل الفرض والتقدير، والمقصود: تحذيرُ مَنْ يجوز عليه اتباع الهوى؛ لأنَّ المعصوم إذا خُوطب بمثل ذلك.. كان المقصودُ غيره.

قوله: (﴿وَلَا وَاقٍ﴾) أصله: (واقِيٍ) استثقلت الكسرة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما.

قوله: (لما عيَّروه بكثرة النساء) أي: حيث قالوا: لو كان مرسلاً حقًّا.. لَكان مشتغلاً بالزهد

قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ....

قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: أولاداً وأنتَ مِثلهم، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ مِنهُم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِأَنَّهُم عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ، ....

حاشية الصاوي

وترْكَ الدنيا والنساء، فردَّ الله تعالى عليهم مَقالتهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا..﴾ إلخ؛ فقد كان لسليمانَ ثلاث مئة امرأة حُرة، وسبع مئة سُرِّيَّة، وكان لأبيه داوود مئةُ امرأة، ومع ذلك فلم يَقدح في نبوَّتهما، فكيف يجعلون ذلك قادحاً في نبوَّتك؟!

واعلَم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال النبوة؛ فالشبهة الأُولى: قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وسيأتي ذكرها في (الفرقان).

الثانية: قولهم: رسول الله إلى الخَلق لا بدَّ وأن يكون من جنس الملائكة؛ كما قالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، وقالوا: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ [الحجر: ٧] وستأتي أيضاً.

الثالثة: قولهم: لو كان رسولاً من عند الله.. لما اشتَغل بالنساء، فأجاب الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ...﴾ الآية.

الرابعة: قولهم: لو كان رسولاً من عند الله.. لكان أيُّ شيء طلَبناه من المعجزات أتى به، فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ الآية.

الخامسة: قولهم: لو كان رسولاً.. لحصل ما وعَدنا به من نُزول العذاب، فأجاب الله تعالى بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكلِّ حادث وقتٌ معيَّن لا يتأخَّر عنه ولا يتقدَّم عليه.

السادسة: قولهم: لو كان صادقاً.. ما نَسخ الأحكام التي هي ثابتة في التوراة والإنجيل، وما نسخ بعض الأحكام التي جاء بها، فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾.

قوله: (﴿وَذُرِّيَّةً﴾) أي: وقد كان لرسول الله سَبعة أولاد: ثلاثة ذكور، وأربعُ إناث، وترتيبهم في الولادة هكذا: القاسم، فزَينب، فرُقيَّة، ففاطمة، فأم كلثوم، فعبد الله، فإبراهيم، وكلُّهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطيَّة، وكلُّهم ماتوا في حياته إلا فاطمةَ فماتت بعده بستة أشهر.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾... إلخ) أي: لم يَجعل الله للرسول الإتيانَ بآيةٍ مما اقترحه قَومه إلا بإرادته تعالى.

قوله: (مربوبون) أي: مَقهورون مغلوبون.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مُدَّةٍ ﴿كِتَابٌ﴾ مَكتُوب فيه تَحديده.

﴿٣٩﴾ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ﴾ مِنهُ ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد - فِيه ما يَشاء مِن الأحكام وغَيرِها ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصلُه الَّذِي لا يَتغيَّر مِنهُ شَيء، وهو ما كَتَبَهُ في الأزَل.

﴿٤٠﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ - فِيه إدغام نُونِ (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) المَزِيدة - ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾) ردٌّ لاستعجالهم العذاب؛ فإنه كان يخوِّفهم بذلك، فاستَعجلوه عناداً.

قوله: (مكتوب فيه) أي: في ذلك الكتاب، وهو اللَّوح المحفوظ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وهو ما كتبه في الأزل) أي: قدَّره؛ بمعنى: تعلَّق به عِلمه وإرادته، وما مشى عليه المفسِّر من أنَّ الصحف واللوح المحفوظ يَقع فيها التغيير والتبديل، والمراد بـ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: عِلم الله المتعلق بالأشياء أزلاً.. هو أحد تفسيرَين.

إن قلتَ: يَرد على هذا ما ورد: «أنَّ الله لما خلق اللوح والقلمَ وأمره بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن.. قال: رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف»[2].

أجيب: بأن المراد: رُفعت الأقلام عمَّا هو مطابقٌ لعلم الله.

والتفسير الآخر: أنَّ المحوَ والإثباتَ يقعان في صحف الملائكة فقط، والمراد بقوله: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ، وهو لا يَقبل التغيير والتبديل.

والحاصل: أنَّ ما في علم الله لا يَقبل التغيير جزماً، وما في الصحف يقبل التغيير جزماً، والخلاف في اللوح المحفوظ، والآية محتملةٌ، والله أعلَم بحقيقة الحال.

قوله: (﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾) (إنْ): شرطية مُدغمة في (ما) الزائدة كما قال المفسِّر، و﴿نُرِيَنَّكَ﴾ فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: (نحن)، والكاف: مفعول أول، و﴿بَعْضَ الَّذِي﴾ مفعول ثان، والمفعول الثالث محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (في حياتِك).

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم: «ويُثْبِت» بالتخفيف، والباقون بالتشديد والتضعيف. انظر «الدر المصون» (٧/ ٦٠).

(٢) رواه بنحوه أبو داوود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ ....

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ بِهِ مِنَ العَذابِ في حَياتِك، ـ وجَوابُ الشَّرطِ مَحذُوف أي: فذاكَ ـ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبلَ تَعذِيبِهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: ما عَلَيك إلَّا التَّبلِيغ، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ إذا صارُوا إلَينا فنُجازِيهِم.

﴿٤١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: نَقصِدُ أرضَهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفَتحِ على النَّبِيِّ ﷺ؟ ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خَلقِه بِما يَشاء، ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾: لا رادَّ ﴿لِحُكْمِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: فذاك) مبتدأٌ، خبره محذوف، تقديره: شافٍ صدرَكَ من أعدائك.

قوله: (﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾) معطوفٌ على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾، فهو شرطٌ أيضاً، وجوابُه محذوف، والتقدير: فلا لومَ عليك، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ دليلٌ للمحذوف.

قوله: (فنُجازيهم) أي: على أعمالهم خيرها وشرِّها، وقد جمع الله لِنبيِّه بين تعذيبهم على يدِه في الدنيا، ومجازاة الله لهم في الآخرة.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أينكرون ما وَعدناهم به من العذاب ولم يرَوا... إلخ؟

قوله: (نقصد أرضهم) أي: أرض أهل مكة، فالمقصود: نَصر النبي بزوال نعمة الكفار، وملكه إياهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ...﴾ [الأحزاب: ٢٧] الآية، فالمرادُ بنَقص أطراف الأرض: ملك كبرائها وخذلانهم.

وما ذكره المفسِّر هو أحدُ قولَين، والآخر: أنَّ المراد بالأرض: جميعها، لا خُصوص أرض الكفار، وبنقص أطرافها: مَوت العلماء والأشراف والكبراء والصلحاء، وحينئذٍ: فوجهُ مناسبة هذا لما قبله: كأنَّ الله يقول: ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة في الدنيا من الخراب بعد العِمارة، والموت بعد الحياة، والذل بعد العزِّ؟ فإذا كان هذا مشاهداً لهم.. فما المانع من الله يُصيِّر الكفار أذلَّاء بعد عزهم، ومقهورين بعد قدرتهم؟

قوله: (﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾) أي: لا مغيِّر ولا ناقضَ له.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَمِ بِأنبيائِهِم كما مَكَرُوا بِك، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليسَ مَكرُهم كمَكرِه لِأَنَّهُ تَعالى ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فَيُعِدُّ لَها جَزاءَهُ، وهذا هو المَكر كُلُّه؛ لِأَنَّهُ يَأتِيهِم بِهِ مِن حيث لا يَشعُرُون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكَافِرُ﴾ - المُرادُ بِه الجِنس، وفي قِراءة: ﴿ٱلْكُفَّٰرُ﴾ - ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقِبةُ المَحمُودة في الدَّار الآخِرة أَلَهُم أم لِلنَّبيِّ ﷺ وأصحابِه؟

﴿٤٣﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لَكَ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لَهُم: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدقِي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِن مُؤمِنِي اليَهودِ والنَّصارى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾) أي: فيحاسبهم في زمنٍ يسيرٍ.

قوله: (﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾) أي: لأنه الخالق لهم، العالم بأحوالهم، فهو يُوصل إليهم العذاب من جهة لا يعلمونها.

قوله: (فيعدُّ لها) أي: يهيِّئ ويحضر.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً(١).

قوله: (﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾) أي: لأنه الخالق لِلمعجزات على يدَي.

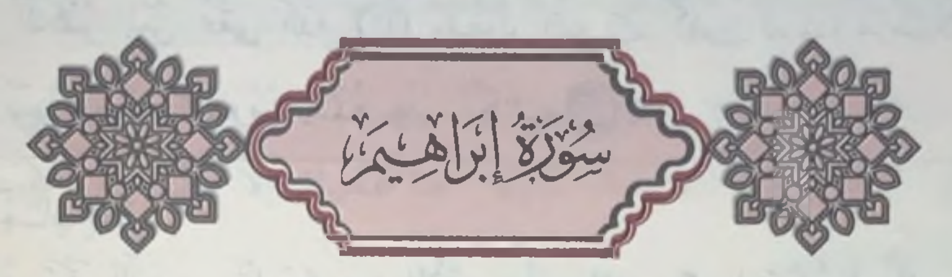
قوله: (﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى: أنَّ الله ومن عنده عِلم الكتاب فيهم الكفاية في الشهادة بيني وبينكم.

و(أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للجنس؛ فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن، فقوله: (من مؤمني اليهود والنصارى) أي: أو مطلقاً، فهو نظير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالألف بعد الكاف على الإفراد، والباقون بالألف بعد الفاء على الجمع. انظر «السراج المنير» (٢/١٦٦).

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ....



مَكيةٌ إلَّا ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ...﴾ الآيتَين. إحدى أو ثِنتانِ أو أربَعٌ أو خمسٌ وخَمسونَ آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓرۚ﴾ الله أعلَم بِمُراده بِذلك. هذا القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ إبراهيم (عليه السلام)

سمِّيت بذلك؛ لِذكر قصته فيها. إن قلتَ: إنَّ قصَّة إبراهيم قد ذُكرت في غير هذه السورة كـ(الأنبياء) و(البقرة).

أُجيب: بأنَّ علَّة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية، بل التسمية أمرٌ توقيفيٌّ.

قوله: (الآيتين) أي: إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

قوله: (إحدى... إلخ) أي: ففي آياتها أربعة أقوال.

قوله: (هذا القرآن) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿كِتَابٌ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾) أي: لفظاً ومعنًى.

قوله: (﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾) هذا هو حكمة الإنزال.

قوله: (الكفر) عبَّر عنه بـ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ جمعاً؛ لِتعدد طرقه، بخلاف الإيمان فهو متَّحدٌ لا تعدُّد فيه، وحكمة التعبير عن الكفر بـ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: أنه يُوصل لدار الظلمات، وهي النار، وعن الإيمان بـ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ لأنه يوصل إلى دار النور، وهي الجنة.

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ

﴿بِإِذْنِ﴾: بأمرِ ﴿رَبِّهِمْ﴾ ـ ويُبدَل مِن ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ـ: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طَرِيق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالِب ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المَحمُود.

﴿٢﴾ ﴿ٱللَّهِ﴾ ـ بِالجرِّ بدَل أو عَطف بَيان وما بَعده صِفة، والرَّفع مُبتدأ خَبَره ـ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نَعت ـ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: يَختارُونَ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾) فسَّره بـ(الأمر)؛ إشارةً إلى أن المعنى: لِتأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور.

قوله: (ويبدل من ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾) أي: بإعادة الجارِّ، وهو بدل كلٍّ من كلٍّ.

قوله: (طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾) أي: وهو الإسلام، وسمِّي بذلك؛ لأنه الموصل لدار السَّعادة.

قوله: (بدل أو عطف بَيان) أي: من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾، وهذا على القاعدة من أنَّ نعت المعرفة إذا تقدَّم عليها.. يُعرب بحسَب العوامل، وتُعرب هي منه بدلاً أو عطف بيان، وحينئذ: فالأصل: إلى صراط الله العزيز الحميد.

قوله: (والرفع مبتدأ) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (ملكاً وخلقاً وعبيداً) أي: فلا شريك له في شيءٍ من ذلك.

قوله: (﴿وَوَيْلٌ﴾) قيل: معناه: دَمار وهلاك للكافرين، وقيل: وادٍ في جهنَّم لو وُضعت فيه جبال الدنيا.. لذابت من حرِّه. وهو مبتدأ، وسوَّغ الابتداء به قصد الدعاء.

قوله: (نعت) أي: للكافرين، وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي، وهو قوله: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، فالأوضح: أن يكون مبتدأ، خبره: ﴿أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

قوله: (﴿يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: يحبُّونها ويألفونها زيادةً على الآخرة، والمعنى: يقدِّمون الدنيا على الآخرة.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلاً وابتداء، وقرأ الباقون بالجرِّ. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٦٧).

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ....

﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِ الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعوَجَّةً، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عنِ الحقِّ.

﴿٤﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾: بِلُغَةِ ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: لِيُفَهِّمَهُم ما أَتَى بِهِ، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِهِ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِهِ.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: يَمنعون الناس عن الدين الحق.

قوله: (﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾) أي: يطلبون العدول والانحراف عنها، والمعنى: أنهم يُضلُّون غيرهم، ويَضِلُّون في أنفسهم.

قوله: (﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾) أي: كفرٍ مبعدٍ لهم عن الرحمة والخير.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾) أي: محمداً أوغيره.

إن قلتَ: إن كان المراد: بقومه الذين نشأ فيهم فظاهرٌ، وإن كان المراد: الذين أرسل لهم فرسول الله أُرسل لكافة الخلق مع أنه لم يَظهر منه إلا اللسان العربي، وهو لسانُ بعض قومه.

أجيب: بأنَّ الله علَّمه جميع اللغات، فكان يخاطب كلَّ قومٍ بلغتهم وإن لم يثبت أنه تكلَّم باللغة التركية؛ لأنه لم يَتفق أنه خاطب أحداً من أهلها، ولو خاطبه.. لكلَّمه بها.

قوله: (﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾) استئنافٌ مفصِّلٌ لقوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾) أي: الغالب على أمرِه، وهو كالعلة لقوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾) أي: الذي يَضع الشيء في محلِّه.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾) تفصيلٌ لما أجمل في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ...﴾ الآية.

أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ

التِّسعِ وقُلنا لَه: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بَنِي إسرائِيلَ ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمانِ، ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾: بِنِعَمِه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التَّذكِيرِ ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطَّاعة، ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنِّعَمِ.

﴿٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكُـــر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المَولُودِين، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَستَبْقُون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (التسعِ) تقدَّم منها ثمانية في (الأعراف)، والتاسعة في (يونس).

قوله: (وقلنا له) لا حاجة لتقديره، بل المناسب أن يفسِّر (أن) بـ(أي) التفسيرية؛ لأنَّ ضابطَها موجود، وهو تقدُّم جملة فيها معنى القول دُون حروفه، وهو ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ويصح جعلُها مصدرية؛ أي: بإخراج قومك، وهذه الباء للتعدية، وفي ﴿بِآيَاتِنَا﴾ للحال.

قوله: (بنعَمِهِ) أي: فالمراد بـ(الأيام): النِّعم، وعبَّر عنها بـ(الأيام) لِحصولها فيها.

قوله: (﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾) أي: كثير الصبر، وقوله: (﴿شَكُورٍ﴾) أي: كثير الشكر، وخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعُون بها.

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر) خطابٌ للنبي ﷺ، والمعنى: اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يَعتبرون.

قوله: (﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) أي: يُذيقونكم.

قوله: (﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾) أي: العذاب السيئ، وهو الشديد.

قوله: (﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾) عطف بالواو هنا؛ إشارةً إلى أنه غير العذاب السيئ المذكور، وأما في (البقرة).. فهو تفسيرٌ لـ(سوء العذاب)، فصحَّ التغاير بهذا الاعتبار وإن كانَت القصة واحدة.

قوله: (﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾) أي: لِلخدمة، فكانوا يستخدمونهنَّ ويمنعونهنَّ عن أزواجهنَّ.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ....﴾

لِقَولِ بَعض الكهَنة: إنَّ مَولُوداً يُولَد في بَني إسرائيل يَكُونُ سَبَب ذَهاب مُلكِ فِرعونَ، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاءِ أو العَذابِ ﴿بَلَآءٌ﴾: إنعامٌ أو ابتِلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٧ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلَمَ ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعمَتِي بِالتَّوحِيدِ والطَّاعة، ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جَحَدتُم النِّعمةَ بِالكُفرِ والمَعصِيَة، لَأُعَذِّبَنكُم، دلَّ عليه: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٨ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لِقَومِه: ....

حاشية الصاوي

قوله: (لقول بعض الكهَنة) جمع كاهن، وهو: المخبِر عن المغيَّبات المستقبلة، وأما العرَّاف.. فهو المخبر عن الأُمور الماضية.

قوله: (﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾) أي: فالله سبحانه وتعالى يُخبر عباده بالخير والشرّ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ لأنَّ النعمة أو البليَّة إذا أصابت الشخص.. فهو معرَّض إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر.

قوله: (﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾) من جملة كلام موسى لقومه، كأنه قيل: واذكُروا نعمة الله عليكم، واذكروا حين تأذَّن ربكم.

قوله: (بالتوحيد والطاعة) أي: بأن وحَّدتموني ودُمتم على طاعتي.

قوله: (﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾) أي: من خيرَي الدنيا والآخرة، فيَحصل لكم النِّعَم والرضا، فتظفرُون بالسعادتَين.

قوله: (﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾) لم يصرِّح بالجواب في جانب الوعيد، وصرَّح به في جانب الوعد؛ إشارةً إلى كرمه سبحانه وتعالى، وأنَّ رحمته غلبت غضبه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ولم يقل: بيدك الشرُّ.

قوله: (لأُعذبنَّكم) هذا هو جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ للقاعدة: أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر.

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾) أي: بعد أن أَيِس من إيمانهم.

إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ....

﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن خَلقِه، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحمُودٌ في صُنعه بِهِم.

﴿٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ ـ استِفهام تَقرِير ـ ﴿نَبَؤُاْ﴾: خَبَرُ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هُود، ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالِح، ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لِكَثرَتِهم، ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالحُجَج الواضِحةِ على صِدْقِهم، ﴿فَرَدُّوٓاْ﴾ أي: الأُمَم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: إلَيها لِيَعَضُّوا علَيها مِن شِدَّة الغَيظ، ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ في زَعمِكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾) أي: عن شُكركم وإيمانكم.

قوله: (﴿حَمِيدٌ﴾) أي: مستحقٌّ للحمد، والمعنى: إنَّ كفركم بالله أنتُم وأهل الأرض جميعاً.. لا ينقص في ملكه شيئاً، وإيمانكم لا يَزيد في ملكه شيئاً، كلٌّ على حدٍّ سواء، وإنما ذلك راجع إلى أنفسكم، وهو غَني عنكم.

قوله: (﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾) من كلام موسى أيضاً، أو من كلام الله.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾) إما مبتدأ خبره قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أو معطوف على قوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اعتراضٌ.

قوله: (﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾) مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: ما صِفتهم وما شأنهم؟

قوله: (﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾) أي: لِكراهتهم ذلك؛ فإنَّ شأن الإنسان إذا كره شيئاً واغتاظ منه ولم يَقدر على دفعه.. يعضُّ على يدَيه.

قوله: (ليعضوا عليها) بفتح العين وضمِّها.

قوله: (في زعمكم) أي: وإلا.. فلم يَعترفوا برسالة رسلهم.

وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ....

﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِع في الرِّيبة.

﴿١٠﴾ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ ـ استِفهامُ إنكار ـ أي: لا شَكَّ في تَوحِيده لِلدَّلائِلِ الظَّاهِرة علَيه، ﴿فَاطِرِ﴾: خالِق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعَتِه ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ـ ﴿مِّن﴾ زائِدة، فإنَّ الإسلام يُغفَر بِه ما قَبله، أو تَبعِيضِيَّةٌ لِإخراجِ حُقُوق العِباد ـ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ﴾... إلخ) والشكُّ كفرٌ، فلا ينافي قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾.

قوله: (في الرِّيبة) أي: وهي عدمُ اطمئنان النفس إلى الشيء.

قوله: (﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾) أي: جواباً لقول الأمم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾.

قوله: (﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾) الهمزة للاستفهام، والجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: أَثَبَتَ؟ و﴿شكٌّ﴾: فاعل بالجار والمجرور؛ لاعتماده على الاستفهام، أو الجارُّ والمجرورُ خبرٌ مقدَّم، و﴿شكٌّ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والأول أولى؛ لسلامته من الفصل بين الصفة وهو ﴿فَاطِرِ﴾ والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبيٍّ وهو المبتدأ.

قوله: (للدلائل الظاهرة) أي: العقليَّة والنقليَّة.

قوله: (﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) هذا مِن جملة أدلَّة توحيده.

قوله: (﴿يَدْعُوكُمْ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿لِيَغْفِرَ لَكُم﴾) أي: لا ليتكمَّل بطاعتكم، بل ثمرة امتِثالكم وطاعتكم عائدةٌ عليكم.

قوله: (مِن: زائدة) هذا مبنيٌّ على مذهب الأخفش من أنها تُزاد في الإثبات، وهي طريقةٌ ضعيفةٌ[1]؛ فلا يناسب تخريج القرآن عليها، وقوله: (أو تبعيضيَّة) فيه: أنه ظاهرٌ في المسلِم الأصلي، وأما الكافر إذا أسلم.. فلا يَظهر؛ لأنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله ولو حقوقَ العبادِ، وحينئذٍ: فالجواب الأتمُّ: أنَّ تجعل (مِن) بمعنى (بدل) أي: يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم، أو ضمِّن (يغفر) معنى (يخلِّص)، و(من) على بابها؛ للتعدية، والتقدير: ليخلِّصكم من ذنوبكم، ولعلَّ هذا هو الجواب الأقرَب.

(١) وجمهور البصريين لا يُجيزون زيادتها إلا في النفي، إذا جرَّت نكرةً.

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بِلا عَذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أجَلِ المَوت، ﴿قَالُوٓاْ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِـن الأصـنـامِ، ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ ظاهِرة على صِدقِكُم.

﴿١١﴾ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾: ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قُلتُم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بِالنُّبُوَّة، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما يَنبَغِي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ بِأمرِه؛ لِأنَّا عَبِيد مَربُوبُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾) معطوف على (يغفر)، والمعنى: يَدعوكم إلى طاعته لأمرين: غُفران ذنوبكم، وتأخير العذاب إلى أجل مسمًّى؛ بأن تعيشوا في الدنيا سالمِين من الخزي كالخسف والمسخ؛ فإذا متُّم على الإيمان.. دخَلتم الجنة ففزتم بالسعادتين.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: الأممُ جواباً لمقالة الرسل.

قوله: (﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾) أي: فلا مزيَّة لكم علينا؛ فلم اختَصصتم بالنبوَّة دُوننا؟!

قوله: (﴿أَن تَصُدُّونَا﴾) (أنْ): مصدريَّة، و(تَصدوا) منصوب بـ(أن)، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، و(نا): مفعوله.

قوله: (من الأصنام) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (حجَّةٍ ظاهرةٍ) أي: غير ما جِئتم به.

قوله: (﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾) أي: جواباً لمقالتهم.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾) أي: فإننا وإن كنَّا بشراً مثلكم إلا أنَّ الله فضَّلنا عليكم بالنبوَّة، وأعطانا المعجزات على مُراده؛ فإن آمنتم.. فهو خيرٌ لكم، وإن كفرتم.. فهو شرٌّ لكم، فلا قُدرة لنا على إتيان ما تطلبونه؛ لأننا عبيدٌ مَقهورون.

قوله: (بأمره) المناسب أن يقول: (بإرادته).

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: يَثِقُوا بِهِ.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا لَنَآ أَ﴾ن ﴿لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا مانِع لَنا مِن ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ﴾: على أذاكم، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لَتَصِيرُنَّ ﴿فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾: دِينِنا، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافِرِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: يفوِّضوا أُمورهم إليه، ويصبروا على ما أصابهم.

قوله: (﴿وَمَا لَنَآ﴾) أي: أيُّ شيء ثبت لنا؟!

قوله: (أي: لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ﴾) أي: أرشَدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى.

قوله: (﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ﴾) أي: فلا نبالي بكم ولا بإذايَتِكم.

قوله: (على أذاكم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية.

قوله: (﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾) أي: يَدوموا على التوكل.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: المتعنِّتون المتمرِّدون.

قوله: (﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾) أي: فلا تُخالطونا، بل أريحونا من هذا التَّعب.

قوله: (لَتَصِيرُنَّ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ العَود يقتضي أنه سبق لهم التَّلبس بملَّتهم مع أنَّ الرسل معصومون من ذلك، فأجاب المفسِّر: بأن المراد بالعود: الصيرورة؛ أي: لَتصيرن داخلين في ملَّتنا.

قوله: (﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾) أي: إلى الرسل بعد هذه المقالات؛ لليأس من إيمانهم.

قوله: (﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾) أي: نَستأصلهم بالهلاك، فلا يبقى منهم أحدٌ.

وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ....

﴿١٤﴾ ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: بَعد هَلاكِهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ وإيراثُ الأرضِ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: مَقامَه بَين يَدَيَّ، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بِالعذابِ.

﴿١٥﴾ ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: استَنصَرَ الرُّسُل بِالله على قَومِهم، ﴿وَخَابَ﴾: خَسِرَ ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: مُتكبِّر عن طاعةِ الله ﴿عَنِيدٍ﴾: مُعانِدٍ لِلحقِّ.

﴿١٦﴾ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: أمامَه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يَدخُلُها، ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فِيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يَسِيلُ مِن جَوفِ أهل النَّار مُختَلِطاً بِالقَيحِ والدَّم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأٌ، خبره قوله: ﴿لِمَنْ خَافَ... إلخ﴾.

قوله: (أي: مقامه بين يدي) أي: مَوقفه عندي يوم القيامة.

قوله: (﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب) أي: في هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ الخوف من الله غيرُ الخوف من وعيده؛ لأنَّ العطف يقتضي المغايرة.

قوله: (﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾) أي: طلَب الرسل الفتحَ من الله لما أيسوا من إيمان قومهم.

قوله: (استنصر الرسل) أي: طلَبوا من الله النصر.

قوله: (﴿وَخَابَ﴾) معطوف على مقدَّر، والتقدير: فنُصروا وخاب... إلخ.

قوله: (خسر) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (متكبِّرٍ عن طاعة الله) أي: متعظِّم في نفسه، محتقرٍ لما سواه.

قوله: (أي: أمامه) أي: فالوراء يُستعمل في الأمام والخلف، فهو من الأضداد، وقيل: هو اسم لما توارى عنك، سواءٌ كان من خَلفك أو من أمامك.

قوله: (﴿صَدِيدٍ﴾) بدل أو عطف بيان.

قوله: (هو ما يسيل... إلخ) وقيل: هو ما يَسيل من فُروج الزناة يُسقاه الكافر.

يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ ....

﴿١٧﴾ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يبتلِعُهُ مرَّة بعدَ مَرَّة لِمَرارَتِه، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: يَزدَرِدُه لِقُبحِه وكَراهَته، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابُه المُقتَضِية لَه مِن أنواعِ العَذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعدَ ذلك العَذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: قَوِيٌّ مُتَّصل.

﴿١٨﴾ ﴿مَّثَلُ﴾: صِفةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ـ مُبتَدأ ويُبدَل مِنه ـ: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصَّالِحة كصِلةٍ وصَدَقة في عَدَم الانتِفاع بِها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾) أي: يكلَّف تجرُّعه ويُقهر عليه.

قوله: (﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾) أي: لا يَقرب من إساغته، قال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ قال: «يقرَّب إلى فيه فيَكرهه، فإذا دنا منه.. شوى وجهه، ووقعت فَروة رأسه ـ أي: جلدتها بشعرها ـ فإذا شربه.. قطَّع أمعاءه حتى تخرج من دُبُره؛ كما قال: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]»(١).

قوله: (﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾) أي: فيَستريح، قال ابن جريج: تعلق نفسُه عند حُنجرته فلا تخرج من فيه فيَموت، ولا ترجع إلى مكانها من جَوفه فتنفعه الحياة(٢).

قوله: (بعد ذلك العذاب) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿وَرَآئِهِۦ﴾ عائدٌ على العذاب، وقيل: عائدٌ على (كل جبار)، والمعنى: ويستقبل في كل وقت عذاباً أشدَّ مما هو فيه كالحيَّات والعقارب والزمهرير وغير ذلك، أجارَنا الله من ذلك.

قوله: (متَّصلٌ) أي: لا ينقطع، بل هو دائمٌ مُستمرٌّ.

قوله: (ويبدل منه) أي: من الموصول، والأصل: مثل أعمال الذين كفروا.

قوله: (في عدم الانتفاع بها) أي: فهي وإن كانت أعمالَ برٍّ إلا أنها لا تَنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره؛ لأنَّ كفره أحبَطها وأبطلها، وإنما جزاؤها إن كانت لا تتوقف على الإسلام يكون في الدنيا بتوسُّع الرزق والعافية في البَدن.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٩) عن سيدنا أبي أُمامة ﷺ.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٣٤).

كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ....

﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾: شَدِيد هُبُوب الرِّيح، فجعلتهُ هَباءً مَنْثُوراً لا يُقدَرُ علَيه، ـ والمَجرورُ خَبر المُبتَدأ ـ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: عَمِلُوا في الدُّنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أي: لا يَجِدُون لَه ثَواباً لِعَدمِ شَرطِه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾: الهلاكُ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر يا مُخاطَبُ ـ استِفهام تَقرِير ـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿خَلَقَ﴾ ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيُّها النَّاسُ ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بَدَلكُم، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شَدِيدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾) أي: حمَلته وذهبت به.

قوله: (لعدم شرطه) أي: وهو الإيمان.

قوله: (﴿ٱلْبَعِيدُ﴾) أي: الذي لا يُرجى زواله.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطاب لكلِّ مَنْ يتأتَّى منه التأمُّل والنظر، فليس خاصًّا بالنبي ﷺ.

قوله: (تنظر) أي: ببصرك، وتتأمَّل ببصيرتك، فتستدلَّ على أنَّ الخالق متَّصفٌ بالكمالات.

قوله: (استفهام تقرير) أي: والمعنى: أقرَّ يا مخاطب بذلك واعترف ولا تُعاند؛ فإنَّ القادر على خلق السماوات والأرض.. لا يُعجزه شيءٌ، فهو حقيقٌ بالعبادة دون غيره.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾) الباء: إما للسببيَّة، أو للملابسة، والمعنى: خلق السماوات والأرض بسبب الحق، أو ملتبساً بالحق؛ أي: الحكمة الباهرة، لا عَبثاً.

قوله: (متعلِّق بـ﴿خَلَقَ﴾) أي: أو بمحذوف حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾.

قوله: (﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾) أي: يُعدِمكم؛ فإنَّ القادر لا يصعب عليه شيءٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١].

قوله: (﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾) أي: الإذهابُ والإتيانُ بشديدٍ على الله، قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن

(٢١) ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي: الخَلائِقُ، والتَّعبيرُ فِيه وفيما بَعده بِالماضِي لِتَحقُّقِ وُقُوعِه، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: المَتبُوعِينَ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابِع، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافِعُونَ ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ـ ﴿مِنْ﴾ الأُولَى لِلتَّبيِينِ، والثَّانِيةُ لِلتَّبعِيضِ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المَتبُوعُون: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: لَدَعَوناكُم إلى الهُدَى، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾ ـ زائِدة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَبَرَزُوا۟﴾) هذا إخبارٌ من الله تعالى عن محاجَّة الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة.

والبُروز: الظهور، والمعنى: يظهرون بين الخلائق فلا يَغيب لهم شيءٌ من أوصافهم أبداً.

قوله: (خرجوا من القبور) للحساب والجزاء.

قوله: (والتعبير... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ هذه الأشياء لم تحصُل، فأجاب: بأن ذلك لتحقُّق[1] الوقوع؛ أي: لأنَّ الله سبحانه وتعالى عالمٌ بما كان وما يكون وما هو كائنٌ؛ فالماضي والمستقبل في عِلمه على حدٍّ سواء.

قوله: (﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾) أي: في الرأي.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾) أي: في تكذيب الرسل والدخولِ في دينكم.

قوله: (﴿مِنْ﴾ الأولى: للتبيين... إلخ) أي: والكلام فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: فهل أنتم مُغنُون عنَّا بعض الشيء الذي هو عذابُ الله؟

قوله: (﴿قَالُوٓا۟﴾) أي: جواباً لهم واعتذاراً عمَّا فعلُوا بهم.

قوله: (﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾) أي: لو وَصلنا الله لدار السعادة في الدنيا بالإيمان.. لهديناكم، لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم، فاخترنا لكم ما لأنفسنا.

قوله: (﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾) هذا من كلام جميع الكفار؛ الأتباع والرؤساء، ويُؤيِّده

(١) في (أ): (ليتحقق)، والمثبت من (ط٢).

مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى ....

﴿مَّحِيصٍ﴾ : مَلجأ.

﴿٢٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ : إبليسُ ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأُدخِلَ أهلُ الجنَّة الجنَّةَ وأهلُ النَّار النَّارَ واجتَمَعُوا علَيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ بِالبَعثِ والجَزاء فصَدَقَكُم، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنَّهُ غَيرُ كائِن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ : قُوَّةٍ وقُدرةٍ أقهرُكُم على مُتابَعَتِي ﴿إِلَّآ﴾ : لَكِن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى﴾ ....

حاشية الصاوي

ما روي: «**أنهم يقولون: تعالَوا نَجزع، فيَجزعون خمس مئة عام فلا ينفعهم، فيقولون: تعالَوا نصبر، فيصبرون كذلك فلا يَنفعهم، ثم يقولون: سواءٌ علينا... إلخ**»[1]، والجزع: القَلق وعدم تحمُّل الشدائد.

قوله: (ملجأ) أي: محل هُروب نلتجئ له.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) أي: حين يُوضع له منبرٌ من نار في النار، فيجتمع عليه أهل النار يلومُونه، فيقول لهم: إن الله وَعدكم... إلخ.

قوله: (﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾) أي: نفذ قَضاؤه باستقرارِ أهلِ الجنة في الجنة، وأهلِ النار في النار.

قوله: (﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾) أي: الوعد الثابتَ الناجز، وليس المراد: الوعد بالخير، بل المراد به: الجزاء والبعث.

قوله: (فصدقكم) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام حذفاً؛ بدليل قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

قوله: (إنه غير كائن) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ معمول (وعد) الثاني محذوفٌ.

قوله: (﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾) أي: تبيَّن خِلافه.

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناءَ منقطعٌ؛ لأنَّ دعوتَه ليست من جنس السلطان.

قوله: (﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾) أي: على وَسوستي لكم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٤٠) عن سيدنا كعبِ بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا ....

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ على إجابتي، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثِكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وكسرِها ـ، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بِإشراكِكُم إيَّايَ مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿٢٣﴾ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ ـ حال مُقدَّرة ـ ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾) أي: وبِّخوها على اتباعي؛ فإني لم أكن مُكْرِهاً لكم على اتباعي، بل جاءتكم البينات والرسلُ، وسمعتم الدَّلائل الظاهرة على توحيد الله، فتركتُموها واتبعتموني.

قوله: (على إجابتي) أي: ومخالفةِ ربكم.

قوله: (بمغيثكم) أي: من العذاب.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والأصل: بمصرخِين لي، حذفت اللام للتخفيف، والنون للإضافة، فاجتمع مثلان، أدغم أحدهما في الآخر، فحركت ياء الإضافة بالفتح؛ طلباً للخفة على إحدى القراءتين، وكُسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى.

قوله: (﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾) أي: تبرَّأتُ وأنكرت إشراككم إيايَ مع الله؛ حيث أطعتموني في وَسوستي لكم بالشرك، فكأنهم أشركوه مع الله.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس، وقيل: مِن كلامه.

قوله: (﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) لما ذكر أحوال الأشقياء.. شَرع في ذكر أحوال السعداء.

قوله: (حال مقدرة) أي: مقدِّرين الخلود، وتقديرُ الخلود عند الدخول من تمام النعيم.

قوله: (﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾) متعلق بـ(أُدخل).

---

(١) قرأ حمزة بكسر الياء، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٧/٨٨).

سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ....

مِن الله ومِن الملائكةِ وفِيما بَينَهم ﴿سَلَٰمٌ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ـ ويُبدَل مِنهُ ـ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إلَهَ إلَّا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هيَ النَّخلةُ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾: غُصْنُها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِىٓ﴾: تُعطِي ﴿أُكُلَهَا﴾: ثَمَرَها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بِإرادَتِه، كذلك كلِمةُ الإيمان ثابِتةٌ في قَلب المُؤمِن ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الله) قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

قوله: (وفيما بينهم) أي: ومن الملائكة أيضاً، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطاب إمَّا للنبي، أو لِكل مَنْ يتأتَّى منه الخطاب.

قوله: (﴿مَثَلًا﴾) المَثَلُ: تشبيهُ مجهولٍ بمعلومٍ؛ ليقاسَ عليه.

قوله: (أي: لا إله إلا الله) خصَّها بالذكر؛ لأنها مفتاح الجنة، ولا يُقْبَلُ من أحد الإيمانُ إلا بها، وقيل: كلُّ كلمةٍ حسنةٍ كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك.

قوله: (﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾) أي: عرُوقها ثابتة في الأرض ماكثة فيها حتى إنها لا تحتاجُ لِسَقي، بل تشرب من عُروقها.

قوله: (﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: لجهة العُلو.

قوله: (﴿كُلَّ حِينٍۭ﴾) اختلف في مِقداره؛ فقيل: الحين: كل سنة؛ لأنَّ النخلة تُثمر في كل سنة مرَّة، وقيل: ستة أشهر؛ لأنه من وقت طلعها إلى طيبها كذلك، وقيل: ثمانية أشهر؛ لأنَّ حملها ظاهراً وباطناً كذلك، وقيل: أربعة أشهر؛ لأنه من حين ظهورها ـ أي: إدراكها ـ كذلك، وقيل: شهران؛ لأنه من وقت أكلها إلى قَطع ثمرها كذلك، وقيل: كل وقت؛ لأنَّ ثمر النخل يؤكل دائماً، فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر، وهو الأولى.

وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ....

وعَمَلُه يَصعَدُ إلى السَّماء ويَنالُهُ بَرَكَته وثَوابه كُلَّ وقت، ﴿وَيَضْرِبُ﴾: يُبيِّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون فيُؤمِنُون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هيَ كَلِمة الكُفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هيَ الحَنظَلُ ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استُؤصِلَت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: مُستَقَرٌّ وثَبات، كذلك كلمةُ الكُفر لا ثَبات لَها ولا فَرعَ ولا بَرَكة.

حاشية الصاوي

قوله: (وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ووجه الشبه بين الإيمانِ والشجر: أنَّ الشجرة لها عرقٌ راسخٌ، وفرعٌ عالٍ، وثمرٌ يؤكل، والإيمان تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأبدان؛ فإذا أكثَر الإنسان من ذكر هذه الكلمة.. ظهرت عليه أنوارُها، ولمعت في فؤادِه أسرارُها، فدام نفعُهُ بها في العاجل والآجل، ومن هنا اختصَّ الصوفية بها؛ بمعنى: أنهم تلقَّوها من أشياخهم بالسند المتصل، وتعلَّقوا بها، فصارت شِعارَهُم ودثارَهُم؛ ولذا قال السنوسي: (فعلى العاقل أن يكثر من ذِكرها مستحضراً لما احتَوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودَمه؛ فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حَصر)(١).

قوله: (هي كلمة الكفر) أي: كل ما يَدل عليه.

قوله: (هي الحنظل) حكمة التشبيه بها: أنها لا تَغوص في الأرض، بل عروقها في وجه الماء، ولا غصون لها تَصعد إلى جهة السماء، بل ورقها يمتدُّ على الأرض كشجر البطيخ، وثمرها رديءٌ، وتَسميتها شجراً مُشاكلة؛ لأنها من النَّجم لا من الشجر؛ لأنَّ الشجر: ما له ساقٌ، والنجم: ما لا ساق له.

قوله: (﴿ٱجْتُثَّتْ﴾) أي: قُلعت جُثتها، والمعنى على التشبيه؛ أي: كأنها لعدم ثبات أصلها وامتِداده على الأرض كالشيء المقلوع جُثّته.

(١) خاتمة «أم البراهين».

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ ....

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هيَ كلِمةُ التَّوحِيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: في القَبر لَمَّا يَسألُهم المَلَكانِ عن رَبِّهم ودِينِهم ونَبِيِّهم، فيُجِيبُونَ بِالصَّوابِ كما في حَدِيث الشَّيخَينِ، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكُفَّارَ فلا يَهتَدُونَ لِلجَوابِ بِالصَّوابِ، بل يَقُولُون: لا نَدرِي كما في الحَدِيث، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) هذا راجع لِلمثل الأول.

قوله: (﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: فلا يَتزلزلون عن الدين إذا ابتُلوا بالمصائب؛ كالقتل وأخذ المال وفقد الأحباب والفتَّانات[1] عند الموت وغير ذلك، وهذه بُشرى للمؤمنين بأنَّ إيمانهم ثابتٌ في قلوبهم لا يتزلزل أبداً، بل يُثبِّتهم الله دنيا وأخرى.

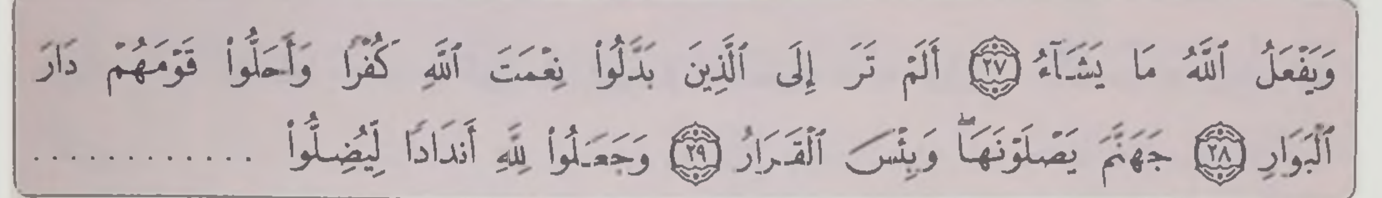
قوله: (أي: في القبر) خصَّه بالذكر؛ لأنه بعد سُؤاله لا يفتنون في التوحيد، وإنما يكون حسابهم في الموقف على فروع الدين.

قوله: (لما يسألهم الملَكان) أي: حين يحيي الله الميت حتى يسمع قَرْعَ نعال مَنْ كان ماشياً في جنازته، فيُقعدانه ويقولان له: **«ما ربُّك، وما دينك، وما نبيُّك؟ فأمَّا المؤمن.. فيَقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ، فيقولان له: نم نَومةَ العروس؛ قد علِمنا إن كنت لموقناً، وأما الكافر والمنافق.. فيقول: لا أدري كنتُ أسمع الناس يقولون شيئاً فقُلتُ مثل ما يقولون، فيَضربانه بمطراق من نار، فيَصيح صيحة يسمعه كلُّ مَنْ في الأرض غير الثقلَين، ويقولان له: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ»**[2].

---

(١) كذا جمعه في الأصول، ولعلَّ الأولى (فُتَّان) كـ(رُمَّان)، وفي الحديث عند أبي داوود في «سننه» (٣٠٧٠): «المسلِمُ أخو المسلم يتعاونان على الفتَّان» يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فاتن؛ أي: يُعاون أحدهما الآخر على الذين يُضِلون الناس عن الحق ويَفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان؛ لأنه يَفتنُ الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (فتن)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤١٠).

(٢) كما رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٧٣١٨) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ، وقوله: (ولا تليت) أصله: (تلوت) بالواو، والمحدثون إنما يَروُونه بالياء للازدواج؛ أي: لا فهمت ولا قرأتَ القرآن، أو المعنى: لا دريتَ ولا اتبعت من يَدرِي. «إرشاد الساري» (٢/ ٤٦٤).



﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شُكرَها ﴿كُفْرًا﴾ هُم كُفَّارُ قُرَيش، ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾: أنزَلُوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بِإضلالِهِم إيَّاهُم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: الهَلاك، ﴿جَهَنَّمَ﴾ ـ عَطفُ بَيان ـ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدخُلُونَها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: المَقَرُّ هي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُركاءَ ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾) أي: يحكم، لا مُعقِّب لحكمه، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر تقديره: لم هدى هؤلاء وأضلَّ هؤلاء؟! فأجاب: بأنه يَفعل ما يشاء؛ فلا يُسأل عمَّا يفعل.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) استفهامُ تعجيبٍ، وهو خطابٌ لرسول الله ولكلِّ عاقلٍ.

قوله: (أي: شكرها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (هم كفار قريش) أي: فنِعَم الله التي بدَّلوا شكرها كفراً: كونُ نسبهم أشرفَ الأنساب، وبلدهم أشرف البلاد، وكون الخلق تسعى إليهم، ولا يسعون، فبدَّلوا ذلك؛ حيث كذَّبوا خير الخلق، وعبَدوا الأصنام.

قوله: (﴿قَوْمَهُمْ﴾) أي: أتباعهم.

قوله: (﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾) يقال: بار يَبُور بُواراً بالضم: هلك، وبار الشيء بَواراً: كَسَدَ، فأطلق اللازم وأريد الملزوم؛ لأنه يلزم من الكساد الهلاك.

قوله: (﴿يَصْلَوْنَهَا﴾) حال من (القوم).

قوله: (﴿وَجَعَلُوا۟﴾) عطف على ﴿بَدَّلُوا۟﴾.

قوله: (﴿أَندَادًا﴾) جمع ندٍّ يعني: النظير.

قوله: (﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾) اللام: لِلعاقبة والصيرورة؛ لأنَّ اتخاذهم الأندادَ ليس لأجل الضلال، بل لكونهم يُقرِّبونهم إلى الله زلفى.

عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

ـ بِفَتحِ الياء وضَمِّها ـ ﴿عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾: دِينِ الإسلام، ﴿قُلۡ﴾ لَهُم: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بِدُنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ﴾: مَرجِعَكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الياء وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى: لِيَضلُّوا في أنفسهم، وهذا على الفتح، أو لِيُضِلُّوا غيرهم، وهذا على الضمِّ.

قوله: (بدنياكم) أي: أو بِعبادتكم الأصنام؛ لأنها من جملة الشهوات التي يتمتَّع بها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فإنَّ هذا تهديدٌ لكلِّ ظالمٍ.

قوله: (﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾) أي: مآلكم إليها.

قوله: (﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾) بثبوت الياء مفتوحة، وبحذفها لفظاً لا خطًّا، قراءتان سبعيَّتان هنا وفي أربعة مواضع من القرآن: في سورة (الأنبياء) في قوله: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وفي (العنكبوت) في قوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقوله في (سبأ): ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله في سورة (الزمر): ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣][2]، والإضافة في (عبادي) للتشريف؛ ولِذا قال العارف[3]: [الوافر]

وممَّا زادَني شَرَفاً وتِيهاً ... وكِدْتُ بأخمَصِي أَطأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحتَ قَولِكَ: يا عِبادِي ... وأن صَيَّرْتَ أحمدَ لي نَبِيَّا

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أي: اتَّصفوا بالإيمان، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البرِّ.. لا تكون إلا لمن اتصف بالإيمان؛ فلا تَنفع الكافر في حال كفره، فلا يُنافي أنه مخاطبٌ بفروع الشريعة، لكن لا تَصح منه إلا بالإسلام، وفائدة خطابه بها: أنه يُعذَّب عليها زيادةً على عذاب الكفر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ...﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤] الآية.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضم الياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٨١).

(٢) قرأ الشامي وحمزة والكسائي ورَوح بإسكان الياء، فتسقط وصلاً وتثبت وقفاً، والباقون بفتحها وصلاً، وبإسكانها وقفاً. انظر «البدور الزاهرة» (ص١٧٤).

(٣) نسبهما مُلا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (١/ ٩) للقاضي عياض.

﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ ....

﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾: فِداءَ ﴿فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: مُخالَّة أي: صَداقة تَنفَعُ، هو يَوم القِيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾) أي: النَّفقة الواجبة كالزكاة، والمندوبة كالتطوعات، وقوله: (﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾) أي: فالإنسان مخيَّر في الإنفاق إمَّا سرًّا أو جهراً، لكن الأفضَل في الواجبة الجهرُ؛ لئلا يتَّهم بقِلَّة الدين، وفي التطوُّعات السِّرُّ؛ لِكَونه أقرَبَ إلى الإخلاص.

قوله: (فداءَ) مشى المفسِّر على أن المراد بـ(البيع): الفداء، ومشى غيره على إبقاءِ (البيع) على ظاهره؛ أي: لا شيء يُباع فيه للفداء.

قوله: (مُخَالَّة) أشار المفسِّر إلى أن قوله: ﴿خِلَالٌ﴾ مصدر بمعنى: المخالَّة، وقال غيره: إن ﴿خِلَالٌ﴾ جمع خُلَّة؛ كـ(قِلال) جمع (قُلَّة).

قوله: (أي: صداقةٌ تنفع) هذا محمولٌ على الكفار؛ بدليل آية (الزخرف): ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، فالمتَّقون لهم الأخلَّاء يوم القيامة، وفي القبور، وفي كلِّ موطنٍ مَخُوف، والكفار قد تقطَّعت بهم الأسباب؛ فليس لهم أخلَّاءُ نافعون أصلاً.

قوله: (﴿الَّذِي خَلَقَ﴾) شروعٌ في ذكر دَلائل وحدانيَّته تعالى واتِّصافه بالكمالات، وهذه الآيات مشتملةٌ على عشرة أدلَّة.

قوله: (﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾) أي: فماءُ المطر من السماء؛ كما ذكره أهل السنة[1].

قوله: (﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾) المراد بها: ما يَشمل المطعوم والملبوس.

قوله: (﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾) حال من ﴿الثَّمَرَاتِ﴾.

(١) انظر «حاشية الأمير على الجوهرة» (ص٧٨).

لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ ....

السُّفُن ﴿لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بالرُّكُوبِ والحَمل ﴿بِأَمۡرِهِۦۖ﴾: بإذنِه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾: جارِيَينِ في فَلَكِهما لا يَفتُرانِ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ لِتَسكُنُوا فِيه، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لِتَبتَغُوا فِيه مِن فَضلِه.

﴿٣٤﴾ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (السفن) أي: الكِبار والصغار، وقوله: (بالركوب) أي: على ظُهورها، وقوله: (والحمل) أي: حمل الأثقال من محلٍّ إلى آخرَ.

قوله: (﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾) جمع نهَر؛ أي: ذلَّلها لكم في جميع الأرض على ما تَشتهي أنفسكم.

قوله: (﴿دَآئِبَيۡنِۖ﴾) الدَّأب: العادة المستمرَّة دائماً على حالة واحدة، والمعنى: أنَّ الله سخَّر الشمس والقمر يَجريان من يوم خلَقهما الله، لا يختلَّان ولا يتغيَّران عن سَيرهما إلى آخر الدهر؛ فالشمس نِعمة النهار، والقمر نِعمة الليل، وهما منافع للعالم، بهما يَهتدون، ويعرفون السنين والحساب، وتَطيب ثمارهم وزرُوعاتهم، فهما سببٌ عادي لنفع العالم، يُوجد النفع عندهما لا بهما.

قوله: (لا يَفْتُران) أي: لا يَضعفان ولا ينكسران.

قوله: (في فلكهما) أي: محلِّهما ومقرِّهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماءُ الدنيا للقمر.

قوله: (لِتسكنوا فيه) أي: تَطمئنوا فيه من تعب النهار.

قوله: (لتبتغُوا من فضله) أي: تَسعَوْا في معاشكم ومَعادكم، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

قوله: (﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾) عطف عام على خاص، و(مِن): قيل: صِلة على مذهب الأخفش من زيادتها في الإثبات[1]؛ أي: آتاكم كلَّ ما سألتموه، وقيل: تبعيضيَّة؛ أي: آتاكم بعض كل ما سألتموه؛ أي: احتجتُم إليه ولو لم يَحصل سؤال بالفعل، فالمراد: شأنكم تسألون

---

(١) وجمهور البصريين لا يجيزون زيادتها إلا في النفي، إذا جرَّت نكرةً.

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ....

على حسَب مَصالِحكُم، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بِمَعنَى إنعامِه ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تُطِيقُوا عَدَّها، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافِرَ ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: كَثِيرُ الظُّلم لِنَفسِه بِالمَعصِيَة والكُفر لِنِعمَة رَبِّه.

﴿٣٥﴾ ﴿وَ﴾ اذكُـر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ﴾: مَـكَّـة ﴿آمِنًا﴾: ذَا أمـنٍ،

حاشية الصاوي

عنه لاحتياجكم إليه؛ فإنَّ الله أعطانا النِّعم من غير سؤال منَّا، والمعنى: أعطى الله كلَّ فردٍ فردٍ بعضَ كل ما يحتاج إليه العالم، فأصولُ النعم اشترك فيها جميع العالم؛ عُقَلاء وغيرهم، مسلمين وكفاراً.

و(ما): يحتمل أنها موصولة، وهو الأتمُّ، والتقدير: بعضَ كل الذي سألتموه، أو مصدريَّة، والتقدير: بعض كلِّ مَسؤُولكم.

قوله: (على حسب مصالحكم) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الإنسان لم يُعطَ بعض كل ما سأل؛ فإنه قد يسأل السلطنة مثلاً ولا يُعطاها، فأجاب: بأنَّ هذه العطيَّة ليسَت على حسَب ما يَصلُح للعبد، بل على حسب مُراد الله تعالى، فعطاياه سبحانه وتعالى على حسب مُراده في خَلقه؛ فمنهم من جعل رزقه واسعاً، ومنهم من جَعل رزقه ضيِّقاً... وهكذا.

قوله: (﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾) أي: أفرادَها؛ فإنها غير متناهية.

قوله: (بمعنى: إنعامه) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالنعمة: الإنعام، وهو صِفة فعل، ودفع بذلك ما يقال: كيف يقولُ الله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ مع أنَّ كلَّ نعمةٍ دخَلت الوجود متناهية ويُمكِن عدُّها؟! فأجاب: بأنَّ المراد بالنعمة: الإنعام؛ بمعنى: تجدُّدِهَا شيئاً فشيئاً.

قوله: (الكافر) المراد به: أبو جهل؛ لأنها نزَلت فيه، والعبرة بعموم اللفظ لا بخُصُوص السبب.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾) (إذ): ظَرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، وهو خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: اذكُر لهم قصَّة إبراهيم ودعَواته لساكني البيت الحرام ولِبَنِيه لعلهم يعتبرون، فيَنزجروا عمَّا هم عليه، فإن لم يعتبروا.. فقد تعرَّضوا لما يحلُّ بهم.

قوله: (﴿هَٰذَا الْبَلَدَ﴾) قال الأشياخ: حِكمة تعريف البلد هنا، وتنكيرها في (البقرة): أنَّ إبراهيم

وقد أجابَ الله دُعاءَهُ، فجَعَلَهُ حَرَماً لا يُسفَك فِيه دَمُ إنسان ولا يُظلَم فِيه أحَدٌ، ولا يُصادُ صَيدُه ولا يُختَلَى خَلاهُ، ....

حاشية الصاوي

تكرَّر منه الدعاء؛ فما في (البقرة) كان قبل بنائها، فطلب من الله أن تجعل بلداً، وأن تكون آمناً، وما هنا بعد بنائها، فطلب من الله أن تكونَ آمناً[1].

قوله: (لا يسفك فيه دم إنسان) أي: لا يتمكَّن منه جبار بقصد إهانة البيت وأهله، وما وقع من الحَجَّاج في مُقاتلته لابن الزبير وهَدمه البيت.. إنما كان بقصد التعظيم للبيت؛ بسبب دَعواه: أنَّ ابن الزبير كان مخطئاً في بِنائه البيت على قواعد إبراهيم، وقوله: (لا يسفك فيه دم إنسان) أي: ولو قِصاصاً، وهو مذهب أبي حنيفة، وإنما يُضيَّق عليه ليَخرج، فإذا خرج.. اقتُصَّ منه[2].

قوله: (ولا يظلم فيه أحد) أي: ومن تجرَّأ وظَلم فيه.. تعرَّض لعذاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قوله: (ولا يصاد صيده) أي: يَحرم صيد البرِّ في الحرم على كلِّ شخصٍ، محرماً أو غيره.

قوله: (ولا يختلى خلاه) أي: لا يُقطع حشيشه النَّابتُ بنفسه، واستثنى العلماء من ذلك الإذخَر والسَّنا والسواك والعصا، وقطع الشجر لِلبناء محلَّه؛ لأنه ينبغي تَوسيعه.

إن قلتَ: إن قوله: ﴿ءَامِنًا﴾ يعارضه ما روي: **«أنَّ ذا السويقتَين يُخرب البيت ويخيف أهله في آخر الزمان»**[3].

أجيب: بأنَّ معنى الأَمن: الطمأنينة ظاهراً وباطناً من سَطَوات الخالق والمخلوق للحيوان العاقل وغيره؛ فلا ينافي حُدوث النوادر من بَعضِ الجبابرة.

وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد: الأمن من الخرابِ إلى قُرب الساعة؛ فإنَّ ذا السويقتين يُخرب الكعبة قرب الساعة بعد موتِ عيسى عليه الصلاة والسلام.

فائدة:

قول إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ..﴾ إلخ يقتضي أن دَأبه الدعاء، وما ورَد من قوله حين

---

(١) انظر «الفتوحات» (٢/ ٥٥٢) نقلاً عن «حاشية العلامة الكرخي على الجلالين».

(٢) انظر «حاشية ابن عابِدين» (٢/ ٦٢٥).

(٣) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٧٤١١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي﴾ ....

﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾: بَعِّدني ﴿وَبَنِيَّ﴾ عنْ ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بِعِبادَتِهم لَها، ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾

حاشية الصاوي

ألقي في النار: «حَسبي من سؤالي عِلمُه بحالي»[1] يقتضي أنه لم يَكن دأبه الدعاء؛ فما السرُّ في ذلك؟

أجيب: بأنه كان في زمن إلقائه في النار في مَقام الفناء والسُّكر، وهو: الغيبة عن شُهود الخلق بشهود الحق؛ فلا يَشهد أثراً، وفي زمن دعائه في مَقام البقاء وجمع الجمع، وهو: البقاء بالله؛ بمعنى: شهود الآثار بعد شُهود مؤثِّرها، فمَقامه في حال دعائه أعلى وأجلُّ من مقامه في حال تَركه له، ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقامٌ، بل بِدايتهم أعلى وأجلُّ من نهاية غيرهم؛ فالأولياء وإن عَظُموا لا يَصلون لأدنى رتب الأنبياء، وأمَّا قول أبي الحسن الشاذلي: (واقرب منِّي بقُدرتك قرباً تمحَق به عنِّي كلَّ حجابٍ محقْتَهُ عن إبراهيم خليلِك... إلخ)[2].. فمعناه: قرباً معنويًّا يَليق بي، لا كقُرب الخليل؛ فقد طلب من الله أن يُذيقه قطرةً من بحار تَجلِّياته التي تجلَّى بها على الخليل حتى أسكرَه فلم يَشهد شيئاً سواه.

قوله: (﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾) المراد: أولاده وأولادُ أولاده كإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

إن قلتَ: إن الأنبياء مَعصومون من الشرك؛ ففي دعائه تحصيل الحاصل؟

والجواب الأتمُّ: أنَّ دعاءه تشريعٌ وتعليمٌ وتذلُّلٌ وتواضعٌ مع كونه يَعلم عصمةَ نفسِهِ، ويقال مثل هذا في دعَوات باقي الأنبياء بالنَّجاة مما هم معصومون منه؛ كعذاب النار، وغضب الجبار، ونحو ذلك.

قوله: (﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾) كرَّر النداء؛ تأكيداً.

قوله: (بعبادتهم لها) أشار بذلك إلى أنَّ نِسبة الإضلال للأصنام مجازٌ؛ لأنها سببٌ في الضلال بسبب عبادتها.

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤)، وانظر «كشف الخفا» (١/ ٤١١).

(٢) كما في الحزب الكبير من أوراده ﷺ، وتمامه: (فَلَمْ يَحْتَجْ لِجِبْرِيلَ رَسُولِكَ وَلا لِسُؤَالِهِ مِنْكَ، وَحَجَبْتَهُ بِذَلِكَ عَنْ نَارِ عَدُوِّهِ، وَكَيْفَ لا يُحْجَبُ عَنْ مَضَرَّةِ الأعداءِ مَنْ غَيَّبْتَهُ عَنْ مَنفَعَةِ الأَحِبَّاءِ؟!).

فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ....

على التَّوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾: مِن أهلِ دِيني، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبلَ عِلمه أنَّهُ تعالى لا يَغفِرُ الشِّرك.

﴿٣٧﴾ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: بَعضَها، وهو إسماعِيلُ مع أُمِّه هاجَرَ ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مَكَّة، ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذِي كان قَبل الطُّوفان، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾) أي: مَنسوبٌ لي ومُلحَقٌ بي[1].

قوله: (هذا قبل علمه... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الله لا يَغفر الشرك، فكيف يقول: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ أي: بغير الكفر، وبأنَّ طلب الغفران لذرِّيته الكفَّارِ إن ماتوا على الإسلام.

قوله: (وهو إسماعيل مع أمِّه هاجر) وسبب ذلك الإسكان: أنَّ هاجر كانت جاريةً لسارة، فوهبَتها لإبراهيم، فوَلدت منه إسماعيل، فغارت سارة منها؛ لأنها لم تكن قد وَلدت قط، فأنشدته بالله أن يخرجهما من عندها، فأمره الله بالوحي أن يَنقلها إلى أرض مكة، وأتى له بالبراق، فركب عليه هو وهاجر والطفل، فأتى من الشام ووَضعهما في مكة عند البيت مكان زمزم، وليس بمكة أحدٌ ولا بناءٌ ولا ماءٌ، ثم قام إبراهيم منطلقاً، فتَبعته هاجر وقالت: أين تذهب وتتركني بهذا الوادي الذي ليس له أنيسٌ ولا شيءٌ؟ فلم يَلتفِت، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نَعم، قالت: إذاً لا يُضيِّعني، ثم رجعَت، فانطلق إبراهيم، ثم رفع يدَيه إلى السماء، وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ...﴾ إلخ[2].

قوله: (﴿بِوَادٍ﴾) أي: في وادٍ، والوادي هو: المنخفَض بين الجبلين.

قوله: (﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾) أي: لا يَصلح للزرع به؛ لكونه أرضاً حجريَّة لا تنبت شيئاً.

قوله: (الذي كان قبل الطوفان) أشار بذلك إلى أنَّ تسميته بيتاً محرَّماً فيه مجازٌ باعتبار ما كان، ويصحُّ أن يكون مجازاً باعتبار ما يؤول إليه الأمر؛ لأنَّ الله أوحى إليه وأعلمه أنَّ هناك بيتاً حراماً، وأنه سيَعمره.

---

(١) كذا في (أ)، وفي (ط٢): (ملحق)، وهي أولى؛ لأنه اسم مفعول من (ألحقه به).

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ....

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾: قُلُوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾: تَمِيلُ وتَحِنُّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابنُ عبَّاس: لو قال: أفئِدَة النَّاس لَحَنَّت إلَيهِ فارِس والرُّوم والنَّاسُ كُلُّهم، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فَعَلَ بِنَقلِ الطَّائِف إلَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾) كرَّر النداء؛ لأنَّ الدعاء ينبغي فيه الإطنابُ وكثرة الابتهال.

قوله: (﴿لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) اللام: لام (كي) متعلقة بـ﴿أَسْكَنتُ﴾، والمعنى: أسكنتُهم بهذا الوادي الخالي من كل مُرتفق؛ ليشتغلوا بأشرف العبادات في أشرف الأماكن، والمراد من الدعاء بإقامة الصلاة: تَوفيقهم لأدائها على الوجه الأكمَل.

قوله: (﴿تَهْوِىٓ﴾) القراء السبعة على كسر الواو؛ أي: تُسرع وتطير شوقاً إليهم، وقرئ شذوذاً بفتح الواو[١]، وخرِّجت على زيادة (إلى) أي: تهواهم. وخصَّ الأفئدة بالذِّكر؛ لأنَّ القُلوب سلاطين الأعضاء، فإذا حنَّت إليهم القُلوب.. سعَتْ لهم الأجسام قهراً.

قوله: (تميل وتحنُّ) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن ﴿تَهْوِىٓ﴾ معنى (تميل) فعدَّاه بـ(إلى)، وإلَّا.. فهو يتعدَّى باللام، وفي هذا دعاءٌ للمؤمنين بأن يَرزقهم الله حجَّ البيت، ودعاءٌ لسكان مكة من ذرِّيته بميل الناس إليهم؛ ليرتفقوا بهم ويَنتفعوا بهم، فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس ولذرِّيته.

قوله: (لو قال: «أفئدة الناس...» إلخ) أي: ولكنه لم يقل ذلك فلم يَحصل؛ لسابق عِلم الله تعالى أنه لا يحنُّ إليهم جميع الناس؛ لوجود الكفار منهم، فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج المطابق لما علمه الله.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾) أي: يَصرفون النعم في مصارفها.

قوله: (وقد فعله بنقل الطائف إليه) أي: وهو قطعةٌ من أرض الشام من مكان يقال له: حوران، بُدلت بقطعة من الحجاز، فصارت العيون والأشجار بالطائف، والحجارة والحصى والقفر بأرض حوران يشاهده كلُّ مَنْ رآه، وهو إجابة قوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

---

(١) وهي قراءة مسلمة بن عبد الله. انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» (١/ ٣٦٤).

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ....

﴿٣٨﴾ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾: نُسِرُّ ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ - زائدة - ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يَحتمِل أن يَكُونَ مِن كلامِه تَعالى أو كلامِ إبراهيمَ.

﴿٣٩﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾: أعطانِي ﴿عَلَى﴾: مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وُلِدَ ولَه

حاشية الصاوي

وأما قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ...﴾ إلخ.. فقد حَصلت إجابته بجُرْهم، وذلك: أنَّ إبراهيم لما وضع إسماعيل وأُمَّه.. تركهما ومعهما جِرابٌ من تمرٍ، وسقاءٌ من ماء، فلمَّا نَفد الماء.. عطشت هي وولدها، فصَعدت على الصفا؛ لتنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، فهبطت، ثم أتَت المروة، فقامت عليها فنَظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففَعلت ذلك سبع مرات؛ ولذلك شُرِعَ السعي بينهما سبعاً، فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزمَ بجناحيه، فخرج الماء، فجعلت تَحوط عليه وتقول: زمي زمي، وفي الحديث: «**يَرحم الله أم إسماعيل لو تركَت زمزم.. لكانت عيناً مَعيناً**»[1]، فجعلت تشرب منه، فمكثوا كذلك حتى مرَّت بهم قَبيلة من جُرهم كانوا ذاهبين إلى الشام، فعطشوا فرأوا الماء عندها، فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزلَ عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، فقالوا لها: أشرِكينا في مائك فنُشركك في ألبانا، ففَعلت، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلِيهم، فلمَّا شبَّ إسماعيل.. تعلَّم منهم العربية وكان أنفَسَهم، فزوَّجوه بامرأة منهم، وماتت أمُّه بعدما تزوَّج.

قوله: (﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ﴾) أي: تعلم ما نُسرُّه من جميع أُمورنا، وما نظهره منها، والمعنى: تَعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمِّه حيث أسكنتُهما بوادٍ غير زرعٍ، وما نُعلن؛ أي: من قول هاجر: آلله أمرك بهَذا؟ وقَولي لها: نعم.

قوله: (**يحتمل أن يكون**) أي: قوله: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؛ فعلى الأول: هو اعتراضٌ بين كلامي إبراهيم، وعلى الثاني: وضع الظاهر موضع المضمر.

قوله: (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾... **إلخ**) هذا قاله إبراهيم في وقت آخرَ بعد الدعاء؛ فإنه حين الدعاء لم يكن إسحاق موجوداً، بل كان إسماعيل فقط طفلاً، وحين الحمد كان إسحاق موجوداً، ومعلومٌ أنَّ بينهما ثلاث عشرة سنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ....

تِسع وتِسعُون سَنةً، ﴿وَإِسْحَٰقَۚ﴾ وُلِدَ وله مِائةٌ واثنَتا عَشرَةَ سنةً، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعَل ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ مَن يُقِيمُها، وأتَى بِـ«مِن» لِإعلامِ الله تَعالى لَه أنَّ مِنهُم كُفَّاراً، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ المَذكُور.

﴿٤١﴾ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ هذا قبلَ أن يَتَبَيَّن لَه عَداوَتُهما للهِ عزَّ وجلَّ، وقِيل: أسلَمَت أُمُّه، ـ وقُرِئ: (والِدِي) مُفرَداً و(وَلَدَيَّ) ـ ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾) أي: مجيبُهُ.

قوله: (﴿مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾) أي: مُواظباً عليها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: (﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾) أشار المفسِّر إلى أن قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ معطوف على الياء في ﴿ٱجْعَلْنِي﴾ فيكون الفعل مسلَّطاً عليه.

قوله: (﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾) بثبوت الياء وصلاً ووقفاً، وحذفِها كذلك، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي﴾) **إن قلتَ**: كيف يطلب المغفرة مع أنه نبيٌّ معصومٌ من جميع الذنوب؟

أجيبَ: بأنَّ المغفرة لا تستدعي سبقَ ذنبٍ، بل تكون من الطاعات؛ كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه، فيَستغفر الله مما كان فيه، على حدِّ ما قيل في قوله ﷺ: «**إني لَيُغان على قلبي، فأستَغفر الله سبعين مرة**»[2].

قوله: (هذا قبل أن يتبيَّن له عداوتهما لله) جوابٌ عما يقال: كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبوَيه وهما كفار؟!

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً في هذه والتي بعدها، وقُرِئ شذوذاً أيضاً: (وَوُلْدِي) بضم الواو وسكون اللام؛ فالقراءات الشواذ ثلاث: (والدي) مفرداً، و(وَلَدَيَّ) بالتثنية، و(وُلْدِي) جمع وَلد[3].

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وورش بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، والبزي بإثباتها في الحالين، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً. انظر «الدر المصون» (٧/ ١١٧).

(٢) رواه مسلم (٦٩٥٧) عن سيدنا الأغر المزني، وفيه: (مئة مرة) بدل (سبعين مرة)، وروى البخاري (٦٣٠٧): «والله إني لأستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم أكثرَ مِن سبعين مرة».

(٣) العامة على «والديَّ» بألف بعد الواو وتشديد الياء، وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين وابن =

ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ....

يَثْبُت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾.

﴿٤٢﴾ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافِرُونَ مِن أهلِ مَكَّة، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بِلا عَذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لِهَولِ ما تَرَى، يُقالُ: شَخَصَ بَصَرُ فُلانٍ أي: فَتَحَهُ فلَم يُغمِضْه.

حاشية الصاوي

قوله: (يثبت) أي: يُوجد ويظهر، وهذا دعاءٌ للمؤمنين بالمغفرة.

قوله: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾) بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيَّتان في هذه وفي قوله الآتي: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[1]، وفي هذه الآية تسليةٌ لكلِّ مظلومٍ، ووعيدٌ عظيمٌ لكلِّ ظالمٍ؛ فإنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخُصوص السبب؛ فإنها وإن كان نزولها في حقِّ كفار قريش إلا أنَّ المراد: عمومها لكل ظالم؛ لأنَّ كلَّ آيةٍ وَردت في الكفار؛ فإنها تجرُّ بِذَيلها على عصاة المؤمنين.

قوله: (﴿غَٰفِلًا﴾) الغَفلة في الأصل: معنًى يَعتري الإنسان من قلَّة التحفُّظ، وقيل: معنًى يمنع الإنسان من الوقوف على حَقائق الأمور، وهذا المعنى في حق الله مستحيلٌ، فظنُّه كفرٌ، بل المراد: لازم الغفلة، وهو: عدم المجازاة؛ لأنه يَلزم من الغفلة عن الشيء تركه، والمعنى: لا تحسبنَّ الله يا مخاطب تاركاً مجازاة الظالمين، بل مُجازيهم ولا بدَّ وإمهالهم مُدةً حلمٌ منه، وسيخرجهم منه في الآخرة؛ لما وردَ: «**الظَّلَمة وأعوانهم كلاب النار**»[2].

قوله: (من أهل مكة) خصَّهم بالذكر وإن كان المراد العمومَ؛ لأنَّ الآية نزلت فيهم.

قوله: (﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾) في معنى التعليل لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا...﴾ إلخ، والتقدير: لا تظنَّ أن الله تاركٌ مُجازاتهم، ولا تحزَن بتأخير العذاب؛ لأنَّ تأخيره للتشديد والتغليظ.

قوله: (﴿لِيَوْمٍ﴾) أي: لأجل حصول يوم، أو اللام بمعنى (إلى) التي لِلغاية.

قوله: (﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾) أي: فلا تقرُّ في أماكنها.

= يعمر: «ولوَلَدَيَّ» دون ألف، تثنية وَلَد، وروي عن ابن يعمر أنه قرأ: «ولوُلْدِي» بضم الواو وسكون الياء. انظر «الدر المصون» (٧/ ١١٨).

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٦٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ....

﴿٤٣﴾ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرِعِينَ ـ حال ـ ﴿مُقْنِعِي﴾: رافِعِي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السَّماءِ، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بَصَرُهم، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾: قُلُوبُهم ﴿هَوَاءٌ﴾: خاليةٌ مِن العَقل لِفَزَعِهم.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنذِرِ﴾: خَوِّف يا مُحمَّد ﴿النَّاسَ﴾: الكُفَّار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يَومُ القِيامة، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بِأن تَرُدَّنا إلى الدُّنيا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

حاشية الصاوي

قوله: (مسرعين) أي: إلى الداعي وهو إسرافيل ـ وقيل: جبريل ـ حيث يُنادي على صخرة بيت المقدس، وهي أقرَب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصالُ المتقطعة، واللحوم المتمزِّقة، والشعور المتفرقة؛ إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء، فعند ذلك ينفخ إسرافيل في الصور[1].

قوله: (حال) أي: من المضاف المحذوف، والتقدير: تشخص فيه أبصارهم حالَ كون أصحاب الأبصار مُهطعِين.

قوله: (﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾) أي: لا يَنطبق لهم جفنٌ؛ لعظم الهول، وهو تأكيدٌ لشخوص البصر.

قوله: (﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾) هو إما مُستأنف، أو حال.

قوله: (خالية من العقل؛ لفزعهم) أي: خالية من الفهم؛ لِشِدة الحيرة والدهشة، والمعنى: أنَّ القلوب حينئذٍ تكون فارغةً من الإدراك والفهم، والأبصار شاخصة، والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هَولِ ذلك اليوم وشِدَّته.

قوله: (﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾) مفعول ثان لـ(أنذر) على حذفِ مضاف؛ أي: أَنْذِرْهم هَوْلَهُ وشدَّته.

قوله: (﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾) فيه إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لزيادة التشنيع عليهم.

قوله: (﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾) أي: أخِّرْ العذاب وردَّنا إلى الدنيا مدَّة من الزمان.. نستدرك فيها ما فات.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) من حديث كعب.

﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ....

﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بِالتَّوحِيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيُقالُ لهم توبيخاً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾: حلَفتُم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ - زائِدة - ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخِرة؟

﴿٤٥﴾ ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فِيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بِالكُفرِ مِن الأُمَم السَّابِقة، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ مِن العُقُوبة فلَم تنزَجِرُوا، ﴿وَضَرَبْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ في القُرآن فلَم تَعتَبِرُوا.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بِالنَّبيِّ ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيثُ أرادُوا قَتلَه أو تَقيِيدَه أو إخراجَه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾) مَجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: (فيقال لهم) القائل لهم الملائكة، أو الله.

قوله: (حلفتم) أي: كما حكى الله عنهم ذلك في سورة (النحل) بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

قوله: (﴿وَسَكَنتُمْ﴾) معطوف على ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾.

قوله: (﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾) المراد بمساكنِهم: دار الدنيا، لا خُصوص منازل الذين ظلموا؛ فإنَّ كفار قريش لم يَسكنوا دِيار الكفار الذين هلكوا قبلهم.

قوله: (السابقة) أي: كقوم نوح وعادٍ وثمود ولوط وغيرهم.

قوله: (﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾) أي: حالُهم وخبرهم.

قوله: (من العقوبة) بيان لقوله: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾.

قوله: (﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾) أي: أهل مكة.

قوله: (حيث أرادوا قتله... إلخ) أي: حين اجتَمعوا بدار الندوة يتشاورُون في شأنه، وقد تقدَّم ذلك في (الأنفال) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الأنفال: ٣٠] إلخ[1].

---

(١) انظر (٣/ ٢٥-٢٦).

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾ ....

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي: عِلمُه أو جَزاؤُه، ﴿وَإِن﴾: ما ﴿كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾ وإن عَظُمَ ﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ المَعنى: لا يُعبأ بِه ولا يَضرُّ إلَّا أنفُسَهم، والمُراد بِالجِبال هنا قِيل: حَقيقتُها، وقِيل: شَرائِع الإسلام المُشَبَّهة بِها في القَرار والثَّباتِ، ـ وفي قِراءةٍ بِفتحِ لامِ (لَتَزُولُ) ورَفعِ الفِعل، فـ(إنْ) مُخفَّفة ـ والمُراد تَعظِيم مَكرِهم، وقِيل: المُراد بِالمَكرِ كُفرُهم، ويُناسِبُه على الثَّانية: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، وعلى الأوَّل ما قُرِئ: (وما كان).

حاشية الصاوي

قوله: (ما كان) فسَّر (إن) بـ(ما)؛ لأن اللام في ﴿لِتَزُولَ﴾ لامُ الجحود، وهي لا تقع إلا بعد كونٍ منفيٍّ بـ(ما) أو (لم).

قوله: (لا يعبأ به) أي: لا يُلتفت إليه.

قوله: (والمراد بالجبال هنا) أي: ففيها قولان: قيل: المراد: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام، فهي مستعملةٌ في مجازها.

قوله: (في القرار والثبات) هذا هو وَجه الشَّبه بينهما.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (فـ«إن» مخففة) أي: واللام في ﴿لَتَزُولُ﴾ فارقة.

قوله: (والمراد: تعظيم مَكرهم) أي: على هذه القراءة الثانية، فتحصَّل: أن المعنى على القراءة الأولى: ما كان مكرهم مزيلاً للجبال؛ لِضَعفه وعدم العبرة به، وعلى الثانية: والحال أنَّ مَكرهم لتزول منه الجبال؛ لِعظمه وشدَّته، والمكر على القراءتين: قيل: تشاوُرهم في شأن النبي، وقيل: كفرهم، ولكن القول الثاني يوافق القراءة الثانية؛ بدليل آية: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩١].

قوله: (وعلى الأولى) أي: القراءة الأُولى، وهي النافية.

قوله: (ما قرئ) أي: الذي قرئ، وهي شاذَّة[2].

---

(١) قرأ العامة بكسر اللام، والكسائي بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/١٢٦).

(٢) وهي قراءة سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ. انظر «الدر المصون» (٧/١٢٦).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ . . . .

﴿٤٧﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بِالنَّصرِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالِبٌ لا يُعجِزهُ شَيءٌ، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّن عَصاهُ.

﴿٤٨﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يومُ القِيامة، فيُحشَر النَّاس على أرضٍ بَيضاءَ نَقِيَّة، كما في حَدِيث «الصَّحِيحَينِ»، وروَى مُسلِم حَدِيثَ: «سُئِلَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾) هذا مفرَّع على قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾، وهو تسليةٌ للنبي ﷺ، وتهديدٌ للظالمين.

قوله: (﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾) القراءة السبعيَّة بإضافة ﴿مُخْلِفَ﴾ إلى ﴿وَعْدِهِۦ﴾ و﴿رُسُلَهُۥ﴾ بالنصب، وقرئ شذوذاً بإضافته إلى (رُسله)، ونصب (وَعدَه)، فيكون قد فصل بين المتضايفَين بالمفعول، وهذا نظير قراءة ابن عامر في (الأنعام): ﴿قَتْلُ أَوْلَٰدَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧][1].

قوله: (اذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف، ويصح أن يكون معمولاً لقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿يَوْمَ﴾ الأول في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

قوله: (﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾) اختلف المفسرُون في هذا التبديل؛ فقيل: المراد: تبدُّل صِفاتهما، فتُسوَّى الجبال، وتُقلع الأشجار، وتنسف الأنهار، وتذهب الكواكب من السماوات، وتكسف شمسها، ويُخسف قمرها.

وقيل: تبدل ذاتهما؛ فتبدَّل الأرض بأرض نقيَّة بيضاء كالفضة لم يُسفك عليها دمٌ، وتبدل السموات بسماء من ذهب، وعلى هذا القول: فالخلائق يكونون؛ قيل: على الصراط، وما زاد منهم يكون على متن جَهنم، وقيل: يكونون في ظُلمة قبل المحشر، وقيل: على أكفِّ ملائكة سماء الدنيا، وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولاً قبل نَفخة الصعق، وتبديل الذات يكون بعد النَّفخة الثانية.

قوله: (فيحشر الناس على أرض بيضاء نقيَّة) أي: ويُؤيد ذلك: ما روي عن ابن عباس والضحاك: أن الخلائق إذا جُمعُوا في صعيد واحد؛ الأولين والآخرين. . أمَر الجليل جلَّ جلاله

---

(١) انظر «الدر المصون» (٧/١٢٨ ـ ١٢٩).

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ ....

النَّبيُّ ﷺ: أينَ النَّاس يَومئِذٍ؟ قال: على الصِّراط»، ﴿وَبَرَزُوا۟﴾: خرَجُوا مِن القُبُور ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿وَتَرَى﴾ يا مُحمَّد: تُبصِرُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾:

حاشية الصاوي

بملائكة سماء الدنيا أن يَتولَّوهم، فيأخذ كلُّ واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنساً وجنًّا ووحشاً وطيراً، وحوَّلوهم إلى الأرض التي تُبدَّل، وهي أرض بيضاء من فضة نورانيَّة، وصارت الملائكة من وراء الخلق حَلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعَشر مرات، ثم إنَّ الله يأمر بملائكة السماء الثانية فيُحدقون بهم حَلقة واحدة، وإذا هم مثلُهم عشرين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثَلاثين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مِثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكةُ السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مِثلهم سبعين مرة، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلُو القدمَ ألفُ قدمٍ؛ لشدة الزحام، ويخوضَ الناس في العرَق على أنواع مختلفة: إلى الأذقان، وإلى الصدور، وإلى الحِقْوَين، وإلى الركبتين، ومنهم من يُصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من يُصيبهم البلة كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القَلق والعرق والأرَق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مَدَّ أحد يدَه.. لَنالها وتضاعف حرُّها سبعين مرة؟! وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهَيئتها يوم القيامة.. لاحترقت الأرض، وذاب الصخر، ونَشفت الأنهار؛ فبينما الخلائق يمُوجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها بقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ[1].

قوله: (﴿وَبَرَزُوا۟﴾) عطف على ﴿تُبَدَّلُ﴾، فهو بمعنى المضارع؛ أي: اذكر يوم تُبدل الأرض وتَبرز الخلائق.

قوله: (﴿وَتَرَى﴾) معطوف على ﴿تُبَدَّلُ﴾ أيضاً.

---

(١) أورده الغزالي في «كشف عُلوم الآخرة» (ص٦٧)، ونقَله عنه في «الفتوحات» (٢/ ٥٦٢).

﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٥١ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾

مَشدُودِينَ مع شَياطِينِهم ﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾: القُيُودِ أو الأغلالِ، ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمُصُهُم ﴿مِّن قَطِرَانٖ﴾ لأنَّه أبلَغُ لِاشتِعالِ النار، ﴿وَتَغۡشَىٰ﴾: تَعلُو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

(٥١) ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ ـ مُتعلِّق بـ(بَرَزُوا) ـ ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ﴾ مِن خَير وشَرٍّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يُحاسِبُ جَمِيعَ الخَلق في قَدرِ نِصف نَهار مِن أَيَّام الدُّنيا لِحَديثٍ بِذلك.

(٥٢) ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي: أُنزل لِتَبليغهم، ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ بما فِيه مِن الحُجَج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ ـ بِإدغام التَّاء في الأصلِ في الذَّال ـ: يَتَّعِظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

حاشية الصاوي

قوله: (مشدودين مع شَياطينهم) أي: فتُجمع أيديهم وأرجلهم في أعناقهم، ويُشدُّ كلُّ واحدٍ مع شيطانه[1] الذي كان معه في الدنيا.

قوله: (﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾) جمع صفَدَ بفتحتين، وهو: القَيد.

قوله: (والأغلال) جمع غُلٍّ بالضم، وهو: طَوقٌ من حديدٍ.

قوله: (﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾) أي: جلُودهم تُطلى بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص.

قوله: (﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ﴾) أي: وقلوبهم.

قوله: (متعلق بـ«بَرزوا») أي: وما بينهما اعتراضٌ.

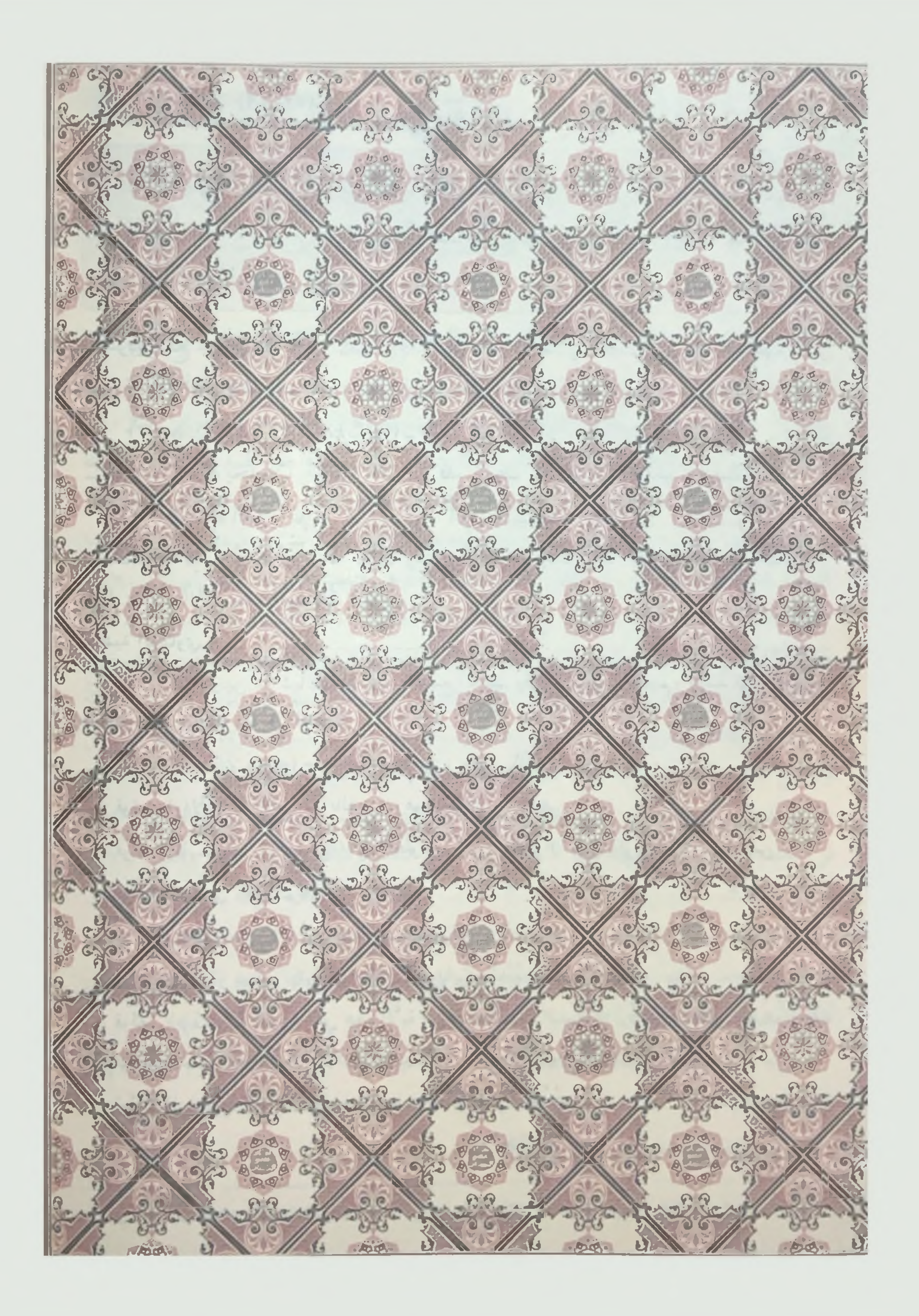
قوله: (في قدر نصف نهار) أي: وكلُّ واحدٍ يرى أنه يُحاسب وحده.

قوله: (﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾) في هذه الآية من المحسِّنات البديعيَّة: ردُّ العجز على الصدر؛ فقد افتتحت هذه السورة بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

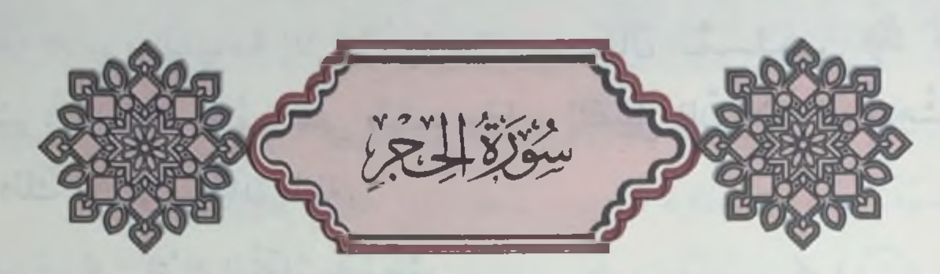
قوله: (لتبليغهم) أي: توصيلهم إلى ما فيه صَلاحُهُم ورشدُهُم.

---

(١) في (أ): (شياطينه)، والتصويب من (ط٢).



﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ....



مكيةٌ، تِسعٌ وتسعونَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓر﴾ الله أعلَم بِمُرادِهِ بِذلك، ﴿تِلْكَ﴾: هذهِ الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ، ـ والإضافةُ بِمَعنى (مِن) ـ ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾: مُظهِر لِلحَقِّ مِن الباطِل، ـ عَطف بِزِيادةِ صفة ـ.

(٢) ﴿رُّبَمَا﴾ ـ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف ـ ﴿يَوَدُّ﴾: يَتمنَّى ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحِجر

(مكيَّة) أي: بإجماع، وسمِّيت الحجر؛ لِذكره فيها، وهو: وادٍ بين المدينة والشام، وستأتي قصَّة أصحابه.

قوله: (الله أعلم بمراده) تقدَّم أنَّ هذا هو التحقيقُ عند ذَوي التحقيق.

قوله: (هذه الآيات) أي: آيات السورة.

قوله: (والإضافة بمعنى «من») أي: لأنَّ الآيات بعضُ الكتاب.

قوله: (عطف) أي: مرادفٌ، وإنما سوَّغه وحسَّنه تغايرُ اللفظ وزيادةُ الصفة في المعطوف، فحينئذٍ يؤخذ من الآية: أنه كما يسمَّى كتاباً.. يسمَّى قرآناً.

قوله: (بزيادة صفة) أي: وهي قوله: ﴿مُّبِينٍ﴾.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، ولُغتان في (رُبَّ)[1].

---

(١) قرأ عاصم ونافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٢/١٩٣).

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ ....

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يَومَ القِيامة إذا عايَنُوا حالَهم وحالَ المُسلِمِين ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، و(رُبَّ) لِلتَّكثِيرِ؛ فإنَّهُ يَكثُر مِنهُم تَمَنِّي ذلك، وقِيل: لِلتَّقلِيلِ فإنَّ الأهوالَ تُدهِشُهُم فلا يُفِيقُون حتَّى يَتَمنَّوا ذلك إلَّا في أحيانٍ قَليلةٍ.

۝٣ ﴿ذَرْهُمْ﴾: اترُك الكُفَّارَ يا مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: من أهل مكة وغيرهم.

قوله: (إذا عاينُوا حالهم) أي: من العذاب.

قوله: (وحال المُسلمين) أي: من النعيم المقيم.

قوله: (﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾) يصح في ﴿لَوْ﴾ أن تكون امتناعيَّةً، وجوابها محذوف، تقديره: سُرُّوا بذلك، أو مصدرية تَنسبك مع ما بعدها بمصدر معمول لـ﴿يَوَدُّ﴾، والتقدير: ربما يودُّ الذين كفرُوا كونهم مسلمِين.

قوله: (و«رُبَّ» للتكثير) أي: و(ما) كافة لها عن الجرِّ.

إن قلتَ: إن (رُبَّ) إذا دخَلت عليها (ما) الكافة اختصت بالفعل الماضي، وهنا قد دخَلت على المضارع.

أجيب: بأن التعبير بالمضارع؛ لتحقُّق وُقوعه، فهو بالنسبة لعِلم الله واقعٌ ولا شكَّ، فلا تفاوت بين ماضٍ ومستقبل بالنسبة لِعِلمه تعالى، وإنما ذلك بالنظر لعقولنا.

قوله: (وقيل: للتقليل) أي: باعتبار الأزمان التي يُفِيقُون فيها من الدهشة، فالكفار من شِدَّة الهول يدهشون فلا يُفِيقُون إلا بعض الأوقات، فإذا أفاقوا.. كثُر منهم التمنِّي.

قوله: (﴿ذَرْهُمْ﴾) لم يُسْتعمَل لهذا الأمرِ ماضٍ؛ استغناءً عنه بـ(ترك)، بل يُستعمل منه المضارع، وقد جاء منه الماضي قليلاً، قال عليه الصلاة والسلام: «ذَرُوا الحبشة ما وَذَرَتْكُمْ»[1].

---

(١) سِياق المصنف عند أبي حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٣١)، وهو عند أبي داوود (٤٣٠٢)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٤٣) بلفظ: «دعوا الحبشة ما ودعوكم»، وَمن مجيءِ الماضي أيضاً: ما رواه البزار في «مسنده» (٨١٠١) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذَرُوني ما وذَرتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم...» الحديث.

يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ....

﴿يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بِدُنياهُم، ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾: يَشغَلهُم ﴿ٱلْأَمَلُ﴾ بِطُولِ العُمر وغَيرِه عن الإيمانِ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقِبةَ أمرِهِم، وهذا قبل الأمرِ بِالقِتال.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ أُرِيد أهـلُـهـا ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾: أجَلٌ ﴿مَّعْلُومٌ﴾: مَحدُودٌ لِإهلاكِها. ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ﴾ ـ زائِدة ـ ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَأْكُلُوا۟﴾) مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، وكذا قولُه: ﴿وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَيُلْهِهِمُ﴾) مجزوم أيضاً بحذف الياء، وفيه ثلاث قراءات سبعيَّة: كسر الهاء الثانية والميم، وضمُّهما، وكسرُ الهاء وضمُّ الميم[1]، وأما الهاء الأُولى.. فمكسورة لا غير؛ لأنها من بنية الكلمة.

قوله: (﴿ٱلْأَمَلُ﴾) فاعل (يُلههم).

قوله: (عاقبة أمرهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: قوله: ﴿ذَرْهُمْ...﴾ إلخ، فهذه الآية منسوخةٌ بآية القتال.

قوله: (زائدة) أي: في المفعول.

قوله: (أريد أهلها) أي: ففيه مجازٌ؛ إما بالحذف، أو مرسلٌ من إطلاق المحل وإرادة الحالِّ فيه.

قوله: (﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾) الجملة حاليَّة، والمعنى: وما أهلكنا قريةً في حال من الأحوال إلا في حال أن يكون لها كتابٌ ـ أي: أجلٌ ـ مؤقتٌ لهلاكها. وجَعْلُنا الواوَ حاليةً أسهلُ من جَعْلِها زائدةً بين الصفة والموصوف.

قوله: (﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾) فاعل ﴿تَسْبِقُ﴾، و(مِن) زائدةٌ في الفاعل للتأكيد.

قوله: (﴿أَجَلَهَا﴾) أي: وهو الكتاب المتقدِّم.

---

(١) قرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم، وحمزة والكسائي برفع الهاء والميم، والباقون بكسر الهاء ورفع الميم. انظر «السراج المنير» (٢/١٩٣).

وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ....

﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: يتأخَّرونَ عنه.

(٦ - ٧) ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾: القُرآنُ في زَعمِه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا﴾: هلَّا ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في قَولِك: إنَّك نَبيٌّ وإنَّ هذا القُرآنَ مِن عِند الله.

(٨) قال تَعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ ـ فِيه حَذفُ إحدَى التَّاءَينِ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يتأخرون عنه) أي: الأجلِ.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾) نادَوْهُ ﷺ بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء، لا إقراراً بأنه نُزِّل عليه الذكر؛ ولذا قال المفسِّر: (في زعمه)، فدفع به ما قد يقال: إنَّ في الآية مضاربةَ أوَّلها لآخرها.

قوله: (﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾) أي: إنك لَتقول قول المجانين؛ حيث تدَّعي أنَّ الله نزَّل عليك الذكر، وقولهم هذا كقَول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. والحاصل: أنهم قالوا مقالتَين: الأولى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، والثانية: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، وقد ردَّ الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوَّش؛ فقَوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ ردٌّ للثانية، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ للأولى.

قوله: (﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾) تستعمل (لوما) حرفَ تحضيضٍ، وحرفَ امتناعٍ لوجود؛ فالتَّحضيضيَّة لا يَليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والامتناعيَّة لا يليها إلا الأسماء لفظاً أو تقديراً؛ إذا علمتَ ذلك.. فهي هنا للتحضيض؛ ولِذا فسَّرها بـ(هلَّا).

قوله: (﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾) أي: لِتُخبرنا بصدقك.

قوله: (فيه حذف إحدى التاءين) أي: والأصل (تتنزل)، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً: ﴿نُنَزِّلُ﴾ بضمِّ النون الأولى، وفتح الثانية، وكسر الزاي المشدَّدة، ونصب (الملائكة) على المفعوليَّة[1]، وقرئ

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي وحفص بضم النون وفتح الثانية وكسر الزاي، و«الملائكة» نصباً على المفعولية، والباقون من السبعة: بفتح التاء والنون والزاي مشددة، وقرأ شعبة بتاء مضمومة، ونون مفتوحة، وزاي مفتوحة =

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: بِالعذابِ، ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا﴾ أي: حِينَ نُزُول المَلائِكةِ بِالعذابِ ﴿مُّنظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرِين.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ - تَأكِيدٌ لِاسمِ (إنَّ) أو فَصلٌ - ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مِن التَّبدِيل والتَّحرِيفِ والزِّيادةِ والنَّقص.

حاشية الصاوي

شذوذاً: (ما تَنْزِلُ) بفتح التاء، وسكون النون، وكسرِ الزاي، و(الملائكةُ) فاعل[١].

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) أي: إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق، لا بما قلتُم واقترحتم، والمعنى: جرَت عادة الله في خَلقه أنه لا يظهر الملائكة إلا لمن يُريد إهلاكهم، وهو لا يريد ذلك مع أمَّته ﷺ؛ لِعلمه بقاءها، وأنه يخرج منها مَنْ يعبد الله ويُوحِّده إلى يوم القيامة، فهم لا يُجابون لما اقترحوا.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾) أصل (إذاً): (إذ) بمعنى (حين)، فضُمت لها (أن) فصار (إذأن) فاستثقلوا الهمزة، فحذفوها فصار (إذن)، ومجيء لفظة (أن) دليلٌ على إضمار فِعل بعدها، والتقدير: وما كانوا إذ كان ما طَلبوه.

قوله: (﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾) أي: وليس إنزاله بزعمك كما اعتقدُوا.

قوله: (أو فصل) أي: ضمير فصل، واعترض: بأنَّ ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة[٢]، ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك[٣]، وحينئذٍ: فالمناسب للمفسِّر أن يَقتصر على الأوَّل.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾) أي: حيث جعَله معجزاً للبشر، مُغايراً لكلامهم، لا يأتيه الباطل من بين يدَيه ولا من خلفه، باقٍ على ممرِّ الدهور سيَّما وقد جعل الله له خَدَمةً من البشر يَحفظونه، فترى

= كذلك، ورفع «الملائكة»، ولم يذكر المصنف رحمه الله قراءته. انظر «السراج المنير» (٢/ ١٩٤)، و«الدر المصون» (٧/ ١٤٤).

(١) وهي قراءة زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٧/ ١٤٥).

(٢) كذا في «الفتوحات» (٢/ ٥٦٠) نقلاً عن العلامة الأجهوري، وإنما الشرط فيه: مطابقته لما قبله غيبة وحضوراً، وأن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعةِ الموضع. انظر «شرح المفصل» (٢/ ٣٢٩)، و«شرح التسهيل» لناظر الجيش (١/ ٥٦٥).

(٣) لعل المفسِّر رحمه الله تبع الجرجانيَّ ومَن وافقه في تجويز وقوع ضمير الفصل قبل الفعل. انظر «مغني اللبيب» (ص٦٤٢).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ....

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رُسُلاً ﴿فِي شِيَعِ﴾: فِرَقِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا﴾ كانَ ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستِهزاءِ قَومِك بِك، وهذا تَسلِيةٌ لَه ﷺ.

﴿١٢﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: مِثل إدخالِنا التَّكذِيبَ في قُلُوبِ أُولئِك نُدخِلُهُ ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مَكة.

﴿١٣﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بِالنَّبيِّ ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سُنَّةُ الله فِيهم مِن تَعذِيبِهم

حاشية الصاوي

الكبير العظيم إذا غَلط وهو يقرأ يَرُدُّه أصغر صغير في المجلس مع عدم العيب في ذلك، بخلاف الكتب السماويَّة؛ فقد دَخل فيها التبديل والتغيير، والزيادة والنقص، ومِن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ. . .﴾ [الإسراء: ١٠٦] الآية.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (رسلاً) قدَّره؛ إشارة إلى أنَّ مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾ محذوف، وعدَّتهم ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، وقيل: لا يَعلم عدَّتهم إلا الله تعالى.

قوله: (﴿فِي شِيَعِ﴾) جمع شِيعة، والمراد بهم هنا: الفرقة المتَّفقة في مذهب، كان حقًّا أو باطلاً، وإضافة ﴿شِيَعِ﴾ لـ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ على حذف مضاف؛ أي: في شِيَع الأُمم الأوَّلين.

قوله: (﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾) قدَّر المفسِّر (كان)؛ إشارةً إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً؛ استحضاراً للحال الماضية المتعجب منها.

قوله: (﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾) أي: يَسخرون.

قوله: (وهذا تسليةٌ له) أي: فاصبر ولا تحزن، فلستَ بأوَّل مَنْ سخر به قومه، بل وقع لمن قبلك مِثلك.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾) السَّلك بالفتح: إدخال الخيط في اللؤلؤ، وبالكسر: نَفس الخيط.

قوله: (أي: مثل إدخالنا التكذيب) أي: الذي دلَّ عليه بقوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) أي: طريقتُهم، والجملة مستأنفةٌ.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ....

بِتكذِيبِهم أنبياءَهُم، وهؤلاءِ مِثلُهم.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يَصعَدُون، ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾: سُدَّت ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: يُخَيَّلُ إلينا ذلكَ.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثنَي عَشَر: الحَمل والثَّور والجَوزاء والسَّرَطان

حاشية الصاوي

قوله: (وهؤلاء مثلهم) أي: فانتَظر ما يَنزل بالمكذِّبين من العذاب.

قوله: (﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾) أي: على كُفار مكة.

قوله: (﴿فَظَلُّوا۟﴾) الضمير إما عائد على (المشركين)، والمعنى: لو فتَحنا باب السماء لهؤلاء المشركين وصعدُوا إلى السماء ورأَوا عجائبها.. لقالوا... إلخ، أو على (الملائكة)، والمعنى: لو كشَفنا عن أبصار الكفار فرأَوا باب السماء مفتوحاً والملائكة تَصعد منه.. لما آمنوا.

قوله: (﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾) بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (سُدَّت) أي: فيقال: سَكَرت النهر؛ من باب (قتل): سدَدته، والسِّكر بالكسر: ما يُسَدُّ به، والمعنى: يسدُّ أبصارنا عن مَحسوساتنا المعتادة بتلك التخيُّلات.

قوله: (﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ عمَّا أفاده أولاً من خُصوص سحر العين بالحصر، والمعنى: أنهم يَقولون: إنما سدَّت أبصارنا، فخُيِّلَ لها أمرٌ لا حقيقة له، ولم يَتجاوزها لقلوبنا، ثم أضربوا عن ذلك وجعلُوا السحر واصلاً لقلوبهم.

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾) هذا من أدلَّة توحيده سبحانه وتعالى، والبُروج: جمع برج، والمراد: منازل وطرُق تسير فيها الكواكب السبعة.

قوله: (اثني عشر برجاً) أي: وقد جمعها بعضهم في قوله: [الخفيف]

حَمَلَ الثَّوْرُ جَوْزَةَ السَّرَطَانِ ... وَرَعَى اللَّيْثُ سُنْبُلَ المِيزَانِ
وَرَمَى عَقْرَبٌ بِقَوْسٍ لِجَدْيٍ ... نَزَحَ الدَّلْوُ بِرْكَةَ الحِيتَانِ

---

(١) قرأ ابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٧/ ١٤٩).

وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ....

والأَسَد والسُّنبُلة والمِيزان والعَقرَب والقَوس والجَدي والدَّلو والحُوت، وهي مَنازِل الكَواكِب السَّبعة السَّيَّارةِ: المِرِّيخ ولَه الحَمل والعَقرَب، والزُّهرة ولها الثَّور والمِيزان، وعُطارد ولَه الجَوزاء والسُّنبُلة، والقَمر ولَه السَّرطان، والشَّمس ولَها الأسَد، والمُشتَرِي ولَه القَوسُ والحُوت، وزُحَل ولَه الجَديُ والدَّلو، ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ بِالكَواكب ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾ بِالشُّهُب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: مَرجُوم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهي منازل الكواكب... إلخ) أي: محلُّ سيرها.

قوله: (المِرِّيخ) بكسر الميم: نجمٌ في السماء الخامسة، وقد جمع الكواكبَ بعضُهم في قوله: [الكامل]

زُحَـلٌ شَـرَى مِـرِّيـخَـهُ مِـنْ شَـمْـسِـهِ ... فَـتَـزَاهَـرَتْ لِـعُـطَـارِدَ الأَقْـمَـارُ

فزحل في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعُطارد في الثانية، والقَمر في الأولى، وهي سماء الدنيا.

قوله: (الشمس ولها الأسد) أي: بيتها المنسوب لها؛ فلا يُنافي أنها تسير في البروج كلِّها المنقسمة لثمانية وعشرين منزلة؛ لكلِّ برجٍ منزلتان وثلث، وتقطعها الشمس في سَنة، والقمر في شهر، وقد جعل الله لهذه الكواكب النفعَ في العالم السفلي؛ كالأكل والشرب يُوجد النفع عندها، لا بها، فهي أسبابٌ عاديَّة.

قوله: (﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ بالكواكب) أي: جعَلنا الكواكب زينةً للسماء، وهل الكواكب في السماء الدنيا أو ثوابِت في العرش؟ قولان للعلماء.

قوله: (﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾) أي: المتأمِّلين بأبصارهم وبَصائرهم.

قوله: (﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾) أي: السماءَ.

قوله: (﴿مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾) أي: وذلك لأنَّ الشياطين كانوا لا يُحجبون عن السماوات فيدخلونها ويَأتون بأخبارها إلى الكهنة، فلما وُلِدَ عيسى.. مُنِعُوا من ثلاث سماوات، ولما ولد سيدنا محمد ﷺ.. مُنعوا من السماوات كلِّها، ولما بُعِثَ.. رُمِيت عليهم الشهب؛ فكانت تخطئ وتُصيب، فلمَّا عُرج به ﷺ.. صارت لا تخطئهم أبداً.

إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ....

﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: خَطِفَهُ ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: كَوكبٌ يُضِيءُ ويُحرِقُه أو يَثقُبُهُ أو يُخَبِّلُه.

﴿١٩﴾ ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بَسَطْناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالاً ثَوابِت لِئَلَّا تَتحرَّك بِأهلِها، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مَعلُوم مُقدَّر.

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ - بِالياءِ - مِن الثِّمار والحُبُوب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾) استثناءٌ منقطعٌ؛ لأنَّ ما قبل الاستثناء دخولهم السماء، وما بعده استراقهم من خارجها، والمعنى: أنَّ الشياطين يركب بعضهم بعضاً يُريدون الاستراق، فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرَّحت به سورة (الجن) في قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا...﴾ إلخ.

قوله: (كوكب مضيء) وقيل: الشهاب: شعلةُ نارٍ تَنفصل من الكوكب، وهو الصحيح.

قوله: (أو يخبله) أي: يفسد أعضاءه، فيصير غولاً في الوادي يضلُّ الناس.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾) (الأرضَ): منصوب بفعل محذوف يفسِّره ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾.

قوله: (بسطناها) أي: على الماء.

قوله: (لئلا تتحرك بأهلها) أي: لأنَّ الله لما خلقها وبسَطها على الماء.. تحرَّكت واضطربت، فثبَّتها بالجبال الرواسي، فسَكنت.

قوله: (معلومٍ) أي: لله، فيَعلم قدر ما تحتاج إليه الخَلق في معاشهم.

قوله: (﴿مَعَٰيِشَ﴾) جمع مَعِيشة، وهي: ما يعيش بها الإنسان؛ من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

قوله: (بالياء) أي: باتفاق السَّبعة؛ لأنها في المفرد أصليَّة، فلا تقلب في الجمع همزة، بل تَبقى على حالها، بخلاف المدِّ الزائدة في المفرد فإنه يُقلب همزة في الجمع، قال: ابن مالك[1]: [الرجز]

والمدُّ زِيدَ ثالثاً في الواحِدِ ... هَمزاً يُرَى في مِثلِ كالقَلائِدِ

(١) «الخلاصة»، باب الإبدال.

وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

﴿وَ﴾ جَعَلنا لَكُم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ مِن العَبِيد والدَّوابِّ والأنعامِ، فإنَّما يرزُقُهم الله.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن﴾ - زائِدة - ﴿شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾: مَفاتِيحُ خَزائِنه، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ على حسَب المَصالِح.

حاشية الصاوي

وقرئ شذوذاً بالهمز على التشبيه بـ(شمائل)[1].

قوله: (﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾) مشى المفسِّر على أنه معطوفٌ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾؛ حيث قدَّر قوله: (جعلنا لكم).

قوله: (من العبيد) أي: والخَدَم وغيرهم، فأنتم تَنتفعون بتلك الأشياء ولستُم برازقين لها، وإنما رِزقها على خالقها.

قوله: (﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾) كالدليل لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾، فهو إعلامٌ بسعة فَضله سبحانه وتعالى، وقوله: ﴿شَىْءٍ﴾ نكرةٌ في سياق النَّفي فتعمُّ كلَّ شيءٍ كان، في الدنيا أو الآخرة، جَليلاً أو حقيراً.

قوله: (﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾) أي: إلا يُوجده الله إذا تعلَّقت قُدرته وإرادته به، ففي الكلام مجازٌ؛ حيث شبَّه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل وجعلها في خزائن، والجامعُ بينهما سرعة الحصول في كلٍّ، فالمعنى: بِيَده الأشياء كلُّها خيرُها وشرُّها، جليلها وحقيرها، فإذا أراد الله شيئاً.. حصل، فحينئذٍ: فلا يطلب الإنسان من غيره، بل يَطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن. والمفاتيحُ كنايةٌ عن التسهيل؛ فمن أراد الله له شيئاً.. أعطاه مِفتاحه؛ بمعنى: سهَّل أسبابه.

قوله: (﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾) أي: فيُسْعِدُ هذا، ويُشقي هذا، ويفقر هذا، ويغني هذا؛ على حسب ما قدَّره الله، إذا علمتَ ذلك.. فالمناسب للمفسِّر أن يقول: على حسَب تقدير الله؛ فإنَّ الله تعالى ليس مراده مقيداً لمصالح عباده، بل أفعاله على حسَب ما أراده وعلمه، فنَجد الكافر يَطول عمره وهو في فقر ومرض، ثم يُختم له بالكفر، ويكون في النار، وأيُّ مَصلحة في ذلك؟!

---

(١) وهي قراءة خارجة بن مصعب عن نافع. انظر «الدر المصون» (٥/٢٥٨).

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ....

﴿٢٢﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾: تُلَقِّحُ السَّحاب فيمتلِئ ماءً، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحابِ ﴿مَآءً﴾: مَطراً ﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ أي: لَيسَت خَزائِنُه بِأيدِيكم.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: الباقُونَ، نَرِث جَمِيعَ الخَلْق،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ﴾) جمع رِيح، وهو: جسمٌ لطيفٌ منبثٌّ في الجوِّ، سريع المرُور.

قوله: (﴿لَوَٰقِحَ﴾) إما جمع (مُلقِح) من: (ألقَح)، وحينئذٍ: فجمعه (مَلاقح)، حذفت الميم تخفيفاً، أو جمع (لاقح) من: (لَقَح)، يقال: لقحت الريح: إذا حملت الماء إلى السحاب.

واعلم: أنَّ الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح الأربعة لِخدمة المطر؛ فريح الصَّبا تثير السحاب من ثمر شجرة في الجنة، ورِيح الشمال تَجمعه، وريح الدَّبُور تُفرِّقه، والجنوب تُدِرُّه.

قوله: (تلقح السحاب) أي: تمجُّ الماء فيه.

قوله: (السحابِ) أي: فالمراد بالسماء: كلُّ ما علا وارتفع، ويَصح أن يراد بالسماء حقيقتها؛ لأنَّ أصل ماء المطر من السماء.

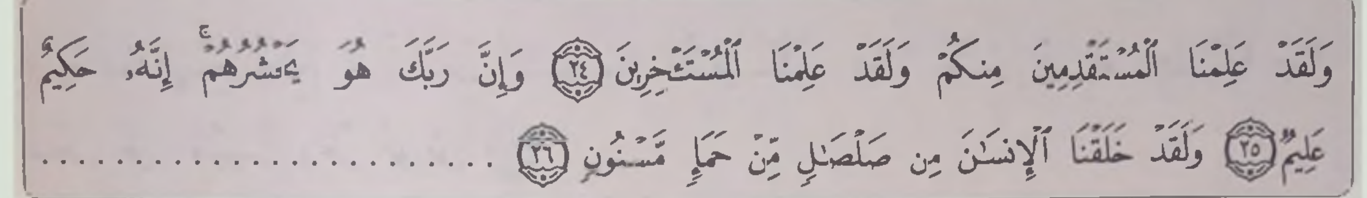
قوله: (﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ﴾) الكاف: مفعول أول، والهاء: مفعول ثان، والمعنى: جَعلناه سقياً لكم ولأرضكم ومَواشيكم.

قوله: (أي: ليست خزائنه بأيديكم) أي: بل خَزائنه عند الله، فهو من مَشمولات قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١].

قوله: (﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ﴾) أي: جميع الخلق، و(إنَّ): حرف توكيد ونصب، و(نا): اسمها، وجملة ﴿نُحْىِۦ﴾: خبرها، وقوله: ﴿لَنَحْنُ﴾: ضمير منفصل توكيد لـ(نا)، لا ضمير فصل؛ لما تقدَّم أنه مردودٌ بأنَّ ضمير الفصل لا يَقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك[1].

قوله: (﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾) الوارثُ في الأصل هو: الذي يأخذ المال بعد موت مُورِّثه، ثمَّ أطلق

(١) ولعل المفسِّر رحمه الله تبع الجرجانيَّ ومن وافقه في تجويز وقوع ضمير الفصل قبل الفعل. انظر «مغني اللبيب» (ص٦٤٢).



﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: مَن تَقَدَّمَ مِن الخَلقِ مِن لَدُن آدمَ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: المُتأخِّرين إلى يومِ القِيامة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِه.

(٢٦ - ٢٧) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: آدمَ ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طِينٍ يابِسٍ يُسمَعُ لَه صَلصَلةٌ إذا نُقِر، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: طِين أسودَ ﴿مَّسْنُونٍ﴾: مُتغيِّر، ....

حاشية الصاوي

الإرث وأُريد لازمه وهو البقاء بعد فَناء غيره؛ فإنه يلزم من أخذ الوارث مال المورِّث بَقاؤه بعد موت صاحبه، فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخَلق، بمعنى: أنه يبقى بعد فنائهم.

قوله: (﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾) أي: علماً تفصيليًّا، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

قوله: (المتأخِّرين) أشار بذلك إلى أنَّ السين والتاء في (المستقدمين) و(المستأخرين) زائدتان، والمعنى: أنَّ عِلمه محيطٌ بجميع خَلقه، مُستقدمهم ومتأخرهم، طائعهم وعاصيهم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوال خَلقه.

قوله: (﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾) أي: يَجمعهم للحساب، ثمَّ بعد ذلك يَنقسمون فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السَّعير.

قوله: (﴿مِن صَلْصَالٍ﴾) الصلصال بمعنى: المصلصِل؛ كالزلزال بمعنى: المزلزل، ووَزنه (فعلال) بتكرار اللام، فقُلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة.

والصلصال: طورٌ رابعٌ من أطوار آدم الطينيَّة؛ لأنه أولاً كان تراباً، ثم عُجن بأنواع المياه فصار طيناً، ثمَّ ترك حتى أنتن واسودَّ فصار حَمأً مسنوناً، ثمَّ يَبِس بعد تصويره فصار صَلصالاً، ثم نفخ فيه الروح بعد مئة وعشرين سنة؛ أربعين وهو طِين، وأربعين وهو حمأ مسنون، وأربعين وهو صلصال مُصوَّر، وهكذا أطوار أولاد آدم؛ تمكث النطفة في الرحم أربعين يوماً، ثمَّ تصير عَلقة مثل ذلك، ثم تصير مُضغة مثل ذلك، ثم تنفخ فيه الروح بعد مئة وعشرين يوماً.

قوله: (متغيِّر) أي: من طول مُكثه حتى يتخمَّر.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ . . . .

﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجِنِّ وهو إبلِيسُ، ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ خَلقِ آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ هيَ نارٌ لا دُخانَ لَها تَنفُذ مِن المَسامِّ.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أتمَمتُهُ ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجرَيتُ ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصارَ حَيًّا، وإضافةُ الرُّوح إلَيه تَشرِيف لِآدمَ، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّة بِالانحناءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أبا الجن، وهو إبليس) هذا أحد قولين، وقيل: هو أبو الشياطين فِرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد، والجان هو أبو الجِن، وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة: آدم وهو أبو البشر، وإبليس وهو أبو الشياطين، والجانُّ وهو أبو الجن، وعلى ما مشى عليه المفسِّر يكونان أصلَين فقط: آدم، وإبليس.

قوله: (هي نارٌ لا دخان لها) أي: ومنها تكون الصَّواعق.

قوله: (تنفذ في المسام) أي: تَدخل منها؛ لِلُطف المسام وشِدة حرارة النار، فإذا دخلت في الإنسان.. قتَلته.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾) (إذ): ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر).

قوله: (﴿مِن صَلْصَالٍ﴾) ﴿مِن﴾: لابتداء الغاية.

قوله: (﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾) أي: صوَّرته إنساناً كاملاً معتدلَ الأعضاء والطبائع.

قوله: (﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾) أي: أفضتُ عليه روحاً من الأرواح التي خلقتها، فصار بها حيًّا، وليس المراد: النفخ حقيقة؛ لاستحالته على الله.

قوله: (وإضافة «الروح» إليه) أي: كما يقال: بيتُ الله، وناقة الله.

قوله: (﴿فَقَعُوا﴾) الفاء: واقعة في جواب (إذا)، و(قَعوا): فعل أمر من: وَقع يَقَع؛ بمعنى: سقط وخرَّ.

قوله: (بالانحناء) أي: لا بوضع الجبهة، وهذا أحدُ قولين، وقيل: المراد: بالسجود حقيقتُهُ، وآدم كالقبلة، والسجود لله، أو يقال: إنَّ السجود لِذات آدم، وقولهم: السجودُ لغير الله كفرٌ.. محلُّه: في غير ما أمر الله به، وأمَّا في مثل هذا.. فالكُفر في المخالفة.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢﴾ ....

(٣٠ - ٣١) ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ـ فيه تأكيدانِ ـ، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبُو الجِنِّ كان بينَ المَلائِكة ﴿أَبَىٰٓ﴾: امتنَعَ مِن ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

(٣٢) ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾: ما مَنعَك ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا﴾ ـ زائدة ـ ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تأكيدان) أي: للمبالغة وزيادةِ الاعتناء؛ فبالتأكيد الأول اندفع توهُّم المجاز، وبالثاني استُفيد أنهم سجدوا جملةً واحدةً[1].

قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى صِحة الاستثناء، ثمَّ هو يحتمل أن يكون منقطعاً؛ لأنه لم يكن منهم حقيقة، أو مُتصلاً باعتبار أنه كان متصفاً بصفاتهم[2]، وقيل: إنه مِنهم[3]، والتحقيق: خلافه.

قوله: (﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾) استئناف مبيِّن لِكيفية عدم السجود.

قوله: (﴿قَالَ﴾ تعالى) إن قلتَ: إنَّ مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرفٌ وتعظيمٌ وإبليسُ ليس من أهل ذلك؟!

أجيب: بأنَّ محلَّ كونها شرفاً: إن كانت على سبيل الإكرام، وأما كلام الله لإبليس.. فهو على سَبيل الإهانة والطرد، فلم يكن تشريفاً.

قوله: (ما منعك... إلخ) حمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا

---

(١) (أجمعون) تفيد الاجتماع في الوقت إذا كانت مع (كل)، أما بدونها.. فتُفيد التأكيد المجرد، وهو ألا يخرج أحد من الفعل، فلم يكن الاجتماع في وقت واحد، بل الاجتماع في الفعل. أفاده بعض الحواشي عن الشيخ عبد القاهر. «فتوحات» (٣/ ٦١٤).

(٢) لأنه كان جنيًّا واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم، فغُلِّبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾، ثم استثني منهم استثناءَ واحد منهم. انظر «الكشاف» (١/ ١٥٦).

(٣) وبه قال جماعة من العلماء كالبغوي والواحدي والبيضاوي، كذا نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٤١) عن الكرخي في «حاشيته على الجلالين».

قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ....

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾: لا يَنبغِي لي أن أسجُدَ ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: مِن الجَنَّة، وقِيل: مِن السَّماواتِ، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطرُود، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزاءِ.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناسُ، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: وقتِ النَّفخةِ الأُولى.

حاشية الصاوي

﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ ولذا قال: («لا»: زائدة)، ويصح أن تكون غير زائدة، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبت لك في عدم كَونك مع الساجدين؟!

قوله: (لا ينبغي) أي: لا يصح ولا يَليق.

قوله: (﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ﴾... إلخ) أي: وخَلقتني من نار، فأنا خيرٌ منه؛ لأنَّ النار: جسمٌ لطيفٌ نورانيٌّ، والصلصال: جسمٌ كثيف ظُلماني، والنوراني خيرٌ من الظلماني، هذا وجه تكبُّره عن السجود وادِّعائه الخيريَّة، وهي مَردودةٌ: بأنَّ آدم مركبٌ من العَناصر الأربع، بخلاف إبليس، وأيضاً: فالفضل بيد الله يُعطيه لمن يشاء.

قوله: (وقيل: من السماوات) وهذا الخلاف مرتبٌ على الخلاف في أنَّ السجود لآدم هل كان في الجنة أو خارجَها؟ فمَن قال بالأول.. جعل الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائداً على الجنة، ومن قال بالثاني.. جعله عائداً على السماوات.

قوله: (﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾) أي: مرجوم، والرَّجم كما في «القاموس»: اللعن والشَّتم والطَّرد والهجران[1].

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾) أي: وبعد ذلك يَزداد عذاباً على اللعنة التي هو فيها.

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾) قَصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبداً؛ لأنه إذا أمهل إلى يوم

---

(١) «القاموس المحيط» (١/ ١١١١)، مادة: (الرجم).

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ....

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي: بإغوائك لِي، - والباء لِلقَسَم، وجَوابُه -: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ المعاصيَ ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِين.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ أي: المُؤمِنِين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: قُوَّة، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: الكافِرين.

حاشية الصاوي

البعث الذي هو يوم النفخة الثانية.. فقد أُمهل إلى الأبد؛ لانقِطاع الموت حينئذٍ، وقصد أيضاً: الفسحة في الأجل؛ لأجل الإغواء، فأجابَه الله إلى الثانية دون الأُولى.

قوله: (وقت النفخة الأولى) أي: فيموت في جملة الخلائق، ثم يُبعَث مع الناس، فمدَّة موته أربعون سنة، ولم يكن هذا الإمهالُ إكراماً له، بل إهانة وشَقاوة؛ ليزداد عذاباً.

قوله: (والباء: للقسم) وقيل: للسببيَّة.

قوله: (﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾) الضمير عائدٌ على أولاد آدم وإن لم يَتقدَّم لهم ذكرٌ؛ لِلعلم بهم.

قوله: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾) أي: الذين أَخلصوا في أعمالهم؛ فلا تَسلُّط لي عليهم.

قوله: (﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾) أي: هذا دينٌ مستقيمٌ لا اعوِجاج فيه؛ فعليَّ حفظه تفضُّلاً وإحساناً.

قوله: (﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾) حاصل ذلك: أنَّ إبليس لما قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.. أوهَم بذلك أنَّ له سلطاناً على غير المخلصين، فبيَّن تعالى أنه ليس له سلطانٌ على أحدٍ من العباد؛ لا من المخلَصين، ولا من غيرهم، بل من اتَّبعه.. فهو مِنْ طَرْدِ الله له، لا من سَلطنة إبليس، ويؤيِّده قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ ....

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: مَن اتَّبَعك معَك، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: أطباقٍ ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ مِنها ﴿مِّنْهُمْ جُزْءٌ﴾: نَصِيبٌ ﴿مَّقْسُومٌ﴾.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجرِي فيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾) أي: وأعلاها جَهنم وهي لِعُصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سَقر للمجوس، ثم الجحيم لِعُبّاد الوثن، ثم الهاوية لِلمنافقين.

قوله: (﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾) أي: طَبقة من أطباقها.

قوله: (﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾) أي: حزبٌ مُعَدٌّ لها.

قوله: (﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾) أي: الذين اتَّقوا الشرك وهم المؤمنون ولو عصاةً؛ لأنَّ المتقيَ هو الآتي بالتقوى ولو مرَّة واحدة، غير أنَّ العاصيَ إذا مات مُصِرًّا على المعاصي.. تحت المشيئة؛ إن شاء الله.. عذَّبه مُدَّة، ثمَّ يعفو عنه بشفاعة النبي ﷺ، وإن شاء.. لم يُعذِّبه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقال أبو هاشم الجبائي وجمهور المعتزلة: إنَّ المتقين هم: الذين اتَّقوا جميع المعاصي فلا يثبت دخول الجنة إلا لمن تَرك جميع المعاصي، وهذا مذهبٌ باطلٌ؛ لِمُخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والذي يجب الإيمان به: أنَّ الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو صحبها أمثالُ الجبال من المعاصي، غير أنَّ أهل الجنة مَراتب.

قوله: (﴿وَعُيُونٍ﴾) يحتمل أن المراد بها: الأنهار التي قال الله فيها: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ [محمد: ١٥] الآية، ويحتمل أن يكون زِيادة عليها، وهل كلُّ مؤمنٍ له عِدَّة بساتين وعدة أنهار أو كلٌّ له بُستان ونهر؛ لمقابلة الجمع بالجَمع؟[1]

(١) عبارة الإمام الرازي في السؤال وجوابه: (فإن قيل: أتقولون إنَّ كل واحد من المتقين يختصُّ بعيونٍ، أو تجري تلك العيون من بعض إلى بعض؟ قيل: لا يمتنع كل واحد من الوجهين؛ فيجوز أن يختصَّ كلُّ أحدٍ بعينٍ، وينتفع به كلُّ من في خدمته من الحُور والولدان، ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسَب شهواتهم، ويحتمل أن يكون يجري من بعضهم إلى بعض؛ لأنهم مُطهَّرون عن الحقد والحَسد). انظر «مفاتيح الغيب» (١٩/ ١٤٧).

ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ....

ويُقالُ لَهُم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالِمِينَ مِن كُلِّ مَخُوفٍ، أو مع سَلام، أي: سَلِّمُوا وادخُلُوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن كُلِّ فَزَع.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾: حِقدٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم) أي: إذا أرادوا الانتقال من محلٍّ إلى آخر، وإلَّا.. فهم مُستقرُّون فيها، فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة، أو الله تعالى.

قوله: (﴿بِسَلَٰمٍ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو في ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ أي: ادخُلوها حال كونكم مصحوبِين بسلامة من الله من جميع المخاوِف والمكاره، وهذا على المعنى الأول الذي ذكره المفسِّر، ويقال على المعنى الثاني: ادخلوها مصحوبِين بسلامٍ من بعضكم لِبَعض ومن الملائكة؛ أي: يُسلِّم بعضكم على بعض، وتسلِّم الملائكة عليكم.

قوله: (أي: سلِّموا) تفسيرٌ للمعنى الثاني.

قوله: (﴿ءَامِنِينَ﴾) قدَّر المفسِّر (ادخلوا)؛ إشارةً إلى أنه حال ثانية، وهي مُرادِفة للأولى، ولا حاجة لهذا التقدير[1].

قوله: (من كل فزع) أي: ومنه زوالُ ما هُم فيه من النَّعيم المقيم، وقوله: ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ زيادة في سرور أهل الجنة؛ لأنَّ النعيم إذا لُوحظ فيه عدم الانقطاع.. كان في غاية السرور، ولا شكَّ أنَّ الجنة كذلك، بخلاف الدنيا؛ فإنَّ نَعيمها ملاحظٌ فيه الانقطاع عند حُصوله؛ فلِذلك كانت دارَ همٍّ وغمٍّ.

قوله: (﴿مِّنۡ غِلٍّ﴾) الغِلُّ هو: أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء. روي: (أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفةً، فيقتصُّ بعضهم من بَعض، ثم يُؤمر بهم إلى الجنة وقد نقَّى الله قلوبَهُم من الغلِّ والغشِّ والحِقد والحسد)[2]، فهم يحبُّون بعضهم بحبِّهم لربِّهم، وشأنُ المحبِّ ألَّا يكون لمحبوبه غِلٌّ في قلبه، بل بينَهم الصفاء والوفاء.

(١) للتصريح به في الآية، فكان عليه أن يُعربه ـ أي: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ـ حالاً من الواو في ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾. «فتوحات» (٢/ ٥٧٤) نقلاً عن شيخه العلَّامة الأجهوري.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ....

﴿إِخْوَٰنًا﴾ ـ حال مِن (هم) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ ـ حال أيضاً ـ أي: لا ينظُرُ بَعضهم إلى قَفا بعضٍ لِدَوَرانِ الأسِرَّة بِهم، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تَعَب، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبداً.

(﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾) ﴿نَبِّئْ﴾ خَبِّر يا مُحمَّد ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ﴾ لِلمُؤمِنين، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال من «هم») أي: من ضمير ﴿صُدُورِهِم﴾ المضاف إليه، والشرط موجودٌ؛ لأنَّ المضاف جزءُ المضاف إليه، والمعنى: نزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ حال كونهم متآخِين في المودَّة والمحبَّة.

قوله: (﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾) جمع سَرير، وهو ـ كما قال ابن عباس ـ من ذهب مُكلَّل بالزبرجد والدُّرِّ والياقوت، والسرير مثل ما بين صَنعاء إلى الجابية[1].

قوله: (حال أيضاً) أي: من الضمير في ﴿إِخْوَٰنًا﴾[2].

قوله: (لدوران الأسرَّة بهم) أي: إنهم إذا اجتمعوا وتلاقَوا ثم أرادوا الانصراف.. يَدور سريرُ كلِّ واحدٍ منهم؛ بحيث يبقى مقابلاً بوجهه لمن كان عِنده، وقَفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير، وهذا أبلَغ في الأنس والإكرام.

قوله: (﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾) أي: إعياء، بخلاف الدنيا؛ ففِيها الإعياء والتعب، والكَدرات والمشقَّات.

قوله: (﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾) أي: بل هم خالِدون فيها، لا يَزولون ولا يحولون؛ فالجنة خلودٌ بلا زوالٍ، وبقاءٌ بلا فناءٍ، وكمالٌ بلا نُقصانٍ.

قوله: (﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾.. إلخ) أي: أخبر يا محمد عبادِيَ المؤمنين العاصين بأني أنا الغفور

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٣٦).

(٢) ويجوز أن يتعلَّق بمحذوفٍ على أنه صفةٌ لـ(إخواناً)، ويجوز أن يتعلَّق بـ(متقابلين) أي: متقابلين على سُرُرٍ. انظر «الدر المصون» (٧/ ١٦٣).

وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ....

﴿وَأَنَّ عَذَابِى﴾ لِلعُصاةِ ﴿هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾: المُؤلِم.

﴿٥١﴾ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهم مَلائكةٌ اثنَا عشَرَ أو عَشرةٌ أو ثَلاثة مِنهُم جِبرِيل.

حاشية الصاوي

الرحيم؛ فلا يقنطون من رحمتي، ولا يَخافون عذابي، وهذا من الله تعطُّفٌ لعباده، واستِجلابهم للتوبة، وقد أكَّد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة: أولها: ﴿أَنِّىٓ﴾، وثانيها: ﴿أَنَا﴾، وثالثها: تعريف الجملة بـ(أل)، ولما ذكر العذاب.. لم يقُل: وأني أنا المعذِّب، وهذا يدل على أن الرحمة تَغلب الغضب؛ فلا يستبعد العاصي رحمة الله، بل يُقبل على سيِّده بالتوبة والإنابة؛ فإنه هو الغفور الرحيم، فمتى كان في العبد أوصافٌ مُتعدِّدةٌ تَقتضي الغضب ووصفٌ واحدٌ يقتضي الرحمة.. فإنَّ وصف الرحمة يَغلب.

قوله: (﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾) أتى بهذه الآية؛ لمناسبة ذكر النار أوَّلاً؛ فقد ذكر النار والجنة، ثم ذكر ما يُناسب كلًّا على سبيل اللَّف والنشر المشوَّش، واستُفيد من هذه الآية: أن العبد يكون بين الرجاء والخوف؛ ففي الحديث عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: بلَغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو يَعلَم العبد قدر عَفوِ الله.. ما تورَّع عن حرامٍ، ولو يَعلَم قَدر عذابه.. لجمع نفسَه إلى قتله**»[1]، وعنه ﷺ: أنه مرَّ بنفر من أصحابه وهم يَضحكون، فقال: «**أتضحَكون وبين أيديكم النار؟! فنَزل** ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ...﴾»[2].

قوله: (﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾) معطوف على قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ...﴾ إلخ، والمعنى: وأخبر عِبادي عن قصة ضُيوف إبراهيم... إلخ.

واعلم: أنه في السورة أثبت نبوَّة سيدنا محمد ﷺ أوَّلاً، ثم أتبع ذلك بذكر أدلَّة التوحيد، ثم خلق آدم وما يتعلق به، ثم بيَّن أهل السعادة وأهل الشقاوة، ثم أتبع ذلك بذكر قِصَص بعض الأنبياء؛ ليكونَ عبرةً للمعتبِرين، وأوقعَ في نفس المتَّعظين، وقد ذكر هنا أربع قصص: قِصة إبراهيم،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٥)، وفيه: (لبخع نفسه) بدل (لجمع نفسه). وفي «القاموس» (١/ ٧٠٢): (بخع نفسه: قتلها غمًّا).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٠٤)، والبزار في «مسنده» (٦/ ١٧٤) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى ....

﴿٥٢﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: هذا اللَّفظَ، ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ لمَّا عَرَضَ عليهِم الأكلَ فلم يَأْكُلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائِفُون.

﴿٥٣﴾ ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾: تَخَفْ ﴿إِنَّا﴾ رُسُلُ رَبِّك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾: ذِي عِلمٍ كَثِيرٍ هو إسحاقُ كما ذُكِرَ في سُورة (هُود).

﴿٥٤﴾ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى﴾ بِالوَلَدِ ....

حاشية الصاوي

ثم قصة لوط، ثم قصة شعيب، ثم صالح على سبيل الاختصار، وقد تَقدَّمت في سورة (هود) بأبسط مما هنا.

قوله: (﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾) الضيف في الأصل: الميل، سمِّي النازل للقِرَى بذلك؛ لِمَيله إليك، ونُزوله عندك، وهو مصدرٌ يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث، وقد يُجمع ويثنَّى.

قوله: (منهم جبريل) أي: على كلٍّ من الأقوال الثلاثة.

قوله: (﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾) ﴿إِذْ﴾: ظرف معمول لمحذوف تقديره: اذكر.

قوله: (أي: هذا اللفظ) أي: لفظ ﴿سَلَـٰمًا﴾، وهو مفعول مُطلق لفعل محذوف تقديره: سلَّمنا عليك سلاماً، أو سلَّم الله عليك سلاماً، ولم يَذكر هنا ردَّ السلام، ولا بَقيَّة القصة؛ اختصاراً.

قوله: (﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾) تقدَّم سبب خَوفه منهم: أنه رأى فيهم جلالَ الله وهيبَتَهُ.

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾) قرأ السَّبعة بفتح التاء والجيم، وفِعله (وَجِل) كـ(عَلِم)، وقرئ شذوذاً بالبناء للمفعول، و(لا تَأجل) بقلب الواو ألفاً، و(لا تؤاجِل) بضمِّ التاء وزيادة ألف بعد الواو؛ فالقراءات الشاذَّة ثلاث[1].

قوله: (﴿أَبَشَّرْتُمُونِى﴾) هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور، وقُرئ شذوذاً بحذفها؛ فيحتمل الإخبار، والاستفهام وحُذفت أداته لِلعلم بها[2].

---

(١) انظر «المحتسب في تبيين وُجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (٢/ ٤)، و«الدر المصون» (٧/ ١٦٤).

(٢) وبها قرأ الأعرج. انظر «الدر المصون» (٧/ ١٦٥).

عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ ....

﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ ـ حال ـ أي: مع مَسِّه إيايَ؟ ﴿فَبِمَ﴾: فبأيِّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ ـ استِفهام تَعجب ـ.

﴿٥٥﴾ ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدقِ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾: الآيِسين.

﴿٥٦﴾ ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَقۡنِطُ﴾ ـ بِكَسرِ النُّون وفتحِها ـ ﴿مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: الكافِرُون.

(﴿٥٧﴾ - ﴿٦٠﴾) ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾: شَأنُكُم ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾: كافِرين، أي: قَومِ لُوط لِإهلاكِهِم، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾) أي: فكان عمرُه إذ ذاك مئة واثنتي عشرة سنة.

قوله: (﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلِّق بـ﴿تُبَشِّرُونَ﴾، وقدِّم؛ لأنَّ الاستفهام له صَدر الكلام.

قوله: (استفهام تعجب) أي: مَن أن يكون له ولدٌ مع مسِّ الكبر إيَّاه، وتعجب بالنظر لِلعادة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى؛ ولِذا دفع ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

قوله: (﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾) أي: اليقينِ الذي لا لُبسَ فيه.

قوله: (أي: لا يقنط) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (بكسر النون وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وقُرئ شذوذاً بضمِّ النون[1].

قوله: (﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾) أي: الذي أُرسلتم لأجله سوى البشارة؛ فإنَّ البشارة يكفي فيها واحد، فلا تحتاج لِعدد.

قوله: (﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾) يحتمل أن يكون مستثنًى من الإرسال، والمعنى: إنا أُرسِلنا إلى قومٍ

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها، وقرأ زيد بن علي والأشهب بضمها. انظر «الدر المصون» (١٦٦/٧).

إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ....

لِإيمانِهِم، ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذاب لِكُفرِها.

(٦١ - ٦٢) ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوطاً ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرِفُكُم.

(٦٣ - ٦٤) ﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ﴾ أي: قومُك ﴿فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: يَشُكُّونَ وهو العَذاب. ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قَولِنا.

حاشية الصاوي

مجرِمين إلا آل لوط فلم نُرسَل لهلاكهم، بل أُرسلنا لنجاتهم، وحينئذٍ: يكون الاستثناء متصلاً، أو مستثنى من ﴿قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ فهو منقطع؛ لأنهم لم يَدخلوا في القوم المجرمين، ويُشير للثاني قول المفسِّر: (لإيمانهم).

قوله: (﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾) الأقربُ: أنه مستثنًى من ضمير (مُنجُوهُم).

قوله: (﴿قَدَّرۡنَآ﴾) إسناد التقدير للملائكة مجازٌ؛ إذ المقدِّر حقيقة هو الله تعالى، وهذا كما يقول خَواصُّ الملِكِ: أَمَرْنا بكذا، والآمر هو الملِكُ.

قوله: (الباقين في العذاب) أي: فيُقال: غبَر الشيء: بقي، ويقال أيضاً: مَضى، فهو من الأضداد.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾) أي: بعد أن خرجُوا من عند إبراهيم وسافروا لِقرية لوط، وكان بينهما أربعة فراسخ.

قوله: (أي: لوطاً) أشار بذلك إلى أن لفظة ﴿ءَالَ﴾ زائدة؛ بدليل الآية الأخرى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا﴾ [هود: ٧٧].

قوله: (﴿مُّنكَرُونَ﴾) أي: تُنكركم نفسي وتجزع منكم، وإنما جزع منهم؛ لِخوفه من قومه عليهم؛ بدليل آية (هود): ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هود: ٧٧].

قوله: (﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾) الباء للملابسة؛ أي: مُلتبسين بالحق.

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ....

(٦٥) ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾: امشِ خلفَهم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لِئلَّا يَرَى عَظِيم ما يَنزلُ بِهم، ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشامُ.

(٦٦) ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ ـ حال ـ أي: يَتِمُّ استِئصالُهُم في الصَّباح.

(٦٧) ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: مَدِينةِ سَدُوم، وهُم قَوم لُوط لَمَّا أُخبِرُوا أنَّ في بَيت لُوط مُرْداً حِساناً وهم المَلائكةُ، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ـ حال ـ طَمَعاً في فِعل الفاحِشة بِهِم.

(٦٨ - ٦٩) ﴿قَالَ﴾ لُوط: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾) أي: وهم بِنتاه، فلم يخرج من قريته إلا هو وبِنْتاه.

قوله: (﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾) أي: في جزء منه.

قوله: (امش خلفهم) أي: لِتطمئنَّ عليهم.

قوله: (لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم) أي: فينزعج من ذلك.

قوله: (وهو الشام) أي: فطوى الله لهم الأرض في الوقت حتى نجَوا ووصلوا إلى إبراهيم.

قوله: (أوحينا) أشار بذلك إلى أنَّ (قضينا) ضمِّن معنى (أوحينا) فعدِّي بما تعدَّى به.

قوله: (﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾) الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فإنَّ هذا المجيء قبل إعلام الملائكة له بأنهم رُسل الله، فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعي، بخلافها في (هود).

قوله: (مدينة سذوم) بالسين المهملة والذال المعجمة، وأخطأ من قال: بالمهملة.

قوله: (﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾) أي: يُبشِّر بعضهم بعضاً بأضياف لوط، وتقدَّم: أنَّ المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط.

قوله: (﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾) أي: لا تسيئوني فيهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ....﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بِقَصدِكُم إِيَّاهُم بِفِعلِ الفاحِشة بِهِم.

(٧٠) - (٧١) ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتِهم؟ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تُرِيدُون مِن قَضاء الشَّهوة فتزوَّجُوهُنَّ، قال تعالى:

(٧٢) ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خِطاب لِلنَّبِيِّ ﷺ أي: وحَياتِك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدُون.

(٧٣) - (٧٤) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صَيحةُ جِبرِيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾: وقتَ شُرُوقِ الشَّمس، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي: قُراهُم ﴿سَافِلَهَا﴾ بِأن رَفعَها جِبرِيلُ إلى السَّماء وأَسقَطها مَقلُوبةً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾) أي: خافوا عِقابه.

قوله: (﴿الْعَالَمِينَ﴾) أي: عن تضييف أحدٍ من الغرباء، وكانوا يَمنعونه من مخالطة الناس وإضافتهم؛ خوفاً من أن يؤلفهم ويَستعين بهم عليهم.

قوله: (فتزوَّجوهنَّ) أي: إن أَسلمتم، ويحتمل أنه كان في شريعته يحلُّ تزوج الكافر بالمسلمة، وتقدَّم في (هود): أنه يحتمل أن المراد: نِساء أُمته.

قوله: (﴿لَعَمْرُكَ﴾) بفتح العين: لغة في العُمُر بضمَّتين، وهو: مُدَّة حياة الإنسان في الدنيا، ولكن لم يَرِد القسم في كلام العرب إلا بالفتح.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ﴾) أي: قوم لوط، وقيل: المراد: قريش، وعلى كلِّ حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط.

قوله: (أي: وقت شروق الشمس) أي: طُلوعها، وهذا بيانٌ لانتهاء العذاب، وابتداؤه كان وقت الصباح.

قوله: (﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾) أي: وجه الأرض وما عليه.

قوله: (أي: قراهم) أي: وكانت أربعة، فيها أربع مئة ألف مقاتل، وقيل: خمسة، وفيها أربعة آلاف ألف.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ....

إلى الأرضِ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ طُبِخَ بالنار.

(٧٥ - ٧٦) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَاتٍ﴾: دَلالاتٍ على وَحدانِيَّة الله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: لِلنَّاظِرِين المُعتَبِرِين، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: قُرَى قَومِ لُوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: طَرِيقِ قُرَيش إلى الشَّام لَم تَندَرِس، أفلا يَعتَبِرُون بِهم؟

(٧٧ - ٧٨) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لَعِبرةً ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: إنَّهُ ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غَيضَة شَجَر بِقُربِ مَديَن وهُم قَومُ شُعَيب ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾) تقدَّم في (هود): أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائباً عن القرى، ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم[1].

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور) أي: مِن قصة إبراهيم ولوط.

قوله: (﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾) أي: المتفكرين الذين يتأمَّلون في الشيء فيَعرفون حقيقته.

قوله: (لم تندرس) أي: آثارهم.

قوله: (لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾) خصُّوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: (﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾) شروعٌ في ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة، وذكرت هنا مختَصرة، وسيأتي بسطها في سورة (الشعراء)[2].

قوله: (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن، و﴿كَانَ﴾: ناقصة، و﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: اسمها، و﴿لَظَالِمِينَ﴾: خبرها، واللام: للتوكيد، والجملة خبر (إنْ).

قوله: (هي غيضة) شَجر الغيضة في الأصل: اسمٌ للشجر الملتفّ، والمراد بها هنا: المكان الذي فيه الشجر الكثير، ونُسبوا لها؛ لملازمتهم لها وإقامتهم عندها، وكان عامَّة شجرهم المُقْل؛ أي: الدَّوْم.

(١) انظر (٣/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٢) انظر (٥/ ٤٤-٤٧).

لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ....

﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بتكذيبِهم شُعَيباً.

﴿٧٩﴾ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلَكناهُم بِشِدَّةِ الحَرِّ، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قُرى قوم لُوطٍ والأَيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: واضِح فلا تَعتَبِرُون بِهم يا أهلَ مكَّة.

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: وادٍ بَين المَدِينةِ والشَّام وهُم ثَمُود ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بِتكذِيبِهم صالِحاً؛ لِأنَّه تكذِيب لِباقِي الرُّسُل؛ لِاشتِراكِهم في المَجِيء بِالتَّوحِيد.

(﴿٨١﴾ - ﴿٨٣﴾) ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ في النَّاقةِ ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يَتفكَّرُون فيها،

حاشية الصاوي

قوله: (بتكذيبهم شعيباً) أي: وبَخسهم الكيل والميزان، وقَطعهم الطريق.

قوله: (بشدة الحرِّ) أي: فسلَّطها الله عليهم سبعة أيام حتى قربُوا من الهلاك، فبعث الله لهم سحابة كالظلة، فالتجؤوا إليها واجتَمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها ناراً، فأحرقهم جميعاً، فإهلاكهم أولاً بشدة الحرِّ، وثمَّ بالظلة، وأما أهل مَدين.. فأُهلكوا بالصيحة كما تقدَّم في سورة (هود) من أنه أرسل لأهل مَدين ولأصحاب الأيكة.

قوله: (طريق ﴿مُّبِينٍ﴾) أي: ويسمَّى الطريق إماماً؛ لأنه يُؤمُّ ويتَّبع؛ لأنَّ الإنسان إذا أراد الانتقال من موضع لآخر.. فإنه يأتمُّ بالطريق حتى يَصل إلى الموضع الذي يُريده.

قوله: (﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾) شروعٌ في قصَّة صالح.

قوله: (وادٍ بين المدينة والشام) أي: وآثاره باقية يمرُّ عليها الذاهب من الشام للحجاز.

قوله: (لأنه تكذيب لباقي الرسل) جوابٌ عمَّا يقال: لم جمع (المرسلين) مع أنهم لم يُكذبوا إلا رسولاً واحداً؟

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ﴾) أضاف الإيتاء لهم وإن كان لصالح؛ لأنه مُرسلٌ لهم.

قوله: (في الناقة) أشار بذلك إلى أنَّ الناقة وإن كانت آيةً واحدةً إلا أنها اشتَملت على آيات كخروجها من الصخرة، وعِظَم جثتها، وغزارة لبنها، ووِلادتها فصيلاً قَدْرَها.

قوله: (لا يتفكرون) أي: لا يتأمَّلون ولا يَنظرون.

وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصَّباح.

﴿٨٤﴾ ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾: دَفَعَ ﴿عَنْهُم﴾ العَذابَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن بِناء الحُصُونِ وجَمعِ الأموالِ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ﴾ لا مَحالةَ فيُجازَى كُلُّ أحَدٍ بِعَمَلِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾) أي: يَنقرون الجبال بالمعاويل حتى تصير بيوتاً من غير بنيان.

قوله: (﴿ءَامِنِينَ﴾) أي: من وصول اللُّصوص لهم، ومن تخريب الأعداء لِبُيوتهم؛ لشدَّة إتقانها.

قوله: (﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾) أي: من السماء، والزلزلة من الأرض لما عَقروا الناقة، وتقدَّم في (هود): أن صالحاً قال لهم قبل نزول العذاب بهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ﴾ [هود: ٦٥][1].

قوله: (وقت الصباح) أي: بعد مُضي الثلاثة الأيام.

قوله: (﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾) ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو مَصدرية، أو نكرة موصوفة، فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾، والتقدير: الذي كانوا يكسبونه، أو كسبُهم، أو شيء يكسبونه.

قوله: (من بناء الحصون... إلخ) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) أي: إلا خلقاً مُلتبساً بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد، ودلائل على وحدانيَّة الله.

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾) أي: القيامة.

قوله: (فيجازي كلَّ أحد بعمله) أي: فينتقم من المسيء، ويُنعم على المحسن.

---

(١) انظر (٣/٢٩٨-٢٩٩).

فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي

﴿فَٱصْفَحِ﴾ يا مُحمَّد عن قَومِك ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أعرِضْ عنهُم إعراضاً لا جَزَعَ فِيه، وهذا مَنسُوخٌ بِآيةِ السَّيف.

﴿٨٦﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لِكُلِّ شَيء، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِكُل شيءٍ.

﴿٨٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ قال ﷺ: «**هيَ الفاتِحةُ**» رَواهُ الشَّيخانِ؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا منسوخٌ) أي: قوله: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾، وهو أحدُ قولين، والثاني: أنَّ الآية مُحكمة، ولا ينافي أمره بالقتال؛ فإنَّ المقصود أمره بأن يَصفح عن الخلق الصفح الجميل، ويُعامِلهم بالخلق الحسن؛ فيَعفو عن المسيء، ويُسامح المذنب وإن كان مأموراً بقتال المشركين، فقِتاله للأمر به، لا لهوى نفسه؛ ولذا قال البوصيري[1]: [الخفيف]

ولو أنَّ انتقامَهُ لهوى النَّفْـ ... ـسِ لَدامَتْ قَطيعةٌ وجَفاءُ

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾) سبب نزولها: (أنَّ سبع قوافل أتَت من بصرى وأذرعات في يوم واحد لِيَهود قريظة والنضير، فيها أنواع من البر والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا.. لَتَقربنا بها وأنفقناها في سبيل الله، فنزلت)[2]، والمعنى: قد أعطيتُكم سبع آيات هي خير من سبع قوافل.

إن قلتَ: إنَّ مقتضى ذلك أن تكون الآية مدنيَّة مع أنه تقدَّم أنَّ السورة مكيَّة بإجماع؟

أجيب: بأنه لا مانع أنَّ هذه الآية نزلت مرَّتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة.

قوله: (هي الفاتحة) أي: لأنها سبع آيات؛ فمن عدَّ البسملة آية منها.. تكون الآية الأخيرة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ، ومَن لم يعدَّها آية.. تكون السابعة قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهذا القول هو الراجح، وعليه: فيكون عطف قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ من عطف الكل على الجزء، أو مِن عَطف العام على الخاص، وقيل: المراد بـ(السبع المثاني): الحواميم، وقيل: السبع الطِّوال: أولها: (البقرة)، وآخرها: مجموع (الأنفال) مع (براءة)، وقيل: جميع القرآن، وعليه: يكون العطف مرادفاً.

---

(١) كما في قصيدته «الهمزية».

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٥٤١).

وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ....

لأنَّها تُثَنَّى في كُلِّ ركعة، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ لم يُؤمِنُوا، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جانِبَك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ مِن عَذابِ الله أن يَنزِلَ عليكُم، ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: البيِّن الإنذارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (لأنها تُثنى في كل ركعة) أي: تُعاد في كل ركعة، وهذا أحد الوجوه في سبب تسميتها بـ(المثاني)، وقيل: سمِّيت بذلك؛ لأنها مقسومةٌ بين العبد وبين الله نِصفَين؛ فنِصفها الأول ثناء على الله، ونصفها الثاني دعاء، وقيل: لأنَّ كلماتها مُثناة مثل قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخرها، وقيل: لأنها نزلت مرَّتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، معها سبعون ألف ملك.

قوله: (﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾) لا ترغب فيما متَّعنا به أصنافاً من الكُفار؛ فإنه مستحقرٌ، وفي الحديث عن أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أُوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي.. فقد صغَّر عظيماً، وعظَّم صغيراً**»[(١)].

قوله: (﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾) أي: لأجلهم.

قوله: (أَلِنْ جانبك) أي: تواضع لهم وارحمهم؛ كالطائر الذي يَخفض جناحه على أفراخه رحمة بها وشفقة عليها، وقد فعل ﷺ ما أمر به، قال البوصيري في هذا المعنى[(٢)]: [البسيط]

أحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كالليْثِ حلَّ مع الأشبالِ في أجَمِ

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣/ ٦٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٣٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو، وانظر «الفتح السماوي» (٢/ ٧٥٠).

(٢) كما في بردته المشهورة.

كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ....

(﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾) ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ العَذابَ ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ اليَهُود والنَّصارَى ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: كُتُبَهم المُنَزَّلَة علَيهِم ﴿عِضِينَ﴾: أجزاءً، حيثُ آمَنُوا بِبَعضٍ وكَفرُوا بِبَعضٍ، وقِيل: المُراد بِهِم الذينَ اقتَسَمُوا طُرُقَ مكَّة يَصُدُّونَ النَّاس عن الإسلامِ، وقال بَعضُهم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾) الكاف: حرف تشبيهٍ وجرٍّ، و(ما): اسم موصول في محل جرٍّ، والجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير: وقُل إني أنا النذير لَكم بالعذاب كالعذاب الذي أَنزلناه على المقتسِمين، والماضي بمعنى المستقبل؛ إذ الذي نَزل بأهل الكتاب لم يكن واقعاً حين نُزول الآية، بل وقع بعد الهجرة، وكذا ما وقع لِلمُقتسمين طرق مكة لم يكن واقعاً حينئذٍ، بل وَقع يوم بدر.

إن قلتَ: إن العذاب المنذَرَ به يَنبغي تشبيهه بشيءٍ قد وقع؛ لِيَحصل به الاتعاظ.

أُجيب: بأنه سهَّل ذلك تحتُّم نزوله، فكأنه واقعٌ ولا بدَّ، وقد تحقَّق ذلك يوم بدر.

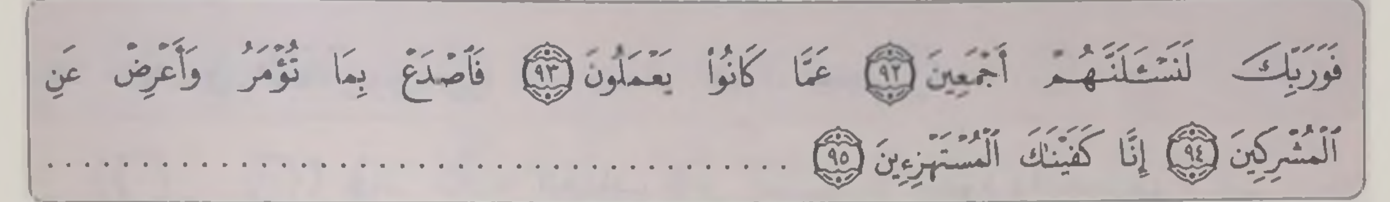
قوله: (اليهود والنصارى) أي: حيث اقتسموا كُتُبهم؛ فآمنوا ببعضها الذي وافق دعواهم، وكفروا بالبعض الذي خالَفه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟﴾) بيان لـ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

قوله: (﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾) المراد به على هذا التفسير: مَعناه اللغوي؛ فحينئذ: صحَّ تفسير المفسِّر له بـ: كتبهم المنزلة عليهم.

قوله: (﴿عِضِينَ﴾) جمع عِضة، وأصلها: قيل: عِضَو، وقيل عِضَه؛ فعلى الأول: يكون من: عضَّى الشاة: إذا جعلها أعضاءً؛ أي: أجزاءً متفرِّقة، وعلى الثاني: يكون من: عضه: إذا كذب، والمعنى: جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، أو جعَلوه أكاذيب.

قوله: (وقيل: المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أي: وهم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسِم، فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفِجاجها، يقولون لمن سَلكها: لا تغترُّوا بهذا الخارج فينا يدَّعي النبوة؛ فإنه مجنونٌ، وربما قالوا: ساحرٌ، وربما قالوا: شاعرٌ، وربما قالوا: كاهنٌ، وسُمُّوا المقتسمين لأنهم اقتَسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شرَّ مِيتةٍ، وكانوا نصبوا الوليد بن


فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ . . . .

في القُرآن: سِحرٌ، وبَعضُهم: كَهانةٌ، وبَعضُهم: شِعر.

(﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤالَ توبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٩٤﴾ ﴿فَٱصْدَعْ﴾ يا مُحمَّد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي: اجهَرْ بِه وأَمضِه، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قبلَ الأمرِ بِالجِهاد.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بِك بِإهلاكِنا كُلًّا مِنهُم بِآفة، . . . .

حاشية الصاوي

المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ.. قال: صدَق أولئك. وما ذكره المفسِّر قولان من سبعة ذكرها القرطبي[1].

قوله: (وقال بعضهم) معطوف على (اقتسموا)؛ فالضمير في (بعضهم) عائدٌ على (الذين اقتَسموا)، وهو إشارةٌ إلى أنَّ المراد بالقرآن على هذا القول: الكتاب المنزل على سيدنا محمد، فجَعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه، فقال بعضهم: سِحرٌ، وبعضهم: كهانةٌ، أو المراد: جَعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به.

قوله: (سؤال توبيخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنه أثبَت سؤالهم هنا ونَفاه في سورة (الرحمن)؛ حيث قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، فحاصل الجواب: أنَّ المنفيَّ هناك سؤالُ الإكرام والاحترام، والمثبَت هنا سؤال التوبيخ والتقريع.

قوله: (﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾) سبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ أوَّل أمره كان يدعو إلى الله مختفياً ويأمر كلَّ مَنْ آمن به بالاختفاء، فلمَّا نزلت هذه الآية.. أظهَر أمرَه وبالغ في إظهاره[2].

قوله: (هذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فتكون الآية منسوخةً، وقيل: ليست منسوخةً، بل هي محكمةٌ، والمعنى: لا تَلتفِت لهم ولا تُبال بهم.

قوله: (﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾) أي: وهم جماعةٌ من قومه كانوا يَسخرون به ويبالغون في إيذائه،

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/٥٨).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٥٤٥).

وهُم الوليدُ بنُ المُغِيرة والعاصي بنُ وائِل وعَدِيُّ بن قَيس والأسوَدُ بن المُطَّلِب والأسوَدُ بنُ عَبد يَغُوث.

حاشية الصاوي

وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة؛ لشدَّة إيذائهم لرسول الله وبُغضهم له، وإلَّا.. فالمستهزئون كثيرٌ كأبي لهب وزوجته وولده وأبي جهل.

قوله: (وهم الوليد بن المغيرة) أي: وقد مرَّ برجلٍ نبَّالٍ وهو يجرُّ إزاره، فتعلَّقت قطعةٌ من النَّبْل بإزار الوليد، فمَنَعه الكِبْرُ أن يُطأطئ رأسه ويَنزعها، فجعلت تَضربه في ساقه، فخَدشته، فمرض منها فمات، وقوله (والعاص بن وائل) خرج على راحلته يتنزَّه، فنزل شعباً، فدخلت شوكةٌ في أخمص رجله، فانتفخت حتى صارت مِثل عُنق البعير، فمات مكانه، وقوله (وعدي بن قيس) الصواب: الحارث بن قيس بن الطلاطلة ـ كما ذكره في «الهمزية» وشراحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير[1] ـ هلَك بأن صار القيح يجري من أنفه وعينه وفمِه حتى مات، وقوله (والأسود بن المطلب) رماه جبريل بورقة خضراء، فذهب بَصره، ووجعت عينه، فجعل يَضرب برأسه الجدار حتى هلك، وقوله: (والأسود بن عبد يغوث) أصابه مرض الاستسقاء، فمات به، وقيل: إن النبيَّ شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام، فكفاه الله شرَّهم، وقد أجاد صاحب «الهمزية» حيث قال في حقِّهم:

[الخفيف]

وكَفَاهُ المستهزئينَ وكَمْ سا	ءَ نبيًّا من قَومِهِ استِهزاءُ
ورَماهُمْ بِدَعوةٍ مِن فِنَاءِ الـ	ـبَيْتِ فِيها لِلظالمينَ فَنَاءُ
خمسةٌ كلُّهم أُصِيبُوا بِداءٍ	والرَّدى من جُنُودِهِ الأدواءُ
فدَهَى الأسوَدَ بنَ مُطَّلِبٍ أيُّ	عَمًى مَيِّتٌ بِهِ الأحياءُ
ودَهى الأسودَ بنَ عبدِ يَغوثٍ	أن سَقاهُ كأسَ الرَّدى استِسقاءُ[2]
وأصابَ الوَليدَ خَدشةُ سَهمٍ	قَصَّرَتْ عنها الحيَّةُ الرَّقطاءُ
وقَضَتْ شوكةٌ على مُهجَةِ العا	صِي فللَّهِ النَّقعةُ الشَّوكاءُ
وعلى الحارثِ القُيُوحُ وقَدْ سا	لَ بها رأسُهُ وساءَ الوِعاءُ

(١) «المنح المكية» (ص٢٣٤)، و«تفسير الخازن» (٣/ ٦٤).

(٢) مرض الاستسقاء: داء خبيث على أنواع، والمراد منها هنا الزِّقي، وهو: امتلاء الأمعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية، المفضي إلى الهلاك عن قرب. وانظر شرح الأبيات في «المنح المكية» (ص٢٣٣).

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿٩٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾ ـ صِفة، وقِيل: مُبتدأ، ولِتَضمُّنِه معنَى الشَّرط دَخلَت الفاءُ في خَبَره وهو: ـ ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقِبةَ أمرِهم.

(﴿٩٧﴾ - ﴿٩٩﴾) ﴿وَلَقَدۡ﴾ ـ لِلتَّحقِيق ـ ﴿نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِن الاستِهزاءِ والتَّكذِيب، ﴿فَسَبِّحۡ﴾ مُلتَبِساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: قُل: سُبحانَ الله وبِحَمدِه، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: المُصَلِّين، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾: المَوتُ.

حاشية الصاوي

خمسةٌ طُهِّرت بِقَطعِهِمُ الأرْ ضُ فكَفُّ الأذى بِهِمْ شَلَّاءُ

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾) أي: يُشركون معه في عبادته غيره.

قوله: (﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾) هذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم.

قوله: (﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾) أي: بِسَبب قولهم وتكلُّمهم في شأنك؛ فإنَّ شأن ذلك يَضيق منه الصدر بحسَب الطبيعة البشريَّة.

قوله: (﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾) أي: فافزَع إلى ربك والتجئ إليه.. يَكْفِكَ ما يهمُّك من أمور الدنيا والآخرة؛ ففي الحديث: «اعمَل لوجه واحد.. يَكْفِيكَ كلَّ الأوجُه»[1].

قوله: (أي: قل: سبحان الله وبحمده) أي: تنزيهاً له عن كلِّ نقصٍ، واتصافاً له بكلِّ كمالٍ.

قوله: (المُصلين) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام فيه مجازٌ؛ مِن: إطلاق الجزء على الكلِّ، وخصَّ السجود بالذِّكر؛ لأنه أشرَف أركانها.

قوله: (﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾) عطف عام على خاص، والمعنى: دُمْ على عِبادته.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾) أي: اعبد ربَّك في جميع زمن حَياتك، ولا تُخْلِ لحظةً من عمرك من غير عبادة؛ فإنَّ العمر ساعة، فاجعله طاعة، وهذا الخطاب وإن كان للنبي إلا أنَّ المراد منه العموم.

قوله: (الموت) أي: وسمِّي يقيناً؛ لأنه متيقَّن الوقوع والنُّزول.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤٩)، والمصنف في «الجامع الصغير» (٢٨٩٤)، وقوله: (يكفيك كل الأوجه) لم يجزمه في جواب الأمر؛ لأنه لم يقصد السببيَّة، بل المراد الاستئناف، كأنه قيل: لم أعمل لوجه واحد؟ قال: لأنه يكفيك.



مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ . . .﴾ إلى آخِرِها، مائةٌ وثمان وعشرون آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ لَمَّا استَبطَأ المُشرِكُون العَذاب نَزل: ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّحْلِ

(مكيَّة) سمِّيت بذلك؛ لِذكر قصة النحل فيها على سَبيل العبرة العظيمة، وتسمَّى أيضاً: سورة النِّعم؛ لكثرة تَعداد النِّعم فيها.

والقصدُ من ذكر هذه السورة: الدلالةُ على اتِّصافه تعالى بكلِّ كمال، وتنزيهه عن كلِّ نقصٍ، وأدلُّ ما فيها على هذا المعنى: أمر النحلة وشأنها في دِقة فهمها، واتخاذها البيت، واختلاف ألوانِ ما يخرج منها، وجَعله شفاءً، مع أكلها من كلِّ الثمرات النافعة والضارَّة، الحُلوة والمرة، وغير ذلك.

قوله: (إلا ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾) أي: فإنها نزَلت بالمدينة في قتل الحمزة[1]، وظاهر المفسِّر: أنه لم يكن فيها مدنيٌّ إلا تلك الآيات، وهو المشهورُ، وقيل: مكيَّةٌ إلا خمسَ آياتٍ؛ هؤلاء الثلاث، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾، وقيل غير ذلك.

قوله: (لما استبطأ المشركون العذاب... إلخ) قال ابن عباس: (لما نزَل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].. قال الكفار بعضُهم لبعض: إنَّ هذا الرجل يزعم أنَّ القيامة قد قرُبت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى نَنظر ما هو كائنٌ، فلمَّا رأَوا أنه لا ينزل شيءٌ.. قالوا: ما نرى شيئاً، فنزل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، فأشفَقوا، فلمَّا امتَدت الأيام..

(١) كذا في الأصول، ولعل الأولى حذف (أل)؛ لأنها لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً.

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ ....

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: السَّاعةُ، وأتى بِصِيغَةِ الماضِي لِتَحَقُّقِ وُقُوعِه أي: قَرُبَ، ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾: تَطلُبُوه قبلَ حِينِه فإنَّه واقِع لا مَحالةَ، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تَنزِيهاً له، ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بِه غَيرَه.

٢ ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: جِبرِيلَ ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بِالوَحيِ ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: بِإرادَتِه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهُم الأنبِياءُ، ﴿أَنۡ﴾ ـ مُفسِّرة ـ ....

حاشية الصاوي

قالوا: يا محمد؛ ما نرى شيئاً ممَّا تُخوِّفنا به، فنزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، فوَثب النبي ﷺ، ورفع الناس رُؤوسهم، وظنُّوا أنها قد جاءت حقيقة، فنَزل: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، فاطمَأنوا)[1].

قوله: (أي: الساعة) مشى المفسِّر على أنَّ المراد بـ(أمرِ الله): القيامة، وهو أحدُ قولين، وقيل: المراد بـ(أمر الله): عُقوبة المكذبين في الدنيا بالسيف.

قوله: (وأتى بصيغة الماضي) أي: على سبيل المجاز؛ ففي الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ؛ حيث شبَّه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقُّق الحصول في كلٍّ، واستعير اسمُ المشبَّه به للمشبَّه، واشتقَّ من الإتيان في الماضي (أتى) بمعنى (يأتي).

قوله: (فإنه واقعٌ لا محالة) أي: ولا مَفرَّ لكم منه.

قوله: (﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾) تنازعه كلٌّ من ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ و﴿تَعَٰلَىٰ﴾، وقوله: (غيره) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ محذوفٌ.

قوله: (أي: جبريل) أي: وجُمِعَ تعظيماً له.

قوله: (بالوحي) أي: وسمِّي روحاً؛ لأنه حياةُ القلوب الناشئ عنه السعادة الأبدية، ومن حاد عنها.. فهو هالكٌ؛ كما أنَّ الروح بها حياةُ الأجسام، وهي بدونها هالكة.

قوله: (بإرادته) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الأمر): الإرادة، و(مِن) بمعنى الباء.

قوله: (﴿أَنۡ﴾ مفسِّرة) أي: وضابطها: تقدُّم جملةٍ فيها معنى القول دُون حروفه، وهو قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٥٤٩).

أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ ....

﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: خوِّفُوا الكافِرِينَ بِالعَذابِ وأعلِمُوهُم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾: خافُونِ.

﴿٣﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: مُحِقًّا، ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بِهِ مِن الأصنامِ.

﴿٤﴾ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾: مَنِيٍّ إلى أن صَيَّرَهُ قَوِيًّا شَدِيداً، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ﴾: شَدِيدُ الخُصُومةِ، ﴿مُّبِينٞ﴾ بَيِّنُها في نَفيِ البَعثِ قائِلاً: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨].

حاشية الصاوي

قوله: (خوِّفوا الكافرين) أي: بعد إعلامهم بالتوحيد.

قوله: (بالعذاب) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ معمول الإنذار محذوفٌ، وقوله: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (وأعلِموهم).

قوله: (﴿فَٱتَّقُونِ﴾) أي: امتَثلوا أوامري، واجتنبوا نواهيَّ؛ ففيه تنبيهٌ على الأحكام الفرعيَّة بعد التنبيه على التوحيد.

قوله: (أي: مُحِقًّا) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور في محل نصب على الحال.

قوله: (﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾) أي: تنزَّه عن إشراكِهم به غيره.

قوله: (﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾) أي: غير آدم.

قوله: (﴿مِن نُّطۡفَةٖ﴾) ﴿مِن﴾: لابتداء الغاية، وقوله: (إلى أن صيرَّه قويًّا شديداً) قدَّره؛ جواباً عمَّا يقال: إنَّ كونه خَصيماً مبيناً لا يكون عقب خَلقه من نطفة، بل بعد قوَّته وشدَّته.

قوله: (في نفي البعث) (في): للسببية، والمعنى: أنه يُخاصم ويجادل بسبب كونه منكراً للبعث.

قوله: (قائلاً: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾ ... إلخ) أشار بذلك إلى ما روي: أنَّ أبيَّ بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد؛ أتظنُّ أنَّ الله يُحيي هذا بعد ما رمَّ؟! فقال ﷺ: «نعم»[1]؛ ففي هذه الآية ردٌّ على هذا الكافر ومَنْ حذا حذوَه.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/٢٨).

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾ ....

﴿٥﴾ ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾: الإبِلَ والبَقَر والغَنَم، ونَصبُه بِفعلٍ مُقدَّر يُفسِّرُه: ﴿خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ﴾ مِن جُملة النَّاس، ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾: ما تَستدفِئُون به مِن الأكسِيَةِ والأردِية مِن أشعارِها وأصوافِها، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ مِن النَّسل والدَّرِّ والرُّكُوب، ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ ـ قدَّم الظَّرف لِلفاصِلة ـ.

(﴿٦﴾ - ﴿٧﴾) ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زِينةٌ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تَرُدُّونَها إلى مُراحِها بِالعَشيِّ ﴿وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾: تُخرِجُونها إلى المَرعى بِالغَداةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ﴾) هذا من جملة أدلة توحيده وتَعداد نعمه، وذلك: أنَّ الله تعالى لما ذكر خلق السماوات والأرض.. أتبَعه بذكر خلق الإنسان، ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته؛ من أكل ولبس، فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك.

قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنَّ الخطاب في ﴿لَكُمۡ﴾ لقريش، ولو حُمل على العموم كما هو الواقع.. لاستغنى عن ذلك.

قوله: (﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾) هو بوزن (حِمْل)، يطلق على كلِّ ما يُستدفأ به من ملبوس ومأكول.

قوله: (وأصوافها) أي: وأوبارها.

قوله: (﴿وَمَنَٰفِعُ﴾) عطف عامٍّ على خاصٍّ.

قوله: (والدَّرِّ) أي: اللَّبَن.

قوله: (والركوب) أي: بالنِّسبة للمجموع.

قوله: (للفاصلة) أي: لا للحصر؛ فإنَّ الإنسان قد يأكل من غيرها وليس منهيًّا عنه، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قوله: (﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾) أي: الأنعام.

قوله: (﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾) قدَّم الإراحة على التسريح مع أنه خِلاف الواقع؛ لأنَّ الجَمَالَ في الرَّواح أعظمُ منه في وقت التسريح؛ لأنَّ النَّعم تُقبِلُ من المرعى مملوءةَ البطون، حافلةَ الضروع، فيَفرح أهلها بها، بخلاف تسريحها إلى المرعى؛ فإنها تخرج جائعةَ البُطون، ضامرةَ الضروع، وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع؛ لحسن النَّعَم إذ ذاك.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ ....

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالَكُم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾: واصِلين إلَيه على غيرِ الإبِل، ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: بِجَهدِها، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بِكُم حيثُ خلقَها لَكُم.

﴿٨﴾ ﴿وَ﴾ خلَقَ ﴿ٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مَفعول لَه، والتَّعليلُ بِهما بِتَعريف النِّعَم لا يُنافي خَلقها لِغيرِ ذلك، كالأكلِ في الخَيل الثَّابِت ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَحْمِلُ﴾) أي: النَّعم، والمراد بها: خُصوص الإبل.

قوله: (﴿أَثْقَالَكُمْ﴾) جمع ثقل وهو: ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة.

قوله: (﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾... إلخ) المراد: أيُّ بَلد بعيد، مكة أو غيرها، وقال ابن عباس: أريد بها: اليَمن ومصر والشام[1]، وقال عكرمة: مكة[2]، والظاهر: أنه عامٌّ لكلِّ بلد بعيد كما علمتَ.

قوله: (﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾) أي: تَعَبِهَا.

قوله: (﴿وَٱلْخَيْلَ﴾) معطوف على (الأَنْعامَ)؛ ولذا قدَّر المفسِّر (خَلق).

قوله: (﴿وَٱلْبِغَالَ﴾) جمع بَغل وهو: المتولد بين الخيل والحمير.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، وجُرَّ الأول باللام؛ لأنَّ الفاعل مختلفٌ؛ ففاعل الخَلق هو الله، وفاعل الركوب المخلوق.

قوله: (بهما) أي: الركوب والزينة.

قوله: (لا ينافي خلقها لغير ذلك) أي: فلا يُفيد الحصر في الركوب والزينة، بل خَلقها للأكل أيضاً، وبذلك أخذ الشافعي، وأما عند الأئمة الثلاثة.. فأكل الخيل حرامٌ كباقي الدواب، واستَدلوا: بأنَّ منفعة الأكل أعظَمُ من منفعة الركوب؛ فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً.. لَكان أولى بالذكر، فلمَّا لم يذكره الله.. عَلِمنا تحريمه، ولأنَّ الله خصَّ الأنعام بالأكل حيث قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وخصَّ هذه بالركوب فقال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾، فعَلِمنا أنها مخلوقةٌ للركوب لا للأكل،

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٦٨).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٥١).

وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ....

بِحَديثِ «الصَّحِيحَين»، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن الأشياء العَجِيبة الغَريبة.

﴿٩﴾ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بَيانُ الطَّرِيق المُستقِيم، ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السَّبِيل ﴿جَآئِرٌ﴾: حائِدٌ عن الاستِقامةِ، ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ هِدايَتَكُم ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى قَصدِ السَّبِيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فتَهتَدُون إلَيه بِاختيارٍ مِنكُم.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ....

حاشية الصاوي

وفي الحقيقة: الآية ليست صريحةً في نهيٍ ولا جوازٍ، وإنما مُستند الأئمة السنة؛ فمن حرَّم الخيل.. حمل الحديث الصحيح على النسخ، أو الاضطرار، ومَن جوَّزها.. قال: الأصل: عدم الاضطِرار، أو النسخ.

قوله: (بحديث «الصحيحين») أي: وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالَت: (نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأَكَلناه)[1].

قوله: (من الأشياء العجيبة) أي: كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: تفضُّلاً وإحساناً.

قوله: (أي: الطريق المستقيم) أي: طريق الهدى والحق، وتَبيينها بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

قوله: (﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾) أي: سبيلٌ جائرٌ، وهو سبيل الضلال والكفر، والجور: العُدول عن الاستقامة.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾) أي: وصَّلكم إلى الطريق المستقيمة بأجمعكم، ولكنه لم يشأ ذلك، فلم يَحصل؛ لما سبق في علمه أنَّ الجنة لها أهلٌ، وأنَّ النار لها أهلٌ.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾) لما ذكر سبحانه وتعالى مِنَّته على بني آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم.. أعقبه بذكر نعمة عامَّة لكلِّ الحيوانات؛ آدميين وغيرهم، وهي: إنزال

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٥١٠)، و«صحيح مسلم» (١٩٤٢).

لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ . . . .

﴿لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تَشرَبُونَه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يَنبُتُ بِسَبَبِه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: تَرعَونَ دَوابَّكُم، ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَءَايَةً﴾ دالَّةً على وَحدانِيَّتِه تَعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعِه فيُؤمِنُون.

حاشية الصاوي

الماء من السماء الناشئ عنه النباتات التي بها يَنتفع جميع الحيوانات.

قوله: (﴿لَكُم﴾) الجارُّ والمجرور صفة لـ﴿مَآءً﴾، وقوله: (﴿مِّنْهُ شَرَابٌ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ.

إن قلتَ: إنه ليس خاصًّا ببني آدم، بل هو عامٌّ لكل حيوان؟

أجيبَ: بأنَّ بني آدم هم المقصودون بالذات، وغيرُهم بالتبع. والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ عائدٌ على الماء؛ أي: تشربون من ماء السماء.

إن قلتَ: إنَّ غالب الشرب يكون من البِحار والأنهار والعيون وهي بالأرض؟

أجيب: بأنَّ أصل الماء الكائن في الأرض من السماء؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

قوله: (﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾) المراد بالشجر هنا: مُطلق النبات؛ سواء كان له ساقٌ أم لا.

قوله: (**ينبت بسببه**) أشار بذلك إلى أنَّ (من) الثانية للسببية، وأما الأُولى.. فهي ابتدائية.

قوله: (﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾) المراد به: الحبُّ الذي يُقتات، وقدَّمه؛ لأنَّ به قِوَامَ البدن، وثنَّى بالزيتون؛ لأنه إدامٌ ودهنٌ، وثلَّث بذكر النخيل؛ لأنه غذاءٌ وتفكُّهٌ، وأخَّر الأعناب؛ لأنها تُشبه النخيل في ذلك.

قوله: (﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) عطف عامٌّ على خاصٍّ.

قوله: (**المذكور**) أي: من إنزال الماء، وإنباتِ النبات.

قوله: (﴿لَءَايَةً﴾) ذكر لفظ (الآية) في هذه السورة سبع مرات: خمس بالإفراد، وثنتان بالجمع، والحكمة في ذلك: أنَّ ما جاء بلفظ الإفراد.. فباعتبار المدلول، وما جاء بلفظ الجمع.. فبِاعتبار الدليل؛ فإنَّ في كلِّ شيءٍ آيةً تدلُّ على أنه الواحد.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ....

﴿١٢﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ﴾ - بِالنَّصب عَطفاً على ما قبلَه، والرَّفعِ مُبتَدأً - ﴿وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾ - بِالوَجهَين - ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ - بِالنَّصبِ حال، والرَّفعِ خَبَر - ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾: بِإرادَتِه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يَتدبَّرُون.

﴿١٣﴾ ﴿وَ﴾ سخَّر لَكُم ﴿مَا ذَرَأَ﴾: خَلَقَ ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِن الحَيَوان والنَّباتِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾) لما ذكر النِّعم الكائنة في العالم السُّفلي.. أعقبه بذكر النِّعم الكائنة في العالم العُلوي، وكلٌّ ذلك لنفع العالم وتمام نِظامه.

قوله: (بالنصب... إلخ) أي: ففي (الشمس) و(القمر) و(النجوم) و(مُسخرات) قراءتان سبعيَّتان: الرفع، والنصب[1].

قوله: (﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾) أي: مُذلَّلات بإرادته، فهو سبحانه وتعالى المؤثر في العالم العُلوي والسفلي؛ فلا تَتحرك ذرَّة في الدنيا ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها، وإنما هذه الأشياء أسبابٌ عاديَّةٌ يوجد النفع عندها لا بها؛ ففي هذه الآية ردٌّ على القائلين: إنَّ العالم العلويَّ هو المؤثر في العالم السفليِّ بطبع أو عِلَّة.

قوله: (بالنصب حال) أي: مؤكِّدة لعاملها، وهو (سخَّر).

قوله: (﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾) عبَّر هنا بالعقل؛ إشارةً إلى أنَّ العالم العلويَّ مُغيَّبٌ عن الأبصار، فيحتاج المتأمِّل فيه لمزيد العقل، بخلاف العالم السفلي؛ فهو مشاهدٌ، فيَكفي فيه أدنى تأمُّل وتعقُّل.

والأسلم أن يقال: إنَّ التغاير في هذا وما قبله وما بعده تفنُّنٌ في التعبير؛ دفعاً للثقل، وإشارةً إلى أنه من اتصف بواحد منها.. فقد اتَّصف بجميعها.

قوله: (﴿وَمَا ذَرَأَ﴾) معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾؛ ولِذا قدَّر المفسِّر الفعل.

قوله: (من الحيوانات والنبات) أي: فهي مُذلَّلة لبني آدم يَنتفعون بها ولا يعجزون عنها.

(١) قرأ ابن عامر بالرفع على الابتداء والخبر، ووافقه حفص في الاثنين الأخِيرين لا غير، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٢٠).

مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ....

وغيرِ ذلك، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ كأحمرَ وأصفرَ وأخضرَ وغيرِها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعظُون.

﴿١٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: ذَلَّله لِرُكُوبِه والغَوصِ فِيه، ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللُّؤلُؤ والمَرجانُ، ﴿وَتَرَى﴾: تُبصِرُ ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تَمخُر الماء أي: تَشُقُّه بِجَريِها فِيه مُقبِلَةً ومُدبِرةً بِريحٍ واحِدة، ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ ـ عطفٌ على ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾ ـ: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ تَعالى بِالتِّجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جِبالاً ثَوابتَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كالأحجار والمعادن والأنهار.

قوله: (﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾) أي: وطُعومه.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾) أي: عذباً ومِلْحاً.

قوله: (لركوبه) أي: بالسُّفن والعَوم.

قوله: (والغوص) أي: النزول فيه.

قوله: (﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾) وصف بالطراوة؛ لأنه يُسرع إليه الفساد، وحكمة ذلك: انتفاع الناس به، وعدم عزَّته عن الفقراء، وإلا؛ فلو كان يَمكث من غير فساد.. لادَّخره الأغنياء، وحُرم منه الفقراء.

قوله: (﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ﴾) أي: البحرِ، وهو المِلْحُ فقط.

قوله: (والمرجان) هو: عُروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف.

قوله: (عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾) أي: وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (بالتجارة) أي: فيُسافرون لها في البحر، ويَقْدَمون في أقلِّ زمنٍ.

أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ....

لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتحرَّكَ ﴿بِكُمْ وَ﴾ جَعَلَ فِيها ﴿أَنْهَرًا﴾ كالنِّيلِ ﴿وَسُبُلًا﴾: طُرُقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقاصِدِكُم، ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ تَستدِلُّون بِها على الطُّرُق كالجِبالِ بِالنَّهار، ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بِمعنَى النُّجُوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطُّرُق والقِبلَةِ بِاللَّيل.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو اللهُ ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنامُ، حيثُ تُشرِكُونها مَعه في العِبادة؟ لا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمِنُون؟

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: تَضبِطُوها فضلاً أن تُطِيقُوا شُكرَها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ يُنعِم علَيكُم مع تَقصِيرِكُم وعِصيانِكُم. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن تَمِيدَ﴾) قدَّر المفسِّر (لا) لِيَصح الكلام؛ لأنَّ جعل الجبال في الأرض لأجل عدم المَيْدِ، لا لأجل حصوله، والمراد بالميد: الميل والتحرُّك والاضطراب.

قوله: (طرقاً) أي: في الجبال.

قوله: (﴿وَعَلَامَاتٍ﴾) أي: أمارات.

قوله: (﴿وَبِالنَّجْمِ﴾) المراد به: الثُّريا، وبنات نعش، والفَرقدان، والجدي؛ فيهتدي بها إلى الطريق والقِبلة.

قوله: (﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾) أي: أتُسوُّون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنِّعم الفخيمة وبين مَن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا فَضلاً عن غيره؟! والكلام على القلب، والتقدير: أفمَن لا يخلق كمن يَخلق؛ لأنهم يُشبِّهون مَنْ لا يخلق بمن يَخلق في العبادة، وإنما أتى بالعبارة مقلوبةً؛ زيادةً في التشنيع عليهم.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾) هذا تذكيرٌ إجماليٌّ بعد تَفصيل بعض النِّعم.

قوله: (حيث ينعم عليكم مع تقصيركم) أي: ولم يَقطع نِعَمه عنكم بسبب ذلك، بل وسَّعها عليكم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝١٩ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ ....

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

(٢٠) ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ـ بالتَّاء والياء ـ: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهُم الأصنامُ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يُصَوَّرُون مِن الحِجارةِ وغَيرِها.

(٢١) ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا رُوحَ فِيهِم ـ خَبَر ثانٍ ـ ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ ـ تأكِيد ـ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنامُ ﴿أَيَّانَ﴾: وقتَ ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الخَلقُ، فكيفَ يُعبَدُون؟ إذ لا يَكُون إلَهاً إلَّا الخالِق الحَيُّ العالِم بِالغيب.

(٢٢) ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المُستَحِقُّ لِلعِبادةِ مِنكُم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نَظِيرَ له في ذاتِه ولا صِفاتِه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾) أي: ما تُخفونه من العقائد والأعمال، وما تُظهرونه من ذلك.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان في قوله: ﴿تَدْعُونَ﴾ فقط[1]، وأما ﴿تُسِرُّونَ﴾ و﴿تُعْلِنُونَ﴾. فبالتاء الفوقية سبعيَّة، والياء التحتية شاذَّة[2].

قوله: (﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾) ليس تكراراً مع قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾؛ لأنه أوَّلاً أفاد أنهم لا يَخلقون شيئاً، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئاً هم مخلُوقون؛ ففيه زيادةُ فائدةٍ.

قوله: (خبرٌ ثانٍ) أي: والأول قوله: ﴿يُخْلَقُونَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ خبرٌ ثالث.

قوله: (أي: الخلق) ويصحُّ أن يعود الضمير على الأصنام، والمعنى: أنَّ الأصنام لا تَشعر متى يبعثها الله، قال ابن عباس: إنَّ الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فتتبرأ من عابدِيها، فيؤمر بالكل إلى النار[3].

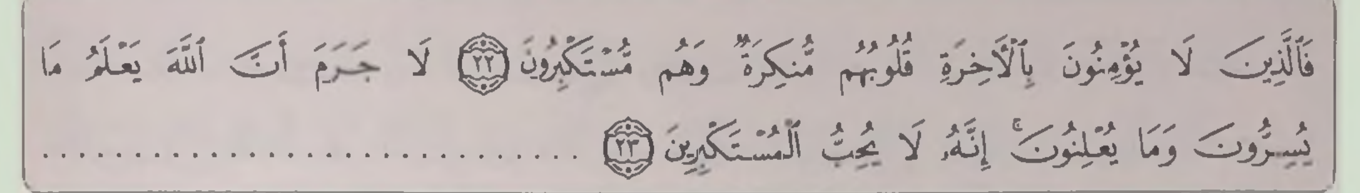
قوله: (﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾) هذا نَتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثبَت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدِّم ذكرها. فقد تقرَّر أنه المعبود المتَّصف بالوحدة في الذات والصفات والأفعال، فلا شريكَ له فيها.

---

(١) قرأ عاصم بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٢٤).

(٢) وبها قرأ أبو جعفر. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢٠٥).

(٣) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٥٤).



وهو الله تعالى، ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: جاحِدةٌ لِلوَحدانِيَّة، ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: مُتكبِّرون عن الإيمان بِها.

﴿٢٣﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيُجازِيهِم بِذلك، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بِمعنَى أنَّه يُعاقِبُهم.

﴿٢٤﴾ ونَزَل في النَّضرِ بن الحارِث: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾) أي: لا يُصدِّقون بها وبما يَحصل فيها من بعث وحساب وجزاء، وهذا نتيجة قوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وحينئذٍ: فيكون المعنى: أتى أمر الله فآمِنوا وصدِّقوا أخبارنا ولا تُنكِروها؛ فالذين لا يؤمنون... إلخ.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾) تقدَّم أنَّ فيها ثلاثة أوجه: أحسنها: أن (لا) نافية، ومَنفيها محذوف، و(جرم) فعل ماض بمعنى: حقَّ وثبت، و(أنَّ) وما دخلت عليه في محل رفع فاعل[1]، وحينئذ يصير المعنى: لا عبرة بإنكار الكفار واستِكبارهم، بل حقَّ وثبَت علم الله بما يُسرونه وما يعلنونه، وعلى هذا: فقولُ المفسِّر: (حقًّا) مفعولٌ مطلقٌ لفعل محذوف، تقديره: حقَّ حقًّا.

قوله: (بمعنى: أنه يعاقبهم) رُوي عن الحسين بن علي: أنه مرَّ بمساكين قد قدَّموا كسراً لهم وهم يأكلون، فقالوا: الغداءَ يا أبا عبد الله، فنزل وجلَس معهم وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم أكل، فلمَّا فرغُوا.. قال: قد أجبتكم؛ فأَجيبوني، فقاموا معه إلى منزله، فأطعمَهم وسقاهم وأعطاهم، فانصرفوا[2]، وفي الحديث: «**إن المتكبرين يُحْشَرون أمثال الذَّرِّ يوم القيامة تَطؤهم الناس بأقدامهم؛ لِتكبرهم**»[3].

قوله: (ونزل في النضر بن الحارث) أي: في شأنه وسَببه، وكان عنده كتب التواريخ، ويزعم أنَّ حديثه أحسَنُ مما أنزل على محمد.

---

(١) انظر (٣/ ٢٧٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٠/ ٩٥).

(٣) رواه الكلاباذي في «معاني الأخبار» (ص٢٧٢)، وبنحوه عند الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٨)، والترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ....

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَا﴾ ـ استِفهامِيَّة ـ ﴿ذَا﴾ ـ مَوصولة ـ ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على مُحمَّد؟ ﴿قَالُوٓاْ﴾: هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذِيبُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إضلالاً لِلناس.

﴿٢٥﴾ ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ في عاقِبَةِ الأمرِ ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذُنُوبَهم ﴿كَامِلَةً﴾ لَم يُكفَّرْ مِنها شَيءٌ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ﴾: بَعضَ ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾) القائل: يحتمل أن يكون المسلمِينَ، أو الوافدَ عليهم، أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم؛ فإنَّ الكفار لا يقرُّون بأنه منزلٌ من عند الله.

قوله: (﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) جمع أُسطورة؛ كـ(أحاديث وأكاذيب وأعاجيب) جمع: أُحدوثة، وأكذوبة، وأعجوبة.

قوله: (إضلالاً للناس) عِلة للقول.

قوله: (في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أنَّ اللام في ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ لامُ العاقبة والصيرورة، والمعنى: أنهم لما وَصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين.. كان عاقبتهم بذلك حَملهم ذنوبهم.

قوله: (﴿كَامِلَةً﴾) أي: وبَلاياهم التي أصابتهم في الدنيا لا تكفِّر عنهم شيئاً يوم القيامة، بل يُعاقَبون على جميع أوزارهم، بخلاف بلايا المؤمنين؛ فإمَّا تكفيرٌ لذنوبهم، أو رفعُ درجاتٍ لهم، فالبَلايا للمجرمين عقوبات، وللأبرار مكفِّرات، وللعارفين درجات؛ فقد يكون السابقُ في علمه تعالى أنَّ العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بِمِحنة، فيوصلها الله له؛ لِيَنالَ تلك الدرجة.

قوله: (﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾) أي: ويَحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الأتباع وهو السبب، هذا ما قرّره المفسِّر تبعاً للبيضاوي[1]، وهو خلافُ التحقيق، بل التحقيق: أنَّ (من) بمعنى: مِثل، والمعنى: أنَّ على الرؤساء مثل أوزار الأتباع، ويَشهد لذلك قوله ﷺ: «مَن دعا إلى هدًى.. كان له من الأجر مثلُ أجُور مَنْ تبعه، لا يُنقِصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دَعا إلى ضلالة.. كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَنْ تَبعه، لا يُنْقِصُ ذلك من آثامِهم شيئاً»[2].

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٢٤).

(٢) رواه مسلم (٦٩٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ....

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ لِأنَّهم دَعَوْهُم إلى الضَّلال فاتَّبَعُوهُم، فاشتَرَكُوا في الإثم، ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يَحمِلُونَه حَملُهم هذا.

﴿٢٦﴾ ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وهو نَمرُوذ، بَنَى صَرحاً طَوِيلاً لِيَصعَدَ مِنهُ إلى السَّماء لِيُقاتِلَ أهلَها، ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: قَصَدَ ﴿بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾: الأساسِ، فأرسَلَ علَيه الرِّيح والزَّلزلةَ فهَدَمَتهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾) إما حال من المفعول؛ أي: يُضلون الأتباع حال كون الأتباع غير عالمين بأنَّ الرؤساء في ضلال، بل يَعتقدون أنهم على خير حيث قلَّدوهم؛ أو من الفاعل، والمعنى: يُضلون غيرهم حال كونهم غيرَ عالمين بما يَستحقونه من العذاب في مُقابَلة ضلالهم وإضلالهم.

قوله: (فاشتركوا في الإثم) أي: العقوبة؛ فعقوبة المتبوعين بضلالهم وإضلالهم، وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد، ولا يُعْذَرون بالجهل.

قوله: (﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾) ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض لإنشاء الذم كـ: بئس، و﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿يَزِرُونَ﴾: صِلته، أو نكرة موصوفة و﴿يَزِرُونَ﴾: صفة لها، والعائد على كلٍّ محذوف، والتقدير: يَزِرونه، والمخصوص بالذم محذوف؛ كما أشار له المفسِّر بقوله: (حملهم هذا).

قوله: (﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (وهو نمروذ) بضم النون والذال المعجمة، وهو ابن كنعان، وكان يدَّعي الألوهيَّة، وكان أعظم أهل الأرض تجبُّراً.

قوله: (بنى صرحاً طويلاً) أي: بِبابل، وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع، وقيل: كان طوله فرسخين.

قوله: (الإِسَاسُ) بكسر الهمزة جمع: أُسٌّ بضمِّها كـ: رِمَاح جمع: رُمْح، أو فتحها جمع: أُسُس بضمَّتين كـ: عُنُق وأعناق.

قوله: (فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أي: فقَصفته وألقت رأسه في البحر، وخرَّ عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحتَه.

فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ....

﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ أي: وهُم تحتَه، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ مِن جهةٍ لا تَخطُرُ ببالِهم، وقِيل: هذا تَمثِيل لإفسادِ ما أبرَمُوهُ مِن المَكر بالرُّسل.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾: يُذِلُّهُم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لَهُم على لِسان المَلائكةِ تَوبِيخاً: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ بزعمِكُم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ﴾: تُخالِفُون المُؤمِنِين ﴿فِيهِمۡۚ﴾: في شَأنِهم؟ ﴿قَالَ﴾ أي: يَقُول ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ مِن الأنبِياء والمُؤمِنِين: ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ﴾) أي: سَقط ونزل عليهم.

قوله: (أي: وهم تحته) تفسيرٌ لقوله: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾، ودفع بقوله: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ ما يُتوهم أنهم لم يكونوا تحته.

قوله: (وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه) أي: فالآية محمولة على العموم، وليس هناك بناء حقيقة، بل هو مَثلٌ ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله، فأهلكهم الله بمكرهم، فمَثلهم بقومٍ بنوا بنياناً شديداً، فانهدم ذلك البنيان وسَقط عليهم، فأهلكهم.

قوله: (على لسان الملائكة) مُرورٌ منه على القول بأنَّ الله لا يكلِّم الكفار، وقيل: إنَّ الله يكلمهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] أي: كلامَ رحمةٍ وتعظيمٍ.

قوله: (﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾) أي: ما لهم لا يَحضرون معكم؛ ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب؟!

قوله: (﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾) بفتح النون وكسرها، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بكسر النون مع التشديد، والأصل: تشاقونني، فأدغم [1].

قوله: (تخالفون المؤمنين) أي: تُنازعونهم في شأنهم.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾) أي: وهُم في الموقف.

---

(١) قرأ نافع بكسر النون خفيفة، والباقون بفتحها خفيفة، وقَرأت فرقة بتشديدها مكسورة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢١١).

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ....

يَقُولُونَه شَماتةً بِهم.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ - بِالتَّاء والياءِ - ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالكُفرِ، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: انقادُوا واستَسلَمُوا عِند المَوت قائِلِين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾: شِركٍ، فتَقُول المَلائكةُ: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم بِه، ويُقالُ لَهُم: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأوَى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (شماتةً بهم) أي: قدحاً بما حصل لهم؛ جزاءً لاستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة وظَهر أهل الحق وأُكرِموا بأنواع الكرامات، وعذِّب أهل الباطل بأنواع العذاب.. فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك، ويقول رُؤساء المؤمنين: إنَّ الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، لكنه مع الياء يقرأ بالإمالة[1]، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل، والمراد بهم: عزرائيل وأعوانه، وإنما أنِّث الفعل على قراءة التاء؛ لأنَّ لفظ الجمع مؤنَّثٌ.

قوله: (﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾) إنما أنكروا ذلك رجاءَ أن يُقبلوا.

قوله: (ويقال لهم) أي: عند خروج أرواحهم، وحينئذ: فيكون المراد بالدخول: شهودَ أرواحِهِمْ دارَ العذابِ، أو يوم القيامة، والدخول على حَقيقته.

قوله: (﴿أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾) أي: طبَقاتها، والمعنى: ليدخل كلُّ صنفٍ الطبقة التي أُعدَّت له.

قوله: (﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾) أي: مَقامهم ومنزلهم، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هو.

قوله: (﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾) مقابل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، والقائل وُفود العرب القادِمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد، فكانوا إذا صادفوا

---

(١) قرأ حمزة بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٢٧).

مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ......

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمانِ ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حياةٌ طَيِّبة، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿خَيْرٌ﴾ مِن الدُّنيا وما فِيها، ....

حاشية الصاوي

المسلمين.. سألوهم وقالوا لهم: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: خيراً، وإذا صادَفوا الكفار.. سألوهم وقالوا: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين، فكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنضح[1].

قوله: (﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾) «ماذا» بتمامها: اسم استفهام، مفعول مقدم لـ﴿أَنزَلَ﴾، وحينئذ: فتكون الجملة فعليَّة، وهو أنسب؛ لِيُطابق الجواب السؤال؛ فإنَّ الجواب جملة فعليَّة أيضاً؛ لأن ﴿خَيْرًا﴾ مفعول بفعل محذوف تقديره: أنزل خيراً، بخلاف ما تقدَّم[2]؛ فإن (ما): اسم استفهام، و(ذا): اسم موصول، و﴿أَنزَلَ﴾: صلته، فالجملة اسمية؛ لمطابقة الجواب؛ فإنه مَرفوع باتفاق السبع، وما هنا منصوب باتفاق السبع، والحكمة في رفع الأول ونصب الثاني: الفَرق بين جوابِ المقرِّ؛ حيث طابق بين السؤال والجواب، فجعلهما من جنس واحد، وجوابِ الجاحد؛ حيث عَدل عن السؤال فقال: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء.

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾) هذا بيانٌ لقوله: ﴿خَيْرًا﴾، كأنهم قالوا: أنزل رَبنا: مَنْ أحسن في الدنيا بالطاعة.. فله حَسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة.

قوله: (حياة طيبة) أي: وهي تختلف باختلاف الإقبال على الله وعَدمه؛ فكلما زاد العبد في الإقبال على ربِّه.. طابَت حياته، فيزداد ترقِّياً في القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التي تَحصل له في الدنيا، وما خفي كان أعظَم، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

قوله: (﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾) اللام: موطئةٌ لقسم محذوف[3]، أو للابتداء مؤكدة.

قوله: (﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها) أي: ولو حصل له في الدنيا غايةُ الرفعة والعزِّ.

واسم التفضيل على بابه إن أُعطي العبد النَّعيم في الجنة، وليس على بابه إن لم يكن من أهل

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٥٧).

(٢) أي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

(٣) اللام واقعة في جواب قسم.

وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ....

قال تعالى فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ هيَ.

﴿٣١﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، ـ مُبتدأ خَبَرُه: ـ ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نَعت ـ ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ....

حاشية الصاوي

الجنة؛ إذ لا خير في لذَّةٍ بعدها النَّارُ، بل كلُّ مَنْ عظم تنعُّمه في الدنيا ولم يكن مرضيًّا عليه.. فتنعُّمه زيادةٌ في عذابه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

قوله: (قال تعالى) إنما قال ذلك؛ إشارةً إلى أنَّ جواب المؤمنين تمَّ بقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾.

قوله: (﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) ثناءٌ ومدحٌ من الله لِدار الآخرة التي هي خيرٌ.

قوله: (هي) قدَّره؛ إشارةً إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾) أي: إقامةٍ، لا يَطرأ عليها زوال ولا فناء، بل دائمة بأهلها على سبيل التأبيد.

قوله: (﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) أي: مِن تحت قصورها وغُرَفها، قال تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]، والمراد بـ(الأنهار): المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ...﴾ [محمد: ١٥] إلخ.

قوله: (﴿مَا يَشَآءُونَ﴾) أي: يَطلبون مما تشتهي الأنفس وتَلذُّ الأعين.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) الكاف: بمعنى مثل، نعت لمصدر محذوف معمول لـ﴿يَجْزِى﴾، والتقدير: يجزي الله المتقين جزاءً مثل ذلك الجزاء.

قوله: (﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾) أي: الذين اجتَنبوا الشرك، و(أل) في ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: للاستغراق.

قوله: (نعت) أي: لـ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: (﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) أي: تَقبض أرواحهم.

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ

﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهِرِين مِن الكُفرِ ﴿يَقُولُونَ﴾ لَهُم عِند المَوت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾، ويُقالُ لَهُم في الآخِرةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِرُ الكُفَّارُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ ـ بِالتَّاء والياءِ ـ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿طَيِّبِينَ﴾) حال من ضمير ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، وحينئذ: تبشِّرهم الملائكة عند قَبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح، فيَسهل عليهم قبض أرواحهم، ويطيب لهم الموت على هذه الحالة؛ فلو خيِّر المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا ويُعطى جميع ما يشتهي فيها وبين الموت. . لاختار الموت، ولا يَرجع إلى الدنيا؛ لشهُوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيَّأً له.

قوله: (عند الموت) أي: لما ورد: «إذا أشرف العبد المؤمن على الموتِ. . جاءه ملك فقال: السلام عليك يا وليَّ الله، الله يُقرئك السلام، ويبشِّرك بالجنة»[1].

قوله: (في الآخرة) هذا أحد قولَين، وقيل: إنَّ القول المذكور يكون عند خروج الروح، ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً . . .﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨] الآية بناءً على أنَّ هذه المقالة تقال للمؤمن عند خُروج روحه.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) الباء: سببية، و(ما): اسم موصول، والعائد محذوفٌ، والتقدير: بسبب الذي كنتم تَعملونه.

قوله: (﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي؛ ولذا فسَّره بـ(ما) النافية، والمعنى: لا ينتظر الكفار إلا أحدَ أمرين: إما نزول الموت لهم، أو حلول العذاب. و(أو): مانعة خلوٍّ تجوِّز الجمع.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٢)، والبَيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٨) بنحوه من حديث محمد بن كعب القُرظي.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢١٧).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ....

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لِقَبضِ أرواحِهِم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العَذابُ أو القِيامةُ المُشتَمِلة عليه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعلَ هؤُلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم، كذَّبُوا رُسُلَهم فأُهلِكُوا، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِإهلاكِهم بِغيرِ ذَنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالكُفر.

﴿٣٤﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: جَـزاؤُهـا، ﴿وَحَاقَ﴾: نَـزَل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذابُ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ مِن أهلِ مكَّةَ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو القيامة) «أو» لحكاية الخلاف.

قوله: (﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾) مرتَّب على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (كذَّبوا رسلهم فأُهْلِكوا).

قوله: (﴿فَأَصَابَهُمْ﴾) معطوف على ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (أي: جزاؤها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والأصل: فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

قوله: (﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾) أي: جزاء الذي كانوا يَستهزئون به.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾... إلخ) هذا كلامٌ صحيحٌ في حدِّ ذاته، لكنهم توصَّلوا به إلى أمر باطل، وحاصل ذلك: أنهم قالوا: لو شاء الله عدم عِبادتنا لغيره.. لحصل، لكن وقَعت هنا العبادة لغيره، فهي بمشيئته، فهو راضٍ بها، واعتقدوا أنَّ الإرادة لازمةٌ للرضا في حقِّه تعالى، وهو اعتقادٌ باطلٌ.

وحاصل الرَّد عليهم أن يقال: إنَّ الإرادة لا تستلزم الرضا، بل قد يريد شيئاً ولا يرضى به؛ لتنزُّهه عن الأغراض في الأفعال والأحكام، فلا تُقاس أفعال الله على أفعال العباد، وذلك لأنَّ ما يغضب الله.. لا يَصل له منه ضررٌ، وما يرضيه.. لا يَصل له منه نفعٌ، بل معنى ذلك: أنه يُعاقب على ما يغضبه، ويثيب على ما يُرضيه، بخلاف العباد، فرضاهم لازم لإرادتهم؛

لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ....

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ مِن البَحائِرِ والسَّوائِبِ، فإشراكُنا وتَحريمُنا بِمَشيئَتِه، فهو راضٍ بِه، قال تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كَذَّبُوا رُسلَهُم فيما جاؤوا بِه، ﴿فَهَلْ﴾: فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ البيِّن، وليسَ علَيهِم الهِدايةُ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ كما بَعثناكَ في هؤلاءِ، ﴿أَنِ﴾ أي: بِأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الأوثانَ أن تَعبُدُوها، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمَنَ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾: وَجَبَت ﴿عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ في عِلم الله فلَم يُؤمِنْ،

حاشية الصاوي

لأنَّ ما يرضيهم.. يَحصل لهم به النفع، فهو واقع منهم بإرادتهم، وما يُغضبهم.. يحصل لهم به الضرر، فهو واقع بإرادتهم، والكفار قد سوَّوا بين الخالق والمخلوق فقالوا ما قالوا، والمقصود من هذه الشبهة: إبطال إرسال الرسل، وجعله عَبثاً، تعالى الله عن ذلك.

قوله: (﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾) (من): الأولى ابتدائية، والثانية: زائدة.

قوله: (فهو راضٍ به) هذا هو محطُّ شُبهتهم التي رتَّبوا ما ذكر عليها.

قوله: (الإبلاغ البيِّن) أشار بذلك إلى أن (البلاغ) مصدر بمعنى: الإبلاغ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾) أي: فلا خُصوصية لك.

قوله: (أي: بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدرية، ويَصح جعلها تفسيريَّة، والضابط موجود؛ لِتَضمن البعث معنى القول.

قوله: (﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾) أي: تباعَدوا عن عبادة الطاغوت، والمراد بـ(الطاغوت): قيل: كل ما يُعْبَد من دون الله، وقيل: الشيطان.

قوله: (فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ (مَنْ)، وفي نسخة: (فلم يؤمنوا) بالجمع؛ مراعاة للمعنى.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ....

﴿فَسِيرُوا﴾ يا كُفَّارَ مكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رُسُلَهم مِن الهَلاك.

﴿٣٧﴾ ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يا مُحمَّد ﴿عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ وقد أضَلَّهُم الله لا تَقدِرُ على ذلك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ - بِالبِناء لِلمَفعُول ولِلفاعِلِ - ﴿مَن يُضِلُّ﴾: مَن يُرِيدُ إضلالَه، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: مانِعِين مِن عَذاب الله.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسِيرُوا﴾) أمرٌ لأهل مكة بالسير والنَّظر في أحوال مَنْ تقدَّمهم.

قوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾) أي: مآلهم وآخِر أمرهم على أيِّ كيفية؟

قوله: (رسلهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ مفعوله محذوف.

قوله: (وقد أضلهم الله) الجملة حاليَّة.

قوله: (لا تقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط، وقوله: (فإن الله... إلخ) تعليلٌ للجواب.

قوله: (﴿لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾) الجملة خبر (إن)، والرابط: ضمير مقدَّر في (يضل)، تقديره: من يضله، والظاهر: أن هذا الرابط هو فاعل (يضل) العائد على (الله)، وأما الضمير المفعول الذي هو الهاء.. فإنه عائد على (مَنْ)، ولا ربط فيه.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى: أنَّ من أراد الله إضلاله.. فلا تمكن هِدايته، فلا تتعب نفسك في هداه.

إن قلتَ: إنَّ التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليفٌ بالمستحيل؟

أجيب: بأنه لا يُسْأَلُ عما يفعل.

قوله: (﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾) أي: من يُريد إضلاله.. لا مانع له من عذاب الله إذا نَزل به.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال، والباقون بضم الياء وفتح الدال على البناء لِلمفعول. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ....

﴿٣٨﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي: غـايَـةَ اجتِـهـادِهِـم فـيـهـا، ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾، قال تَعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعَثُهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ـ مَصدرانِ مُؤكَّدانِ مَنصُوبانِ بِفعلِهما المُـقـدَّر ـ أي: وعَـدَ ذلـك وحَـقَّـهُ حَـقًّـا، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهـل مـكّـة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلك.

﴿٣٩﴾ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ ـ مُتعلّق بِـ(يَبعَثُهُم) المُقدَّر ـ ﴿لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المُؤمِنين ﴿فِيهِ﴾ مِن أمرِ الدِّين بِتعذيبِهم وإثابةِ المُؤمِنين، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ في إنكارِ البَعث.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾) أي: حلفُوا به، وقوله: (﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾) أي: لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيماً.. حَلفوا بالله.

قوله: (أي: غاية اجتهادهم) أي: فالمراد بـ: الجَهْدِ بالفتح: الطاقة، فقولهم: الجهد بالفتح: المشقَّة، وبالضم: الطاقة.. بحسَب الغالب.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا لمقالتهم.

قوله: (مصدران مؤكدان) أي: للجملة المقدَّرة بعد ﴿بَلَىٰ﴾.

قوله: (أي: وعد ذلك) الأوضح أن يقول: أي: وعد ذلك وعداً وحقَّه حقًّا.

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك) أي: أنهم يُبعثون؛ لجهلهم.

قوله: (المقدَّر) أي: بعد ﴿بَلَىٰ﴾.

قوله: (من أمر الدين) أي: وهو البعث.

قوله: (بتعذيبهم... إلخ) متعلق بـ(يبيِّن)، والمعنى: ليميز لهم الأمر الذي يختلفون فيه بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي.

قوله: (﴿وَلِيَعْلَمَ﴾) معطوف على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾.

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ....

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي: أرَدنا إيجادَه، ـ و﴿قَوْلُنَا﴾: مُبتدأٌ خبَرُه: ـ ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُون، ـ وفي قِراءة بِالنَّصب عَطفاً على ﴿نَّقُولَ﴾ ـ والآيةُ لِتَقريرِ القُدرة على البَعث.

﴿٤١﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ لِإقامةِ دِينِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بِالأذى مِن أهلِ مكَّة وهُم النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: نُنزِلَنَّهُم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ داراً ﴿حَسَنَةً﴾ هي المَدِينَة، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجنَّة ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ أو المُتخلِّفُون عن الهِجرةِ ما لِلمُهاجِرين مِن الكَرامة لَوافَقُوهُم.

﴿٤٢﴾ هُم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المُشرِكين والهِجرةِ لِإظهارِ الدِّين، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيَرزُقهُم مِن حيثُ لا يَحتَسِبُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِشَيْءٍ﴾) تسميته شيئاً؛ باعتبار ما يؤول، وإلَّا.. فالمعدوم لا يسمَّى شيئاً.

قوله: (والآية لتقرير القُدرة على البعث) أي: فهي ردٌّ على مَنْ قال: إنَّ الله لا يبعث من يموت، والأمر كنايةٌ عن سُرعة الإيجاد عند تعلُّق الإرادة بالإيجاد، وليس ثم كاف ولا نون، وإلَّا.. لزم إما خطاب المعدوم حال عدمه، وهو لا يُعقل، أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده، وكِلا الأمرين محالٌ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾) أي: انتقلوا من مكة للمدينة.

قوله: (لإقامة دينه) أشار بذلك إلى أن (في) بمعنى اللام، والكلام على حذف مُضافين.

قوله: (﴿أَكْبَرُ﴾) أي: من دار الدنيا.

قوله: (أو المتخلِّفون) تفسير ثان للضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (لَوافقوهم) جواب الشرط.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾) خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هم).

قوله: (﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾) أي: يثقون به، ويفوِّضون أمورهم إليه.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤٣﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ لا مَلائكةً، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: العُلَماءَ بِالتَّوراةِ والإنجِيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ؛ فإنَّهُم يَعلَمُونَه، وأنتُم إلى تَصدِيقِهم أقرَبُ مِن تَصدِيق المُؤمِنِين بِمُحمَّدٍ ﷺ.

حاشية الصاوي

والتعبير بالمضارع؛ لاستحضار الحال الماضية؛ إشارةً إلى أنَّ توكلهم كان أعظمَ توكُّلٍ، وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم في مَرضاة ربهم، ورضوا بالذلِّ بدل العز، وبالفقر بدل الغنى، فجازاهم الله بإبدال الذلِّ عزًّا، والفقر غنًى، فصارُوا سادات الناس في الدنيا والآخرة، قال البوصيري رضي الله عنه[1]: [الخفيف]

مَا لِمُوسى ولا لِعِيسَى حَوَارِيُّـ ... ـونَ في فَضلِهِمْ ولا نُقَبَاءُ

قوله: (فيرزقهم من حيث لا يحتسبون) نتيجة التوكل، وليست معنى التوكل.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾) سبب نزولها: أنَّ كفار مكة قالوا: ما كان لله أن يرسل رسولاً من الرجال، بل اللائق أن يُرسل ملكاً[2].

قوله: (﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾) جواب شرط مقدَّر، دلَّ عليه قوله: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، تقديره: إن شَككتم في ذلك.. فاسألوا.

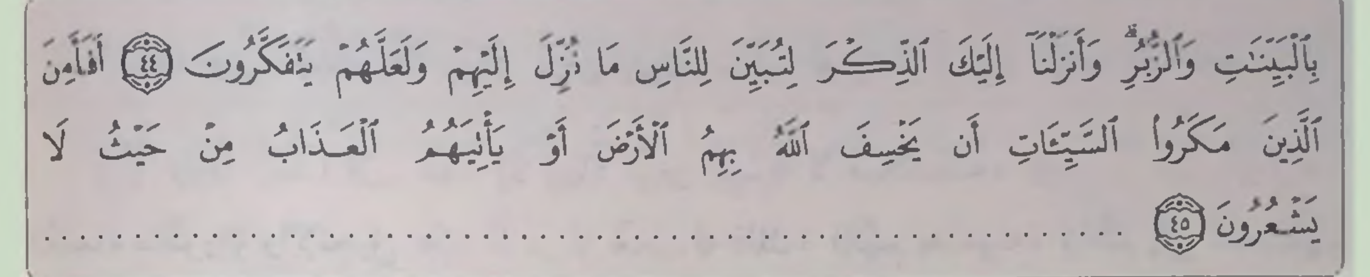
قوله: (﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: على سبيل الفرض والتقدير، وإلَّا.. فهم عالمون بذلك، وإنما كفرهم عناد.

قوله: (أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أي: لأنَّ كفار مكة كانوا يَعتقدون أنَّ أهل الكتاب عندهم عِلم بالكتب القديمة، وقد أرسل الله إليهم رسلاً كموسى وعيسى وداوود وسليمان وغيرهم، وكانوا بشراً، فإذا سألوهم.. فلا بدَّ أن يجيبوا بأنَّ الرسل الذين أُرسلوا إليهم كانوا بشراً، فحينئذ يزول عن قلوبهم الرَّيب والشَّك.

---

(١) كما في قصيدته «الهمزية».

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٦١).


بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ....

﴿٤٤﴾ ﴿بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ ـ مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ ـ أي: أرسَلناهُم بِالحُجَجِ الواضِحة، ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الكُتُبِ، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فِيه مِن الحَلال والحَرام، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيَعتبِرُون.

﴿٤٥﴾ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكراتِ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بِالنَّبيِّ ﷺ في دار النَّدوةِ مِن تَقييده أو قَتلِه أو إخراجِه كما ذُكِر في الأنفالِ، ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كقارُونَ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: مِن جِهةٍ لا تَخطُرُ بِبالِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (متعلق بمحذوف) أي: جواباً لسؤال مقدَّر، كأنه قال: بم أُرسلوا؟ فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر، وهذا أحسَنُ ما قيل هنا[1].

قوله: (القرآن) إنما سمِّي القرآن ذكراً؛ لأنه مشتملٌ على المواعظ التي بها يتذكر العاقل، ويتنبَّه الغافل.

قوله: (﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾) أي: ما أُجمِلَ من الأحكام، فبيان المجمل من القرآن تكفَّل به رسول الله ﷺ، فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن.

قوله: (﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ﴾) الهمزة: داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: أعمُوا ولم يتفكروا فأَمن الذين... إلخ؟

قوله: (﴿السَّيِّئَاتِ﴾) صفة لمصدر محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (المَكرَات) بفتح الكاف: جمع مَكْرة بسكونها: المرَّة من المكر.

قوله: (﴿أَن يَخْسِفَ﴾) «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر معمول لـ(أَمِنَ)، والتقدير: أفأمنوا خَسفَ الله بهم الأرض؟

---

(١) لتعليق الجار في (بالبينات) ثمانية أوجه، ذكرها السَّمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)؛ منها: أنه متعلق بمحذوف صفة لـ(رجالاً) أي: رجالاً مُلتبسين بالبينات، ومنها: أنه متعلق بـ(أرسلنا)، ومنها: أنه متعلق بـ(نوحي)... إلى غير ذلك.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ....

وقد أُهلِكُوا بِبَدرٍ ولم يَكُونوا يُقدِّرُون ذلك.

(﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارِهم لِلتِّجارةِ، ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفائِتِينَ العَذاب، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: تَنَقُّصٍ شَيئاً فشيئاً حتَّى يَهلِكَ الجَمِيعُ ـ حال مِن الفاعِل أو المَفعول ـ، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ لَم يُعاجِلْهم بِالعُقوبة.

حاشية الصاوي

قوله: (وقد أُهْلِكوا ببدر) أي: أُهلك صناديدهم، وهم: الذين اجتمعوا في دار النَّدوة.

قوله: (يقدِّروا ذلك) أي: الهلاك؛ أي: يَعتقدوه ويظنُّوه، وهو بدلٌ من (يكونوا)، والمبدل من المجزوم مجزومٌ، أو حُذِفَتِ النون تخفيفاً.

قوله: (﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾) أي: حال كونهم مُتقلبين في أسفارهم.

قوله: (﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾) أي: يُهلكهم في حال خوفهم، أو المراد بـ(التخوُّف): التنقص كما قال المفسِّر؛ مِن: (تخوَّفته): إذا تنقصتَه. روي: أنَّ عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخٌ من هذيل فقال: هذه لُغتنا، التخوُّف: التنقص، فقال: هل تَعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو بكر[1] يصف ناقته: [البسيط]

تـخـوَّف الـرَّحـلُ مـنـهـا تـامِـكـاً قَـرِداً   كـمـا تـخـوَّف عـودَ الـنَّـبـعـةِ الـسَّـفَـنُ

فقال عمر: عليكم بدِيوانكم لا تضلوا، قالوا: وما دِيواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإنَّ فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم[2].

والرحل بالحاء المهملة: رحل الناقة، والتامك بالفوقية: السَّنام، والقَرِد بفتح القاف وكسر الراء هو: المرتفع أو المتراكم، والنبع: شجر يُتخذ منه القسي، والسَّفَن بفتحتين وهو: المبرد أو القدوم، والمعنى: أن الرحل أثَّر في سنام تلك الناقة، فأكله وانتَقصه؛ كما ينتقص المبرد أو القدوم العودَ من الشجر.

---

(١) كذا في الأصول، والذي في كتب اللغة والتفسير نسبةُ هذا البيت إلى أبي كبير، أو زهير، أو ذي الرمة، أو ابن مقبل، وانظر «تاج العروس» للزبيدي (٢٣/ ٢٩٢).

(٢) انظر «الدر المصون» (٧/ ٢٢٥).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ....

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لَه ظِل كشَجرةٍ وجبلٍ، ﴿تَتَفَيَّأُ﴾: تَتَميَّل ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾: جَمع شِمال، أي: عن جانِبَيهِما أوَّل النَّهار وآخِرَه، ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال أي: خاضِعِينَ لَه بِما يُراد مِنهُم، ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظِّلالُ ﴿دَاخِرُونَ﴾: صاغِرُون، نُزِّلُوا مَنزلةَ العُقلاء.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾) الهمزة: داخلة على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعموا ولم يرَوا؟ والاستفهام للتوبيخ.

قوله: (له ظل) خرج الملك والجن.

قوله: (﴿تَتَفَيَّأُ﴾)[1] أي: تنتقل من جانب إلى آخر، واختلف في الفيء؛ فقيل: هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية هنا، وقيل: الظل: ما كان قبل الزوال، والفيء: ما كان بعده، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾) أي: يمين المستقبل للقبلة وشماله، وذلك: أنَّ الشمس إذا طلعت من المشرق وأنتَ مُتوجه إلى القبلة.. كان ظلُّك عن يمينك، وإذا ارتفعت واستَوت في وسط السماء.. كان ظلُّك خلفك، فإذا حالت إلى الغروب.. كان ظلُّك عن يسارك. وأفرد (اليمين)، وجمع (الشمائل)؛ تفنُّناً.

قوله: (أي: عن جانبيهما) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (حال) أي: من قوله: ﴿ظِلَالُهُ﴾.

قوله: (بما يراد منهم) أي: من طول وقصر وتحوُّل من جانب لآخر.

قوله: (﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾) الجملة حالية من الضمير في ﴿سُجَّدًا﴾.

قوله: (نُزِّلوا) أي: في جمعهم بالواو والنون كالعقلاء؛ وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله، وذلك من وصف العقلاء، فجُمعت بالواو والنون.

(١) كذا في الأصول بالتاء، وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٣٤).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ....

(٤٩ - ٥٠) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ أي: نَسَمةٍ تَدِبُّ علَيها، أي: يَخضَع لَه بِما يُراد مِنه، وغَلَّبَ في الإتيان بِـ(ما) ما لا يَعقِل لِكثرَتِه، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خَصَّهُم بِالذِّكرِ تَفضِيلاً، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يَتكبَّرُون عن عِبادتِه، ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: المَلائكةُ ـ حال مِن ضَمير ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ـ ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ـ حال مِن (هُم) ـ أي: عالِياً علَيهِم بِالقَهرِ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ بِه.

(٥١) ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ـ تأكِيد ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾) أي: طوعاً وكرهاً، فسجودُ الملائكة وغير العاقل طوعاً فقط، وسُجود الآدميين والجنِّ طوعاً من مؤمنهم، وكرهاً من كافرهم[1].

قوله: (أي: يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود: مَعناه اللغوي.

قوله: (﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾) عطف على (ما) في قوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾.

قوله: (تفضيلاً) أي: تشريفاً وتعظيماً.

قوله: (يتكبرون عن عبادته) أي: لا يتركون عِبادة ربهم، ولا يتكبرون عنها.

قوله: (حال من «هم») صوابه: (من ربهم)؛ بدليل قوله: (عالياً... إلخ)، والمعنى: يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعلياً عليهم وقاهراً لهم، فالمراد بالفوقيَّة: الاستعلاء والقهر، لا الجهة؛ لأنها مستحيلةٌ عليه تعالى.

قوله: (﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾) أي: فلا يَعصون ربَّهم أبداً، بل هم مُمتثلون لأمره، مجتنِبُون لنهيه.

قوله: (﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾) أي: لِعباده.

قوله: (﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾) ﴿لَا﴾: ناهية، و﴿تَتَّخِذُوا﴾: مجزوم بحذف النون، والواو: فاعل، و﴿إِلَٰهَيْنِ﴾: مفعول أول، و﴿اثْنَيْنِ﴾: تأكيد له، والمفعول الثاني محذوف تقديره: معبوداً، ويُعلم من النهي عن اتخاذ اثنين النَّهيُ عن اتخاذ الأكثر بالأولى.

---

(١) لا يخفى أن الخبر محذوف وجوباً؛ لسدِّ الحال مسدَّه.

إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ ....

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أتَى بِه لإثباتِ الإلَهيَّة والوَحدانِيَّة، ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: خافُونِ دُون غَيرِي. وفِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً، ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطَّاعةُ ﴿وَاصِبًاۚ﴾: دائِماً - حال مِن ﴿ٱلدِّينُ﴾، والعامِل فِيه معنَى الظَّرف -، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾) أتى به لإثبات الألوهيَّة والوحدانيَّة، والمعنى: أنَّ المعبود لا يكون إلا واحداً، وإلَّا.. لم يوجد شيءٌ من العالم، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: (﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾) (إياي): مفعول لفعل محذوف يفسِّره قوله: (ارهبون) أي: ارهبوا إياي فارهبون، والمعنى: لا تخافوا غيري؛ فإنَّ النفع والضرَّ بيَدي، والألوهيَّة وصفي، فلا تخشوا غيري، ولا ترهبوا[1] غيري.

قوله: (وفيه التفاتٌ عن الغيبة) أي: إلى التكلم؛ لأنه أبلَغ في التخويف.

قوله: (﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) فيه التفاتٌ من التكلم للغيبة، وهذا دليلٌ على أنه المنفرد بالألوهيَّة والوحدانيَّة؛ إذ غيره لا يخلُو إما أن يكون في السماوات أو الأرض، وكلٌّ بما فيها مملوكٌ لله؛ فلا يصح ولا يَليق اتخاذ غيره إلهاً.

قوله: (ملكاً وخلقاً وعبيداً) أي: فجميع ما في السماوات وما في الأرض مملوكون مخلُوقون له، يتصرَّف فيهم كيف شاء.

قوله: (﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾) أي: التدين والانقياد، لا لغيره؛ فالطاعة لا تكون إلا له وحده، وطاعة الرسول والوالدَين وأُولي الأمر.. من طاعة الله؛ لأمره بها.

قوله: (والعامل فيه معنى الظرف) أي: الاستقرار المفهوم من الجارِّ والمجرور، والمعنى: استقر الدِّين له حال كونه دائماً، وهذا ظاهرٌ على أن ﴿ٱلدِّينُ﴾ فاعل بالجار والمجرور[2]،

---

(١) في (ط٢): (ولا ترجوا).

(٢) وهذا على مذهب الأخفش الذي لا يشترط الاعتماد.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ....

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإلهُ الحقُّ ولا إلهَ غيره؟ والاستِفهام لِلإنكارِ والتَّوبيخ.

(﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾) ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ لا يَأتِي بِها غَيرُه، ـ و(ما) شَرطيَّة أو مَوصُولة ـ ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾: أصابَكُم ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الفقرُ والمَرَض ....

حاشية الصاوي

وأما إن جعل ﴿ٱلدِّينُ﴾ مبتدأً مؤخراً والجارُّ والمجرور خبراً مقدَّماً.. فلا يصح ما قاله المفسِّر؛ لأنَّ العامل في الحال هو العامل في صاحبها، والمبتدأ ليس معمولاً للخبر، فالأولى: أن يُجعل حالاً من الضمير الكائن في الظرف، والتقدير: والدين ثابت له حال كونه واصباً.

قوله: (﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾) الهمزة: داخلة على محذوف، تقديره: أتركتُم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون؟!

قوله: (والاستفهام للإنكار) أي: والمعنى: لا يَليق منكم أن تتقوا غيره ولا تُطيعوا غيره إلا إذا كان الآمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول؛ ففي الحقيقة: التقوى لله.

قوله: (﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾) أي: دُنيويَّة أو أخرويَّة.

قوله: (و«ما»: شرطيَّة) أي: وفعل الشرط محذوفٌ، والتقدير: وأيّما نزل بكم، وقوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: جواب الشرط، وقوله: ﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: بيان لـ(ما)، ويَرد عليه: أنه لا يحذف فعل الشرط إلا بعد (إن) في موضعين: الأول: في باب الاشتغال نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦].

الثاني: أن تكون (لا) النافية تاليةً لـ(إن) مع وجود ما يدل على الشرط؛ كقول الشاعر[(١)]:

[الوافر]

فطلِّقْها فلَسْتَ لها بكُفْءٍ ... وإلَّا يَعلُ مفرقَكَ الحسامُ

فإن لم توجد (لا) أو كانت الأداة غير (إن).. لم يُحذف إلا لضرورة؛ فالأحسن: الإعراب الثاني.

قوله: (أو موصولة) أي: بمعنى (الذي)، والجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صِلة (ما)، و﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: بيان لـ(ما)، وهو مبتدأ، وخبره قوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، والفاء: زائدة في الخبر؛ لتضمُّن المبتدأ

(١) وهو الأحوص بن محمد الأنصاري، كما في «ديوانه» (ص١٨٤) أي: وإن لا تُطلقها.

فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ...

﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: تَرفعُون أصواتَكُم بِالاستِغاثة والدُّعاءِ ولا تَدعُون غيرَه. ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مِن النِّعمةِ، ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ بِاجتِماعِكُم على عِبادةِ الأصنامِ، أمرُ تَهدِيد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقِبةَ ذلك.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المُشرِكُون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّها تَضُرُّ ولا تَنفَع وهي الأصنامُ ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِن الحَرث والأنعام بِقَولِهِم: هذا للهِ وهذا لِشُرَكائِنا، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ سُؤالَ تَوبِيخ، ـ وفِيه التِفاتٌ عن الغَيبة ـ ....

حاشية الصاوي

معنى الشرط، والمعنى: أن الله مُولي النعم لا غيره، وتسمية غيره منعماً؛ باعتبار أنَّ النِّعَم أُجريت على يده، وهو مظهرٌ لها.

قوله: (﴿تَجْـَٔرُونَ﴾) من: الجُؤَار، بوزن: غُراب، وهو: رفع الصوت بالدعاء في كشف ما نزل من الضرِّ.

قوله: (﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾) أي: أزاله بإيصالِ النفع لكم.

قوله: (﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾) اللام: لام كي، وهي متعلقة بـ﴿يُشْرِكُونَ﴾، أو لام العاقبة والصيرورة، أو لام الأمر لِلتهديد.

قوله: (أمر تهديد) أي: تخويفٍ.

قوله: (عاقبة ذلك) أي: وهي الخلود في النار.

قوله: (أنها لا تضر ولا تنفع) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (وهي الأصنام) تفسير لـ(ما)، والمعنى: ويجعل المشركون للأصنام التي لا يَعلمون منها نفعاً ولا ضرًّا نصيباً.

قوله: (من الحرث) بيان لـ(ما)، والمراد بالحرث: الزَّرع.

قوله: (بقولهم) متعلق بـ(يجعلون).

قوله: (وفيه التفاتٌ عن الغيبة) أي: لزيادة التوبيخ عليهم.

عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ ....

﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على الله مِن أنَّهُ أمَرَكُم بذلك.

﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولِهم: المَلائكةُ بَناتُ الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عمَّا زَعَمُوا، ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: البَنُونَ، ـ والجُملة في مَحَلِّ رَفع أو نَصب بـ(يَجعَل) ـ المَعنَى: يَجعَلُونَ لَه البَنات التي يَكرَهُونَها وهو مُنَزَّه عن الوَلَد، ويَجعَلُون لَهُم الأبناءَ الذين يَختارُونَها فيَختَصُّونَ بالأسنَى، كقَولِه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩].

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تُولَدُ له ﴿ظَلَّ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (بقولهم: الملائكة بنات الله) أي: وليس المراد بالبنات: بناتِهِمُ التي يلدونها؛ لأنهم يعترفون بأنها منسوبةٌ لهم، فلا يُضيفونها لله، وإنما البنات التي يضيفونها لله هي الملائكة، والقائل ذلك: كنانة وخزاعة[1].

قوله: (والجملة في محل رفع) المناسب أن يقول: (مستأنفة)؛ لأن (لهم): خبرٌ مقدَّم، و(ما): مبتدأ مؤخَّر، ولا محل لها من الإعراب.

قوله: (أو نصب بـ«يجعل») أي: بالعطف على معمول (يجعل)؛ فإنَّ قوله: (لهم): معطوف على (لله)، و(ما): معطوفة على (البنات) مسلَّط عليهما (يجعل)، وفيه العطف على معمولَي عامل واحد، وهو جائزٌ باتفاق[2].

قوله: (بالأسنى) أي: الأرفَع والأشرف.

قوله: (﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾) الجملة في محل نصب حال من الواو في (يجعلون)، والمراد بالبشارة: الإخبار.

---

(١) يحتمل أنهم لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوَّتها، ويحتمل ـ كما قاله الإمام ـ أنهم سمَّوها بنات؛ لاستتارها كالنساء. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٥/ ٣٣٩).

(٢) على ما جوَّزه الفراء والحوفيُّ والزمخشريُّ و أبو البقاء، ولكنه ممتنعٌ في الظاهر؛ إذ لا يَتعدى فعل الضمير المتصل إلى ضميره المتصل إلا في باب: ظن، وفقد، وعدم، وجوَّزه البيضاوي في المعطوف. انظر «مغني اللبيب» (ص٥١٨)، و«الدر المصون» (٧/ ٢٤٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٣٢٠).

وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ ....

صارَ ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: مُتغيراً تَغَيُّرَ مُغتَمٍّ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمتَلِئٌ غمًّا، فكيف تُنسَب البَنات إلَيهِ تعالى؟

﴿٥٩﴾ ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يَختَفي ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: قَومِه ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ﴾ خَوفاً مِن التَّعيير مُتَرَدِّداً فِيما يَفعَل بِه، ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾: يَترُكُهُ بِلا قَتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هَوان وذُلٍّ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ﴾ بِأن يَئِدَهُ، ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بِئسَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكمُهم هذا، حيثُ نَسَبُوا لِخالِقِهم البَنات اللَّاتِي هُنَّ عِندهم بِهذا المَحَلِّ.

﴿٦٠﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الكُفَّار ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ﴾ أي: الصِّفةُ السُّوأى بِمَعنى القَبيحة، وهي وَأدُهم البَنات مع احتِياجِهم إلَيهِنَّ لِلنِّكاحِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (صار) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ظَلَّ﴾ ليست على بابها؛ من أنها تدل على الإقامة على تلك الصفة نهاراً، بل المراد بها: الانتقال من حالة لأخرى.

قوله: (﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾) أي: من أجل سُوء الأنثى التي بشِّر بها، وسوؤها من حيث إنه يخاف عليها الزنا، ويتحمل عارُها، وكونها لا تكتسب، وغير ذلك.

قوله: (متردداً) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ...﴾ إلخ معمولٌ لحالٍ محذوفةٍ، ولا يصلح أن يكون حالاً؛ لأنه جملةٌ طلبيَّة.

قوله: (﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾) حال من المفعول، والمعنى: أيمسكه مُهيناً له.

قوله: (﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾) أي: يُخفيه.

قوله: (بأن يئده) الوأدُ: دفنُ البنتِ حيَّةً.

قوله: (بهذا المحل) أي: الرتبة، وهي الحقارة والذلُّ.

قوله: (أي: الصفة السُّوأى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ من إضافة الموصوف لصفته، والسُّوأى: بضم السين والقصر، بوزن: طُوبى.

وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ . . . .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصِّفةُ العُليا، وهو أنَّهُ لا إلهَ إلَّا هو، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلقِه.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نَسَمة تَدِبُّ عليها، ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عَنهُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) أي: فصِفات الله أعلى الصفات، وصفات الكفار أخسُّها؛ حيث ينسبون لله ما يَكرهونه لأنفسهم مع كونه منزَّهاً عن صفات الحوادث.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه) أي: الغالب؛ فلا يُعجزه شيءٌ.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه) أي: يضع الشيء في محلِّه.

قوله (﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ . . . إلخ) أي: لو يعجِّل الله للناس العقوبةَ بسبب عصيانهم.. لم يُبْقِ أحداً.

قوله: (﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾) الضمير عائدٌ على الأرض المفهومة من السياق؛ لأنَّ الدابَّة ما دبَّ على وجه الأرض.

قوله: (﴿مِن دَآبَّةٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة في المفعول، ووجه هلاك الجميع: أنَّ الله تعالى يمسك السماء عن المطر، والأرض عن النبات؛ فإذا حصل ذلك.. هلك كلُّ مرزوق؛ لأنَّ كلَّ دابَّة محتاجةٌ للقِوام، فإذا أمسك قوامها.. هلَكت عن آخرها، وهو أقرب ما يقال في ذلك[1].

قوله: (﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) أي: ولكن سَبقت حكمة الله بأنَّ الدنيا تصير عماراً إلى أن تنقضي المدة التي قدَّرها الله تعالى، فإذا كان كذلك.. فلا يُعاجلهم بالعقوبة، بل يُوفيهم أرزاقهم وآجالهم؛ لغلبة الرحمة على الغضب، فلو عاجلهم بالعقوبة.. لكان الغضب غالباً على الرحمة، وهو خلاف ما سبَق به علمه.

---

(١) وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء، وقيل: المراد بالآية العموم؛ أي: لو أخذ الله الخلق بما كسبوا.. ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة من نبي ولا غيره، وهذا قول الحسن، وقال ابن مسعود وقرأ هذه الآية: لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين.. لأصاب العذاب جميعَ الخلق حتى الجعلان في حجرها، ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل. «تفسير القرطبي» (١٠/١١٩).

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ....

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لِأنفُسِهِم مِن البَنات والشَّريكِ في الرِّياسة وإهانةِ الرُّسُل، ﴿وَتَصِفُ﴾: تَقُول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذَلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ عِند الله، أي: الجَنَّة لِقَولِه: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، قال تَعالى: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾) أي: لا يتقدمون على الأجل المعيَّن الذي حَضر.

إن قلتَ: إنه لا يحسن ترتُّبه على الشرط؛ لأنَّ الأجل إذا جاء.. لا يتوهم التقدم عليه؛ إذ هو مستحيلٌ، ولا ينفى إلا ما يتوهم ثُبوته؟

أجيب: بأن قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوفٌ على جملة الشرط وجوابه، كأنه قال: فإذا جاء أجلهم.. لا يستأخرون عنه ساعة، وإذا لم يجئ.. لا يستقدمون عليه.

قوله: (﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾) هذا من جملة صِفات السوء.

قوله: (والشريك في الرياسة) أي: وهي الأصنام، جعلوها شركاء لله في الألوهيَّة التي هي أعلى أوصاف الرياسة.

قوله: (وإهانة الرسل) أي: كما أهانوا رسول الله، فهم يكرهون البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة رسلهم، ويجعلون ما يكرهون لله، فينسبون لله البنات، ويشركون مع الله في الألوهية غيره، ويُهينون رسول الله.

قوله: (﴿الْكَذِبَ﴾) مفعول به، وقوله (﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾) بدل كلٍّ من كلٍّ، والمعنى: وتقول ألسنتهم زيادةً على ما سبق منهم: إنَّ لهم الحسنى.

قوله: (لقوله) دليلٌ لقوله: (عند الله).

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم وتبكيتاً لهم.

لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ....

﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مَتروُكُون فِيها أو مُقدَّمُون إلَيها، ـ وفي قِراءة بِكسرِ الرَّاء أي: مُتجاوِزُون الحَدَّ ـ.

﴿٦٣﴾ ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رُسُلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السَّيِّئَة فرأَوها حَسَنة فكذَّبُوا الرُّسُل، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: مُتوَلِّي أُمُورِهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدُّنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم في الآخِرة، وقِيل: المُراد بِاليَوم يَومُ القِيامة على حِكايةِ الحالِ الآتِية، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾) تقدَّم أن (لا) نافية لمعنى ما قبلها، و(جرم) بمعنى: حقَّ وثبت، و(أن) وما دخلت عليه: في محل رفع فاعل، والمعنى: لا عبرة بقولهم الكذب، بل حق وثبَت كون النار لهم وتركهم فيها، وتقدَّم أن قول المفسِّر: (حقًّا) مفعولٌ مطلق لفعل محذوف، تقديره: حقَّ حقًّا[1].

قوله: (أو مقدَّمون إليها) أي: معجَّلون إليها قبل غيرهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾) شروعٌ في تسليته ﷺ.

قوله: (﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾) أي: جعلها حسَنة ليضلَّهم بها.

قوله: (أي: في الدنيا) هذا أحدُ قولين ذكرهما المفسِّر، وعلى هذا القول: فلا يحتاج لتأويل؛ لأنَّ مدَّة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة.

قوله: (وقيل: المراد بـ«اليوم»: يوم القيامة... إلخ) أي: وعليه: فاليوم مُستعمل في غير معناه الأصلي؛ لأنه حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم؛ ولذا أوَّله المفسِّر بقوله: (على حكاية الحال الآتية) أي: فعبَّر عن الزمان الذي لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن؛ لِتَحقق حصوله، فكأنه حاضرٌ الآن.

---

(١) انظر (٣/ ٢٧٢).

(٢) قرأ نافع بكسر الراء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢٤٧).

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

أي: لا وليَّ لَهُم غَيرُه، وهو عاجِز عن نَصر نَفسِه فكيف يَنصُرهُم؟

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: لِلناسِ ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ مِن أمرِ الدِّين، ﴿وَهُدًى﴾ ـ عطف على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ـ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بِه.

﴿٦٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بِالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: يُبسِها، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَـَٔايَةً﴾ دالَّةً على البَعثِ ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّر.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا وليَّ لهم) أي: لا ناصر ولا مُغيث لهم غيره.

قوله: (وهو عاجز. . . إلخ) الجملة حاليَّة.

قوله: (فكيف ينصرهم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الولي) على هذا القول الثاني: الناصر، وأما على الأول. . فمعناه: القرين المتولي إغواءَهم.

قوله: (﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾. . . إلخ) هذا من جملة تسليته ﷺ.

قوله: (من أمر الدِّين) أي: كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك.

قوله: (﴿وَهُدًى﴾) أي: من الضلال.

قوله: (﴿وَرَحْمَةً﴾) أي: إحساناً.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾) خصَّهم؛ لأنهم المنتفعون به دون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾) شروعٌ في ذكر أدلَّة توحيده سبحانه وتعالى.

قوله: (دالَّة على البعث) أي: لأنَّ القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يُبسها. . قادرٌ على إعادة الأجسام بعد نُفوقها وانعدامها.

قوله: (سماع تدبُّر) أي: فالمراد بالسماع: سماع القلوب، لا سماع الآذان.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ ....

٦٦ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾: اعتِباراً ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بَيان لِلعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: الأنعامِ، ﴿مِنۢ﴾ ـ لِلابتِداء مُتعلِّقة بِـ﴿نُّسْقِيكُم﴾ ـ ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: ثُفلِ الكَرِش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يَشُوبُه شَيء مِن الفَرث والدَّم مِن طَعم أو رِيح أو لَون وهو بَينهما، ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سَهلَ المُرُور في حَلقِهم لا يُغَصُّ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾) ﴿فِي﴾: لِلسببية، والمعنى: وإنَّ لكم بسبب الأنعام لَعبرة... إلخ.

قوله: (﴿لَعِبْرَةً﴾) أي: اتِّعاظاً وتذكاراً يعتبر بها المعتبر ويستدل على أنَّ الله هو الرحمن الرحيم الفعَّال لما يريد.

قوله: (بيان للعبرة) أي: لمتعلَّقها، وهو المعتبر به.

قوله: (﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾) (مِن): للتبعيض، وقوله (﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ﴾) (مِن): ابتدائية كما قال المفسِّر، والمعنى: نسقيكم بعض الذي في بُطونه لبناً خالصاً ناشئاً من بين فرث ودم، وذكَّر الضمير في ﴿بُطُونِهِۦ﴾ هنا؛ مراعاةً للفظ (الأنعام)، وأنَّثه في سورة (المؤمنون)؛ مراعاة لِلمعنى الذي هو جماعة الأنعام؛ لأنَّ (الأنعام) اسم جمع.

قوله: (ثُفْل الكَرِش) بضم المثلثة وسكون الفاء، والكَرِش: بوزن (كبد).

قوله: (﴿لَّبَنًا﴾) مفعول ثان لـ﴿نُّسْقِيكُم﴾، والأول هو الكاف.

قوله: (وهو بينهما) وذلك لأنَّ البهيمة إذا أكَلت العلف.. طبَخه الكرش، فيجعل الله أسفَله فرثاً، وأوسطه لبناً خالصاً لا يَشوبه شيءٌ، وأعلاه دماً، وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى، ثم يُسلط الكبد عليه، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضُّروع، ويبقى الفرث في الكرش، فينزل من مخرجه رَوثاً.

قوله: (سهلَ المرور) أي: ولذا جعل غذاءً لصغار الحيوانات التي تُرْضِعُها أمَّهاتها، ولعظم مزيَّته يقال عقب أكلِه: (اللهم بارك لنا فيه وزِدنا منه)، بخلاف غيره من الأطعمة فيقال: (وعَوِّضنا خيراً منه)[1].

---

(١) روى أبو داوود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٤٥)، وابن ماجه (٣٣٢٢) عن سيدنا =

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ....

﴿٦٧﴾ ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ثَمَر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: خَمراً يُسكِر، سُمِّيَت بِالمَصدَر، وهذا قبلَ تَحريمها، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتَّمرِ والزَّبيب والخَلِّ والدِّبس، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَءَايَةً﴾ دالَّةً على قُدرَته تَعالى، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتدبَّرُون.

﴿٦٨﴾ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ﴾) خبرٌ مقدَّم، والمبتدأ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ثمر)، و﴿تَتَّخِذُونَ﴾: نعتٌ لذلك المحذوف، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائدٌ على ذلك المحذوف.

قوله: (خمراً) أي: وقيل: إنه اسمٌ للخلِّ بلُغة الحبشة، وقيل: اسمٌ للعصير ما دام حُلواً، وتسميته (سكراً)؛ باعتبار ما يؤول إليه، وعلى هذَين التفسيرين: فالامتِنان به باقٍ لم يُنسخ.

قوله: (سمِّيت بالمصدر) أي: فالسَّكَر مصدر: سَكِرَ، من باب (فَرِحَ).

قوله: (وهذا قبل تحريمها) أي: لأنَّ هذه السورة مكيَّةٌ، وتحريم الخمر كان بالمدينة، نزَلت به سورة (المائدة)، وهي مدنيَّة.

قوله: (والدِّبس) وهو: عسل الرطب، ويُطلَق على عسل العنب.

قوله: (المذكور) أي: من إخراج اللَّبن على هذه الكيفيَّة، واتخاذ السَّكَر والرزق من الثمرات.

قوله: (﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾) لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدلُّ على باهِر قدرته، وعظيم حِكمته؛ من إخراج اللبن من بين فَرث ودم، وإخراج السَّكَرِ والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب.. ذكر إخراج العسل الذي جعَله شفاءً للناس من النحل ـ وهي دابَّة ضعيفة ـ لما فيه من العجائب البديعة، والأُمور الغريبة، وكلُّ هذا يدل على وحدانيَّة الصانع وقُدرته وعظمته.

قوله: (﴿إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾) هو: اسم جنس جمعي، يُفرق بينه وبين واحده بالتاء؛ كـ: نمل ونملة، وشجر وشجرة، ويذكَّر ويؤنث؛ فمِن التأنيث قوله هنا: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾، ويجوز في غير القرآن تذكيره فيقال: أن اتَّخِذ.

= ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً.. فليَقُل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه، وإذا سقي لبناً.. فليقُل: اللهم بارك لنا فيه، وزِدنا منه؛ فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن».

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ....

وَحيَ إلهام ﴿أَنْ﴾ ـ مُفسِّرة أو مَصدريَّة ـ ﴿ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوِينَ إليها، ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ بُيُوتاً، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: النَّاسُ: يَبنُون لكِ مِن الأماكِن وإلَّا لم تَأوِ إلَيها.

﴿٦٩﴾ ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى﴾: ادخُلِي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طُرُقَه في طَلَب المَرعَى، ﴿ذُلُلًا﴾ جَمع (ذَلُول) ـ حال مِن (السُّبُل) ـ أي: مُسَخَّرة لك، فلا تَعْسُر علَيك ....

حاشية الصاوي

قوله: (وحي إلهام) أي: هدايةٍ ورُشدٍ، لا وحي نبوَّة؛ إذ هي مستحيلةٌ على غير المختصِّين من بني آدم، فمَنْ أثبتَها لغير النوع الإنسانيِّ.. فقد كَفر.

قوله: (مفسِّرة) أي: لتقدُّم جملةٍ فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: (أوحى).

قوله: (أو مصدريَّة) أي: فهي وما دَخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير: أوحى ربك إلى النحل باتخاذها.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾) أي: أماكنَ، و(مِن) بمعنى (في) أي: اتخذي في الجبال أماكن تأوي إليها، ومن عَجيب قدرته تعالى: أن ألهمها اتخاذ بيوتٍ على شكل مسدَّس من أضلاع مُتساوية لا يزيد بعضها على بعض، وليس فيه فُرَجٌ خالية ولا خلَل، وألهمها الله تعالى أن تجعل عليها أميراً كبيراً نافذاً حكمه فيها، وهي تُطيعه، وهذا الأمير أكبرها جثة، وأعظمها خِلقة، يسمى يعسوب، وألهمها سبحانه وتعالى أن تجعل على باب كل خليَّة بوَّاباً لا يمكِّن غيرَ أهلها من الدخول إليها، وألهمها أنها تخرج من بيوتها فتَدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضلُّ عنها.

قوله: (﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾) أي: وفيما يَبنُون لك؛ أي: فالنحل تارةً تبني بيوتها التي هي من الشمع والماء؛ تارةً في الجبال، وتارةً في الأشجار، وذلك في النحل الوحشي، وتارةً تَبنيه في الخلايا، وهذا في النحل الأهلي.

قوله: (وإلا.. لم تأوِ إليها) أي: وإلا؛ بأن لم يُلهمها الله اتخاذ البيوت في الأماكن الثلاثة.. لم تأوِ إليها؛ فيَضيع عسلها، ولا ينتفع به.

قوله: (﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) أي: حُلوها ومرِّها، طيِّبها ورَديئها.

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ....

وإن تَوعَّرَت، ولا تَضِلّي عن العَود مِنها وإن بَعُدَت، ـ وقِيل: مِن الضَّمِير في (اسْلُكِي) ـ أي: مُنقادةً لِما يُرادُ مِنك، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العَسَل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ مِن الأوجاعِ، قِيل: لِبَعضِها كما دلَّ عليه تَنكِير ﴿شِفَآءٌ﴾، أو لِكُلِّها بِضَمِيمَتِه إلى غيرِه، أقول: وبِدُونِها بِنيَّتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وإن توعَّرت) أي: صعُبت.

قوله: (ولا تضلّي) معطوف على قوله: (فلا تعسر عليك).

قوله: (أي: منقادة لما يراد منك) أي: ممتثلة؛ ولذا يُقسِّم يعسوبها أعمالها بينها، فالبعض يعمل الشمع، والبعض يعمل العسل، والبعض يأتي بالماء ويَصبه في البيت، والبعض يَبني البيوت.

قوله: (﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾) أي: ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل، واختلف في سبب اختلاف ألوانِه؛ فقيل: بسبب اختلاف المرعى، وقيل: بسبب اختلاف سنِّ النحل؛ فالأبيض لِصغيرها، والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنِّها، وردَّ هذا: بأنه لا دليلَ عليه.

قوله: (قيل: لبعضها) أي: الأوجاعِ؛ كالبَلغم والبرودة وباقي الأمراض الباردة.

قوله: (أو لكلِّها) أي: الأوجاع جميعها، فالأمراض التي شأنها البُرودة هو نافعٌ لها بنفسه، والأمراض التي شأنها الحرارة ينفع فيها مضموماً لغيره؛ ولذلك تجد غالبَ المعاجِين لا تخلُو عنه.

قوله: (أقول: وبدونها بنيَّته) أي: بنيَّة الشفاء الجازمة أنَّ الله يخلق الشفاء عند استِعماله؛ لإخباره تعالى بذلك، فتحصَّل: أنَّ في قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أقوال[1] ثلاثة: قيل: شفاءٌ لِبَعض الأوجاع التي شأنها البرودة، وقيل: شفاءٌ لجميعها، لكن في الأمراض الباردة يُستعمل وحده خالصاً، والحارَّة يستعمل مَشوباً بغيره، وقيل: شفاءٌ لجميعها بالنية في كلِّ حال ولكلِّ أحد؛ ولذا روي عن ابن عمر: أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليها عسلاً؛ حتى الدمل إذا خرَج. طلى عليه عسلاً، وحكى النقاش عن أبي وجرة: أنه كان يكتحل بالعسل، ويَتنشَّق بالعسل، ويتداوى بالعسل[2].

(١) كذا في الأصول؛ بالرفع، فيكون اسم (أن) ضمير شأن محذوفاً؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون» كما رواه النسائي في «المجتبى» (٨/٢١٦)، والأصل: إنه؛ أي: الشأن. انظر «مغني اللبيب» (ص٥٦).

(٢) انظر الخبرَين في «تفسير القرطبي» (١٠/١٣٦).

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ..

وقد أمَر به ﷺ مَن استُطلِقَ عليهِ بطنُه، رَواهُ الشَّيخانِ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعِه تَعالى.

﴿٧٠﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكُونُوا شيئاً، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عندَ انقِضاءِ آجالِكُم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أَخَسِّه مِن الهرَم والخرَفِ؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقد أمر به ﷺ... إلخ) قد اختصر المفسِّر الحديث، ونصُّه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استَطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: «اسقِه عسلاً»، فسقاه، ثمَّ جاء فقال: إني سَقيته عسلاً فلم يَزِده إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات، ثم جاءه الرابعة فقال: «اسقِه عسلاً»، فقال: لقد سقيتُه فلم يَزده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: «صدَقَ الله، وكذب بطنُ أخيك»، فسقاه، فبرئ[1]، ولا عبرةَ باعتراض الملحدين الذين في قلوبهم مرضٌ على هذا الحديث؛ حيث قالوا: إنَّ الأطباء مجمعون على أنَّ العسل مُسهل، فكيف يوصف لمن به إسهالٌ؛ لأنَّ الإسهال يكون من أنواع كثيرة منها: الإسهال الحادث من التخَم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أنَّ علاجه بالمعين على الإسهال؛ إذ حبسُ الطبيعة مضرٌّ، فهذا الحديث محمولٌ على ذلك؛ ولِذا نفعَه آخراً حين نَظفت المَعِدة وخلصت من الغش.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾) أي: دلالة على وحدانيَّة الصانع الحكيم القادر.

قوله: (﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾) أي: أنشأكم وأوجَدكم.

قوله: (﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾) أي: يُميتكم.

قوله: (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾... إلخ) معطوفٌ على محذوف، والتقدير: فمنكم من يَبقى على قوة جسمه وعَقله إلى أن يموت ومنكم... إلخ.

قوله: (﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾) أي: أضعفِه، قال العلماء: عُمُرُ الإنسان له أربعُ مراتب: أوَّلها: سنُّ النشوء والنماء، وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وهو غاية سنِّ الشباب وبُلوغ الأشد، ثم المرتبة الثانية: سنُّ الوقوف، وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة، وهو غاية القوة وكمال العقل، ثم المرتبة الثالثة: سنُّ الكهولة، وهي مِن الأربعين إلى ستين سنة، وفي هذه

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٨٤)، و«صحيح مسلم» (٥٨٢٣).

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ ....

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قال عِكرِمةُ: مَن قَرأ القُرآنَ لم يَصِرْ بِهذه الحالةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِتَدبيرِ خَلقِه، ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يُريدُه.

٧١ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ فمِنكُم غَنيٌّ وفَقِير ومالِك ومَملُوك، ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ أي: المَوالي ....

حاشية الصاوي

المرتبة يَشرع الإنسان في النقص غير أنه يكون خفيًّا، ثم المرتبة الرابعة: سنُّ الشيخوخة والانحطاط، من الستين إلى آخِر العمر، وفيه يتبيَّن النقص، ويكون الهرم والخرف، وقد استعاذ منه ﷺ حيث قال: «**اللهم؛ إني أعوذُ بك من البخل والكسل، وأرذَل العمر، وعذاب القبر، وفِتنة المحيا والممات**»[1].

قوله: (﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾) اللام: لام التعليل، و(كي): مصدرية، و(لا): نافية، و﴿شَيْـًٔا﴾: تنازَعه الفعل والمصدر، فأعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف، والمعنى: لأجل انتفاء علمه بالأشياء التي كان يَعلمها قبل هذه الحالة، فيرجع إلى مَبدئه في عدم المعرفة والعلم كالطفل الذي لا يَدري شيئاً.

قوله: (من قرأ القرآن) أي: عاملاً به، وكذلك العلماء العاملون لا يَصيرون بهذه الحالة، بل كلما ازدادوا في العمر.. ازدادوا في العِلم والمعرفة والعقل؛ كما هو مشاهدٌ؛ ولذا قالوا: أعلى كلام العارفين ما صدر مِنهم في آخر عمرهم، بل قالوا: الردُّ لأرذل العمر يكون لِلكفار والمنهمكين في الشهوات من عوامِّ المؤمنين.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾) المقصودُ من ذلك: الرَّدُ على الكفار؛ حيث جعلوا الله شريكاً في ألوهيَّته، كأنه قال: الله جعل منكم أغنياءَ وفقراء، فالأغنياء لا ترضى أن تشرك الفقراءَ في أوصافهم، فكيف يجعلون لله شريكاً في صفاته مع أنه الغنيُّ المطلق عمَّن سِواه؟! وهذا من ثمرات قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

قوله: (أي: الموالي) المراد بهم: السادة.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٦٩٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ....

﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: بِجاعِلي ما رَزقناهُم مِن الأموالِ وغيرِها شَرِكةً بينَهم وبينَ مَمالِيكِهِم ﴿فَهُمْ﴾ أي: المَمالِيك والمَوالِي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾: شُركاءُ، المَعنى: ليسَ لَهُم شُركاء مِن مَمالِيكِهم في أموالِهم فكيف يَجعلُون بَعضَ مَمالِيك الله شُركاءَ لَه؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: يَكفُرُون حيثُ يَجعَلُون لَه شُرَكاء.

﴿٧٢﴾ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخَلَقَ حَوَّاءَ مِن ضِلع آدَم، وسائِرَ النَّاس مِن نُطَف الرِّجال والنِّساء، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: أولادَ الأولادِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (المعنى: ليس لهم شركاء) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حُذف منه أداة الاستفهام، والتقدير: أفهم فيه سواء؟ ومعناه النفي؛ أي: ليسوا مُستوين فيه؛ أي: لا ترضى الأغنياء بتسوية الفُقَراء معهم في غناهم، ولا الموالي بتسوية العَبيد معهم في سيادتهم؛ فكيف يَجعلون وصف الألوهيَّة لغيره تعالى؟!

قوله: (﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾) الهمزة: داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، وهي داخِلة على الفعل، والمعنى: أيُشركون به فيَجحدون نعمته؟

قوله: (يكفرون) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ معنى (يَكفرون) فعدَّاه بالباء، وإلَّا.. فالجحد يتعدَّى بنفسه.

قوله: (﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أي: نَوعكم وجنسكم.

قوله: (فخلق حواء من ضلع آدم) أي: الأيسَر القصير.

قوله: (﴿بَنِينَ﴾) لم يذكر البنات؛ لكراهتهم لهنَّ، فلم يمتنَّ عليهم إلا بما يحبُّونه.

قوله: (أولاد الأولاد) أي: وسمُّوا حفدةً؛ لأنهم يخدمُون أجدادهم ويُسارعون في طاعتهم؛ لأنَّ الحافد معناه: الخادِم.

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ....

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مِن أنواعِ الثِّمار والحُبُوب والحَيَوانِ، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصَّنَم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكِهم؟

﴿٧٣﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمَطَر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنَّباتِ ﴿شَيْـًٔا﴾ ـ بَدَل مِن ﴿رِزْقًا﴾ ـ، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: يَقدِرُون على شيءٍ وهو الأصنامُ.

﴿٧٤﴾ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ أي: لا تَجعَلُوا لله أشباهاً تُشرِكُونَهم بِه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾) يقال فيه ما قيل فيما قبله، فيكون التقدير: أبعد تحقُّق ما ذكر من الله يُؤمنون بالباطل؟ وهو استفهام تَوبيخ وتقريع.

قوله: (﴿وَيَعْبُدُونَ﴾) عطف على ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

قوله: (﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾) أي: أصناماً لا تستطيع جلبَ نفعٍ، ولا دفعَ ضرٍّ.

قوله: (بالمطر) أي: بإنزاله.

قوله: (بدل من ﴿رِزْقًا﴾) أي: على أنَّ الرزق اسم عين بمعنى المرزوق، وفيه أن البدل إمَّا للتوكيد، أو للبيان، و﴿شَيْـًٔا﴾ لا يصلح لذلك، وحينئذ: فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مُطلق لقوله: ﴿يَمْلِكُ﴾، والتقدير: ما لا يملك لهم ملكاً شيئاً؛ أي: قليلاً أو كثيراً، جليلاً أو حقيراً.

قوله: (تشركونهم به) أي: فإنَّ ضرب المثل تشبيهُ حالٍ بحالٍ، والله منزَّهٌ عن الأحوال والكيفيَّات، وأمَّا ضرب المثل بمعنى: تَشبيه حالِ بعضِ المخلوقات بحال بعضٍ؛ لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات.. فلا يُنهى عنه، بل ذكره الله في كتابه، وعلَّمنا كيفيَّة ضربه، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا...﴾ إلخ، وقال هنا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ ....

أن لا مِثلَ لَه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

٧٥ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ـ ويُبدَلُ مِنه ـ: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صِفة تُمَيِّزُهُ مِن الحُرِّ؛ فإنَّه عبدُ الله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لِعَدَم مُلكِه، ﴿وَمَن﴾ ـ نكِرة مَوصُوفة ـ أي: حُرًّا ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يَتصرَّف فِيه كيف يَشاءُ، والأوَّل مَثَل الأصنامِ والثَّاني مَثَلُه تَعالى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أن لا مثل له) وقيل: المرادُ: إنَّ الله يعلم كيفيَّة ضرب الأمثال، وأنتم لا تَعلمون كيفيَّتها.

قوله: (﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾) هذا مرتَّبُ على قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ لأنَّ المنهيَّ عنه الأمثالُ التي تفيد تشبيه الله بغيره، وأمَّا المثل الذي يفيد التوحيد.. فقد ضربه الله بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا...﴾ إلخ.

قوله: (صفة تميِّزه من الحرِّ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ كلَّ شيءٍ مملوكٌ لله؛ حرًّا كان أو عبداً، فأجاب: بأن المراد به: الرقيق؛ إذ الحرُّ لا يسمَّى مملوكاً عرفاً وإن كان يسمَّى عبدَ الله.

قوله: (﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾) أي: من التصرفات، واختلف العلماء في العبد؛ هل يَملك ما تحت يده من الأموال أو لا يملكها؟ فقال مالك: إنه يملك غير أنَّ ملكه غيرُ تامٍّ، وقال الشافعي: لا يملك أصلاً، وإنما الذي تحت يَده ملك لسيِّده(1)، والآية مفروضةٌ في عبدٍ لا يَقدر على شيءٍ، وكونُ العبد يملك أو لا شيءٌ آخَر.

قوله: (﴿وَمَن﴾) معطوف على ﴿عَبْدًا﴾.

قوله: (﴿حَسَنًا﴾) أي: حلالاً.

قوله: (**والأول: مَثَل الأصنام، والثاني: مثله تعالى**) أي: فالمقصود من ذلك: التوصُّل إلى إبطال الشريك، والردُّ على الكفار؛ كأنَّ الله يقول: أنتم لا تُسَوُّون العبد المملوك العاجز بالحرِّ

---

(1) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٥٨٧)، و«الأم» (٥/ ٤٤).

هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ ....

﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: العَبِيدُ العَجَزةُ والحُرُّ المُتصرِّفُ؟ لا، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحدَه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهلِ مَكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُون إلَيه مِن العَذاب فيُشرِكُون.

﴿٧٦﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ـ ويُبدَل مِنهُ ـ: ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وُلِدَ أخرَسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لِأنَّه لا يَفهَم ولا يُفهِم، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثَقِيلٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: وليِّ أمرِه، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: يَصرِفهُ ﴿لَا يَأْتِ﴾ مِنهُ ....

حاشية الصاوي

الغني الذي يتصرَّف في ماله كيف يشاء؛ فكيف تُشركون الأصنام التي هي صنفٌ من العبد المملوك مع الله القادر المتصرِّف في خَلقه؟!

قوله: (﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾) أي: في الإجلال والتعظيم، ولم يقُل: (يستويان)؛ نظراً إلى تعدُّد أفراد كلِّ قسم، وإنما لم يُجمع الحرّ كما جمع العبيد؛ إشارةً إلى أنه مثلٌ متوصَّلٌ به إلى توحيد الله، والله تعالى واحدٌ، فأفرده؛ تأدُّباً.

قوله: (لا) هو جواب الاستفهام.

قوله: (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) هذا حمدٌ من الله لِنَفسه في مقام الرَّد على المشركين؛ أي: هو المستحقُّ لجميع المحامد، المنعِم، المتفضِّل، الخالق، الرازق، وأمَّا هذه الأصنام.. فلا تستحقُّ ذلك؛ لأنها أداةٌ عاجزةٌ، لا تَنفع ولا تضرُّ.

قوله: (فيشركون) أي: يَعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالَّةِ على وحدانيَّة الله تعالى.

قوله: (﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾) أي: والآخر ناطقٌ قادرٌ خفيفٌ على مولاه، أينما يوجِّهه.. يأت بخير، وقد حذف هذا المقابل؛ لدلالة قوله: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ...﴾ إلخ عليه.

قوله: (ولد أخرس) المناسب: تفسيره بالذي لا يَسمع ولا يبصر؛ ليظهر قوله: (لأنه لا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ).

قوله: (﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾... إلخ) (أين): اسم شرط جازم، و﴿يُوَجِّههُّ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿لَا يَأْتِ﴾: جواب الشرط، مجزومٌ بحذف الياء.

﴿بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ ....

﴿بِخَيْرٍ﴾: بِنُجْحٍ، وهذا مَثَلُ الكافِرِ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكَمُ المَذكُور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومَن هو ناطِقٌ نافِعٌ لِلنَّاسِ حيثُ يَأمُر بِه ويَحُثُّ عليه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طَريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثَّانِي المُؤمِن؟ لا، وقِيل: هذا مَثَل اللهِ والأبكَمُ لِلأصنامِ، والذي قَبله في الكافِرِ والمُؤمِنِ.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: عِلمُ ما غابَ فِيهما، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منهُ؛ لِأنَّهُ بِلَفظِ (كُن فيكون)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بِنُجْحٍ) بضم النون بوزن (قُفْلٍ) أي: لم يأتِ بشيءٍ نافعٍ.

قوله: (﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾) معطوف على الضمير في ﴿يَسْتَوِي﴾، والشرط موجود، وهو الفصل بالضمير المنفصل.

قوله: (وقيل: هذا) أي: مَن يأمر بالعدل.

قوله: (والذي قبله) أي: وهو قوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ و﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾، وقيل: كلٌّ في الكافر والمؤمن، وقيل: كلٌّ في المعبود بحقٍّ والمعبودِ بباطلٍ، فتكون الأقوال أربعةً.

قوله: (الكافر والمؤمن) قيل: محمولٌ على العموم، وقيل: المراد بالكافر: أبو جَهل، والمؤمن: النبي ﷺ، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ﴾) هذا دليلٌ على كمال عِلمه وقدرته.

قوله: (أي: علم ما غاب) أي: خفي وبَطن.

قوله: (﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾) أي: قيام الخَلق من القبور.

قوله: (﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾) أي: انطباقِ جفن العين، أو فتحه.

قوله: (لأنه بلفظ: «كن» فيكون) فيه تسامحٌ؛ إذ ليس ثَمَّ كاف ولا نون، بل المراد: سرعة الإيجاد، فإذا أراد شيئاً.. أوجَده سريعاً.

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم ....

﴿٧٨﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ ـ الجُملةُ حالٌ ـ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنى الأسماع، ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ه على ذلك فتُؤمِنُون.

﴿٧٩﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مُذَلَّلاتٍ لِلطَّيَرانِ ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: الهَواءِ بَين السَّماء والأرضِ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عِند قَبض أجنِحَتِهنَّ أو بَسطِها أن يَقَعْنَ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بِقُدرَتِه، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، هي خَلقُها بِحيثُ يُمكِنها الطَّيَرانُ، وخَلْقُ الجَوِّ بِحيثُ يُمكِن الطَّيَران فِيه وإمساكها.

﴿٨٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: مَوضِعاً تَسكُنُون فِيه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: لا تَعرفون.

قوله: (حال) أي: من الكاف في ﴿أَخْرَجَكُم﴾.

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾) أفرده باعتبار كونه مصدراً في الأصل[1].

قوله: (﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾) أي: يَنظروا بأبصارهم.

قوله: (﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾) هو حال من ﴿ٱلطَّيْرِ﴾.

قوله: (﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾) الجوُّ: الفضاء الكائن بين السماء والأرض، قال كعب الأحبار: إن الطير يَرتفع في الجوِّ مسافة اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق ذلك.

قوله: (عند قبض أجنحتهنَّ) هذا يُفيد أنها في حال الطيران تقبض أجنحتها، مع أنه خلاف

(١) أو نقول: إنما وَحَّدَه لِفَهْم المعنى، كقوله:

كُلُوا في بعضِ بَطْنِكُم تَعِفُّوا　　　فإنَّ زمانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

انظر «تفسير النسفي» (١/ ٥٣).

مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ....

﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ كالخِيام والقِباب، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ لِلحملِ ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: سَفَرِكُم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الغَنَم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي: الإبِلِ ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ أي: المَعَز ﴿أَثَٰثًا﴾: مَتاعاً لِبُيُوتِكُم، كبُسُطٍ وأكسِيَةٍ، ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتَّعُون بِه ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يبلَى فِيه.

٨١ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ مِن البُيُوت والشَّجر والغَمامِ ﴿ظِلَٰلًا﴾: جَمع (ظِلٍّ) تَقِيكُم حَرَّ الشَّمس، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمع (كِنٍّ)، وهو ما يُستَكَنُّ فِيه

حاشية الصاوي

المشاهد، فالمناسب أن يقول: ما يمسكهنَّ في حال طيرانهنَّ إلا الله؛ فإنَّ ثقل أجسادِها يقتضي سقوطَها ولا عِلاقَةَ فوقها، ولا شيء تحتها يُمسِكها.

قوله: (﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾) أي: وذلك في بعض الناس كالسودان؛ فإنهم يتَّخذون خِيامَهم من الجلود.

قوله: (كالخيام) جمع خَيمة، والقِباب: جمع قُبَّةٍ، وهي: دون الخيمة.

قوله: (﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾) أي: يخفُّ عليكم حملها في رَحيلكم وإقامتكم؛ فلا يَثقُل عليكم حملُها في الحالتين.

قوله: (﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾) معطوفٌ على ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وقوله: ﴿أَثَٰثًا﴾ معطوف على ﴿بُيُوتًا﴾، ولم يذكر القطن والكتَّان؛ لأنهما لم يكونَا ببلاد العرب.

قوله: (كبُسُط) بضمِّ الباء والسين، وقد تسكن.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾) أي: ما تستظلُّون به، وذكر في مَقام الامتنان؛ لأنَّ بلاد العرب شديدةُ الحرِّ، فحاجتُهُم للظلال وما يَدفع عنهم شدَّةَ الحرِّ وقوَّته.. أكثرُ.

قوله: (والغمام) أي: السحاب.

قوله: (جمع كِنٍّ) أي: غطاءٍ، والأكنَّة: الأغطِيَة، ومنه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥].

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

كالغارِ والسَّرَب، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: قُمُصاً ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي: والبَردَ، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ حَربَكُم أي: الطَّعنَ والضَّرب فِيها كالدُّروعِ والجَواشِنِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خَلَقَ هذه الأشياءَ ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾ في الدُّنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِخَلقِ ما تَحتاجُونَ إلَيه، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿تُسْلِمُونَ﴾: تُوحِّدُونَه.

﴿٨٢﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرَضُوا عن الإسلامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ البَيِّن، وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتال.

﴿٨٣﴾ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُقِرُّونَ بِأنَّها مِن عِندِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: والبَرْدَ) أشار بذلك إلى أنَّ فيه حذف الواو مع ما عَطفت، ويسمَّى عند أهل المعاني اكتفاءً[1].

قوله: (كالدروع) أي: دُروعِ الحديد، وقوله: (والجواشن) جمع جَوشَن وهو: الدِّرع، فالعطف للتفسير.

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾) أي: داموا على التولي والإعراض.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده: أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، وفيه: أنه لا يَظهر إلا لو قدِّر جواب الشرط: فلا تُقاتلهم مثلاً، وأما لو قدِّر: فلا عتبَ عليك ولا مُؤاخذة؛ لأنك لا قُدرةَ لك على خلق الإيمان في قُلوبهم. . فلا يَظهر النسخ؛ لأنه لا يُنافي الأمر بِقتالهم.

قوله: (﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾) أي: ما تقدَّم من أوَّل السورة إلى هنا من النِّعم العظيمة يُقِرُّون بأنها من عند الله، ولا يَصرفونها في مصارفها.

---

(١) أو اكتفى بأحد الضدَّين؛ لأهميَّته عندهم؛ لأنَّ الحرَّ على أهل الحجاز أشدُّ من البرد، ونظيره: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي: والشر؛ لأنَّ الخير مطلوبُ العبادِ من ربِّهم دون الشَّر، أو لتقدُّم وِقاية البرد في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾. «فتوحات» (٢/ ٦١٩) نقلاً عن «حاشية العلامة الكرخي على الجلالَين».

ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ....

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكِهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نَبِيُّها يَشهَد لَها وعلَيها وهو يَومُ القِيامة، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الاعتِذار ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾) أتى بـ(ثم)؛ إشارةً إلى أن إنكارهم مستبعَدٌ بعد المعرفة؛ لأنَّ مَنْ عرف النعمة.. فحقُّه ألَّا يُنكرها بعد ذلك.

قوله: (﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) أي: يموتون كفاراً، وأقلُّهم يهتدي للإسلام؛ فإنَّ أكثر صَناديدهم مات كافراً، والأقل منهم أسلَم.

قوله: (﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾) (يوم): منصوب بفعل محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والمعنى: اذكر يا محمد لِقَومك يوم نجعل مِنْ كلِّ أمَّة شهيداً، أو المراد بالبَعث: الإحياء؛ أي: يوم نُحيي من كلِّ أمَّة شهيداً، والأقرَب: الأول.

قوله: (يشهد عليها) أي: بالتكذيب والكُفر، وقوله: (ولها) أي: بِالتصديق والإيمان.

قوله: (وهو يوم القيامة) أي: لأنه وردَ: أنه يُؤتى بالأُمَم الماضية وأنبيائهم، فيقال للأنبياء: هل بلَّغتم أممكم؟ فيَقولون: نعم بلَّغنا، فيقال للأمم: هل بلَّغكم رسلكم، فيَقولون: يا ربنا؛ ما جاءنا من نذير، فيُؤتى بالأمة المحمَّدية، فتَشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأُمَم بالتكذيب، فتقول الأُمَم: من أين أتى لكم ذلك وأنتُم آخر الأمم؟ فيَقولون: أخبرنا نبيُّنا بذلك عن ربِّنا، وهو صادقٌ عن صادقٍ، فيأتي رسول الله ﷺ، فيُزكي أُمته[١].

وأما الكفار من أمَّته؛ فحين يقول: «يا ربِّ؛ قد بلَّغتهم».. تَنقطع حجَّتهم، فهو مخصوصٌ بأنه مقبولُ الشهادة من غير مُزكٍّ له.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) اختلف في مُتعلق الإذن المنفي؛ فقال المفسِّر:

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٩٤٠)، وابن ماجه (٤٢٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي «البخاري» (٣٣٣٩) شهادة النبي ﷺ وأمته لسيدنا نوح عليه السلام.

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ ....

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلَب مِنهُم العُتبَى أي: الرُّجُوعُ إلى ما يُرضِي الله.

﴿٨٥﴾ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفرُوا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العَذابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ عنهُ إذا رَأوهُ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ مِن الشَّياطِين وغَيرِها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟﴾: نَعبُدُهُم ....

حاشية الصاوي

(في الاعتذار)، ويدل له قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، وقيل: لا يُؤذن لهم في كثرة الكلام، وقيل: في الرجوع إلى الدنيا والتكليف، وقيل: في التكلم وَقت شهادة الشهود، بل يسكتون وقتها، ولا يقدر أحدٌ منهم على التكلم إذْ ذاك.

قوله: (﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾) أي: لا تُزَالُ عتباهم، وهي: ما يعتبون ويُلامون عليها، يقال: استعتبت فلاناً بمعنى: أزلت عتباه، فالسين والتاء للسلب[1]؛ نظير الهمزة في: أَعذر إليه على ألسِنة المرسلين.

قوله: (إلى ما يرضي الله) أي: من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها.

قوله: (﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾) أي: فهم لا يخفَّف عنهم، وإنما احتِيج لتقدير المبتدأ؛ لصحة دخول الفاء؛ لأنَّ الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة.. لا يُقرن بالفاء، فاحتِيج لجعلها جملةً اسميَّةً؛ لوجود الفاء.

قوله: (العذاب) تفسيرٌ للضمير المستتر في الفعل.

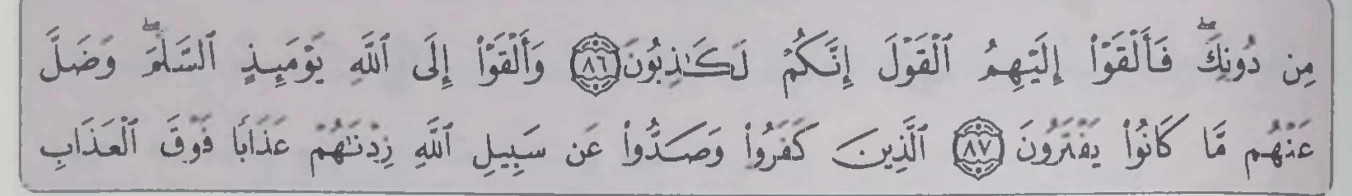
قوله: (﴿وَإِذَا رَءَا﴾) أي: أبصَر.

قوله: (﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾) مفعول به، والإضافة لأدنى ملابسة؛ لكون الإشراك نشأ منهم، وكذا يقال في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾.

قوله: (﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾) إنما قصدُوا بذلك توزيع العذاب بينهم.

---

(١) في (أ): (للطلب)، والمثبت من (ط٢)، وهو المناسب للمعنى الذي بيَّنه المصنف، وأمَّا على ما بيَّنه المفسِّر.. فتكون السين والتاء للطلب، وذكر المعنيَين العلامة السمين في «الدر المصون» (٧/ ٢٧٨).


مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ

﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي: قالُوا لَهُم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قَولِكُم: إنَّكُم عَبَدتُمُونا كما في آيةٍ أُخرَى: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢].

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استَسلَمُوا لِحُكمِه، ﴿وَضَلَّ﴾: غابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مِن أنَّ آلِهَتَهم تَشفَعُ لَهُم.

﴿٨٨﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الَّذِي استَحَقُّوهُ بِكُفرِهم، قال ابنُ مَسعودٍ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾) المعنى: فيَخلق الله الحياة والعقل والنُّطق في تلك الأصنام، ويقولون: إنكم كذبتم في عبادتكم لنا؛ فإنكم ما عبَدتمونا، بل عبدتم هواكم، وإنما كذَّبوهم وقد كانوا يَعبدونهم؛ لأنَّ الأوثان لم يكونوا راضِين بذلك، فكأنهم لم يَعبدوهم.

قوله: (أي: استسلموا) أي: انقادُوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبِّرين، ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم.

قوله: (من أنَّ آلهتهم تشفع لهم) أي: حيث قالوا: ما نَعبدهم إلا لِيُقربونا إلى الله زلفى.

قوله: (﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) مبتدأ، خبره قوله: ﴿زِدْنَاهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾) أي: مَنعوا الناس عن الدخول في الإيمان، وهذه الآية تعمُّ مَنْ يحمل الناس على الكُفر ولو كان يقول: لا إله إلا الله.

قوله: (قال ابن مسعود) أي: في تفسير العذاب الزائد، وقال سعيد بن جبير: حيَّات كالبخت، وعَقارب أمثال البِغال، تلسع إحداهنَّ اللسعة، فيَجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً.

قال ابن عباس ومقاتل: يعني بزيادة العذاب: خمسة أنهار من أصفَر مُذاب كالنار، يسيل من تحت الفرش، يعذَّبون بها؛ ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار.

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا ....

عَقارِبُ أنيابُها كالنَّخلِ الطِّوال، ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بِصَدِّهِم النَّاسَ عن الإيمانِ.

﴿٨٩﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نَبِيُّهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: قَومِك، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القُرآنَ ﴿تِبْيَانًا﴾: بياناً ....

حاشية الصاوي

وقيل: إنهم يخرجون من حرِّ النار إلى بَرد الزمهرير فيُبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مُستغيثين بها[١].

قوله: (أنيابها كالنخل الطوال) أي: وجسمها بالنسبة لأنيابها كجِسم أحدنا بالنسبة إلى نابه، فتكون عظيمة الجثة جدًّا، أجارَنا الله والمسلمين منها.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾) الباء: للسببيَّة، و(ما): مصدريَّة؛ أي: بسبب كونهم مُفسدين.

قوله: (﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾) كُرِّرَ لزيادة التهديد.

قوله: (أي: قومك) هذا أحدُ تفسيرين، وقيل: المراد بـ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: الأنبياء؛ لاستجماع شرعه لشرائعهم، وأمَّا كونه شهيداً على أمَّته.. فقد عُلِمَ ممَّا تقدَّم، فحملها عليه فيه تكرارٌ، إلا أن يقال: المراد بشهادته على أمَّته: تزكيتُهُ وتَعديله لهم حتى شهدوا على تبليغ الأنبياء، وهذا لم يُعلم مما مرَّ، مع أنه الوارد في الحديث[٢].

قوله: (﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾) أي: في الدنيا، فهو كلامٌ مستأنفٌ.

قوله: (﴿تِبْيَانًا﴾) حال، أو مفعول لأجله، وهو مصدر، ولم يجئ من المصدر على وزن (تِفْعَال) بالكسر إلا (تِبيان) و(تلقاء)، وفي الأسماء كثير نحو: التِّمساح، والتمثال.

قوله: (بياناً) أي: بياناً شافياً بليغاً؛ لأنَّ زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى.

---

(١) انظر الأقوال في «زاد المسير» (٢/٥٧٨)، و«تفسير البغوي» (٥/٣٨)، وفيهما: (تحت العرش) بدل (تحت الفرش)، و(صفر) وهو النحاس بدل (أصفر).

(٢) المارُّ سابقاً، الذي رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٩٤٠)، وابن ماجه (٤٢٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ....

﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحتاجُ إليه النَّاسُ مِن أمرِ الشَّريعةِ، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بِالجنَّة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المُوَحِّدين.

﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: التَّوحيدِ أو الإنصافِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ محتاجٍ إليه من أمر الشريعة) إن قلتَ: إنا نجد كثيراً من أحكام الشريعة لم يُعلم من القرآن تفصيلاً؛ كعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة، وغير ذلك؛ فكيف يقول الله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؟

أجيب: بأنَّ البيان إما في ذات الكتاب، أو بإحالتِه على السنة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، أو بإحالته على الإجماع، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ..﴾ [النساء: ١١٥] الآية، أو على القياس، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، والاعتبار: النظر والاستدلال اللَّذان يحصل بهما القياس، فهذه أربعة طُرق لا يخرج شيءٌ من أحكام الشريعة عنها، وكلُّها مذكورةٌ في القرآن، فكان تبياناً لكلِّ شيءٍ بهذا الاعتبار.

قوله: (﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾) تنازَعه كل من: (هدى) و(رحمة) و(بشرى).

قوله: (الموحِّدين) أي: وأما الكفار.. فهم في خُسران وعذاب وإنذار.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾) هذه الآية من ثمرات قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ حتى قال العلماء: إن لم يكُن في القرآن غير هذه الآية.. لكَفت في البيان والهدى والرحمة؛ لأنها آمرةٌ بكلِّ خيرٍ، ناهيةٌ عن كلِّ شرٍّ.

قوله: (التوحيد) أي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا التفسير واردٌ عن ابن عباس، وفي رواية عنه أيضاً: (العدل): خَلع الأنداد، (والإحسان): أن تعبد الله كأنك تَراه، وأن تحبَّ للمرء ما تحبُّ لنفسك؛ فإن كان مؤمناً.. تحبُّ أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً.. تحبُّ أن يكون أخاك في الإسلام، وفي روايةٍ: (العدل): التوحيد، و(الإحسان): الإخلاص[1].

وكل هذا أفاده المفسِّر بقوله: (التوحيد والإنصاف) أي: في كلِّ الأمور؛ فالإنصاف

(١) انظر الروايات في «تفسير البغوي» (٥/٣٨).

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ....

﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾: أداءِ الفَرائِض، أو أن تَعبُد الله كأنَّك تَراهُ كما في الحَدِيث، ....

حاشية الصاوي

في التوحيد: اعتقادُ أنَّ الله متَّصفٌ بكلِّ كمالٍ، منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ؛ والإنصاف في الاعتقاد: نِسبةُ الأفعال كلِّها لله، ونسبة الكسب للعَبيد، خلافاً للجبرية والمعتزلة؛ فالفرقة الأُولى نفت الكسب أصلاً وقالوا: العبيد كالخيط المعلَّق في الهواء؛ لا فِعل له أصلاً، وتعذيب الله له ظلمٌ، وهؤلاء كفارٌ؛ والفرقة الثانية قالوا: العبد يخلق أفعال نفسه الاختياريَّة، وهؤلاء فسَّاق. وكلا المذهبين جورٌ، والإنصاف: نسبةُ الأفعال كلِّها لله خيرها وشرِّها، ظاهرها وباطنها، ولكن من الأفعال ما هو جبريٌّ، وهذه لا كسبَ للعبد فيها؛ ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقَب، ومنها: ما هو اختياريٌّ، وهذه للعبد فيها نوعُ كسبٍ؛ ولذا يُثاب عليه إن كان خيراً، ويعاقب عليه إن كان شرًّا، وهذا مَذهبُ أهل السنة، خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين[1].

والإنصاف في العبادات: عدمُ التفريط والإفراط فيها، بل يكونُ بين ذلك قواماً.

والإنصاف في النفقات: ألَّا يُسرِف ولا يقتر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

والإنصاف بين عباد الله: يَقسم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظالم، ويُعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك.

قوله: (﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾) أي: مع الله، ومع عِباده؛ فالإحسان مع الله: أداءُ فرائضه على الوجه الأكمل، والإحسان مع عباده: أن تعفُوَ عمَّن ظلمك، وتعطيَ مَنْ حرمك، وتَصِلَ مَنْ قطعك.

قوله: (كما في الحديث) أي: فقد سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال له عليه الصلاة والسلام: «**أن تعبُد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكُن تراه.. فإنه يراك**»[2]، والمعنى: أن تعبد الله ملاحظاً لجلاله كأنَّك تراه ببَصرك، وهذا مقامُ المشاهدة، فإن لم تَصل لهذه المرتبة.. فلاحظ أنه يراك، وأنك في حَضرته، وهذا مقامُ المراقبة، فمثل المشاهد كالبَصير الجالس في حضرة الملك، فَأَدَبُهُ من جهتَين: كونه رائياً للملك، وكون الملك رائياً له، ومثل المراقب كمَثل الأعمى الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائياً له.

---

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٢٤٠) وما بعدها.

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه.

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ ....

﴿وَإِيتَآيِٕ﴾: إعطاءِ ﴿ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: القَرابة، خَصَّهُ بِالذِّكرِ اهتِماماً بِه، ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزِّنى ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ شَرعاً مِن الكُفر والمَعاصِي، ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾: الظُّلم لِلنَّاس، خَصَّهُ بِالذِّكرِ اهتِماماً كما بَدَأَ بِالفَحشاءِ كذَلك، ﴿يَعِظُكُمۡ﴾ بِالأمرِ والنَّهي ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَّعِظُون، ـ وفِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الذَّال ـ وفي «المستدرَك» عن ابن مَسعود: وهذه أجمَعُ آية في القُرآن لِلخَيرِ والشَّر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾) أي: التصدقِ على القريب، وهو آكَدُ من التصدق على غيره؛ لأنَّ فيه صدقةً وصِلةً، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن أعجل الطاعة ثواباً صِلة الرحم**»[1].

قوله: (من الكفر والمعاصي) أي: فيَدخل فيه الزنا وغيره، فهو تعميمٌ بعد تخصيصٍ.

قوله: (اهتماماً به) أي: لأنه أعظم المعاصي بعد الكفر؛ ولِذا قال بعض العلماء: أعجل العقوبة على المعاصي العقوبةُ على البغي، وفي الحديث: «**لو أنَّ جبلَين بغى أحدهما على الآخر.. لانتقم الله من الباغي**»[2]، وفيه أيضاً: «**الظَّلَمة وأعوانهم كلاب النار**»[3].

قوله: (كما بدأ بالفحشاء كذلك) أي: اهتماماً به؛ لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المَقت والعقوبة من الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قوله: (﴿يَعِظُكُمۡ﴾) حال من فاعل (يأمر) و(ينهى) أي: يأمركم وينهاكم حال كونه واعظاً لكم.

قوله: (في الأصل) أي: فأصله: تتذكرون، قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال[4].

قوله: (هذه أجمع آية... إلخ) روي: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال: أَعِدها يا محمد، فلمَّا قرأها.. قال: إنَّ له حلاوةً، وإن عليه طلاوةً، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، وإنَّ أسفَله لمغدقٌ، وما هو بقول البشر[5]، ولِكونها أجمعَ آيةٍ استعملها الخطباءُ في آخر الخطبة.

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٤٠) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (٢٤٧) موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «تفسير الخازن» (٣/ ٩٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٥٧).

(٥) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ....

﴿٩١﴾ ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ مِن البَيْعِ والأيمانِ وغيرِها ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: تَوثِيقِها، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بِالوَفاءِ حيثُ حَلَفتُم بِه، ـ والجُملةُ حالٌ ـ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تَهدِيد لَهُم.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ﴾: أفسَدَت ﴿غَزْلَهَا﴾: ما غَزَلَتْه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾) هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل، وبدَأ بالأمر بالوفاء بالعهد؛ لأنه آكد الحقوق، وهذه الآية نزَلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخُصوص السبب.

قوله: (من البِيَع) بكسر الباء، جمع بَيْعَة، وهي: المعاهدةُ على أمرٍ شرعيٍّ.

قوله: (والأيمان) جمع يمين؛ أي: وأوفُوا بما حلفتم عليه، ولا تحنثوا في أيمانكم إذا كان فيها صلاح، وإلَّا. . فالحنث خيرٌ؛ لقوله ﷺ: «**مَن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها. . فليَأتِ الذي هو خيرٌ، وليُكفر عن يمينه**»[1]، فهو عامٌّ مخصوصٌ.

قوله: (وغيرها) أي: كالمواعيد، فالمراد من (العهد): كلُّ ما يلزم الإنسانَ الوفاءُ به، سواءٌ أوجبه الله على الشخص، أو التزَمه الشخص من نفسه؛ كعهود المشايخ التي يَأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يُخالفونهم في أمرها، فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ مَوزونين بميزان الشرع، متَّصفين بالأخلاق الحميدة، والأفعال السديدة.

قوله: (﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾) أي: تغليظِها، والتوكيد: مصدر: (وكَّد) بالواو، ويقال: أكَّد بالهمزة، فمصدره: التأكيد، وهما لُغتان.

قوله: (﴿كَفِيلًا﴾) أي: شهيداً.

قوله: (والجملة حال) أي: من فاعل ﴿تَنقُضُواْ﴾.

قوله: (﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾) أي: لا تَنقضوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق أو المخلوق في غير مَعصية؛ فتكونوا كالتي نقَضت غزلها.

---

(١) رواه مسلم (٤٢٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ ...

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾: إحكامٍ لَه وبَرمٍ ﴿أَنكَٰثٗا﴾ ـ حال ـ جَمع نَكْث وهو ما يُنكَث أي: يُحَلُّ إحكامُه، وهي امرَأَةٌ حَمقاءُ مِن مكَّة كانَت تَغزِل طُولَ يَومها، ثُمَّ تَنقُضُه، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ ـ حال مِن ضَمِير ﴿تَكُونُوا﴾ ـ أي: لا تَكُونُوا مِثلَها في اتِّخاذِكُم ﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا﴾ هو ما يَدخُل في الشَّيء وليسَ مِنهُ، أي: فَساداً وخَدِيعةً، ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ بِأن تَنقُضُوها ﴿أَن﴾ أي: لِأنْ ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جَماعةٌ ﴿هِيَ أَرۡبَىٰ﴾: أكثَرُ ﴿مِنۡ أُمَّةٍ﴾ وكانُوا يُحالِفُونَ الحُلَفاء، فإذا وَجَدُوا أكثَرَ مِنهُم وأعَزَّ نَقَضُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: أو منصوب على المصدريَّة؛ لأنَّ معنى ﴿نَقَضَتۡ﴾: نكثت، فهو مطابقٌ لعامله في المعنى.

قوله: (جمع نِكْثٍ) بكسر النون.

قوله: (وهي امرأة حمقاء) أي: واسمها ريطة بنت سعد بن تيم، قُرشية قد اتخذت مغزلاً قَدر ذراع، وسنارة مثل الأصبع، وفَلكة عظيمة على قدرها، فكانت تَغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهنَّ فيَنقضْنَ ما غزَلْنَهُ. وقوله: (حمقاء) أي: قليلة العقل.

قوله: (كانت تغزل) أي: الصوف والوبَر والشعر.

قوله: (﴿تَتَّخِذُونَ﴾) أي: تُصيِّرون، و﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾: مفعول أول، و﴿دَخَلَۢا﴾: مفعول ثان.

قوله: (﴿دَخَلَۢا﴾) أصلُ الدَّخل: العيبُ؛ فإنَّ شأنه أن يَدخل في الشيء وليس من جنسه، والمراد به هنا: الفَساد والخديعة كما قال المفسِّر.

قوله: (أي: لأن تكون) أشار بذلك إلى أنَّ النصب على وجه التعليل؛ أي: لأجل أن تكون، و﴿أُمَّةٌ﴾: فاعل ﴿تَكُونَ﴾ على أنها تامَّة، أو اسمها على أنها ناقصة، وجملة ﴿هِيَ أَرۡبَىٰ﴾ خبرها[1].

قوله: (وكانوا) أي: قريشٌ، وهو مشاهَدٌ في أهل زَمننا حيث يلتجئون لأرباب المناصب ما دامُوا في مناصبهم، فإذا عُزِلُوا أو نَقصت مرتبتُهُم.. تركُوهم ولم يلتفتوا لهم وكأنهم لم يَعرفوهم، وليس هذا من الإيمان، بل الإيمانُ الوفاءُ بالعهد، وعدمُ نَقضه إن لم يكن في بقائه عصيانٌ لله.

قوله: (فإذا وجدوا أكثر منهم) أي: مالاً أو جاهاً.

---

(١) وعلى الإعراب الأول: فالجملة في محل رفع صفة لـ(أمَّةٌ).

إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ....

حِلفَ أُولئك وحالَفُوهُم، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يَختبِركُم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ أي: بِما أَمَرَ به مِن الوَفاء بِالعَهدِ لِيَنظُرَ المُطِيعَ مِنكُم والعاصِيَ، أو بِكَونِ أُمَّةٍ أربَى لِيَنظُر أتَفُونَ أم لا؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدُّنيا مِن أمرِ العَهد وغَيرِه، بِأن يُعَذِّبَ النَّاكِثَ ويُثِيبَ الوافي.

﴿٩٣﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أهلَ دِين واحِد، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يَوم القِيامة سُؤالَ تَبكِيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لِتُجازَوا عليه.

حاشية الصاوي

قوله: (حلف أولئك) الحِلْفُ بكسر فسكون: العهدُ يكون بين القَوم.

قوله: (لينظر المطيعَ) أي: لِيظهر لكم المطيع من غيره؛ فإنَّ المطيع يَدُوم على العهد والودِّ وإن ذهبت من حَليفه حظوظُ المظاهر، وغيره يَدُور مع المظاهر.

قوله: (أو يكون) معطوف على قوله: (بما أمر به)، وعليه: فالضمير عائدٌ على المصدر المنسبك من ﴿أَن تَكُونَ﴾، والمعنى: لا تَتخذوا عهودكم حيلةً وخُدَعاً[1] من أجل كون تِلك الأُمَّةِ التي عاهَدتموها ذاتَ مالٍ وجاهٍ، فإن انتقل المال أو الجاه لِغيرهم.. نقَضتم عهود الأوائل، فصاحب هذه الأوصاف خائنٌ لله ولعباده.

قوله: (﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾) أي: تَتردَّدون.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (سؤالَ تبكيتٍ) أي: لا تفهُّم، وقد أشار بذلك إلى وَجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؛ فالمثبتُ سؤالُ التبكيت، والمنفيُّ سؤال التفهُّم.

(١) في (ط٢): (خداعاً).

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ ....

﴿٩٤﴾ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ ـ كرَّرَهُ تأكيداً ـ ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي: أقدامُكُم عن مَحَجَّة الإسلام ﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: استِقامَتِها علَيها، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العذابَ ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: بِصَدِّكُم عن الوَفاء بِالعَهدِ، أو بِصَدِّكُم غيرَكُم عنه؛ لِأَنَّهُ يَستَنُّ بِكُم، ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخِرة.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ مِن الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾) أي: عُهودكم.

قوله: (﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾) أي: فساداً وخديعة.

قوله: (كرَّره تأكيداً) أي: كرَّر النهي عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلةً؛ تأكيداً للإشارة إلى أن هذا أمرٌ فظيعٌ جدًّا؛ فإنَّ نقض العهد فيه فسادُ الدين والدنيا والعِرض، والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾) منصوب بإضمار (أنْ) في جواب النهي، وأفرد (القدم) ونكَّره؛ إشارةً إلى أن زلة القدَم ولو مرَّة واحدة أو أيِّ قدم.. مَضرة؛ لأنَّ من زلَّ قدمه.. فقد طُرِدَ عن باب الله.

قوله: (عن محجة الإسلام) أي: طَريقه، ومثل ذلك: من زلَّ به القدم في عهد شيخه فنَقضه، فإنه مطرودٌ عن طريقته، ومتى طُرِدَ عن طريقتِه.. فقد سُلِبَ ما وهبه الله له من النور الإلهي؛ فلا يُرجى له الفتح في طريقةٍ أخرى؛ لأنَّ غاية الطرق واحدةٌ، وهو قد طُرِدَ عن الغاية.

قوله: (العذاب) أي: في الدنيا؛ بدليل قوله: (﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخرة).

قوله: (﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾) أي: دِينه الموصل لمرضاته.

قوله: (أي: بصدِّكم عن الوفاء) هو من (صدَّ) اللازم؛ أي: امتِناعكم وإعراضكم عن الوفاء.

قوله: (أو بصدِّكم غيركم) هو من (صدَّ) المتعدي؛ أي: مَنعكم غيركم.

قوله: (لأنه) أي: ذلك الغير.

قوله: (يستنُّ) أي: يَقتدي بكم في نقض العهود.

قوله: (﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾) أي: لا تتركوا عهد الله في نظير عرَض قليل تأخذونه.

إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ....

بِأن تَنقُضُوهُ لِأجلِه، ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِن الثَّواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِمَّا في الدُّنيا، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تَنقُضُوا.

﴿٩٦﴾ ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ مِن الدُّنيا ﴿يَنفَدُ﴾: يَفنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾: دائِم، ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ - بالياءِ والنُّون - ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾ على الوَفاء بِالعُهُودِ ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تنقضوه) أي: العهد، وقوله: (لأجله) أي: الثمن القليل، وظاهرُه: ولو من حلال، وإذا كان نَقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموماً.. فالحرام أولى بالذمِّ، والمراد بالثمن القليل: أعراضُ الدنيا وإن كثُرَت.

قوله: (﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) علة لما قبله، و(إنَّ): حرف توكيد ونصب، و(ما): اسم موصول اسمها، و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: صلته، وجملة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خبرها، وقوله: (من الثواب) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) شرط حذف جوابه، وقدَّره المفسِّر بقوله: (فلا تنقضوا).

قوله: (﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾) مبتدأ وخبر، والنَّفَاد بالفتح: الفناء والذهاب، يقال: نَفِدَ بالكسر، ينفَدُ بالفتح: فَنِي وفرغ، وأما نَفَذَ بالفتح والمعجمة، يَنْفُذ بالضم.. فمعناه: مضى، يقال: نفَذ حكم الأمير، بمعنى: مضى.

قوله: (﴿بَاقٍ﴾) يصح الوقف عليه بثبوت الياء، وحذفِها مع سكون القاف، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (دائم) أي: لا يفرغ ولا يَفنى.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (على الوفاء بالعهود) أي: والمراد: مشاق التكاليف.

قوله: (﴿أَجْرَهُم﴾) مفعول ثان لـ(يجزي)، وقوله: (﴿بِأَحْسَنِ﴾) الباء: بمعنى (على).

---

(١) قرأ ابن كثير بالياء وقفاً، والباقون بغير ياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٦٠).

(٢) قرأ ابن كثير وعاصم وابن ذكوان بالنون، والباقون بالياء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢٨٤).

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ....

(أحسَن) بِمعنَى حَسَن.

﴿٩٧﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قِيل: هي حَياةُ الجَنَّة، وقِيل: في الدُّنيا بِالقَناعةِ أو الرِّزق الحَلال، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أحسن بمعنى: حسَن) أشار بذلك إلى أن (أفعَل) التفضيل ليس على بابه، ودفع بذلك ما يتوهم من قَصر المجازاة على الأحسن الذي هو الواجبات، مع أنهم يُجازَون على الواجبات والمندوبات.

وهناك تقريرٌ آخرُ في الآية، وهو: أن (أحسَن) صفة لموصوف محذوف؛ أي: بثواب أحسَنَ من عملهم؛ أي: أكثر منه تفضلاً وإحساناً، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، والباء لمجرد التعدية.

قوله: (﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾) ﴿مَنْ﴾: اسم شرط مبتدأ، و﴿عَمِلَ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ جوابُه.

قوله: (قيل: هي حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة، ورَواه عوف عن الحسن، وقال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة؛ لأنها حياةٌ بلا موت، وغنى بلا فقر، وصِحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شَقاوة[1].

قوله: (وقيل: في الدنيا بالقناعة) هذا القول للحسن، وقوله: (أو الرزق الحلال) هو لسعيد بن جبير وعطاء، وزِيدَ على ما ذكره المفسِّر ما قيل: هي حلاوة الطاعة، وقيل: رِزق يوم بيوم.

وقيل: الحياة الطيبة تحصل في القبر؛ لأنَّ المؤمن يَستريح بالموت من نَكد الدنيا وتعبها، وقيل: ما هو أعم؛ فالحياة الطيبة في الدنيا بالتَّوفيق للطاعة والرزق الحلال، وفي القبر بالراحة من النكد والنصب، وفي الجنة بالنعيم المُقيم[2].

قوله: (﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) أي: في الجنة، واستُفيد من هذا:

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٨٢)، و«تفسير الخازن» (٣/ ٩٧).

(٢) انظر الروايات في تفسير الحياة الطيبة في «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٩٠).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ ....

(﴿٩٨﴾ - ﴿١٠٠﴾) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: أرَدتَ قِـراءَتَـه، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي: قُل: أعُوذ بِاللهِ ....

حاشية الصاوي

أنَّ الحياة الطيبة ليست هي الجزاء؛ لأنه قد قيل بأنها تكونُ في الدنيا، أو القبر، وليست الراحة الدنيوية في ذلك بجزاء[1]، بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنةِ وما فيها.

قوله: (﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾) حِكمة التفريع على ما تقدَّم: أنَّ قراءة القرآن من أفضَلِ الأعمال، فطلب الاستعاذة عند قِراءته؛ لِيحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانيَّة، والمعنى: إذا علمتَ مما تقدَّم أن عظيم الجزاء على محاسِنِ الأعمال.. فاستَعِذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذي هو أحسَنُ الأعمال وأزكاها.

قوله: (أي: أردت قراءته) أشار بذلك إلى أنَّ الأمر بالاستعاذة قبل القراءة، وإليه ذهب أكثر الفُقهاء والمحدِّثين، ووجهُه: أن الاستعاذة تذهب الوسوسة، فتقديمها أَولى، وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها، وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة، ووُجِّه: بأن القارئ يَستحق الثواب العظيم على قراءته، وربما حصَلت له الوسوسة في قلبه؛ هل حصَل له ذلك أم لا؟ فأمر بالاستعاذة؛ لتذهب تلك الوسوسة، ويبقى الثواب خالصاً؛ لأن التردُّد في صِدق الوعد بالثواب من أسباب مَنْعِه.

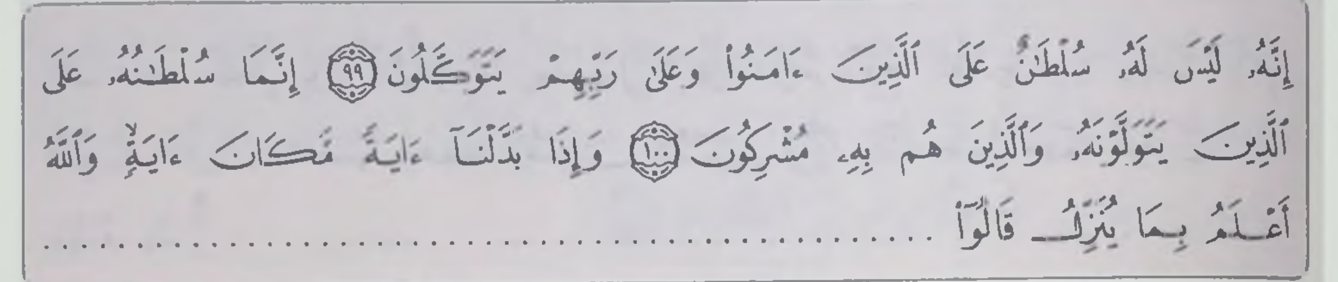
قوله: (﴿فَٱسْتَعِذْ﴾) السين والتاء للطلب؛ أي: اطلُب من الله التعوُّذ والتحصن من شرِّهِ، والأمر للاستحباب، وظاهر الآية: أنَّ الاستعاذة مطلوبةٌ عند قراءة القرآن مطلقاً؛ في الصلاة وغيرها، وبه أخذَ الشافعي، ووافقه مالك في النَّفل، وكره الاستعاذة في صلاة الفرض؛ لدليلٍ أخذه من السنة[2].

قوله: (أي: قل: أعوذ بالله... إلخ) هذا بيان لِلأفضل، وإلَّا.. فامتثال الأمر يحصل بأيِّ صفة كانت، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت على رسول الله ﷺ فقُلتُ: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال: «**قُل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرَأنيه جبريل عن القَلم**

---

(١) في (ط): (وليس النعيم في ذلك بجزاء).

(٢) انظر «المجموع» (٣/٣٢٦)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٣٣٧)، والدليل الذي يَستدل به السادة المالكية: خبر «مسلم» (٨٢٢): قال أنس: (صلَّيتُ خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين؛ فكانوا يستفتحون بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) كما ذكره القرافي في «الذخيرة» (٢/١٨١)، وغيره.



مِن الشَّيطانِ الرَّجِيم. ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾: تَسلُّطٌ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بطاعَتِه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بِنَسخِها وإنزالِ غَيرِها لِمَصلَحةِ العِباد ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي: الكُفَّارُ لِلنَّبيِّ ﷺ: ....

حاشية الصاوي

عن اللوح المحفوظ»[١]، وأراد بالقَلم: الذي نُسِخ به من اللوح المحفوظ، ونزل به جبريل دُفعة إلى سماء الدنيا، وليس المراد به القلم الذي كَتب في اللوح المحفوظ؛ فإنه مُقدم الرتبة على اللوح.

قوله: (مِن الشَّيطانِ الرَّجِيم) مِن: شطَن: إذا بَعُدَ، أو من: شاط: إذا احترق، والرجيم بمعنى: المرجوم؛ أي: المطرُود عن رحمة الله.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾) تعليل لمحذوف، والتقدير: فإذا استَعذتَ بالله.. كُفِيتَ شرَّه، ودخلت في أمان الله؛ لأنه... إلخ.

قوله: (تسلُّطٌ) أي: استيلاءٌ وقهرٌ.

قوله: (﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾) مقابل قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ مقابِل قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قوله: (أي: الله) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير راجع لـ﴿رَبِّهِمۡ﴾، والباء للتعدية، ويصح أن يعود على الشيطان، وتكون الباء سببيَّة، وهو أَولى؛ لعدم تشتيت الضمائر.

قوله: (﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ المشركين من أهل مكة قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يَأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، ما هذا إلا مفترى يَتقوَّله من تلقاء نفسه[٢].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾) هذه الجملة مُعترضة بين الشرط وجوابه، أتى بها؛ تسلية له ﷺ، والمعنى: والله أعلَم بالناسخ والمنسوخ؛ ليكفيك علمه؛ فلا يَحزنك ما قالوه.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤١) مسلسلاً.

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٨٣).

إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ....

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾: كذَّابٌ تَقُولُهُ مِن عِندِك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقِيقةَ القُرآن وفائدةَ النَّسخ.

﴿١٠٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبريلُ ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتعلِّق بـ(نَزَّلَ) ـ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بإيمانِهم بِه، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ ـ لِلتَّحقيقِ ـ ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القُرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قَينٌ نَصرانِيٌّ كان النَّبيُّ ﷺ يَدخُلُ علَيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تقوله من عندك) أي: تختَلقه من عند نفسك، وليس بقرآن.

قوله: (حقيقة القرآن) أي: وهو أنه اللفظُ المنزلُ من عند الله على محمد ﷺ؛ للإعجاز بأقصر سورة منه، المتعبَّدُ بتلاوتِه.

قوله: (وفائدة النسخ) أي: وهي المصالح التي تَعود على العباد.

قوله: (﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾) بضم الدال وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[1]؛ أي: الروح المقدَّس؛ بمعنى: المطهَّر المنزَّه عن الرذائل، فهو مِن إضافة الموصوف للصفة.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الباء: للملابسة؛ أي: نزَّله تنزيلاً ملتبساً بالحَق.

قوله: (بإيمانهم به) أي: بِسبب إيمانهم بالقرآن.

قوله: (﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾) أي: وأمَّا لغيرهم.. فهو خُسران لا يَزيدون به إلا ضلالاً، فهو تعريضٌ بحصول ضد ذلك لغير المسلِمين.

قوله: (﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾) أي: علماً مستمرًا لا تجدُّدَ فيه.

قوله: (﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾) ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر؛ أي: لا يُعلِّم محمداً القرآن إلا بشرٌ، لا جبريل كما يقول.

قوله: (وهو قَيْنٌ) أي: حدَّاد، وكان روميًّا، وفي نسخة: (قِنٌّ) أي: عبد، واسمه: جَبر، وهو غلام

(١) قرأ ابن كثير بإسكان الدال، والباقون بضمِّها. انظر «الدر المصون» (١/ ٢٥٩).

لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ....

قال تَعالى: ﴿لِّسَانُ﴾: لُغةُ ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: يَمِيلُون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنَّهُ يُعَلِّمهُ ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذُو بَيان وفَصاحةٍ، فكيف يُعَلِّمهُ أعجَمِيٌّ؟!

﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ، بِقَولِهِم: هذا مِن قَول البَشَر، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، والتَّأكِيد بِالتَّكرارِ و(إنَّ) وغَيرِهما رَدٌّ لِقَولِهِم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

حاشية الصاوي

عامر بن الحضرمي، وقيل: يَعنون جبراً ويساراً، كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل باللغة التي نزل بها، وكان الرسول ﷺ يمرُّ عليهما ويسمع ما يقرأان؛ لِيَتسلى بما وقع للأنبياء قبله، وقيل غير ذلك[1]، وعلى كلٍّ فقد ورَد: أنه أسلَم ذلك البشر الذي نسبُوا لرسول الله التعلُّمَ منه[2].

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (يميلون إليه) أي: يَنسبون إليه أنه يتعلَّم منه.

قوله: (﴿أَعْجَمِىٌّ﴾) الأعجمي: الذي لم يَتكلم بالعربية.

قوله: (﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ﴾) أي: ولا يكون العربي متلقياً من العجمي.

قوله: (فكيف يعلِّمه أعجمي؟!) أي: لا يَصح ولا يَليق ذلك؛ لاستحالته عادة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: في عِلمه، وقوله: ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ أي: في الخارج.

قوله: (﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾) أي: في قَولهم: إنما يعلِّمه بشرٌ.

قوله: (والتأكيد) مبتدأ، وقوله: (ردٌّ) خبر.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٨٥).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٩٩).

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ ....

(١٠٦) ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ على التَّلَفُّظ بِالكُفرِ فتَلفَّظ بِه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾) نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وذلك: أنه من جملة السبعة السابقين للإسلام، وهم: عمَّار، وأبوه ياسر، وأمه سميَّة، وصُهيب، وبلال، وخبَّاب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك: أنَّ الكفار أخذوهم وعذَّبوهم؛ لِيَرجعوا عن الإيمان، فأما سُميَّة أمُّ عمار.. فربطوها بين بعيرَين، وضربها أبو جهل بحربة في فَرجها، فماتت، وقُتِلَ زوجها ياسر، وهما أول قتيلَين في الإسلام، وأما عمار.. فإنه أعطاهم بعض ما أرادُوا بلسانه مكرَهاً وقلبه كاره لذلك، فأُخبر النبي ﷺ بأن عماراً كفَر، فقال: «**كلا، إن عماراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قَدَمه، واختلط الإيمان بلَحمه ودَمه**»، فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ: «**ما وراءك؟**»، فقال: شرٌّ يا رسول الله، نِلتُ منك وذكرت، فقال: «**فكيف وجَدتَ قلبك؟**»، قال: مُطمئن بالإيمان، فجعل النبي يمسَح عينيه وقال: «**إن عادُوا لك.. فقُل لهم ما قلتَ**»[١].

وأما بلال.. فكانوا يُعذِّبونه وهو يقول: أحدٌ أحدٌ، حتى اشتراه أبو بكر وأعتَقه، وأما خبَّاب.. فقد أوقدُوا له ناراً، فلم يطفئها إلا وَدَكُ ظهره، وأما أبو بكر.. فحَفِظه الله بقومه وعَشيرته[٢].

وفيما فعل عمار دليلٌ على جوازه عند خوفِ القتل، ولكن القتل أجمَل؛ كما وقع من أبوَيه، ولما روي: أن مُسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟، قال: رسول الله، قال: ما تقولُ فيَّ؟ قال: أنت أيضاً، فخلَّاه، وقال للآخر: ما تقول في محمَّد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصمُّ، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابَه، فقَتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما الأول.. فقد أخَذ برُخصة الله، وأما الثاني.. فقد صَدَع بالحق، فهنيئاً له**»[٣].

قوله: (على التلفُّظ بالكفر) أي: أو فِعله.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٣٦٢) عن سيدنا عمار رضي الله عنه بنحوه، وانظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٠٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨٢)، وابن ماجه (١٥٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وليس فيهما ذكر قصة سيدنا خباب رضي الله عنه، وقد رواها أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٣٧) عن الحسَن مرسلاً.

وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ....

﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ـ و﴿مَن﴾ مُبتدأٌ أو شَرطِيَّة، والخَبَر أو الجَواب: لَهُم وعِيد شَدِيد، دلَّ على هذا: ـ ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ لَه، أي: فتَحَهُ ووَسَّعَهُ بِمعنَى: طابَت بِه نَفسُه، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوَعِيدُ لَهُم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختارُوها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (والخبر أو الجواب. . . إلخ) الأَوْلى: تقدير هذا قبل الاستثناء.

قوله: (لهم وعيد) الأولى: أن يقدره بالفاء؛ لأنَّ الجواب إذا وَقع جملة اسمية. . يقرن بالفاء، والمبتدأ الذي يُشبه الشرط. . يُقْرَن خبره بالفاء أيضاً؛ لِشَبهه بالشرط.

قوله: (دلَّ على هذا) أي: على الجواب، أو الخبر.

قوله: (﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾) أتى بالاستدراك؛ لأنه ربما يُتوهَّم من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾: أنه حين الإكراه يَجوز التكلُّم بالكفر ولو انشرح صَدره له في بعض الأحيان، فدفع ذلك التوهم بالاستدراك، ولا يُبعِدُ الوهمَ قولُهُ: ﴿مُطْمَئِنُّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

و(مَن): إما شرطية، أو موصولة، ولا يلزم تقدير مبتدأ قبل (مَن)، وما قيل: إن الاستدراك لا يَقع في الشروط. . ممنوعٌ.

قوله: (بمعنى: طابت به نفسه) أي: قَبِلَهُ ومال إليه.

قوله: (﴿فَعَلَيْهِمْ﴾) جُمِعَ؛ مراعاةً لمعنى (مَن).

قوله: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾) أي: حاصل وثابت بسببِ أنهم. . . إلخ، فاسم الإشارة: مبتدأ، والجارُّ والمجرور: في محل رَفع خبره.

قوله: (﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: لا يُوصِلهم إلى الإيمان، ولا يَعصمهم من الزيغ.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ....

(١٠٨ - ١٠٩) ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عمَّا يُراد بِهم. ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لِمَصيرِهم إلى النَّار المُؤبَّدة علَيهم.

(١١٠) ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المَدِينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾: عُذِّبُوا وتَلَفَّظُوا بِالكُفرِ، ـ وفي قِراءة بِالبِناءِ لِلفاعِلِ أي: كفَرُوا أو فتَنُوا النَّاسَ عن الإيمان ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾... إلخ) أي: جعل عليها غلافاً معنويًّا؛ بحيث لا تُذعن للحقِّ ولا تَسمعه ولا تبصره.

قوله: (﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾) أي: لأنهم ضيَّعوا أعمارهم في غير مَنفعةٍ تعود عليهم، والموجبُ لخسرانهم: أنَّ الله تعالى وصفهم بستٍّ صفات تقدَّمت: الغضب، والعذاب العظيم، واختيار الدنيا على الآخرة، وحرمانهم من الهدى، والطَّبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجَعلهم من الغافلين.

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾) نزلت هذه الآية في عيَّاش بن ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة ـ وقيل: من أمِّه ـ وفي أبي جَندل بن سهل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسَلَمة بن هشام، وعبد الله بن أسد الثَّقفي؛ فَتَنهم المشركون وعذَّبوهم، فأعطَوهم بعضَ ما أرادوا؛ ليَسلموا من شرِّهم، ثم هاجروا وجاهَدوا[1].

قوله: (﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾) متعلق بمحذوف هو خبر (إن) أي: لَغفور رحيم للذين هاجروا، وهذا معنى قوله الآتي: (وخبر «إن» الأولى... إلخ).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2]، وعليها: فيُحتمل أن الفعل لازمٌ؛ فيكون معنى (فَتَنوا): افتتنوا؛ بمعنى: قامَت بهم الفتنة، وقد أشار له المفسِّر بقوله: (أي: كفروا)، أو متعدٍّ كما قال: (أو فتنوا الناس عن الإيمان).

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٥/ ١٧٣)، و«زاد المسير» (٢/ ٥٨٨).

(٢) قرأ ابن عامر بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء لما لم يسمَّ فاعلُه. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٤٦).

﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ....﴾

﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الطَّاعة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: الفِتنةِ ﴿لَغَفُورٞ﴾ لَهُم، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِهِم، ـ وخَبَر ﴿إِنَّ﴾ الأُولَى دلَّ عليه خبرُ الثَّانية ـ.

﴿١١١﴾ اذكُر ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ﴾: تُحاجُّ ﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾) ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والأمر للنبي ﷺ؛ أي: اذكر يا محمد لِقَومك أهوال الآخرة وما يقع فيها؛ لعلهم يَعتبرون.

قوله: (تحاجُّ) أي: تُخاصم وتسعى في خلاصها.

قوله: (﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾) إن قلتَ: إنَّ ظاهر الآية مشكلٌ؛ لأنه يَقتضي أن النفس لها نفس وليس كذلك.

أجيب: بأن المراد بالنفس الأُولى: الإنسان المركب من جِسم وروح وحقيقة، والمراد بالنفس الثانية: الذات المركبة من جِسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة، فاختَلفا بالاعتبار، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاتِه ولا يَهُمُّه غيره.

والمراد بالمجادلة: الاعتذار بما لا يُقبَل منهم؛ كقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، روي عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصُومة بين الناس يوم القيامة حتى يُخاصِم الروح الجسد؛ فيَقول الروح: يا ربِّ؛ لم يكُن لي يدٌ أبطش بها، ولا رجل أَمشي بها، ولا عين أبصر بها، فضَعِّف عليه العذاب، فيقول الجسد: يا ربِّ؛ أنت خَلقتني كالخشبة ليس لي يَد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشُعاع النور فبِه نَطق لساني، وبه أبصَرت عيناي، وبه مشَت رجلاي، فيَضرب الله لهم مثلاً أعمى ومقعداً دخلا حائطاً ـ أي: بستاناً ـ فيه ثمارٌ؛ فالأعمى لا يُبصر الثمر، والمقعَد لا يتناوله، فحمل الأعمى المقعد، فأصابا الثمر، فعلى من يكون العذاب؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعاً العَذاب[1].

إذا علمتَ ذلك.. تَعلم أن هذا الوعيد خاصٌّ بالكافر، وأمَّا المؤمن.. فهو في أَمنٍ وأمان؛ لا يَحزنه الفزع الأكبر وإن كان يَحصل له الخوف من جَلال الله وهيبته؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/٤٨).

وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ....

لا يُهِمُّها غيرُها، وهو يَومُ القِيامة، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جَزاءَ ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿١١٢﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ـ ويُبدَل مِنهُ ـ: ﴿قَرْيَةً﴾ هيَ مكَّةُ والمُرادُ أهلُها، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ مِن الغارات لا تُهاجُ، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يُحتاجُ إلى الانتِقال عَنها لِضِيقٍ أو خَوفٍ، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: واسِعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بِتَكذِيبِ النَّبيِّ ﷺ،

حاشية الصاوي

في ذلك اليوم يتجلَّى بالجلال على عباده؛ فيَخاف المسلمون والمشركون، فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم، والمسلمُون يخافون من هَيبتِه تعالى وإن كانوا مُطمئنين بالإيمان.

قوله: (لا يهمُّها غيرها) لِشغلها بهمِّها.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً) أي: لا يُعذَّبون من غير ذنب، أو المراد: لا يُنْقَصون من أجورهم شيئاً، والأول أَولى؛ لأنَّ نفي النقص من الأجر عُلِمَ من قوله: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

قوله: (﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾) المثل: تَشبيهُ قولٍ بآخرَ بينهما مشابهةٌ؛ ليتبيَّن أحدُهما ويظهر.

قوله: (هي مكة) هذا هو المشهور بين المفسِّرين، وهو الصحيح، وعليه: فالآية مدنيَّة؛ لأنَّ الله تعالى وصف القرية بصِفات سِت كانت هذه الصفات في أهل مكة حينَ كان النبي بالمدينة، وعلى القول بأنها مكيَّة: يكون إخباراً بالغيب؛ تنزيلاً لما سيَقع منزلة الواقع؛ لِتَحقق الحصول.

قوله: (﴿رَغَدًا﴾) بفتح الراء والغين المعجمة، يقال: رَغُدَ العيش ـ بالضم ـ رغادة: اتَّسع.

قوله: (﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾) أي: مِن كل جهة من البرِّ والبحر.

قوله: (﴿بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾) جمع نِعمة على ترك الاعتداد بالتاء؛ كدِرع وأدرُع[1]، أو جمع نَعماء؛ كأبؤس وبَأساء.

قوله: (بتكذيب النبي) الباء: للسببيَّة.

---

(١) فلا تجمع (نعمة) على (أنعم) إلا بتقدير إسقاط التاء، وتكسير (فِعْلَة) على (أفعُلٍ) قليلٌ عزيز وليس بالأصل. انظر «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٨١).

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ ....

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ فقَحَطُوا سَبع سِنِينَ، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بِسَرايا النَّبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾) أي: وذلك أنَّ الله ابتَلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر، وقَطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا، فأكلُوا العظام المحرقة والجِيَف والكلاب والميتة، وشَربوا الدماء، واشتدَّ بهم الأمر حتى كان أحدُهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان، ثم إنَّ رؤساء مكة كلَّموا رسول الله ﷺ في ذلك وقالُوا: ما هذا دأبك، عادَيتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ في حمل الطعام إليهم[(١)].

وفي رواية: أنهم أرسلُوا إليه أبا سفيان بن حرب في جماعة، فقَدِموا عليه المدينة وقال له أبو سفيان: يا محمد؛ إنك جئتَ تَأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومَك قد هلكوا؛ فادعُ الله لهم، فدعا لهم رسول الله ﷺ، وأذن للناس بحَمل الطعام إليهم، وهم بعدُ مُشركون[(٢)].

واعلم: أنَّ العلماء ذكروا في هذه الآية ثلاثَ استعارات:

الأولى: تصريحيَّة أصليَّة في الجوع والخوف من حيثُ إضافة اللباس إليهما، وتقريرها أن يقال: شبَّه ما غَشيهم من اصفرار اللون ونُحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور في كلٍّ، واستعير اسم المشبَّه به للمشبه.

الثانية: مكنيَّة، وتقريرها أن يقال: شبَّه ما غَشيهم من اصفرار اللون والنحولة وسُوء الحال من حيث الكراهية بالطعم المرِّ البشع، وطوَى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيء من لوازمه، وهو الإذاقة، فإثباتها تخييلٌ.

الثالثة: تبعيَّة، وتقريرها أن يقال: شبَّه الابتلاء بالإذاقة، واستُعير اسم المشبه به للمشبه، واشتُقَّ من الإذاقة (أذاقهم) بمعنى: ابتَلاهم.

قوله: (بسرايا النبي) الباء: للسببيَّة، والمراد بسَراياه: جماعتُه التي كان يَبعثها للإغارة عليهم، فكان أهل مكة يخافونهم.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾) أي: بسبب صُنعهم، أو بسبب الذي كانوا يصنعونه.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٩٠)، وأصل الخبر في «صحيح البخاري» (٤٨٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨).

(٢) رواها البخاري (١٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ....

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

(﴿١١٤﴾ - ﴿١١٥﴾) ﴿فَكُلُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾) أي: أهل مكة.

قوله: (﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾) أي: من جنسهم.

قوله: (﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾) الجملة حاليَّة، والمراد بالظالمين: الكافرون.

قوله: (﴿فَكُلُوا۟﴾) مفرَّع على التمثيل؛ أي: فإذا علمتُم ما حَصل للكفار من الحرمان وما حلَّ بهم بسبب كفر النِّعم.. فدومُوا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكُلوا... إلخ.

قوله: (﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾) حالان من (ما) أي: كلُوا من الذي رزقكم الله به حال كونه حلالاً طيِّباً.

قوله: (﴿تَعْبُدُونَ﴾) أي: تُطيعون.

قوله: (﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر المحرَّمات؛ ليعلم أنَّ ما عدا ذلك حلال طيِّب.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾) أي: خارجٍ على الإمام كالبُغاة، وقوله: (﴿وَلَا عَادٍ﴾) أي: قاطع للطريق؛ فلا يُباح لهم تعاطي الميتة إذا اضطُروا ما لم يتوبوا، وأما المضطر غير ما ذكر.. فيحلُّ له الأكل منها والشبع والتزوُّد عند مالك، وعند الشافعي: لا يحلُّ له إلا ما يَسُدُّ رمَقه[1].

---

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/ ١٨٤)، و«الأم» (٢/ ٢٧٦).

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ....

(١١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي: لِوَصفِ ألسِنَتِكُم ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لِما لَم يُحِلَّهُ الله ولَم يُحرِّمهُ؛ ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بِنِسبَةِ ذلك إلَيه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

(١١٧) لَهُم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

(١١٨) ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: اليَهُود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آيةِ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ...﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى آخِرِها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بِتَحرِيمِ ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتِكابِ المَعاصِي المُوجِبَة لِذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾) (لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ...﴾ إلخ مقول القول، وقوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ اللام: للتعليل، و(ما): مصدرية، و﴿ٱلْكَذِبَ﴾: مفعول لـ﴿تَصِفُ﴾، وقوله: ﴿لِّتَفْتَرُوا۟﴾ بدل من التعليل الأول، والمعنى: لا تقولُوا: هذا حلال، وهذا حرام؛ لأجل وصف ألسِنَتكم الكذب افتراءً على الله بنسبة ذلك إليه.

قوله: (بنسبة ذلك) أي: التحليل والتحريم.

قوله: (﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾) أي: لا يَفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والوقف هنا، وقوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ كلامٌ مستأنفٌ.

قوله: (﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾) مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لهم)، وقدَّره مقدَّماً؛ ليكون مسوِّغاً للابتداء بالنكرة.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾) شروعٌ في ذكر ما يَخُصُّ اليهود من التحريم إثرَ بيان ما يحل لأهل الإسلام وما يحرم عليهم.

وتحريم الشيء؛ إما لضررٍ فيه، أو لبغيِ المحرَّم عليهم، فأشار للأول بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ...﴾ إلخ، وأشار للثاني بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟...﴾ إلخ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ....﴾

(١١٩) ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾: الشِّركَ ﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟﴾: رَجَعُوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عَمَلَهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الجَهالةِ أو التَّوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لَهُم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

(١٢٠ - ١٢١) ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إماماً قُدْوةً جامِعاً لِخِصالِ الخَيرِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾) لما بالغ في تهديد المشركين وبيَّن ما أُحِلَّ وما حُرِّم.. ذكر أنَّ فعل تلك القبائح لا تمنَع من التوبة والرجوع والإنابة، بل باب التوبة مفتوحٌ لكلِّ كافرٍ ما لم يُغَرغر، فهو ترغيبٌ للكافر في الإسلام، وللعاصي في التوبة والإقلاع عن الذنوب.

قوله: (﴿لِلَّذِينَ﴾) متعلق بمحذوف دلَّ عليه خبر (إنَّ) الآتية، تقديره: ثم إنَّ ربك لغفور رحيم للذين عملُوا السوء... إلخ.

قوله: (﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾) أي: بسبب جهلِ العواقب وجلالِ الله؛ إذ لا يقَع الذنب إلا من جاهلٍ بالعواقب، أو جاهلٍ بجلال الله، ولو عَلم قَدر العقاب المدَّخر للعاصي.. ما قدم على مَعصية قط.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾) أي: الشرك.

قوله: (أو التوبة) (أو): لِتنويع الخلاف في مرجع الضمير.

قوله: (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾) للمفسِّرين في معنى هذه اللفظة أقوالٌ: قيل: الأمَّة: مُعلم الخير؛ أي: إنه كان معلِّماً للخير يأتمُّ به أهل الدنيا، وقيل: إنه كان مؤمناً وحدَه والناس كلُّهم كفار؛ فلهذا المعنى كان أمَّةً وحده، وقيل: الأمَّةُ: الذي يُقتدى ويؤتَمُّ به؛ لأنه كان إماماً يقتدى به، وفي الأصل: الأمَّةُ: الجماعة، وإطلاق الأمَّة بمعنى الجماعة عليه؛ لِجَمعه أوصاف الكمالات التي تفرَّقت في الخلق، ومنه: قول الشاعر[١]: [السريع]

وليسَ على اللهِ بِمُستَنْكَرٍ ... أنْ يَجمَعَ العالَمَ في واحِدِ

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم عشرةَ أوصاف حميدة.

(١) وهو أبو نواس، كما في «ديوانه» (ص٨٧).

قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ...

﴿قَانِتًا﴾ : مُطِيعاً ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ : مائِلاً إلى الدِّين القَيِّم، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ : اصْطَفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿١٢٢﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ - فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ - ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثَّناء الحَسَنُ في كُلِّ أهلِ الأَديانِ، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الَّذِينَ لَهُم الدَّرَجاتُ العُلَى.

﴿١٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (مائلاً إلى الدين القيِّم) أي: تاركاً لما عداه من الأديان الباطلة.

قوله: (﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) هذا الوصف قد عُلم التزاماً من قوله: ﴿حَنِيفًا﴾، وإنما ذكره ردًّا على المشركين حيث زعمُوا أنهم على مِلة إبراهيم.

قوله: (﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾) أي: صارفاً جميع ما أنعَم الله به عليه إلى ما خُلق لأجله، فهو معصومٌ عن الغفلة، وعن كلِّ شاغل يَشغله عن الله ظاهراً وباطناً.

قوله: (﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾) أي: اختاره من دُون خلقه، وهذا الوصف وما بعده ناشئٌ عن الله خاصَّة، لم يكن له كسبٌ؛ إشارةً إلى أنَّ ما نشأ منه من الأخلاق الحَميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له، لا بنَفسه.

قوله: (﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾) أي: دين قويم لا اعوجاج فيه.

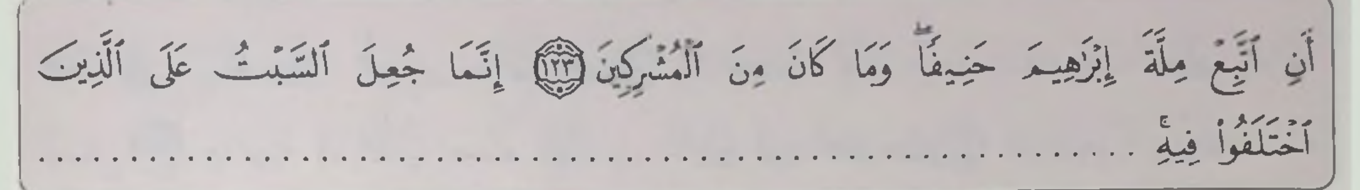
قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي: إلى التكلُّم؛ إشارةً إلى زيادة الاعتناء بشأنه.

قوله: (هي الثناء الحسن) أي: الذكر بِخير.

قوله: (في كلِّ أهل الأديان) أي: عند كلِّ أهل المِلل؛ فجميعهم يترضَّوْنَ عنه، ولا يكفرون به، ويَزعمون أنهم على ملَّته.

قوله: (﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: من أكمَلِهم وأعلاهم درجة، وهذا تتميمٌ لقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؛ فإنَّ حسنة الدنيا لا تتمُّ إلا بحَسنة الآخرة.

قوله: (﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾) هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لإبراهيم وأجَلُّها وأكملُها اتباعَ رسول الله ﷺ ملَّتَهُ. فصَله عما قبله حيث عطف بـ(ثم).


أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ....

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كُرِّرَ رَدًّا على زَعم اليَهُود والنَّصارَى أنَّهُم على دِينِه.

﴿١٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فُرِضَ تَعظِيمُه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ على نَبِيِّهم وهُم اليَهُود، أُمِرُوا أن يَتفرَّغُوا لِلعِبادة يومَ الجُمُعة فقالُوا: لا نُرِيدُهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنِ ٱتَّبِعْ﴾) يَصح أن تكون (أن) تفسيريَّة، أو مصدرية؛ فتكون مع ما دَخلت عليه في محل نصب مفعول لقوله: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

قوله: (﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾) أي: شَريعته، ومعنى اتباع النبي فيها: اتباعُهُ في الأصول، وهي عقائد التوحيد؛ فرسول الله أُمِرَ باتباع إبراهيم، بل وبِاتباع مَنْ تقدَّمه من الأنبياء في التوحيد؛ لأنهم مشتركون فيه، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا...﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

قوله: (﴿حَنِيفًا﴾) حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، وهو وإن كان مضافاً إليه إلا أنَّ شرطه موجود وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه؛ لأنه يَصحُّ الاستغناء بالثاني عن الأول[1].

قوله: (ردًّا على زعم اليهود والنصارى) المناسب أن يقول: ردًّا على المشركين؛ لأنَّ اليهود والنصارى لم يَكونوا مدَّعِينَ الإشراك.

قوله: (﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾... إلخ) هذا ردٌّ على اليهود؛ حيث كانوا يدَّعون أنَّ تعظيم السبت من شَريعة إبراهيم وهم متَّبِعون له، فردَّ الله عليهم: بأنه ليس السبت من مِلة إبراهيم التي زعمتُم أنكم متَّبعون لها، بل كان من شريعته تعظيمُ يوم الجمعة؛ ولذا اختارَه الله للأمَّة المحمديَّة؛ لأنه يوم تمامِ النعمة، ويوم المزيد في الجنة.

قوله: (﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾) أي: خالَفوا ربَّهم حيث أمرهم على لسان نبيِّهم أن يعظِّموا يوم الجمعة بالتضرُّع للعبادة فيه، فأبَوا واختاروا السبت، فشدَّد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم، وليس المراد بالاختلاف: أنَّ بعضَهم رضي به والبعض لم يَرض، بل المراد: امتناع الجميع.

---

(١) فيصح أن يقال: أن اتبع إبراهيم حنيفاً.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ....

واختارُوا السَّبت فشُدِّدَ علَيهم فِيه، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِه، بِأن يُثِيبَ الطَّائع ويُعَذِّبَ العاصِيَ بِانتِهاكِ حُرمَتِه.

﴿١٢٥﴾ ﴿ادْعُ﴾ النَّاسَ يا مُحمَّد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دِينِه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالقُرآنِ ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: مَواعِظِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (واختاروا السبت) أي: وقالُوا: لأنه تعالى فرَغ فيه من خلق السماوات والأرض وما فيهما، فنحن نوافق ربَّنا في ترك الأعمال يوم السبت، واختارَت النصارى يوم الأحد وقالوا: لأنه مبدأ الخلق فنَجعله عيداً لنا.

قوله: (من أمره) أي: السبت.

قوله: (بأن يثيب الطائع) أي: وهو مَنْ لم يَصطد فيه وعظَّمه.

قوله: (ويعذب العاصي) أي: وهو مَنْ صَنع الحيلة واصطاد فيه، فعذِّبوا في الدنيا بمسخهم قردةً وخَنازير، وفي الآخرة بالعذاب الدائم.

قوله: (﴿ادْعُ﴾) فعلُ أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: أنتَ، ومفعوله محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (الناس)، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ بعثته عامَّة، وعبَّر بـ(الناس) وإن كان داعياً للجنِّ أيضاً؛ باعتبار ما ظَهر لنا فقط.

قوله: (دينه) سمِّي الدينُ سبيلاً؛ لأنه موصلٌ لِدار السعادة الأبديَّة، والسيادة السرمديَّة.

قوله: (بالقرآن) أي: وسمِّي حكمةً؛ لأنها العِلم النافع.

قوله: (﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾) عطف خاصٍّ على عامٍّ؛ لأنَّ القرآن مشتملٌ على مَواعظ وغيرها، والمراد بالموعظة الحسنة: الترغيبُ والترهيبُ، والحكمة في ذكر الموعظة الحسنة: التشويقُ للعبادة، والنشاطُ لها، وسهولة البعد عن المخالَفات؛ لما في الحديث: (كان ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة أحياناً؛ مخافةَ السآمة علينا)[1] أي: يخلِّل كلامه بالترغيب والترهيب في بَعض الأحيان؛ لئلا يحصُلَ لنا

(١) رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٧٢٢٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ ....

أو القولِ الرَّقِيق، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي﴾ أي: المُجادَلةِ التِي ﴿هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ كالدُّعاءِ إلى الله بِآياتِه والدُّعاءِ إلى حُجَجِه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالِم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ فيُجازِيهِم، ....

حاشية الصاوي

الملل من توالي الأمر والنهي وتتابُعهما من غير تخلُّلهما بشيءٍ يُروِّح النفوس ويشوِّقها ويحثُّها على فعل الطاعات واجتناب المنهيَّات.

قوله: (أو القول الرفيق) تفسيران لـ(الموعظة الحسنة)، والمراد بالقول الرفيق: الألفاظُ التي فيها الرفق واللين؛ كقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ...﴾ [غافر: ٤١] الآيات.

قوله: (﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾) أي: ليترتَّب على ذلك حصولُ الفائدة لهم إلى الانقياد للطريق القويم.

قوله: (بآياته) أي: كقِصة إبراهيم مع قومه؛ حيث قال لهم حين جنَّ عليه الليل ورأى كوكباً: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ...﴾ [الأنعام: ٧٦] إلخ.

قوله: (والدعاء إلى حججه) أي: بَراهينه ودلائله، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾ [يونس: ١٠١] الآية.

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل ليس على بابِه، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع أنَّ صفات الله قديمةٌ لا مُشاركَ له فيها.

قوله: (﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾) أي: حَادَ وزاغَ عنه.

قوله: (﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾) حكمةُ التعبير في جانِب أهل الهدى بصيغة الاسم، وفي جانب أهل الضلال بالفِعل: الإشارةُ إلى أنَّ أهل الهدى استمرُّوا على الفطرة الأصليَّة، وأهل الضلال غيَّروا تلك الفطرة وبدَّلوها بإحداثِ الضلال.

إن قلتَ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ [العصر: ٢-٣] إلخ يقتضي أنَّ الأصل في الإنسان الضلال، والهُدى طارئٌ عليه؟

وهذا قبلَ الأمر بِالقِتالِ.

﴿١٢٦﴾ ونَزلَ لمَّا قُتِلَ حَمزةُ ومُثِّلَ بِهِ فقال ﷺ وقد رَآهُ: ....

حاشية الصاوي

أجيب: بأنه محمول على العالم الجسمانيّ؛ أي: إنَّ الأصل في الإنسان باعتبار عالم الأجساد: الخسران والضلال، والهدى طارئ بِبعثة الرسل، وما في هذه الآية محمولٌ على عالم الأرواح، وهو الأصل الأصيل؛ لأنَّ الله لما خاطَب الأرواح في عالم الذَّرِّ وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.. قالوا جميعاً: ﴿بَلَىٰ﴾ فالمهتدي في عالم الأجساد استَصحب ذلك الأصل، ومَن ضلَّ في عالم الأجساد.. فقد نسي ذلك العهد، واتَّبع شَهوات نفسه.

ثم اعلَم: أن مقتضى حلِّ المفسر يقتضي أنَّ المدعوَّ بالحكمة والموعظة الحَسنة والجِدال بالتي هي أحسن واحدٌ، وقال بعضهم: الناس خُلقوا ثلاثة أقسام:

الأول: العلماء الراسخون، فهُم المشار إليهم بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: بالعِلم النافع؛ لِيَنتفعوا وينفعوا الناس.

الثاني: الذين لم يبلغوا حدَّ الكمال وكانُوا دون الأوائل، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

الثالث: الكفارُ أصحاب الجدال والخِصام، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لِيَنقادوا للحق ويرجعوا إليه.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أنَّ الآية منسوخة، وقيل: ليست منسوخة؛ لأنَّ الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيه نهيٌ عن القتال، بل المراد: ادْعُهم وجادلهم برفقٍ في أول الأمر؛ فإن امتَثلوا.. فواضح، وإلَّا.. فشيءٌ آخر.

قوله: (ونزل) أي: بالمدينة.

قوله: (لما قتل حمزة) أي: في السنة الثانية في أحد، وحمزةُ: عمُّ رسول الله وأخوه من الرضاع وقَريبه من الأم أيضاً، وكان أسنَّ من النبي ﷺ بسنتَين.

قوله: (ومُثِّلَ به) أي: مثَّل به المشركون، فقَطعوا أنفه وأذنيه وذكَره وأنثَيه، وفجروا بطنه.

قوله: (وقد رآه) الجملة حاليَّة.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ ....

«لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبعِينَ مِنهُم مَكانَك»: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عن الانتِقام ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصَّبرُ ﴿خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، فكفَّ ﷺ وكفَّر عن يَمِينِه، رَواهُ البَزَّار.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ بِتَوفِيقِه، ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الكفارِ إنْ لَم يُؤمِنُوا لِحِرصِك على إيمانِهِم، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والله لأمثِّلن... إلخ) في كلام المفسِّر اختصار للحديث، ولفظه: «**أمَا والله؛ لئن ظفرني الله بهم لأُمثِّلن... إلخ**»[(١)].

قوله: (﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾) أي: أردتُم المعاقبة.

قوله: (﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾) أي: عفوتُم وتركتم القصاص.

قوله: (﴿لَهُوَ﴾) بضمِّ الهاء وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[(٢)].

قوله: (فكفَّ) أي: عن التمثيل بهم.

قوله: (﴿وَٱصۡبِرۡ﴾) الخطاب للنبي، والمراد منه: العموم؛ تعليماً للأمَّة حُسن الأدب.

قوله: (﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾) أي: بإقداره لك عليه، لا بنفسك؛ فإنَّ الصبر كالحبِّ والبغضِ قائمٌ بالقلب، والقلب بيَد الله يقلِّبه كيف يشاء، فمَنْ خلق الله فيه الصبر.. صبر، ومن لا.. فلا، فليس للعبد مَدخلٌ فيه.

قوله: (﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾) أي: لا تتأسف على إعراضِهم عن الهدى.

قوله: (﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ﴾) بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[(٣)]؛ أي: لا يكن فيك ضيقٌ، فالكلام على القلب، وإنما أتى به مقلوباً؛ إشارةً إلى أن الضيق إذا اشتدَّ.. كان كالشيء

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ قالون و أبو عمرو والكسائي بسكون الهاء، والباقون برفعها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٧٢).

(٣) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٠٧).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

أي: لا تَهتَمَّ بِمَكرِهِم؛ فأنا ناصِرُك علَيهِم.

﴿١٢٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الكُفرَ والمَعاصِيَ، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بِالطَّاعة والصَّبر، بِالعَونِ والنَّصر.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

المحيط، وأتى هنا بحذف نون (تك)، وفي (النمل) بإثباتها تفنُّناً؛ لأنَّ حذفها للتخفيف، وهو حذفٌ غير لازم، قال ابن مالك[١]: [الرجز]

ومِن مُضارعٍ لـ«كانَ» مُنجَزِمْ   تُحذَفُ نونٌ، وهْوَ حَذفٌ ما الْتُزِمْ

لأن أصل (يك): (يكُون)، دخل الجازم، فسكن النون، فالتقى ساكنان، حُذفت الواو لالتقائهما، وحذفت النون؛ تخفيفاً.

قوله: (لا تهتمَّ بمكرهم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية تُسبك مع ما بعدها بمصدر.

قوله: (بالعون والنصر) أشار بذلك إلى أنَّ المعيَّة مع المتقين والمحسنين معيَّةٌ معنويةٌ خاصَّةٌ، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأنَّ المعيَّة خاصَّة وعامَّة؛ فالعامَّة بالتصريف والتدبير لكلِّ مخلوق، والخاصَّة بالإعانة والنصر والرضا لِلمتقين والمحسنين أحياءً وأمواتاً؛ فرضا الله على المتقين والمحسنين دائمٌ مستمرٌّ لا يَنقطع، فإذا كان كذلك.. فينبغي زيارة الصالحين وخِدمتهم؛ لكونهم في حضرة الرضا أحياءً وأمواتاً لا ينقطع عنهم مددُ ربِّهم، وقوله في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ عِلم ينتفع به... إلخ»[٢] المرادُ: ثواب أعمالهم المتجدِّد، فلا يتجدَّد لهم ثواب عمل، وأمَّا ما ثبت لهم في نظير العمل السابق.. فهو دائمٌ مستمرٌّ، وإنما يَتجدد لهم ثواب علم خلَّفوه أو ولد صالح... إلى آخر ما في الحديث، ومِن هنا: زيارة الصالح الحيِّ أفضلُ من زيارة الصالح الميت؛ لأنَّ الحيَّ أعماله كلُّها مستمرَّة الصعود ما دام حيًّا، ويتجدَّد له ثوابها؛ ولذلك تضنُّ روح الصالح بالحياة، فلا تحب الموت؛ لأنَّ فيه عزلها من خدمة ربِّها التي هي أشرَف الأشياء وأفضلها.

✿ ✿ ✿

(١) «الخلاصة»، باب: (كان وأخواتها).

(٢) رواه الترمذي (١٣٧٦)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٥١) عن سيدنا أبي هريرةَ رضي الله عنه.



فهرس السور

